

# مذكرات في القضية الفلسطينية

أ. د. حسن محمد صالح



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مُذَكَّرَاتٌ فِي القَضِيَّةِ الفِلسطِينِيَّةِ

أ. د. محسن محرص



مركز الزيتونة  
للدراسات والاستشارات  
بيروت - لبنان

## Papers on the Palestine Issue

Author:

Prof. Dr. Mohesn Mohammad Saleh

الطبعة الأولى 2021م – 1442هـ  
عمّان – الأردن

الطبعة الثانية 2025م – 1446هـ  
بيروت – لبنان

جميع الحقوق محفوظة ©

ISBN 978-614-494-062-4

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 21 80 36 44

تلفاكس: + 961 21 80 36 43

ص.ب.: 5034-14، بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net

الموقع: www.alzaytouna.net

بريد إلكتروني: [info@alzaytouna.net](mailto:info@alzaytouna.net) الموقع: [www.alzaytouna.net](http://www.alzaytouna.net)

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:



إخراج

ربيع معروف مراد

## فهرس المحتويات

فهرس المحتويات .....	3
مقدمة الطبعة الأولى .....	7

### القسم الأول: فلسطين في التاريخ

أولاً: أرض فلسطين وشعبها: .....	11
1. أرض فلسطين .....	11
2. تكوين شعب فلسطين .....	13
ثانياً: مسيرة الأنبياء في فلسطين: .....	16
المزاعم الدينية والتاريخية لليهود في فلسطين .....	19
ثالثاً: الفتح الإسلامي لفلسطين: .....	21
تمهيد .....	21
1. الخطوات الأولى .....	22
2. معركة أجنادين .....	24
3. معركة فحل – بيسان .....	26
4. معركة اليرموك .....	30
5. فتح فلسطين .....	35
6. الإسلام يترسخ في فلسطين .....	38
رابعاً: المسلمون في مواجهة الصليبيين: .....	43
تمهيد .....	43
1. الخريطة السياسية للمنطقة قبيل الحروب الصليبية .....	43
2. الحملة الصليبية الأولى ونتائجها .....	45
3. استمرار الصراع (نظرة عامة) .....	47

4. جهاد عماد الدين زكي 521-541هـ..... 49
5. جهاد نور الدين محمود 541-569هـ..... 51
6. جهاد صلاح الدين الأيوبي 569-589هـ..... 57
- 66 ..... **خامساً: المماليك في مواجهة التتار:**
- 66 ..... تمهيد
- 67 ..... 1. الصليبيون والتتار
- 68 ..... 2. معركة عين جالوت
- 70 ..... 3. المماليك والقضاء على الصليبيين
- 72 ..... 4. دروس من التجربة

### القسم الثاني: فلسطين في مواجهة المشروع الصهيوني منذ العهد العثماني وحتى نهاية الاحتلال البريطاني

- 75 ..... **الفصل الأول: الدولة العثمانية ومواجهة المشروع الصهيوني في فلسطين: ..**
- 75 ..... أولاً: العثمانيون في فلسطين: التطور السياسي
- 81 ..... ثانياً: خلفيات ظهور المشروع الصهيوني في التاريخ الحديث
- 86 ..... ثالثاً: بدايات الاستيطان والهجرة اليهودية
- 90 ..... رابعاً: قضية فلسطين في الحرب العالمية الأولى 1914-1918

### الفصل الثاني: فلسطين: من الاحتلال البريطاني إلى إنشاء الكيان

- 95 ..... **الصهيوني 1917-1948:**
- 95 ..... مقدمة
- 96 ..... أولاً: تطور المشروع الصهيوني
- 98 ..... ثانياً: الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1929
- 101 ..... ثالثاً: المقاومة الفلسطينية 1919-1929
- 109 ..... رابعاً: الحركة الوطنية الفلسطينية 1929-1939
- 131 ..... خامساً: التطورات السياسية ونشوء الكيان الصهيوني 1939-1948
- 139 ..... سادساً: هل باع الفلسطينيون أرضهم؟ وتخلّوا عنها لليهود؟! .....



## القسم الثالث: فلسطين: الحروب العربية الإسرائيلية ومسار التسوية السلمية

### الفصل الأول: الحروب العربية الإسرائيلية: 147 .....

أولاً: حرب 1948..... 147

ثانياً: حرب 1956..... 157

ثالثاً: حرب 1967..... 161

رابعاً: حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973..... 168

خامساً: حرب 1982..... 174

سادساً: العدوان الإسرائيلي على لبنان 2006..... 178

### الفصل الثاني: مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية: 181 .....

مقدمة..... 181

أولاً: مشاريع التسوية السلمية 1948-1967..... 183

ثانياً: مسار التسوية السلمية 1967-2000..... 185

ثالثاً: مسار التسوية السلمية حتى 2021..... 207

رابعاً: خلاصات الموقف العربي والفلسطيني والإسرائيلي من التسوية..... 219

خامساً: انعكاسات مشروع التسوية على المنطقة..... 224

سادساً: الحكم الشرعي للتسوية السلمية مع الكيان الإسرائيلي..... 227

## القسم الرابع: الإخوان المسلمون والعمل الإسلامي المقاوم

### الفصل الأول: الإخوان المسلمون ودورهم في المقاومة ضد

المشروع الصهيوني حتى 1948:..... 235

أولاً: رؤية الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية..... 235

ثانياً: جهود الإخوان الأولى لنصرة فلسطين..... 243

ثالثاً: نشأة حركة الإخوان في فلسطين..... 249

رابعاً: دور الإخوان المسلمين في حرب فلسطين 1948/1947..... 251

## الفصل الثاني: التيار الإسلامي الفلسطيني والمقاومة المسلحة

261	.....: 1987-1949
261	.....مقدمة
261	.....أولاً: اختراق الحدود وبدايات العمل المقاوم
263	.....ثانياً: التيار الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1949
264	.....ثالثاً: الإخوان المسلمون والمقاومة المسلحة 1955-1949
269	.....رابعاً: نشأة حركة فتح
273	.....خامساً: إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)
274	.....سادساً: فصائل فلسطينية في إطار منظمة التحرير
276	.....سابعاً: تطور المقاومة الفلسطينية 1987-1967
279	.....ثامناً: معسكرات الشيوخ
	.....تاسعاً: اتساع التيار الإسلامي الفلسطيني وتأسيس الأرضية
281	.....للمقاومة المسلحة 1987-1967

## الفصل الثالث: التيار الإسلامي الفلسطيني والمقاومة المسلحة

287	.....: 2024-1987
287	.....أولاً: الانتفاضة المباركة
290	.....ثانياً: حركة المقاومة الإسلامية (حماس)
296	.....ثالثاً: حماس وانطلاقة العمل العسكري
299	.....رابعاً: انتفاضة الأقصى
304	.....خامساً: العدوان والمقاومة 2024-2006
321	.....لائحة المصادر والمراجع
339	.....فهرست



## مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وإمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تلقيت منذ نحو عام طلباً كريماً من أستاذنا وشيخنا الفاضل د. همام سعيد لإعداد مادة منهجية حول قضية فلسطين. ولم أملك أمام لطفه وإصراره إلا الاستجابة؛ بالرغم مما أعانيه من كثرة الالتزامات وتراكمها. وقد ساعد على الاستجابة، بالإضافة إلى أهمية الموضوع وحاجة الكثير من المهتمين والمعنيين إليه، أنّ جانباً كبيراً من المادة العلمية هو أصلاً مما سبق لي أن أعدته، وكتبت فيه ونشرته في دراسات وكتب سابقة، ويغطي كثيراً من المفردات والعناوين التي تفضل شيخنا الفاضل بإرفاقها مع الخطة المقترحة لإعداد المادة.

وقد قُسم هذا الكتاب وفق الخطة المقترحة إلى أربعة أقسام، يُقدّم أولها تعريفاً بأرض فلسطين وشعبها، ويغطي تاريخ فلسطين قبل الإسلام، والفتح الإسلامي لفلسطين، وتحرير فلسطين من الصليبيين والتتار. ويناقش القسم الثاني فلسطين في مواجهة المشروع الصهيوني منذ العهد العثماني وحتى نهاية الاحتلال البريطاني وقيام الكيان الإسرائيلي. أما القسم الثالث فيتحدث عن الحروب العربية الإسرائيلية، ومسار التسوية السلمية. بينما يركز القسم الرابع بشكل خاص على دور التيار الإسلامي في مقاومة المشروع الصهيوني، وخصوصاً جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس.

وبشكل عام، فإذا وُجد في دراساتنا وكتبنا ما يغطي العناوين والمفردات المقترحة، فقد تمّ استحضاره منها، دونما حاجة لإضاعة الوقت والجهد في إعادة كتابته، خصوصاً إذا كان يفي تماماً بالغرض. غير أن معظم المادة العلمية المُستحضرة خضعت للاختصار والتكثيف والتحرير لتتناسب مع الحجم المنهجي المقترح؛ كما تمّ تحديث العديد من المواد وإضافة مواد جديدة؛ ليتم بذلك تغطية كافة المفردات المطلوبة. وتمّ إعادة ترتيب المواد لتتناسب مع التدرّج المنهجي المطلوب، وبذلك أخذ هذا الكتاب طبيعته الخاصة. ولعلّي لا أحسبه مؤلفاً جديداً، وكنت أودّ لو أن مادته نُشرت ضمن سياق المنهاج الذي يقوم عليه الشيخ الدكتور همام؛ غير أنّ الشيخ أكرمه الله ارتأى بعد إنجازه أن يصدر في كتاب خاص.

وكان من أكثر الكتب التي تمّت الاستفادة من نصوصها كتابنا الطريق إلى القدس، وكتابنا دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، وكتابنا القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة؛ بالإضافة إلى غيرها من المراجع والمصادر.

يراعي هذا الكتاب التدرج المنهجي في المراحل الأربعة، ويحاول أن يقدم قضية فلسطين بشكل علمي موضوعي سلس وسهل التناول، ومن جوانب مختلفة. كما أنه يراعي التوازن والتقارب في أحجام الأقسام.

نسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

وأن يجزي شيخنا د. همام سعيد خيراً على هِمَّتِه ومتابعته وحسن تواصله.

والصدر مفتوح لكل اقتراح أو ملاحظة أو نقد بِنَاء.

والحمد لله رب العالمين،

محسن محمد صالح

ذو القعدة 1442هـ

مطلع تموز/ يوليو 2021

**القسم الأول**

**فلسطين في التاريخ**



## أولاً: أرض فلسطين وشعبها

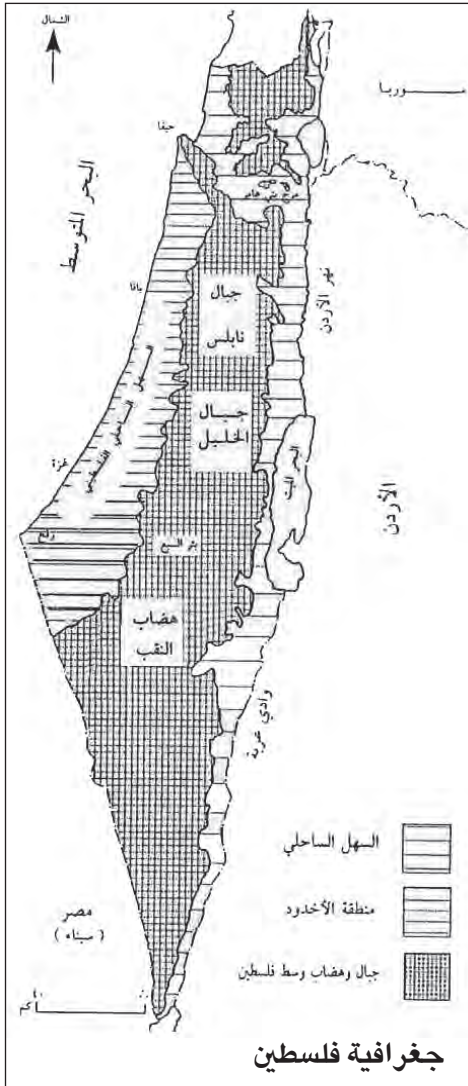
### 1. أرض فلسطين:

يطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام، وهي الأرض الواقعة غربي آسيا، على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. ولفلسطين موقع استراتيجي مهم، إذ تُعدُّ صلة الوصل بين قارتي آسيا وإفريقيا، ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي. وأقدم اسم معروف لهذه الأرض هو "أرض كنعان"؛ لأن أول شعب سكن هذه الأرض ومعروف لدينا تاريخياً هم "الكنعانيون"، الذين قدموا من جزيرة العرب نحو 2500 ق.م. واسم فلسطين هو اسم مشتق من اسم أقوام بحرية، لعلها جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجه قرابة القرن الثاني عشر ق.م، وورد اسمها في النقوش المصرية باسم "ب ل س ت"، وربما أضيفت النون بعد ذلك للجمع، وقد سكنوا المناطق الساحلية، واندمجوا بالكنعانيين بسرعة، فلم يبقَ لهم أثر مميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم.<sup>1</sup>

وقد ظلت حدود أرض فلسطين تضيق وتتسع عبر التاريخ، غير أنها ظلت تعبر بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر المتوسط، وبين البحر الميت ونهر الأردن. وفي العهد الإسلامي قُسمت بلاد الشام إلى "أجناد"، وكان جند فلسطين يمتد من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجون التي تقع على بعد 18 كم شمالي غرب مدينة جنين. وأياً كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة فإن فلسطين ظلت جزءاً من بلاد الشام، ولم تكن مثل هذه التقسيمات توسيعاً أو تضيقاً؛ لتغير شيئاً من حقيقة شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولاءهم للحكم لا يهتز ما دام مسلماً حقاً. أما أرض فلسطين بحدودها الجغرافية المتعارف عليها، فلم تتحدد بدقة إلا في أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين، وخصوصاً خلال الفترة 1920-1923. وعلى أي حال، فإن مساحة فلسطين تبلغ 27,009 كم<sup>2</sup> وفق التقسيمات المعاصرة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> لمزيد من التفصيل حول تاريخ فلسطين القديم، انظر مثلاً: محمد أديب العامري، **عروبة فلسطين في التاريخ** (صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، 1972)؛ **الموسوعة الفلسطينية**، إشراف أحمد المرعشلي (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ج 1، ص 37، وج 3، ص 273-279، وج 4، ص 174.  
<sup>2</sup> انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، ج 1، ص 117-129.

وتتمتع فلسطين بمناخ معتدل هو مناخ البحر المتوسط، وهو مناخ يشجع على الاستقرار والإنتاج. ويمكن أن تقسم فلسطين إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، هي السهل الساحلي، والمرتفعات الجبلية الوسطى، والأخدود الأردني. والسهل الساحلي منطقة تركز غالب الفلسطينيين، حيث الموانئ، ومراكز التجارة، والنشاط الاقتصادي والزراعي. وتشمل المرتفعات الجبلية الوسطى جبال الجليل، ونابلس، والخليل، وهضبة النقب، وأعلى جبالها ارتفاعاً هو جبل الجرمق شمال فلسطين الذي يبلغ ارتفاعه 1,207 أمتار.



وقد سكن في هذه المرتفعات الفلاح الفلسطيني منذ آلاف السنين وزرعها بالحبوب والفواكه والخضار، ورعى الماشية. أما الأخدود الأردني، حيث يجري نهر الأردن ليصب في البحر الميت، فهو يُعدُّ أكثر المناطق انخفاضاً عن مستوى سطح البحر من أي مكان آخر على وجه الأرض، حيث يصل الانخفاض إلى نحو 400م تحت سطح البحر، وهي مناطق تتميز بحرارتها طوال العام، وتشتهر بزراعتها للنخيل والموز والخضروات.

## 2. تكوين شعب فلسطين:

هناك آثار تشير إلى أن الإنسان سكن فلسطين منذ العصر الحجري القديم (500 ألف-14 ألف ق.م)، كما يشير العصر الحجري الوسيط (14 ألف-8 آلاف ق.م) إلى وجود أشكال حياة حضارية تمثلت بما يعرف بالحضارة النطوفية. وشهدت أرض فلسطين مراحل التطور الإنساني الأولى في التحول من الرعي إلى الزراعة، كما أن أول مدينة جرى تشييدها في التاريخ هي مدينة "أريحا" الواقعة شمال شرقي فلسطين وذلك نحو سنة 8000 ق.م حسبما يذكر علماء الآثار.

وعندما قدم الكنعانيون من جزيرة العرب (نحو 2500 ق.م) كانت هجرتهم واسعة بحيث أصبحوا السكان الأساسيين للبلاد، وقد أنشأوا ما لا يقل عن مئتي مدينة وقرية في فلسطين، مثل مدن بيسان، وعسقلان، وعكا، وحيفا، والخليل، وأسدود، وبئر السبع، وبيت لحم.<sup>3</sup> ويرى ثقات المؤرخين أن معظم أهل فلسطين الحاليين، وخصوصاً القرويين، هم من أنسال القبائل الكنعانية، والعمورية، والفلسطينية، ومن القبائل العربية التي استقرت في فلسطين قبل الفتح الإسلامي وبعده، حيث اندمج الجميع في نسيج واحد، يجمعهم الإسلام واللغة العربية، إذ أسلموا واستعربوا تحت الحكم الإسلامي طوال ثلاثة عشر قرناً.<sup>4</sup>

<sup>3</sup> انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 271-279، و666-670.

<sup>4</sup> حول تاريخ فلسطين القديم، انظر: محمد أديب العامري، عروبة فلسطين في التاريخ، ص 16-17، و29، و64، و73-74، و84، و86، و96-97.

وكان لليمنيين من السبئيين والمعينيين جاليات كبيرة في الواحات التي تمر بها الطرق التجارية في بلاد الشام منذ الألف الأول قبل الميلاد. ومن القبائل العربية الأولى الشهيرة التي استقرت بأرض الشام ومنها فلسطين قبيلة قضاة التي تنصرت فيما بعد، وولاهها ملوك الروم على عرب بلاد الشام. ثم وردت قبيلة سليح فحلت مكانها. ثم إن بني غسان "الغساسنة" هاجروا من اليمن أواخر القرن الثالث الميلادي، فاستقروا شمال الحجاز، ثم انتقلوا إلى الشام، واعترف لهم البيزنطيون بنوع من السيادة، وأقاموا دولة حاجزة بين الروم والفرس، وامتدت سلطتهم على القبائل العربية في فلسطين، واستمر ملكهم حتى قرابة سنة 584م حيث بدأ انهيارهم عندما خاضوا الروم. وحين غزا الفرس الشام سنة 613م قضوا على آخر نفوذ للغساسنة، وكان هذا بعيد نزول الوحي على النبي محمد ﷺ، وبدء انتشار الإسلام.

وقد شهدت بلاد الشام ثلاثة كيانات عربية قبل الإسلام، فظهر الأنباط في الجنوب، وتدمر في الشمال، والغساسنة بينهما.<sup>5</sup>

وبعد الفتح الإسلامي انتشرت القبائل العربية في فلسطين، وامتزجت بمن سبقها من كنعانيين وغيرهم، وحدثت حركة أسلمة وتعريب تدريجية وطبيعية تحت راية الحكم الإسلامي، حتى أصبح دين أهل فلسطين الإسلام ولسانهم العربية. وبشكل عام، فإن غالبية من استقر من العرب في فلسطين هم من القحطانية أي من العرب العاربة، أي من القبائل العربية التي ترجع إلى أصول يمنية، فقد كانت معظم جيوش الفتح الإسلامي من هذه القبائل. فنزل مثلاً قوم من الأشعرين طبرية وغلّبوا عليها، ونزل بعض أفخاذ جذام في بيت جبرين وفيما يلي طبرية من أرض، وسكن أقوام من بكر بن وائل جنين، وآخرون من مضر بن نزار في نابلس. وفي منطقة الخليل وما حولها كانت قد استقرت لحم وبطن من بني عبد الدار، وهم رهط تميم الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ومن أهم قبائل العرب العاربة حمير التي ينسب جلّ أفرادها إلى قبيلة قضاة، والتي انتشرت بطونها في قرى البطاني (غزة)، وجماعين (نابلس)، ووادي حنين (يافا)، وغيرها. ومن بطون قضاة التي انتشرت في فلسطين، قبائل كلب، وبلي، وجهينة، وجرم، وقدامة، وبنو بهراء، وبنو عذرة، والقين، ومسكة. ومن العرب العاربة قبائل

<sup>5</sup> الموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 218-219، وص 401-402.



بنو كهلان، ومن أهمها طيء التي تعرف اليوم باسم "شمر"، ولخم، وزُبيد، والأوس، والخزرج، وكلها انتشرت في أماكن مختلفة من فلسطين. وهناك أعداد من عرب شمال الجزيرة العربية الذين يعرفون ببني عدنان، أو بني إسماعيل، أو العرب المستعربة، وإليها تنسب قريش التي جاء العديد من عائلاتها إلى فلسطين من نسل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والعباس وغيرهم من الصحابة، وهناك كذلك قبيلة عَنزَة، وحرب وغيرها.<sup>6</sup>

وظلَّ شعب فلسطين مسلماً عربي اللسان منذ الفتح الإسلامي وإلى وقتنا هذا. ولم تؤثر فترة الحروب الصليبية في تركيبة السكان إلا قليلاً عندما غزاها صليبيو أوروبا، فسرعان ما استوعب المسلمون هذه الهجمة وأعادوا للأرض هويتها المسلمة. وقد ظلت فلسطين منطقة جذب سكاني لمكانتها المقدسة، ولموقعها الجغرافي، ولناخها المعتدل، وإمكانات الزراعة والتجارة وغيرها، فاستقر بها بعض المسلمين من الأكراد، والأمازيغ (البربر)، والشيشان، والبوسنة، والأتراك حيث تعربوا وامتزجوا بأهلها. وظلت في فلسطين أقلية نصرانية تعيش بسلام وطمأنينة في ظلِّ حكم المسلمين، وكان من نصارى فلسطين أولئك الذي ظلوا على دينهم من أهل البلد، ومن استقر من النصارى فيما بعد ممن رغبوا في السكن في الأرض المقدسة، من أرمن ويونان وغيرهم. كما اتسع التسامح الإسلامي لسكن اليهود واستقرارهم، بوصفهم أهل ذمة، فعاشت أقلية ضئيلة منهم دون طموحات سياسية، وكانوا في بداية القرن التاسع عشر لا يتجاوزون الـ 5 آلاف. ووصل عددهم قبيل بداية البرنامج العملي النَّشِط للهجرة الصهيونية أي قرابة 1,880م إلى 23 ألفاً تقريباً.<sup>7</sup>

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ج 1، ص 362-366، وج 3، ص 253. وحول تفصيلات القبائل العربية في فلسطين انظر كتاب: مصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين (بيروت: دار الطليعة، 1979).  
<sup>7</sup> حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909، ط 2 (بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1980)، ص 82-84.

## ثانياً: مسيرة الأنبياء في فلسطين

كان قدوم إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين (نحو 1900 ق.م) إشراقة لنور التوحيد في هذه الأرض المباركة، وقد عاصر حاكم القدس "ملكي صادق" الذي كان على ما يبدو موحداً وصديقاً له. وكان لأبي الأنبياء إبراهيم دوره في نشر رسالة التوحيد، ويبدو أنه لم يجد عناءً أو عناءً من أهل فلسطين، ولم يضطر لتركها بسبب دينه أو دعوته، فظل مستقراً فيها، ويتنقل بحرية حيث يشاء، إلى أن توفاه الله في المدينة التي حملت اسمه "الخليل". وقد سار على دربه أبنائه الأنبياء من بعده إسماعيل، الذي استقر في مكة، وإسحق وابنه يعقوب اللذين استقرا في فلسطين. وكان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ابناً هم الأسباط المعروفون ببني إسرائيل (وإسرائيل هو لقب ليعقوب عليه السلام) وقد هاجروا إلى مصر واستقروا فيها، حيث عانوا من اضطهاد الفراعنة بضعة قرون. وأرسل الله لهم موسى عليه السلام (في القرن الـ 13 ق.م) لينقذهم من فرعون وطغيانه، وأهلك الله فرعون وجنوده، غير أن بني إسرائيل في ذلك الزمان كانوا قد طُبعوا على الذل والجبن، فرفضوا الذهاب إلى الأرض المقدسة قائلين لموسى: ﴿فَأَذْهَبَ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِيلًا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾<sup>8</sup>.

وتوفي موسى عليه السلام قبل أن يدخل فلسطين، وعندما نشأ جيل جديد صلب من بني إسرائيل، بعد أربعين سنة من التيه، قادهم يوشع بن نون عليه السلام (نحو 1190 ق.م) حيث عبر بهم نهر الأردن، واستطاع تحقيق بعض السيطرة لبني إسرائيل في الجزء الشمالي الشرقي من فلسطين. ولدة 150 سنة تالية سادت النكبات، والفوضى، والخلافات، والانحلال الخلقي والديني بين بني إسرائيل. ولم يتحسن حالهم إلا بقدوم طالوت ملكاً عليهم، والذي استطاع الانتصار على أعدائه.

وكان ظهور داود عليه السلام الذي خلف طالوت إيذاناً ببدء مرحلة جديدة لنور التوحيد في الأرض المباركة، حيث أتاه الله الملك (نحو 1004 ق.م) وقد واصل حربه ضد الأقوام الكافرة على الأرض المقدسة، حيث أخضعها واستطاع نقل عاصمته إلى القدس سنة 995 ق.م، وسيطر على معظم فلسطين، باستثناء معظم المناطق الساحلية

<sup>8</sup> سورة المائدة: 24.



التي لم تخضع له. واستمر في حكمه عليه السلام حتى سنة 963 ق.م عندما خلفه ابنه سليمان عليه السلام (963-923 ق.م)، حيث شهدت فلسطين حركة بناء وعمران وازدهار ضخمة، وسخر الله له الريح والجن، وأعطاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده. وكان حكم داود وسليمان هو العصر الذهبي، الذي حُكمت فيه فلسطين نحو ثمانين عاماً، تحت راية الإيمان والتوحيد قبل الفتح الإسلامي لها.

وبعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى دولتين منفصلتين متعديتين في كثير من الأحيان، فنشأت مملكة "إسرائيل" شمال فلسطين خلال الفترة 923-721 ق.م، التي سمّتها دائرة المعارف البريطانية ازدراء "المملكة الذيلية"، حيث ضعفت وفسد حكامها، وانتهى أمرها بسيطرة الآشوريين بقيادة سرجون الثاني عليها، وتدميرها ونقل سكانها من بني إسرائيل إلى حرّان، والخابور، وكرديستان، وفارس، وأحلوا مكانهم جماعات من الآراميين، ولم يبقَ بعد ذلك أثر لأسباط بني إسرائيل العشرة الذين شكّلوا هذه الدولة. أما مملكة "يهودا" فاستمرت خلال الفترة 923-586 ق.م، وكانت عاصمتها القدس، وقد اعترتها عوامل الضعف والوقوع تحت النفوذ الخارجي فترات طويلة، فقد هزمها ودخل عاصمتها شيشق فرعون مصر (أواخر القرن العاشر ق.م)، وفعل مثله الفلسطينيون في عهد يهورام (849-842 ق.م)، واضطرت لدفع الجزية للآشوريين... ثم إنها سقطت أخيراً بيد البابليين بقيادة نبوخذ نصر الذي خرّب القدس، ودمّر الهيكل، وسبى نحو 40 ألفاً من اليهود، وبذلك سقطت مملكتهم سنة 586 ق.م.

وتشير التوراة إلى آثام بني إسرائيل التي استحقوا بسببها دمار ملكهم، فتذكر على لسان أشعيا، وهو أحد أنبيائهم: "ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الآثم، نسل فاعلي الشرّ، أولاد مفسدون تركوا الرب، واستهانوا بقدوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء" سفر أشعيا، الإصحاح الأول، وتقول التوراة: "والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدّوا الشرائع، غيرّوا الفريضة، نكثوا العهد الأبدي" سفر أشعيا، الإصحاح 24.

وهكذا فلم تطل مملكة بني إسرائيل في فلسطين أكثر من أربعة قرون حكموا في معظم الوقت بعضاً من أرضها، وكان حكمهم غالب الوقت ضعيفاً مفككاً، وخضع

أحياناً لنفوذ وهيمنة دول قوية مجاورة. وفي الوقت نفسه ظلّ أبناء فلسطين من الكنعانيين وغيرهم في أرضهم، ولم يهجروها أو يرتحلوا عنها.

وقد سمح الإمبراطور الفارسي قورش Cyrus لليهود بالعودة إلى فلسطين، فعادت قلّة منهم، عاشت إلى جانب أبناء فلسطين، وتمتعت منطقة القدس بنوع من الحكم الذاتي تحت السلطة الفارسية التي استمرت خلال الفترة 539-332 ق.م. وتلا ذلك عصر السيطرة الهلينية الإغريقية على فلسطين خلال الفترة 332-63 ق.م، واستمر يدير شؤون اليهود "الكاهن الأكبر"، واستطاع اليهود تحقيق حكم ذاتي منذ سنة 164 ق.م أخذ يضيق ويتسع، وتزداد مظاهر استقلاله وتضعف حسب صراع القوى الكبرى في ذلك الوقت على فلسطين (الرومان، البطالمة، السلوقيين...).

وقد تمكن الرومان من السيطرة على فلسطين سنة 63 ق.م، وأخضعوها لحكمهم المباشر منذ السنة السادسة الميلادية، حيث ألغوا الحكم الذاتي اليهودي في منطقة القدس. وقد ثار اليهود خلال الفترة 66-70م، لكن القائد العسكري الروماني تيتوس Titus أخمد ثورتهم ودمّر الهيكل، ثم ثار اليهود مرة أخرى وأخيرة خلال الفترة 135-132م، لكن القائد الروماني جوليوس سيفروس Julius Severus احتل القدس ودمرها، وأقام الإمبراطور الروماني هادريان Hadrian مدينة جديدة فوق خرائبها سماها إيليا كابيتولينا Iliia Capitolina حيث عُرفت بعد ذلك باسم إيلياء، وهو اسم هادريان الأول. وحظر على اليهود دخول القدس نحو 200 سنة تالية، وندرت أعدادهم نسبة إلى السكان طوال 18 قرناً تالية. بينما ظلّ أهل البلاد الأصليين من كنعانيين ومن اختلط بهم من قبائل العرب، مستقرين في البلاد قبل قدوم بني إسرائيل وفي أثناء وجودهم، وظلوا مستمرين كذلك بعدهم إلى أيامنا هذه. وقد تولت الدولة البيزنطية (دولة الروم) القسم الشرقي من الدولة الرومانية منذ 394م، واستمرت في الهيمنة على فلسطين، عدا فترات ضئيلة من النفوذ الفارسي، حتى جاء الفتح الإسلامي لفلسطين سنة 15هـ/636م.<sup>9</sup>

<sup>9</sup> انظر مثلاً حول تاريخ بني إسرائيل القديم المشار إليه في الفقرات السابقة في: ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم 1220ق.م - 1359م: منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط 4 (بيروت: دار النفائس، 1984)؛ والموسوعة الفلسطينية، ج 1، ص 238، وج 3، ص 184-186، و266-268، وج 4، ص 216-218.

## المزاعم الدينية والتاريخية لليهود في فلسطين:

تجدر الإشارة إلى أن يهود هذا الزمان يبنون احتلالهم لفلسطين على مزاعم دينية وتاريخية، فيدعون أن الله سبحانه وعدهم هذه الأرض، ويشيرون إلى ارتباطهم التاريخي بها، بحكمهم إياها زمنًا، وبتواجدهم على أرضها، وارتباطهم النفسي والروحي بها، وقدسيتها عندهم. ونحن نؤمن أن لليهود حريتهم الدينية، وليس من حق أحد أن يكرههم على تغيير عقائدهم، ولكن ليس من حقهم أن يلزموا الآخرين بعقيدتهم. كما أنه ليس من حقهم أن يشرّدوا شعباً من دياره، ويغتصبوا أرضه وأملاكه ومقدساته تحت دعاواهم الدينية.

أما المسلمون فلا يرون لليهود حقاً في هذه الأرض، فمن ناحية دينية؛ فإن هذه الأرض أعطيت لبني إسرائيل عندما رفعوا راية التوحيد، واستقاموا عليها، تحت قيادة رسلهم وصالحهم. ولكنهم انحرفوا وبدّلوا وقتلوا أنبياءهم، وعاثوا في الأرض فساداً بعد ذلك، ففقدوا تلك الشرعية. والمسلمون يؤمنون أنهم الورثة الحقيقيون لراية التوحيد، وأنهم الامتداد الحقيقي الوحيد لأمة التوحيد ودعوة الرسل، وأن دعوة الإسلام هي امتداد واستمرار لدعوة إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وإسماعيل، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى... عليهم السلام.

فالمسلمون الآن هم أحق الناس بهذا الميراث بعد أن انحرف الآخرون. والمسألة غير مرتبطة بالجنس، والنسل، والقومية، وإنما مرتبطة باتباع المنهج، وعلى هذا فنحن المسلمين نؤمن أن رصيد الأنبياء هو رصيدنا، وتجربتهم هي تجربتنا، وتاريخهم هو تاريخنا، والشرعية التي أعطها الله للأنبياء واتباعهم في حكم الأرض المقدسة هي دلالة على شرعيتنا وحقنا في هذه الأرض وحكمها. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾<sup>10</sup> وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١١﴾﴾<sup>11</sup> وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ

<sup>10</sup> سورة آل عمران: 67-68.

<sup>11</sup> سورة البقرة: 132.

وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ<sup>12</sup>. وهكذا فإن الله أخبر إبراهيم ﷺ أن الإمامة والقيادة لا ينالها الظالمون من نسله وذريته، لأن الأمر مرتبط بالاستقامة على منهج الله، ولو كان الأمر مرتبطاً بالتنازل فلا ينبغي لبني إسرائيل أن يقصروه على أنفسهم، ولاستحق إسماعيل ﷺ ونسله هذا الوعد الذي أُعطي لإبراهيم، ولاستحقه العرب المنتسبون إلى إسماعيل جدّ العرب العدنانية، ومنهم قريش وسيدها محمد ﷺ.

أما من الناحية التاريخية، فإن حكم بني إسرائيل لفلسطين كان فترة ضئيلة ولم تتجاوز الأربعة قرون على أجزاء من فلسطين، وليس كلها. أما الحكم الإسلامي فقد استمر نحو 12 قرناً (636-1917م) قطعته لفترة ضئيلة فترة الحروب الصليبية. وإذا كان معظم اليهود قد غادر فلسطين، وانقطعت صلتهم الفعلية بها مدة 18 قرناً، منذ 135م وحتى القرن العشرين، بل وحرّمت تعاليمهم الدينية العودة إليها، فإن أهل فلسطين الأصليين لم يغادروها طوال الأربعة آلاف وخمسمائة سنة الماضية، إلى أن طُرد عدد كبير منهم قسراً على يد العصابات الصهيونية سنة 1948م، وما زالوا إلى الآن يجاهدون لاسترداد أرضهم دون أن يتنازلوا عنها.

ثم إن أكثر من 80% من يهود هذا الزمان، حسب دراسات عدد من اليهود أنفسهم، وعلى رأسهم آرثر كوستر Arthur Koestler تشير إلى أنهم لا يمتّون تاريخياً بأيّ صلة لفلسطين، كما لا يمتّون قومياً لبني إسرائيل، فالأغلبية الساحقة ليهود اليوم تعود إلى يهود الخزر (الأشكناز)، وهي قبائل كانت تقيم في شمالي القوقاز، وتهوّدت في القرن الثامن الميلادي.<sup>13</sup>

<sup>12</sup> سورة البقرة: 124.

<sup>13</sup> انظر مثلاً حول يهود الخزر في: أسماء فاعور، فلسطين والمزاعم اليهودية (بيروت: دار الأمة، 1995)، ص 235-241.



## ثالثاً: الفتح الإسلامي لفلسطين

### نهيد:

استمرت الهيمنة الرومانية على فلسطين بعد أن رفع الله سبحانه المسيح إليه. وفي عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير (337-306م) تم الاعتراف رسمياً بالمسيحية في المرسوم الشهير بمرسوم ميلان Edict of Milan الصادر سنة 313م، وقد تنصر قسطنطين نفسه، وأقام في مدينة القدس، "في المكان الذي يعتقد النصارى أن السيد المسيح دفن فيه"، كنيسة الضريح المقدس، التي أصبحت أعظم الكنائس شأنًا عند النصارى، وبنى فوق جبل الزيتون كنيسة الصعود، وأقام كنيسة الميلاد في بيت لحم، وقسطنطين نفسه هو الذي بنى مدينة القسطنطينية "إسطنبول" 330م.

وقد انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي وغربي، وذلك بعد موت الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I في 395م، فتكونت الإمبراطورية الرومانية الشرقية (الدولة البيزنطية) وعاصمتها القسطنطينية، والإمبراطورية الرومانية الغربية، وعاصمتها روما، وما لبثت الإمبراطورية الغربية أن سقطت في 476م لكن الإمبراطورية الشرقية، التي عرفها العرب بدولة الروم، حافظت على الهيمنة على فلسطين، باستثناء فترات ضئيلة، حتى جاء الفتح الإسلامي.<sup>14</sup>

ولد رسول الله ﷺ سنة 570م وبعد أربعين سنة نزل عليه الوحي، وتحمل أمانة الرسالة والدعوة، ولقي في الفترة المكية التي استمرت 13 سنة الكثير من العنت والإيذاء. ومنذ هذه الفترة وقبل أن تتشكل دولة الإسلام في المدينة، كانت أنظار المسلمين الأوائل ترنو إلى المسجد الأقصى في فلسطين، فقد كان قبلتهم الأولى في الصلاة،<sup>15</sup> وجاءت معجزة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم المعراج إلى السماء في

<sup>14</sup> انظر حول الفترة من بعثة المسيح ﷺ وحتى الفتح الإسلامي في: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (بيروت: دار النهضة العربية، 1981)، ص 19-75؛ وجوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.)، ص 35-111.

<sup>15</sup> ظل المسجد الأقصى قبله المسلمين الأولى في الصلاة حتى السنة الثانية للهجرة، انظر: عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ط 6 (بيروت والكويت: مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، 1979)، ص 135.

السنة العاشرة للبعثة النبوية لتؤكد عمق الارتباط بين الإسلام وبين أرض فلسطين المقدسة؛ حيث يوجد المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله. وقد كان فتح خيبر وفدك (7هـ)، وغزوتا مؤتة (8هـ)، وتبوك (9هـ)، وحملة أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (11هـ)، مقدّمة لتطلع المسلمين إلى بلاد الشام.

لقد كانت أنظار المسلمين وقلوبهم سنوات طويلة معلقة ببيت المقدس والمسجد الأقصى حتى قبل أن يتم لهم فتح فلسطين. وكان الكثير من سور القرآن وآياته تتنزل تباعاً على رسول الله ﷺ وتحدث عن قصص الأنبياء، وكان ميدان العديد منها هو أرض فلسطين (يعقوب، ولوط، وزكريا، ويحيى، وداود، وسليمان، وعيسى... ﷺ)، مما عمّق الارتباط النفسي والإيماني بهذه الأرض.

## 1. الخطوات الأولى:

استمرت عمليات المسلمين في القضاء على الردة التي انتشرت في جزيرة العرب بإثر وفاة رسول الله ﷺ حتى نهاية 11هـ، ومع بداية 12هـ زحف خالد بن الوليد ومعه جيش عدده 18 ألفاً إلى العراق، وأخذ يحقق انتصارات متوالية هناك (ذات السلاسل محرم 12هـ، المذار صفر 12هـ، والولجة صفر 12هـ، أليس صفر 12هـ، أمغيشيا صفر 12هـ، فتح الحيرة ربيع الأول 12هـ).<sup>16</sup> وجاء شرحبيل بن حسنة من العراق مبشراً أبا بكر بفتح الحيرة، ورأى شرحبيل رؤيا أولها بفتح الشام، وحدث بها أبا بكر الذي أخبره أن نفسه تحدّثه أيضاً بفتح الشام.<sup>17</sup>

وفي 30 ربيع الأول 12هـ – 14 حزيران/ يونيو 633م جمع أبو بكر كبار الصحابة، واستشارهم في فتح الشام، فوافقوه على رأيه، ثقةً منهم بأنه ناصح للدين، حريص على المسلمين.

<sup>16</sup> أحمد كمال، الطريق إلى المدائن، ط 6 (بيروت: دار النفائس، 1986)، ص 212-263؛ وأحمد كمال، الطريق إلى دمشق (بيروت: دار النفائس، 1980)، ص 159.

<sup>17</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 161-162.



كان جيش يزيد بن أبي سفيان أول الجيوش خروجاً إلى الشام، وكان ذلك تقريباً في 23 رجب 12هـ - 3 تشرين الأول/ أكتوبر 633م، وكان مكوناً من نحو سبعة آلاف رجل، ثم تبعه جيش شرحبيل بعد ذلك بنحو أربعة أيام، ثم جيش أبي عبيدة بعد شرحبيل بنحو عشرة أيام، وكان معاذ بن جبل في جيش أبي عبيدة، كما ألحق أبو بكر خالد بن سعيد بجيش أبي عبيدة.<sup>18</sup>

خرج إمبراطور الروم هرقل من فلسطين بعد أن بلغته تحركات المسلمين قرابة 23 شعبان 12هـ - 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 633م إلى دمشق، ثم إلى حمص، ثم إلى أنطاكية، فبلغها قرابة 633/11/18م واتخذها مقرّه، ومن هناك أخذ ينظم الجيوش، ويحشد الحشود لملاقاة المسلمين.<sup>19</sup>

نزل جيش يزيد منطقة البلقاء شرق الأردن، ونزل جيش شرحبيل نواحي بصرى، أما جيش أبي عبيدة فنزل الجابية، وأمر أبو بكر عمرو بن العاص على جيش رابع من ألفين إلى ثلاثة آلاف، وقد التحق بهذا الجيش سادات قريش وأشرافها مثل عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وسلك عمرو طريق المعركة إلى أيلة متجهاً إلى فلسطين.<sup>20</sup>

كانت أولى المعارك على أرض الشام بعد سرية أسامة بن زيد هي موقعة العربة ودائنة (24 ذي الحجة 12هـ - آذار/ مارس 634م)، فقد دفع الروم قوة من ثلاثة آلاف مقاتل إلى مدينة غزة، ولعلها توجهت إلى وادي عربة جنوب البحر الميت، وهناك التقت بقوة من المسلمين، فهزمها المسلمون وقتلوا قائداً من قوادها، وانسحبت القوة فلاحقها المسلمون؛ حيث التقوا مرة أخرى عند الدائنة قرب غزة، وهُزِمَ الروم مرة أخرى.<sup>21</sup>

<sup>18</sup> المرجع نفسه، ص 176-192.

<sup>19</sup> المرجع نفسه، ص 195-196؛ والأزدي، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر (القاهرة):

مؤسسة سجل العرب، (1970)، ص 27.

<sup>20</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 209، و215.

<sup>21</sup> المرجع نفسه، ص 208-210.

ويبدو أن موقعة العربة ودائنة كانت أقرب إلى اختبار القوة، ويظهر أن الروم قد أخذوا يشعرون بشكل أكبر بخطورة الموقف، فأخذوا يتجمعون ويحشدون. فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد لينجد المسلمين بالشام، فوصل خالد على عجل في صفر 13هـ - نيسان/ أبريل 634م بمدد من تسعة آلاف رجل، ليصبح مجموع عدد القوات الإسلامية في الشام 33 ألفاً، وتولى القيادة العامة للجيش الإسلامية في بلاد الشام مكان أبي عبيدة.<sup>22</sup>

## 2. معركة أجنادين:

كانت معركة أجنادين أولى المعارك البارزة المهمة في فتوح الشام، وقد وقعت على أرض فلسطين، وبالرغم من أن أجنادين لا يظهر لها ذكر في الخرائط، إلا أنها حسب استنتاج أحمد عادل كمال تبعد 11 كم إلى الشمال من بيت جبرين، و39 كم إلى الجنوب من الرملة.<sup>23</sup>

التقت جيوش المسلمين الخمسة (أبو عبيدة، وخالد، ويزيد، وشرحبيل، وعمرو) في منطقة أجنادين تحت قيادة خالد بن الوليد، وكان عددهم يقدر بـ 33 ألف رجل، أما قوات الروم فوصل عددها إلى نحو 100 ألف رجل.<sup>24</sup>

وفي يوم المعركة نهار يوم السبت 27 جمادى الأولى 13هـ - 30 تموز/ يوليو 634م، أخذ معاذ بن جبل، قائد ميمنة المسلمين، يقول: ”يا معشر المسلمين اشروا أنفسكم اليوم لله، فإنكم إن هزمتموهم اليوم كانت لكم هذه البلاد دار الإسلام أبداً مع رضوان الله والثواب العظيم من الله“،<sup>25</sup> وتحت هذه المعاني الإيمانية الربانية خاض المسلمون معركتهم على أرض فلسطين.

<sup>22</sup> المرجع نفسه، ص 238-242.

<sup>23</sup> المرجع نفسه، ص 273.

<sup>24</sup> المرجع نفسه، ص 263-272؛ وانظر: البلاذري، فتوح البلدان (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، ص 120.

<sup>25</sup> الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 90.



هاجم الروم ميمنة المسلمين ثم ميسرتهم، فصمد المسلمون، ثم رموا المسلمين بالنشاب...، ثم إن المسلمين هاجموهم فهزموهم بسرعة كبيرة، وروى الطبري عن ابن إسحق أن قائد الروم قال لهم: ”لفوا رأسي بثوب، قالوا: ولم؟ قال: يوم بئيس لا أحب أن أراه!! ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من هذا، فاحتز المسلمون رأسه، وإنه مَلْفَفٌ“<sup>26</sup> وقُتِلَ من الروم في هذه المعركة نحو ثلاثة آلاف، وتفرقت فلولهم إلى القدس، وقيسارية، ودمشق، وحمص.<sup>27</sup>

### معركة أجنادين



المصدر: أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام) (بيروت: دار النفاثس، 1980)، ص 271.

<sup>26</sup> محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2 (القاهرة: دار المعارف، 1969)، ج 3، ص 418.  
<sup>27</sup> البلاذري، فتوح البلدان، ق 1، ص 135؛ وأحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 280-281.

مثّلت هذه المعركة انتصاراً كبيراً للمسلمين، وتحطمت هيبة الروم، وشعر المسلمون عملياً بفضل الإيمان والصبر والاحتساب، على الأعداد والعتاد التي يملكها عدوهم...، وانطلقوا لاستكمال فتوحهم بعزيمة وثبات صقلتها الخبرة والتجربة.

ويظهر أن المسلمين لم يستكملوا فتوحاتهم داخل فلسطين بعد هذه المعركة، فلم تتجه قواتهم شمالاً داخلها، وإنما توجهوا إلى دمشق ملتفين من جنوب البحر الميت مارّين بشرق الأردن.

\*\*\*

وفي مرج الصُفّر إلى الجنوب من دمشق بنحو 38 كم التقى المسلمون بقوات الروم وهزموها في 17 جمادى الثانية 13هـ - 18 آب/ أغسطس 634م، وجاءت البشارة لأبي بكر الصديق بهذا النصر وهو في الرمق الأخير؛ إذ توفي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مساء الثلاثاء 21 جمادى الثانية 13هـ - 23 آب/ أغسطس 634م.<sup>28</sup>

تولى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخلافة بعد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فأمر بعزل خالد عن قيادة جيوش الشام، وأرسل إلى أبي عبيدة قرابة 26 جمادى الثانية 13هـ - 28 آب/ أغسطس 634م يوليه مكان خالد. وقد عَلِمَ خالد بأمر عزله دون أن يخبره أبو عبيدة، وكان خالد ما يزال يتصرف كأmir، وأبو عبيدة يصلي خلفه...، فعاتبه خالد عتاباً رقيقاً لَمْ يَخْبِرْهُ وَالسُّلْطَانُ سُلْطَانَهُ... فكان مما ردّ عليه أبو عبيدة "وما سلطان الدنيا أريد وما للدنيا أعمل... وإنما نحن أخوان قوامان بأمر الله عز وجل".<sup>29</sup>

### 3. معركة فحل - بيسان:

تعدّ معركة فحل - بيسان من أبرز المعارك التي خاضها المسلمون في فتحهم لبلاد الشام، وقد وقعت هذه المعركة على ضفاف نهر الأردن. فقد عسكر المسلمون في فحل شرقي نهر الأردن، وعسكر الروم عند بيسان غربي نهر الأردن (إلى الشمال

<sup>28</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 291-298.

<sup>29</sup> المرجع نفسه، ص 305-306.



الغربي من فحل)، غير أن ميدان المعركة كان في فلسطين المعروفة بحدودها الحالية إلى الجنوب من بيسان، وكان عدد الروم 50 ألفاً وقيل 80 ألفاً، أما المسلمون فكانوا 26 ألفاً تقريباً، ولا يصل عددهم إلى 30 ألفاً.<sup>30</sup>

وقبيل المعركة طلب الروم رجالاً يفاوضونه فأرسل أبو عبيدة معاذ بن جبل إليهم، وحاول الروم إبراز قوتهم لمعاذ قائلين: ”إن ملكنا حي، وإن جنودنا عظيمة كثيرة...، ونحن عدد نجوم السماء وحصى الأرض“، وسألوه عما يطلبه المسلمون، فدعاهم معاذ إلى إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو الحرب، وردّ عليهم قائلاً:

وإن يكن ملككم هرقل فإن ملكنا الله عزّ وجل الذي خلقنا، وأميرنا رجل منا إن عمل فينا بكتاب الله وسنة نبينا ﷺ أقررناه علينا، وإن عمل بغير ذلك عزلناه عنا، وإن هو سرق قطعنا يده، وإن زنى جلدناه، وإن شتم رجلاً منا شتمه كما شتمه، وإن جرحه أقاده من نفسه، ولا يحتجب منا ولا يتكبر علينا، ولا يستأثر علينا في فيئنا الذي أفاءه الله علينا، وهو كرجل منا... ”وأما قولكم: جنودنا كثيرة فإنها إن عظمت حتى تكون أكثر من نجوم السماء وحصى الأرض، فإننا لا نثق بها ولا نتكل عليها ولا نرجو النصر على عدونا بها، ولكننا نتبرأ من الحول والقوة، ونتوكل على الله عزّ وجل ونثق بربنا...، فكم من فئة قليلة قد أعزّها الله ونصرها وأغناها وغلبت فئة كثيرة بإذن الله، وكم من فئة كثيرة قد أذلها الله وأهانها.

فعرض الروم على معاذ أن يعطوا المسلمين البلقاء وما إلى أرض العرب من سواد الأردن، ودعوهم إلى قتال أهل فارس ووعدوهم بالمساعدة. فقال معاذ: ”هذا الذي عرضتم علينا وتعطونا كله في أيدينا، ولو أعطيتونا جميع ما في أيديكم مما لم نظهر عليه، ومنعتمونا خصلة من الخصال الثلاثة التي وضعت لكم ما فعلنا“، فغضبوا منه وقالوا: ”نتقرب إليك وتتباعد عنا؟ اذهب إلى أصحابك فوالله إنا لنرجو أن نفرقكم في الجبال غدأ“، فقال معاذ: ”أما الجبال فلا، ولكن والله لتقتلنا عن آخرنا أو لنخرجنكم من أرضكم أدلة وأنتم صاغرون.“<sup>31</sup>

<sup>30</sup> المرجع نفسه، ص 334، 346؛ والأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 131.

<sup>31</sup> انظر نص مفاوضة معاذ للروم في: الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 115-121.

## معركة فحل - بيسان



المصدر: أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام)، ص 338.

وإذا كان لنا من وقفة هنا مع هذا المشهد التفاوضي الزاخر، فلعلنا نختار الإشارة السريعة إلى النقاط التالية:

- يعاني الكثير من زعمائنا ومفاوضينا في هذا العصر من عقدة النقص تجاه الآخرين، ومن ضعف الثقة بأنفسهم أو قضيتهم، ويحاولون التعويض عن ذلك بتقليد الآخرين "الخصوم" في اللباس، والوجاهة، والمظاهر، فتكون هذه أول نقاط الانهزام لديهم.
- كل ذلك في قالب من العزة، والقوة، والتواضع، وإصرار على الدعوة إلى إحدى الخصال الثلاثة، وردّ التهديد بما هو أقوى وأوقع في النفس.

ترى ما هو شعور المسلم عندما يقرأ هذا الموقف للصحابه الذين فتحوا فلسطين، وبين أولئك الذين يسامون عليها الآن في عصرنا.

كان قائد الروم في المعركة هو سقّار بن مخراق، وقائد المسلمين أبو عبيدة، وفي الثلث الأخير من ليلة الإثنين 28 ذي القعدة 13هـ - 23 كانون الثاني/يناير 635م تمّت تعبئة المسلمين وترتيبهم، وصلّوا الفجر، وجعل أبو عبيدة على الميمنة معاذ بن جبل، وعلى الميسرة هاشم بن عتبة، وعلى المشاة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعلى الخيل خالد بن الوليد، وعبر بهم النهر باتجاه الروم.<sup>32</sup>

<sup>32</sup> المرجع نفسه، ص 130؛ أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 332.

أما الروم فظنوا أن المسلمين في فعل لا يتوقعون عبورهم إليهم، وقدّر قائدهم أنه إذا جاءهم وجدهم نيماً فيفاجئهم، فسار بجيشه نحو فعل.<sup>33</sup>

وفي الصباح بدأت المعركة، وكان القتال فيها أشد قتال اقتتلوه قط، وقتل خالد بن الوليد بنفسه 11 رجلاً من أشدائهم وبطارقتهم، وانتصر المسلمون، وقيل إن 80 ألفاً أصيبوا لم يفلت منهم إلا الشريد،<sup>34</sup> وذكر البلاذري أن قتلى الروم كانوا نحو 10 آلاف.<sup>35</sup>

وبهذه المعركة غلب المسلمون على أرض الأردن وأصابوا من ريفه أفضل ما ترك الروم فأصبحت أقواتهم ومادتهم موفورة، وأخذ الروم ينتقلون إلى الحصون، وأصابهم الرعب مما أصابهم فلجأ الكثير من فرسانهم وأغنيائهم إلى قيسارية والقدس.<sup>36</sup>

### الاتجاه شمالاً:

وعلى الرغم من أن المسلمين هزموا الروم هزيمتين كبيرتين على أرض فلسطين؛ إحداهما في الجنوب "أجنادين" والأخرى في الشمال "فحل - بيسان"، إلا أنهم لم يتابعوا طريقهم لفتح باقي فلسطين، وإنما اتجهوا شمالاً، فحاصروا دمشق أربعة أشهر حتى فتحوها يوم الأحد 15 رجب 14هـ - 3 أيلول/ سبتمبر 635م، ثم فتحوا بعلبك صلحاً أواخر ربيع الأول 15هـ - أوائل أيار/ مايو 636م، ثم فتحوا حمص صلحاً بعد حصار استمر 18 ليلة في 21 ربيع الآخرة 15هـ - أول حزيران/ يونيو 636م، وأرسل أبو عبيدة بعدها طلائع جنده إلى حلب، وإلى جهة الجزيرة، ولكن عمر بن الخطاب طلب منه أن يضم أجناده ويتوقف. ففي تلك الفترة كانت تجري الاستعدادات الكبرى لمعركة القادسية بين المسلمين والفرس، ثم إن الروم كانوا يعدّون لمعركة حاسمة فاصلة، ولذلك دعا أبو عبيدة خالداً فبعثه إلى دمشق ليقم بها في ألف من المسلمين، كما كلف عمرو بن العاص، أن يقيم بجيشه في فلسطين.<sup>37</sup>

<sup>33</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 333.

<sup>34</sup> المرجع نفسه، ص 344؛ والأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 136.

<sup>35</sup> البلاذري، فتوح البلدان، ص 122.

<sup>36</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 344، و349.

<sup>37</sup> المرجع نفسه، ص 358-401.

#### 4. معركة اليرموك:

كان هرقل خلال الهزائم السابقة المتكررة ما يزال مقيماً في أنطاكية يحشد قواته ويبعثها للقتال، ويبدو أنه عند سقوط دمشق، وربما قبلها، أراد أن يحشد حشداً ضخماً بأكبر قوة يستطيعها ليدخل بها معركة فاصلة. وقد اختلفت الروايات في أعداد الروم، وذكر الرواة أنه أقبلت من الجموع ما لا تحمله الأرض، ووصفهم الأزدي قائلاً: ”فطبقوا الأرض مثل الليل والليل كأنهم الجراد السود“،<sup>38</sup> أما تقديرات الرواة لأعدادهم فتراوحت بين 100-400 ألف، ولعل الأقرب للصحة أنهم كانوا 200 ألفاً بقيادة باهان Vahan، أما عدد المسلمين فكان 36 ألفاً منهم ألف من الصحابة رضي الله عنهم فيهم نحو مئة ممن شهدوا بدرأ.<sup>39</sup>

ولما بلغت أبا عبيدة أخبار جموع الروم الهائلة، وكان المسلمون قد ساحوا في أرض الشام، قررت قيادة جيش المسلمين أن يتنحوا جانباً وينسحبوا من حمص، وردوا لأهلها جزيتهم؛ لأنهم غير قادرين على حمايتهم.<sup>40</sup> ورجع أبو عبيدة إلى دمشق، ورد المسلمون على أهلها ما جُبي منهم،<sup>41</sup> وكان رأي المسلمين أن يتجمعوا العدوهم وينتظروا قدوم الإمدادات لهم...، فخرج المسلمون باتجاه الأردن، وزحف جيش الروم، وانضم إليهم النصارى في المناطق التي في طريقهم...، وتجرأوا على المسلمين.<sup>42</sup>

كانت جيوش المسلمين قد اجتمعت بالجابية قبل أن تتجه إلى اليرموك، وفي الجابية اجتمع قادة المسلمين وتداولوا الأمر فكان رأي بعضهم الانسحاب جنوباً إلى أطراف الصحراء، أما خالد بن الوليد فقال: ”أرى والله إن كنا نقاتل بالكثرة والقوة فإنهم أكثر منا وأقوى منا وما لنا بهم إذن طاقة، وإن كنا نقاتلهم بالله والله، فما أرى جماعتهم ولو كانوا أهل الأرض جميعاً أنها تغني عنهم شيئاً“.<sup>43</sup>

<sup>38</sup> الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 194.

<sup>39</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 406-407؛ وانظر: الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 152؛

والبلاذري، فتوح البلدان، ص 141.

<sup>40</sup> الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 153-156.

<sup>41</sup> المرجع نفسه، ص 160.

<sup>42</sup> المرجع نفسه، ص 160-169.

<sup>43</sup> المرجع نفسه، ص 170.

كان قادة المسلمين يدركون خطورة الموقف، ويستشعرون عظم المسؤولية، وفي هذا الموقف الذي تتزلزل فيه الأقدام، ويهرب منه عشاق المناصب تقدم خالد بن الوليد وقال لأبي عبيدة: "أتطيعني أنت فيما أمرك به؟" قال أبو عبيدة، أمين هذه الأمة، وكله ثقة بخالد: نعم، فقال خالد: "فولني ما وراء بابك، وخلصني والقوم فيأني لأرجو الله أن ينصرني عليهم"، قال أبو عبيدة "قد فعلت".<sup>44</sup>

وهكذا فوَّض أبو عبيدة خالدًا بالقيادة الميدانية، بينما احتفظ لنفسه، كما يظهر، بالقيادة العليا الرسمية للجيش. وظلَّ خالد متأدباً مع أبي عبيدة وواصل استشارته.<sup>45</sup> انسحب المسلمون من الجابية إلى أذرعَات؛ حيث نزلوا خلف نهر اليرموك وجعلوا أذرعَات خلفهم، ونزل الروم بين اليرموك ووادي الرقاد "الواقوسة" فحُصروا من ثلاث جهات. وتحرك المسلمون من أذرعَات وعسكروا مقابل الروم الذين لم يعد لهم طريق إلا على المسلمين.<sup>46</sup>

ودعا الدرندجار قائد ميسرة الروم رجلاً من نصارى العرب، وأمره أن يذهب ليتجسس على المسلمين، فذهب ومكث في معسكرهم ليلة حتى أصبح، فأقام عامة يومه، ثم عاد إلى الدرندجار فقال له: "جئتك من عند قوم يقومون الليل كله يصلون ويصومون النهار، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، رهبان بالليل أسد بالنهار، لو يسرق ملكهم لقطعوا يده، ولو زنى لرجموه لإيثارهم الحق، واتباعهم إياه على الهوى"، فقال درندجار: "لئن كان هؤلاء القوم كما تزعم، وكما ذكرت لبطن الأرض خير—لمن يريد قتالهم—من ظهرها".<sup>47</sup> هذا الوصف، هو الوصف الحقيقي لأي جيش مسلم يرفع راية الحل الإسلامي لتحرير الأرض المباركة، واستعادتها من أيدي الأعداء.

وفي يوم الإثنين 5 رجب 15هـ - 12 آب/ أغسطس 636م وقعت معركة اليرموك، ووضع باهان على ميمنته ابن قناطر، وعلى ميسرته الدرندجار، ومعه جرجير في جند

<sup>44</sup> المرجع نفسه، ص 170-171.

<sup>45</sup> المرجع نفسه، ص 189.

<sup>46</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 433، و444.

<sup>47</sup> الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 211.

أرمينية، وجبله بن الأيهم الغساني على الأعراب المواليين للروم، وعددهم 12 ألفاً من قبائل لحم، وجذام، وبلقين، وعاملة من قضاة، وغسان.<sup>48</sup>

وزحف الروم على المسلمين مثل "الليل والسييل" وكانوا نحو 120 ألفاً من المشاة، و80 ألفاً من الفرسان. وأخذ قادة المسلمين يحثون الجنود على الصبر والجهاد. ورجع خالد إلى نساء المسلمين فأمرهن أن يقتلن أي رجل أقبل إليهنّ منهزماً من المسلمين، ونظّم خالد الجيش بحيث كان الفرسان خلف المشاة، وبحيث ينكسر الهجوم الرومي أمام المشاة، وعندما يفقد الروم نظامهم يهاجمهم خالد بفرسانه وهي مرتاحة.<sup>49</sup>

وبدأ الهجوم الرومي على ميمنة المسلمين ثم الميسرة، وحدث التحام هائل، وأمام سيل الروم الجارف انكشف المسلمون في الميمنة والميسرة، لكن المسلمين صمدوا في القتال بين مدّ وجزر.<sup>50</sup> وكان أشد القتال في الميمنة؛ حيث الأزدي قوم أبي هريرة الذي أخذ يحمّس المسلمين هناك، ويقول "تزينوا للهور العين، وارغبوا إلى جوار ربكم عزّ وجل في جنات النعيم، فما أنتم إلى ربكم في موطن من مواطن الخير أحب إليه منكم في هذا الوطن، ألا وإن للصابرين فضلهم".<sup>51</sup> وهكذا فمن يتمعن في أقوال قادة المسلمين والصحابة في المعركة (أبي عبيدة، ومعاذ، وعمرو، وأبي هريرة...) لا يرى حتّى على الدنيا ولا وعوداً بالغانم والمناصب، وإنما دعوات للإخلاص، والصبر، والذكر، وثقة بوعد الله ونصره، ورغبة في الشهادة والجنة.

وعندما حدث الاختراق الرومي للميمنة والميسرة، وثبت القلب، تدفقت قوات الروم نحو معسكر المسلمين بالخلف، وظلت هناك صفوف المسلمين تقاوم، ويعود إليها من جديد من كانت الروم قد اجتاحتها.

وفي هذا الجو العصيب، قال عكرمة بن أبي جهل: قاتلت رسول الله ﷺ في كل موطن، وأفر منه اليوم؟! من يبايع على الموت؟! فبايعه 400 من وجوه المسلمين

<sup>48</sup> الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 210؛ وأحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 466، و 471.

<sup>49</sup> الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 221؛ وأحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 475.

<sup>50</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 476-480.

<sup>51</sup> الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 225؛ ومحمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام (بيروت: دار الجيل،

د.ت.)، ص 206.



وفرسانهم فيهم الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور، فاستبسوا أمام فسطاط خالد، حتى أصيبوا جميعاً بجراح خطيرة فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من برئ مثل ضرار بن الأزور.<sup>52</sup> وقاتلت نساء المسلمين في هذا اليوم قتالاً شديداً كخولة بنت الأزور، وأم حكيم ابنة حكيم ابن الحرث، وسلمى بنت لؤي، وأسماء بنت أبي بكر...، كما قامت نساء المسلمين بمداواة الجرحى وسقاية الماء.<sup>53</sup>

كان خالد بن الوليد في نصف فرسان المسلمين وقيس بن هبيرة في النصف الثاني لم يقاتلوا حتى تلك اللحظة، وعندما تكسرت صفوف الروم زحف خالد في فرسانه إلى الروم، وقد أنهكهم التعب واختلت صفوفهم. أما فرسان الروم الذين سبقوا المشاة إلى معسكر المسلمين فقد انقطعت أخبارهم، ويبدو أنهم استمروا في طريقهم هرباً من المعركة والحصار وعددهم نحو 30 ألف فارس، ولما رأى المسلمون خيل الروم كذلك فتحوا لها مهرباً فذهبت في حالة من الفوضى، وشدَّ خالد بفرسانه على المشاة وقتل 6 آلاف وقيل 10 آلاف،<sup>54</sup> وقيل إنه تكسرت في يد خالد تسعة أسياف.<sup>55</sup>

وأخذ المسلمون يزحفون مع هجوم خالد وقيس... وتراجع الروم وقد سدَّ المسلمون عليهم المنافذ...، واندفعوا متراجعين إلى الواقصة (وهو نهر الرقاد من جهة التقائه باليرموك) وكانت حافته مرتفعة فتهاووا فيها، إذ كان الجو ضباباً، وقيل كان ليلاً وهو الأرجح؛ حيث قتل منهم في هذه الهاوية نحو 80 ألفاً، وقتل في المعركة 50 ألفاً، واستطاع الفرار تحت جناح الليل نحو 40 ألفاً، بينما كان قد هرب نحو 30 ألف فارس.<sup>56</sup> أما المسلمون فقد استشهد منهم نحو 3 آلاف.<sup>57</sup>

<sup>52</sup> محمد الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 401.

<sup>53</sup> محمد الواقدي، فتوح الشام، ص 217-218.

<sup>54</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 487-489.

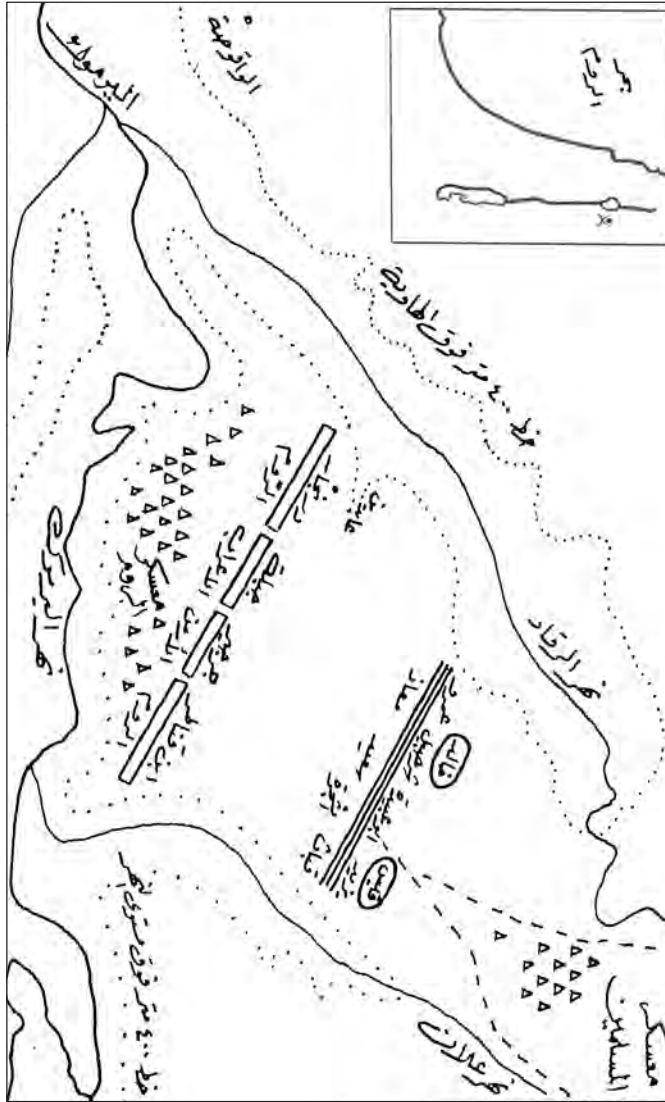
<sup>55</sup> محمد الواقدي، فتوح الشام، ص 218.

<sup>56</sup> الأزدى، تاريخ فتوح الشام، ص 231؛ وأحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 491-494.

<sup>57</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 496. وذكر الواقدي أن شهداء المسلمين كانوا 4 آلاف، انظر:

محمد الواقدي، فتوح الشام، ص 226.

## معركة اليرموك



المصدر: أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام)، ص 477.

## استعادة الشام:

وبانتهاء معركة اليرموك، التي تعدّ إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ، انكسرت شوكة الروم في الشام، وأصبح فتحها أكثر سهولة ويسراً على المسلمين. وقد استفاد المسلمون من هذه الفرصة، فقام خالد بسرعة كبيرة بمطاردة الروم واستعادة الشام



حتى حمص.<sup>58</sup> وعادت القيادة المباشرة على الجيوش لأبي عبيدة الذي انتقل معسكره إلى مرج الصفر ومنها إلى دمشق.<sup>59</sup>

وفي أواخر آب/ أغسطس 636م جاء أمر عمر إلى أبي عبيدة بإعادة الجيش، الذي جاء مدداً من العراق مع خالد، فعاد إلى العراق ستة آلاف؛ ليدركوا معركة القادسية التي وقعت بعد اليرموك بأربعين يوماً.<sup>60</sup>

وفي دمشق قسم أبو عبيدة الشام على الأمراء فاستخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل بن حسنة على الأردن، ومضى أبو عبيدة إلى حمص. ومن دمشق خرج يزيد، وفي مقدمته معاوية بن أبي سفيان ففتح صيدا، وعرقه، وجبيل، وبيروت، وكان فتحاً يسيراً. أما شرحبيل ففتح باقي الأردن، وذلك في النصف الثاني من 15هـ.<sup>61</sup>

## 5. فتح فلسطين:

وانفتح الطريق بعد اليرموك إلى فلسطين، فاتجه عمرو بن العاص إليها، ففتح سبسطية ونابلس، ثم اللد ونواحيها، ثم يبنة، وعمواس، وبيت جبرين، ثم هبط باتجاه الجنوب الغربي حتى فتح رفح، وفي رواية حتى أنه فتح يافا، وفي قول آخر أن معاوية هو الذي فتحها. ثم فتح عمرو عسقلان ثم انتقض أهلها، فأعاد معاوية فتحها في ولايته.<sup>62</sup> وذكر البلاذري صاحب فتوح البلدان أن عمرو بن العاص فتح غزة على عهد أبي بكر.<sup>63</sup>

وهكذا فُتحت فلسطين، ولم يبقَ إلا قيسارية وبيت المقدس، أما بيت المقدس فقد فُتحت على الأرجح في ربيع الآخر 16هـ - أيار/ مايو 637م. فقد اتجه عمرو بن العاص

<sup>58</sup> الأزدى، تاريخ فتوح الشام، ص 231.

<sup>59</sup> أحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 500.

<sup>60</sup> المرجع نفسه، ص 509-510.

<sup>61</sup> المرجع نفسه، ص 511-516.

<sup>62</sup> المرجع نفسه، ص 513.

<sup>63</sup> البلاذري، فتوح البلدان، ص 144.

إلى القدس بعد أن أصبحت جيباً معزولاً وحاصرها، وبعد أن فرغ أبو عبيدة من تطهير شمال الشام (حلب، أنطاكية...) سار إلى عمرو وتولى الحصار بنفسه.

وكتب أهل القدس إلى أبي عبيدة يطلبون الصلح على مثل ما صالحت عليه مدن الشام، غير أنهم اشترطوا أن يتولى العقد عمر بن الخطاب....

### فتح فلسطين



المصدر: أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق (فتح بلاد الشام)، ص 514.

استخلف عمر بن الخطاب عليّ بن أبي طالب على المدينة، وسار إلى الشام؛ حيث وافاه أمراء جيوش المسلمين في الجابية. ومع قدوم عمر هرب قائد الروم (أرطوبون) من القدس، فكان الذي صالح عن أهل فلسطين رجل من أهل إيلياء (القدس) والرملة يدعى العوّام. وقد صالح عمر أهل القدس وهو بالجابية وكتب لهم الصلح هناك.<sup>64</sup> وقد جاء في نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمَنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وله مثل ما على أهل إيلياء من الجزية....

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر 15هـ.<sup>65</sup>

وهذا النص هو ما يعرف **بالعهدة العمرية**، وعلى أساسه فُتحت القدس، وهو يعكس مدى التسامح الديني الذي تمتع به المسلمون؛ بحيث أصبح نموذجاً يحتذى به، في وقت كان التعصب الأعمى والإكراه على الدين يعمّ العالم.

سار عمر من الجابية حتى وصل إلى القدس، وهو وغلامه يتبادلان الركوب على الجمل، ودخل عمر القدس وهو يمشي على قدميه وغلامه راكب!! ويذكر أنه شارك معه في فتح القدس أربعة آلاف من الصحابة، وهي المدينة الوحيدة التي استلم الخليفة عمر مفاتيحها بنفسه. وعندما دخل القدس صلّى في محراب داود عليه السلام قارئاً

<sup>64</sup> حول فتح القدس، انظر: الأزدى، تاريخ فتوح الشام، ص 246-259؛ وأحمد كمال، الطريق إلى دمشق، ص 523-527؛ ومحمد الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 607-608.

<sup>65</sup> محمد الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 609.

سورة ص، حيث سجد سجدة داود، ثم قارئاً في الركعة الثانية سورة الإسراء، التي تحدثت فواتحها عن حادث الإسراء ومباركة الله سبحانه لأرض فلسطين، ووعده الله سبحانه بظهور اليهود مرتين وانتصار المؤمنين عليهم.<sup>66</sup> وسأل عمر عن مكان الصخرة المباركة التي كانت اختفت معالمها؛ وقد دلَّ كعب الأحبار عمر على المكان، فقام عمر بنفسه يشاركه الصحابة وأهل المنطقة بإزالة الأوساخ عنها وتنظيفها، ثم أمر عمر ببناء الحرم فبني من الخشب بما يتسع لنحو ثلاثة آلاف من المصلين.<sup>67</sup>

أما قيسارية فقد فتحها معاوية بن أبي سفيان في شوال 19هـ - تشرين الأول/أكتوبر 639م، وبذلك تمّ للمسلمين فتح كل فلسطين. وقد كانت قيسارية مدينة عامرة ضخمة على البحر.

وظلَّ عمر بن الخطاب في القدس بضعة أيام، وقبل أن يغادر خطب في المسلمين ”يا أهل الإسلام، إن الله تعالى قد صدقكم الوعد، ونصركم على الأعداء، وأورثكم البلاد، ومكَّن لكم في الأرض، فلا يكون جزاؤه منكم إلا الشكر، وإياكم والعمل بالمعاصي، فإن العمل بالمعاصي كفر بالنعمة، وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفرغوا إلى التوبة إلا سلبوا عزمهم، وسلَّط الله عليهم عدوهم“.<sup>68</sup>

هذا ما قاله عمر، وهو الذي جعل الله الحق على لسانه، وهذه هي الحقيقة التي نعيشها اليوم، والتي عايشها المسلمون أيام الحروب الصليبية، كفر بالنعمة، وعمل بالمعاصي، يتبعه سلب للعز، وتسليط العدو على رقاب المسلمين.

## 6. الإسلام يترسخ في فلسطين:

وبعد الفتح الإسلامي لفلسطين أخذت هذه الأرض تكتسب من جديد هويتها الإسلامية؛ إذ دخل أهلها في الإسلام، وكان للصحابة الذين عاشوا فيها أثرهم في تعميق مفاهيمه ونشرها.

<sup>66</sup> انظر: الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ص 246-259؛ وانظر: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس الجليل (عمّان: مكتبة المحتسب، 1973)، ج 1، ص 255.

<sup>67</sup> إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ط 5 (بيروت: مكتبة دار المعارف، 1983)، ج 7، ص 222.

<sup>68</sup> الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس الجليل، ج 1، ص 258.



فمن الصحابة الذين استوطنوا في فلسطين عبادة بن الصامت (ت 34هـ) وهو من الخزرج، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان رضي الله عنه طويلًا، وجسيمًا، وجميلًا.<sup>69</sup>

ومنهم أيضاً شداد بن أوس (ت 58هـ) رضي الله عنه وهو خزرجي، ابن أخي حسان بن ثابت، ولي إمارة حمص لعمر بن الخطاب، وكانت وفاته أواخر ولاية معاوية في القدس، وأسامة بن زيد بن حارثة (ت 57هـ) رضي الله عنه سكن ناحية الرملة ومات بها، ووائلة بن الأسقع (ت 85هـ) رضي الله عنه الذي سكن بيت المقدس ومات بها، وفيروز الديلمي رضي الله عنه وهو من فرس صنعاء وهو قاتل مدعي النبوة الأسود العنسي، ودحية الكلبى رضي الله عنه شهد كثيراً من الوقائع، كما شهد اليرموك، بعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر الروم يدعو للإسلام فلقية في القدس وسلمه الرسالة، وسكن فلسطين وعاش فيها إلى خلافة معاوية، وتوفي في قرية "الدحي" التي نسبت إليه وجبلها القائمة عليه، وقبره معروف يُزار،<sup>70</sup> والصحابي عبد الرحمن بن غنم الأشعري (ت 78هـ) رضي الله عنه فقيه الشام وشيخ أهل فلسطين، كان ضمن البعثة التعليمية التي أرسلها ابن الخطاب، لتعليم أهل فلسطين أمور دينهم،<sup>71</sup> والصحابي علقمة بن مجزر الكناني، أرسله عليّ السلام في تبوك للاستطلاع إلى فلسطين، شهد اليرموك وحصار بيت المقدس، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب على القدس.<sup>72</sup> والصحابي أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، شهد بدرًا والمشاهد كلها، ومات بفلسطين وعمره 85 سنة.<sup>73</sup> والصحابي مسعود بن أوس بن زيد، شهد بدرًا، وفتح مصر، وتوفي بالقدس. والصحابي سلام بن قيس بن قيصر الحضرمي (وقيل سلامة أو سلمة)، كان والياً لمعاوية على بيت المقدس.<sup>74</sup>

<sup>69</sup> مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين (بيروت: دار الطليعة، 1975)، ج 9، ق 2، ص 96.

<sup>70</sup> انظر: المرجع نفسه، ج 9، ق 2، ص 97؛ ومصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلالتها، ص 47-48، و188.

<sup>71</sup> مصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلالتها، ص 104.

<sup>72</sup> المرجع نفسه، ص 188.

<sup>73</sup> مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 9، ق 2، ص 97.

<sup>74</sup> انظر: ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي، فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع حافظ، سلسلة فضائل الشام رقم 2 (دمشق: دار الفكر، 1985)، ص 90-92.

والصحابي زنباع بن روح الجذامي، وهو من أهل فلسطين قبل الإسلام،<sup>75</sup> ومالك السرايا مالك بن عبد الله الخثعمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنهم من يجعله في عداد التابعين، ولي الصوائف زمن معاوية ثم يزيد ثم عبد الملك بن مروان، وهو من أهل فلسطين.<sup>76</sup>

ومن الصحابة أيضاً الذين عاشوا وتوفوا في فلسطين أبو ريحانة شمعون الأنصاري، وسويد بن زيد، وذو الأصابع التميمي، وأبو أبي بن أم حرام الأنصاري الخزرجي، وأنيف بن ملة الجذامي، وسويد بن زيد الجذامي، وسعد بن وائل بن عمرو العبيدي الجذامي، وأبو رويحة الفزعي واسمه ربيعة بن السكل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجمعين.<sup>77</sup> وممن سكن بيت المقدس من الصحابة إبراهيم بن أبي علة العقبلي، وي زيد بن سلام، وعبد الله بن محيريز الجمحي، وزياد بن أبي سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.<sup>78</sup>

ورفع التابعون راية الصحابة على أرض فلسطين، وهناك الكثير ممن وُلِدَ فيها أو سكنها أو زارها، ومنهم رجاء بن حيوة الكندي (ت 112هـ/730م)، وهو من أهل فلسطين من مواليد بيسان، وكان أميناً على بيوت أموال عبد الملك بن مروان، وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك بتولية عمر بن عبد العزيز. ومن التابعين أيضاً عبادة بن نسي الكندي (ت 118هـ/736م) وكان جليل القدر، يُنعت بسيد أهل الأردن، تولى قضاء طبرية. ومنهم أيضاً مالك بن دينار، وعبد الرحمن الأوزاعي، وروح بن زنباع، وهانئ بن كلثوم بن عبد الله، وحميد بن عبد الله اللخمي، وسفيان الثوري، وابن شهاب الزهري.<sup>79</sup>

ومن كبار الأئمة والفقهاء الذين عاشوا في فلسطين وزاروها الإمام الشافعي الذي وُلِدَ في مدينة غزة، وإبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد، وأبو بكر محمد الطرطوشي،

<sup>75</sup> مصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلالتها، ص 104.

<sup>76</sup> المرجع نفسه، ص 98-99.

<sup>77</sup> ضياء الدين المقدسي، فضائل بيت المقدس، ص 90-92؛ ومصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلالتها، ص 98، و111-113.

<sup>78</sup> شفيق جاسر أحمد محمود، تاريخ القدس: العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية (عمّان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1984)، ص 125-126.

<sup>79</sup> مصطفى مراد الدباغ، من هنا وهناك (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986)، ص 80، و109.



وأبو بكر الجرجاني، وابن قدامة المقدسي. أما الإمام ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني فقد وُلِدَ وعاش في مصر بعد أن هاجر إليها أسلافه بعد خراب عسقلان 669هـ.<sup>80</sup>

وإلى فلسطين ينتسب الفاتح الإسلامي الكبير موسى بن نصير اللخمي (19-97هـ) فاتح الأندلس، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب، وكان جده من موالي ابن عامر الذي دعي المرج باسمهم (مرج ابن عامر) أصله من قيسارية، رئيس فنّ الكتابة، وسيد الإنشاء، وشيخ الدواوين، صاحب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وقتل معه سنة 132هـ/750م.<sup>81</sup> وإلى فلسطين أيضاً ينتسب أول علماء الكيمياء المسلمين الكبار خالد بن يزيد الأموي، وهو أول من نقل علوم الفرنج إلى العربية في دولة الإسلام.<sup>82</sup>

ويمكن أن ينسب إلى فلسطين، حسب التقسيمات الجغرافية الإسلامية القديمة، أول ثلاثة خلفاء من دولة بني العباس؛ إذ ولد كل من أبي العباس السفاح، وأبي جعفر المنصور وابنه المهدي في الحميمة من جند فلسطين (الشام الأولى)، وهي تقع الآن شرق الأردن على يمين الطريق من معان إلى العقبة.<sup>83</sup>

ومن الوزراء "الفلسطينيين" المشهورين الربيع بن يونس، الذي ينتسب إلى العائلة الكيسانية من جبل الخليل، كان حاجباً ثم وزيراً للمنصور، ثم وزيراً ومستشاراً للمهدي، أما ابنه الفضل بن الربيع فعمل حاجباً للمنصور، ثم وزيراً للمهدي، ثم وزيراً للهادي، ثم حاجباً لهارون الرشيد، ثم وزيراً للأمين بن هارون الرشيد.<sup>84</sup> ومن الوزراء أيضاً معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الطبراني استوزره المهدي، وفوّض إليه أمر الدولة العباسية، وفي أيام وزارته علا شأن الوزارة لكفاءته

<sup>80</sup> مصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلاطها، ص 187؛ وشفيق محمود، تاريخ القدس، ص 126-143.

<sup>81</sup> انظر: مصطفى مراد الدباغ، من هنا وهناك، ص 80-81؛ ومصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلاطها، ص 138-140.

<sup>82</sup> انظر: صالح مسعود أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط 3 (بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1970)، ص 24-25.

<sup>83</sup> مصطفى مراد الدباغ، من هنا وهناك، ص 81.

<sup>84</sup> المرجع نفسه، ص 82.

ومقدرته،<sup>85</sup> وأحمد بن أبي خالد بن يزيد بن عبد الرحمن الكاتب الأحول، وكان من خيار الوزراء الذين استوزرهم المأمون.<sup>86</sup>

ومن العلماء المعروفين عقيل بن خالد الأيلي (ت 144هـ) روى الحديث عن مالك بن أنس، وآدم بن أبي عباس العسقلاني (ت 220هـ) روى عنه البخاري، والعباس بن محمد الجرجي (ت 320هـ) محدث فلسطين ينسب إلى قرية بيت جرجا من أعمال غزة، وسليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت 340هـ)، وهو رحالة ومحدث مشهور من مواليد طبرية.<sup>87</sup>

وقد أحصى أحد الباحثين المعاصرين أعيان المتوفين في بيت المقدس فقط في العهود الإسلامية فوجد أنهم 9 من الصحابة، و60 من الملوك والأمراء وأرباب الحكم، و167 من العلماء، و66 من الأولياء والصالحين، و53 من القضاة... وأضاف أن هذا غيض من فيض من أعيان المدفونين في بيت المقدس؛ لأن هناك كثيراً ممن توفوا فيها ضاعت أسماءهم...، هذا في القدس وحدها فكيف بأرض فلسطين كلها؟!<sup>88</sup>

<sup>85</sup> المرجع نفسه.

<sup>86</sup> المرجع نفسه، ص 83.

<sup>87</sup> المرجع نفسه، ص 112.

<sup>88</sup> جميل العسلي، أجدادنا في ثرى بيت المقدس: دراسة تاريخية لمقابر القدس وتربتها وإثبات بأسماء الأعيان المدفونين فيها (عمّان: مؤسسة آل البيت: المجموع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، 1981)، ص 150.

## رابعاً: المسلمون في مواجهة الصليبيين

### نهيد:

قدّمت أرض الإسلام في فلسطين على مرّ عصور الإسلام الزاهرة فيها أطيب الثمار وأينعها، ولكن هذا المد المعطاء من الحياة الإسلامية المشرقة لم يستمر... .

فمنذ العصر العباسي الثاني الذي ابتدأ بعد منتصف القرن الثالث الهجري، ودولة الخلافة الإسلامية في ضعف مستمر متزايد نتيجة ضعف الارتباط بالله سبحانه، وعدم التطبيق الدقيق لشرعه سبحانه، وضعف الحكام وانشغالهم بوسائل اللهو والترف، وانتشار الأفكار الضالة والفرق المنحرفة في دولة الإسلام، ودخول علماء المسلمين في مرحلة من الجمود والتقليد؛ أبعدتهم عن حلّ كثير من مشاكل وقضايا العصر المتجدد التي تواجه المسلمين، وكثرة الخلافات الفقهية، وتزايد التعصب المذهبي، وتمزق دولة الإسلام، وتكوين ثلاث خلافات بدلاً من خلافة واحدة، فالخلافة العباسية في المشرق، والخلافة الفاطمية في مصر وأجزاء من المغرب والشام، والخلافة الأموية في الأندلس، وانشغال كثير من المسلمين بقشور الحضارة، ومباهجها، وجمع الأموال، والجواري والغلمان... .

في هذه الحالة من الترهل والضعف، التي أصابت المسلمين في تلك الفترة، حدثت الحروب الصليبية.

### 1. الخريطة السياسية للمنطقة قبيل الحروب الصليبية:

قبل بدء الحروب الصليبية بنحو أربعين عاماً نجح السلاجقة الأتراك في بسط سيطرتهم على بغداد، وتولي الحكم تحت الخلافة الاسمية للعباسيين. فقد استطاع السلاجقة بسط سيطرتهم على أجزاء واسعة من فارس، وشمال العراق، وأرمينيا، وآسيا الصغرى نحو سنة 1040م، ثم سيطر السلطان السلجوقي طغرل بك على بغداد سنة 1055م، وتوسع السلاجقة على حساب البيزنطيين في آسيا الصغرى، وفي 1071/8/19م وقعت معركة ملاذكرد التي قادها السلطان السلجوقي ألب أرسلان،

وحلّت فيها أكبر كارثة بالبيزنطيين حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وفي 1071م سيطر السلاجقة على معظم فلسطين عدا أرسوف، وأخرجوا النفوذ الفاطمي منها، وتوسع السلاجقة على حساب الفاطميين في الشام فاستطاعوا الاستيلاء على معظمها.<sup>89</sup>

وفي 485هـ/1092م توفي السلطان السلجوقي ملكشاه فتفككت سلطة السلاجقة، ودخلوا فيما بينهم في معارك طويلة طاحنة على السيطرة والنفوذ، وعلى حدّ تعبير ابن الأثير "انحلت الدولة ووقع السيف"،<sup>90</sup> وفي 1096م أصبحت سلطتهم تتكون من خمس ممالك: سلطنة فارس بزعامة بركياروق، ومملكة خراسان وما وراء النهر بزعامة سنجر، ومملكة حلب بزعامة رضوان، ومملكة دمشق بزعامة دقاق، وسلطنة سلاجقة الروم بزعامة قلع أرسلان، وكانت معظم مناطق فلسطين تتبع الحكم في دمشق.

وفي ظلّ ضعف حاكمي الشام (رضوان ودقاق) ظهرت الكثير من البيوتات الحاكمة بحيث لا يزيد حكم كثير منها عن مدينة واحدة.<sup>91</sup>

لقد بدأ الصليبيون حملتهم 491هـ/1098م ومناطق المسلمين في الشام والعراق وغيرها تمزقها الخلافات والصراعات الدموية، فقد دخل الأخوان رضوان ودقاق ابنا تتش في حرب بينهما سنة 490هـ، ووقعت معارك عديدة بين محمد بن ملكشاه وأخيه بركياروق في الصراع على السلطنة، تداولوا فيها الانتصارات والخطبة لهما بدار الخلافة (492-497هـ)، و"طالت الحرب بينهما، وعمّ الفساد، فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة، والبلاذ مخربة، والقرى محرقة، والسلطنة مطموعاً فيها، محكوماً عليها، وأصبح الملوك مهورين".<sup>92</sup> وفي تلك الفترة كان الصليبيون قد ثبتوا ملكهم في فلسطين وأرجاء عديدة من الشام، واستطال الفرنج بما ملكوه من بلاد الشام،

<sup>89</sup> انظر: فايد حماد عاشور، **جهاد المسلمين في الحروب الصليبية: العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي**، ط 4 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988)، ص 51-54.

<sup>90</sup> علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، **الكامل في التاريخ** (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، 1965)، ج 8، ص 162.

<sup>91</sup> فايد عاشور، **جهاد المسلمين في الحروب الصليبية**، ص 68.

<sup>92</sup> انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 8، ص 190-220.



واتفق لهم "اشتغال عساكر الإسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضاً، فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء، واختلفت الأهواء، وتمزقت الأموال".<sup>93</sup>

## 2. الحملة الصليبية الأولى ونتائجها:

وفي تلك الأثناء أخذت الأنظار في أوروبا تتجه نحو الأرض المقدسة بعد أن دعا البابا أوربان الثاني (Pope Urban II) (1088-1099م) في مجمع كليرومونت Council of Clermont في 1095/11/26م "لاسترداد" الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، ثم عقد عدة مجتمعات دعا فيها للحروب الصليبية (ليموج Limoges، أنجرز Angers، مان Le Mans، تورز Tours، بواتييه Poitiers، بوردو Bordeaux، تولوز Toulouse، نيم Nîmes) خلال الفترة 1095-1096م، وقرر أن كل من يشترك في الحروب الصليبية تغفر له ذنوبه، كما قرر أن ممتلكات الصليبيين توضع تحت رعاية الكنيسة مدة غيابهم.<sup>94</sup>

وبدأت الحملات الصليبية بحملات العامة أو حملات الدعاة، وهي حملات تفتقر إلى القوة والنظام. وكان منها حملة بطرس الناسك، الذي انضمت إليه جموع والتر المفلس.<sup>95</sup>

ثم كان ما يعرف بالحملة الصليبية الأولى، وقد شارك فيها أمراء وفرسان أوروبيون محترفون، وبدأت الحملة سيطرتها على مناطق المسلمين منذ صيف 1097م، وأسس الصليبيون إمارة الرها في آذار/ مارس 1098م بزعامة بلدوين البولوني. وحاصر الصليبيون أنطاكية تسعة أشهر، حتى احتلوها، وأسسوا فيها إمارتهم الثانية 491هـ - 3 حزيران/ يونيو 1098م، بزعامة بوهيموند النورماني Bohemond.<sup>96</sup>

<sup>93</sup> المرجع نفسه، ج 8، ص 222.

<sup>94</sup> حول الحملة الصليبية الأولى، انظر: أرنتس باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ط 4 (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.)، ص 23-24؛ وفايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص 78؛ وسعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ط 4 (القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1986)، ج 1، ص 104-107.

<sup>95</sup> سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 1، ص 108-113؛ وأرنست باركر، الحروب الصليبية، ص 25-26.

<sup>96</sup> انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 181؛ وأرنست باركر، الحروب الصليبية، ص 34-35.

وفي الوقت الذي كان السلاجقة يتعرضون فيه للزحف الصليبي شمال بلاد الشام، استغل الفاطميون الفرصة، فاحتلوا صور 1097م، وسيطروا على بيت المقدس في شباط/فبراير 1098م في أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية. واستقل بطرابلس القاضي ابن عمار أحد أتباع الفاطميين، وقد أرسل الفاطميون للصليبيين في أثناء حصارهم لأنطاكية سفارة للتحالف معهم، وعرضوا عليهم قتال السلاجقة بحيث يكون القسم الشمالي "سورية" للصليبيين وفلسطين للفاطميين...، وأرسل الصليبيون وفداً إلى مصر ليدلوا على "حسن نياتهم"!!، وهكذا... ففي أثناء انشغال السلاجقة بحرب الصليبيين كان الفاطميون منشغلين بتوسيع نفوذهم في فلسطين على حساب السلاجقة حتى إن حدودهم امتدت حتى نهر الكلب شمالاً ونهر الأردن شرقاً...!!

وظهرت الخيانات، وانكشف التخاضل من إمارات المدن التي حرصت كل منها على نفوذها و"كسب ود" الصليبيين في أثناء توسعهم.<sup>97</sup>

تابع ريمون دي تولوز Raymond de Toulouse (أمير إقليم بروفانس Provence وتولوز Toulouse بفرنسا) قيادة بقية الصليبيين إلى بيت المقدس، وكان عددهم ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة فقط!! وفي ربيع 1099م، دخلوا مناطق فلسطين، واحتلوا الرملة واللد وبيت لحم، وفي 1099/6/7م بدأوا حصار بيت المقدس، وكان حاكمها قد نصبه الفاطميون، ويدعى افتخار الدولة، وتم احتلالها في 23 شعبان 492هـ - 15 تموز/يوليو 1099م. ولبت الفرنج أسبوعاً يقتلون المسلمين، وقتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على 70 ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم وعبادهم.<sup>98</sup> أما الدولة الفاطمية فقد واجهت الخبر ببرود، كما أن الدولة العباسية لم تحرك ساكناً!!

وتتابع سقوط مدن فلسطين الأخرى،<sup>99</sup> وفرض الصليبيون هيمنتهم عليها، غير أن عسقلان ظلت عصية عليهم، وكان المصريون (الفاطميون) يرسلون لها كل

<sup>97</sup> فايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص 108-112.

<sup>98</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 189؛ وفايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص 112-113.

<sup>99</sup> انظر بالتفصيل في: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 1، ص 201-210، و231-232؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 204؛ وفايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص 117-124.



عام الذخائر والرجال والأموال، وكان الفرنج يقصدونها ويحاصرونها كل عام فلا يجدون لها سبيلاً، ولم تسقط عسقلان بأيدي الفرنج إلا في 548هـ/1153م!!<sup>100</sup>

وهكذا تأسست مملكة بيت المقدس الصليبية، ونشير استطراداً إلى تأسيس الفرنج لمملكة صليبية رابعة هي طرابلس في 11 ذي الحجة 503هـ - 12 تموز/ يوليو 1109م بعد حصار دام سبعة أعوام.<sup>101</sup>

### 3. استمرار الصراع (نظرة عامة):

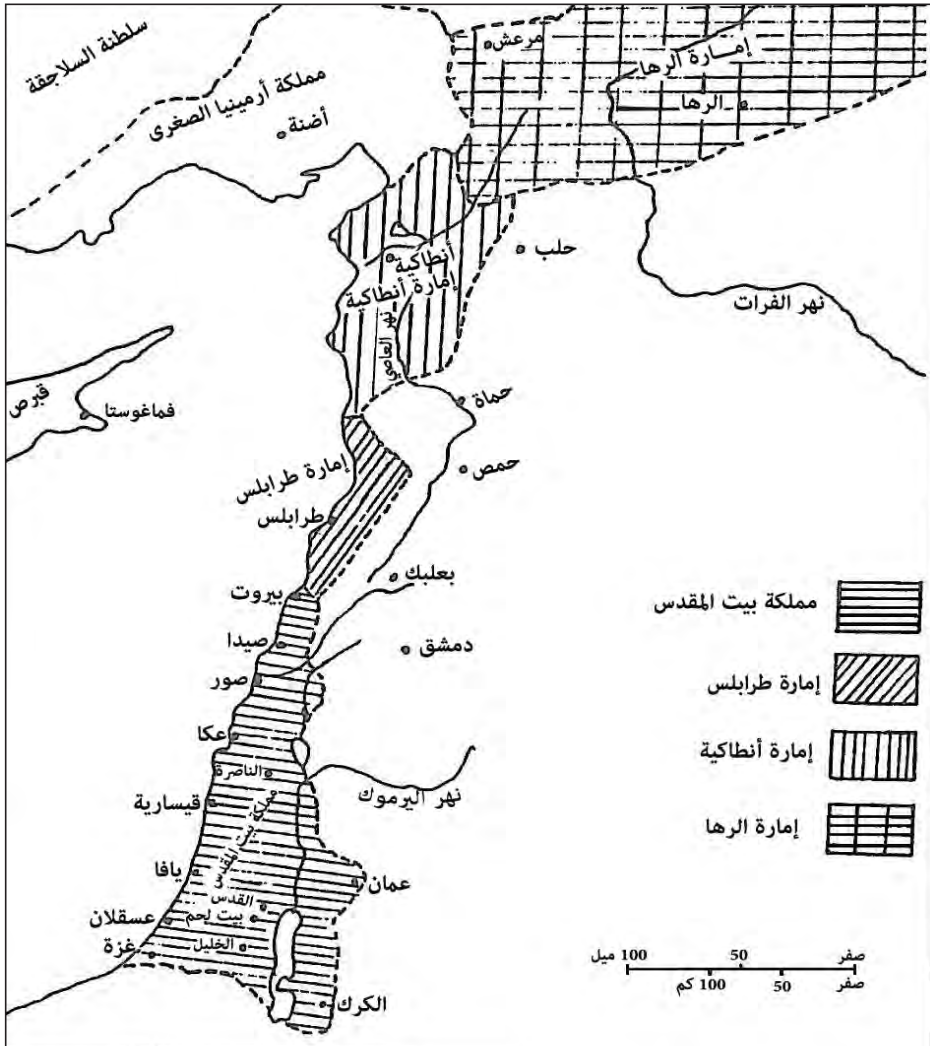
في الثلاثين سنة التي تلت الاحتلال الصليبي لبيت المقدس، استمر جهاد المسلمين ضدّ الفرنج (الصليبيين) دون توقف، وإن كان هذا الجهاد قد افتقر إلى حسن الإعداد والتنظيم، وقد تعدد القادة المسلمون الذين يأتون ويذهبون، كما تعددت محاور الصراع والاشتباك مع الفرنج في بلاد الشام، وافتقر المسلمون إلى قاعدة كبيرة وقوية تكون منطلقاً دائماً للجهاد، وكثيراً ما كان القتال بين مدينة أو قلعة إسلامية، تحاول الدفاع عن نفسها أو توسيع نفوذها، وبين الفرنج. وتداول المسلمون والصليبيون النصر والهزيمة في المعارك، ولم يكن يمضي عام دون معارك، وتبادلوا احتلال المدن والقلع، ولم يكن من الصعب على المسلمين أن يدخلوا في وسط فلسطين، ويخوضوا المعارك عند الرملة أو يافا أو غيرهما. غير أن الصليبيين ظلوا يحتفظون بنفوذهم وهيمنتهم في المناطق التي استولوا عليها.<sup>102</sup>

<sup>100</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 42.

<sup>101</sup> المرجع نفسه، ج 8، ص 258-259.

<sup>102</sup> مثلاً: مقتل سيرجال صاحب أنطاكية مع ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف من المشاة في معركة مع إيلغازي صاحب حلب سنة 512هـ (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 289)، وأسر جوسلين صاحب الرها ومعه ابن خالته كليات وجماعة من الفرسان المشهورين سنة 515هـ (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 304).

## الممالك والإمارات الصليبية في بلاد الشام



المسلمون الأصليون، من سكان فلسطين، استمروا في سكنهم للبلاد التي احتلها الفرنج، ولكن قسماً منهم هجروها إلى شرق الأردن ودمشق، وأنفوا من التعاون مع الصليبيين. ولذلك تعطلت الزراعة في أكثر المدن الساحلية الفلسطينية. وقد عمل هؤلاء على محاربة الصليبيين، وقدموا خدمات للمسلمين المهاجرين، وانضموا إلى كتائب المسلمين في بلاد الشام، وساعدوهم كأداء في فلسطين، يقول المؤرخ الصليبي

وليم الصوري عنهم ”إنهم علموا عدونا كيف يدمرنا؛ لأنهم يملكون معلومات كافية عن حالتنا“.<sup>103</sup>

وكان من أبرز قادة المسلمين المجاهدين الأوائل أقسنقر البرسقي الذي ولاه السلطان محمد سنة 508هـ الموصل وأعمالها، وأمره بقتال الفرنج، وخاض أقسنقر المعارك ضد الصليبيين في شمال الشام. ودخلت، بالإضافة إلى الموصل والجزيرة وسنجار، مدينة حلب سنة 518هـ تحت زعامته، فتوسعت جبهته المعادية للصليبيين، غير أنه قتل رحمه الله سنة 520هـ على يد الباطنية في الموصل، وكان أقسنقر تركياً خيراً يحب أهل العلم والصالحين، ويرى العدل ويفعله، وكان من خير الولاة، يحافظ على الصلوات في أوقاتها، ويقوم الليل.<sup>104</sup>

#### 4. جهاد عماد الدين زنكي 521-541هـ:

انفتحت صفحة جديدة لجهاد الصليبيين بظهور عماد الدين زنكي بن أقسنقر، وبدء عهد الدولة الزنكية في الموصل وحلب، فقد تولى عماد الدين زنكي أمر ولاية الموصل وأعمالها 521هـ بعد أن ظهرت كفاءته في حكم البصرة وواسط،<sup>105</sup> وفي محرم 522هـ تمت له السيطرة على حلب. وأخذ عماد الدين يخوض المعارك تلو المعارك، ويحقق الانتصارات على الصليبيين، وعلق ابن الأثير بعد أن تحدث عن انتصار عماد الدين على الفرنج في معركة كبيرة، وملكه حصن الأثارب، وحصاره حارم 524هـ... ”وضعفت قوى الكافرين، وعلموا أن البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم في الحساب، وصار قصارهم حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع“.<sup>106</sup>

واستمرت جهود زنكي في توحيد قوى المسلمين في غزو الصليبيين، فملك زنكي حماة، وحمص وبعلبك، وسرجي، ودارا، والمعرة، وكفر طاب، وقلعة الصور في

<sup>103</sup> الموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 446.

<sup>104</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 268، و302، و320.

<sup>105</sup> شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1956)، ج 1، ق 1، ص 75؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 309، و323.

<sup>106</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 331.

ديار بكر، وقلع الأكراد الحميدية، وقلعة بعين، وشهرزور، والحديثة، وقلعة أشب وغيرها من الأكراد الهكارية.<sup>107</sup> غير أن أشهر ما يذكر من الفتوح لزكي هو فتحه للرها، وإسقاطه للمملكة الصليبية التي قامت بها، فقد حاصرها أربعة أسابيع، وفتحها عنوة في 6 جمادى الآخرة 539هـ، وفتح ما يتبع هذه المملكة من أعمال في منطقة الجزيرة، وفتح سروج وسائر الأماكن التي كانت للفرنج شرقي الفرات ما عدا البيرة.<sup>108</sup>

قُتل عماد الدين زكي، بعد أن حمل راية الجهاد أكثر من عشرين عاماً، في 5 ربيع الأول 541هـ - منتصف أيلول/ سبتمبر 1146م، غدرًا على يد جماعة من مماليكه، بينما كان يحاصر قلعة جعبر.<sup>109</sup> وعلى ما ذكر ابن الأثير فقد كان زكي، شديد الهيبة في عسكره ورعيته، عظيم السياسة، لا يعين القوي على ظلم الضعيف، وكانت البلاد قبل أن يملكها خراباً من الظلم، وتنقل الولاة، ومجاورة الفرنج، فعمّرها وامتلأت أهلاً وسكاناً.<sup>110</sup> "وكان زكي من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلاً، وكان شجاعاً، ومقدماً، وحازماً، خضعت له ملوك الأطراف، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية، وأجود الملوك معاملة، وأرفقهم بالعامّة".<sup>111</sup> واشتهر عماد الدين بعد مقتله بلقب "الشهيد".

لقد استطاع عماد الدين أن يضع الأسس لقاعدة انطلاق جهادية كبيرة وقوية تمتد من شمال الشام إلى شمال العراق، كما كسر شوكة الصليبيين في مواقع كثيرة، ويسرّ سبل الجهاد والعمل الجاد لتحرير الأرض. غير أن أفضل أثر تركه، على ما يظهر لنا، هو ابنه نور الدين محمود.

<sup>107</sup> المرجع نفسه، ج 8، ص 329-368، وج 9، ص 5؛ وأبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 1، ص 78، و84-85.

<sup>108</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 8-9؛ وأبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 1، ص 94-96.

<sup>109</sup> أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 1، ص 107-109.

<sup>110</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 13.

<sup>111</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 220؛ وانظر أيضاً: أبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 1، ص 109-114؛ وفايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص 179-204.



## 5. جهاد نور الدين محمود 541-569هـ:

بعد استشهاد زنكي، وحسب الأعراف الوراثية في ذلك الزمان، انقسمت دولته بين ابنيه: نور الدين محمود الذي تولى حلب وما يتبعها، وسيف الدين غازي الذي تولى الموصل وما يتبعها.

وُلدَ نور الدين محمود بعد نحو عشرين عاماً من سقوط القدس في أيدي الصليبيين في 17 شوال 511هـ - شباط/ فبراير 1118م.<sup>112</sup>

وبحكم نور الدين انفتحت صفحة جديدة رائعة من صفحات الجهاد الإسلامي في بلاد الشام، وطوال 28 عاماً، من حكم نور الدين كان واضحاً في ذهنه هدفه الأساسي في تحرير واسترداد بلاد المسلمين، وتوحيدها تحت راية الإسلام.

ومنذ تلك اللحظة أخذ يبذل الأسباب، ويعدّ العدة والعتاد، ويوحد جهود المسلمين، ويرتقي بهم في جوانب الحياة المختلفة، وذلك وفق تصور إسلامي متكامل لإعادة أمجاد المسلمين، وطرد الاحتلال الصليبي من بلادهم...

ودخل المعركة وفق فهم إسلامي شامل وسليم، يؤكد على عقائدية المعركة مع الصليبيين، فهي:

- صراع بين حقٍّ وباطل، وبين إسلام وكفر.
- تعني كل المسلمين دون نظر إلى قوميات وعصبيات وجنسيات.
- ولا سلام نهائي حتى يسترجع المسلمون كل شبر من أراضيهم.
- ولا بدّ من الإعداد المتكامل للأمة، حتى تكون على مستوى الجهاد، إيمانياً، وثقافياً، وتربوياً، واجتماعياً، وجهادياً، وعسكرياً.
- ولا بدّ من توحيد الجهود تحت راية الإسلام في مواجهة العدو الصليبي.

<sup>112</sup> عماد الدين خليل، نور الدين محمود: الرجل.. والتجربة (دمشق-بيروت: دار القلم، 1980)، ص 49-50. يُعدّ هذا الكتاب من أفضل ما كُتِبَ عن نور الدين محمود، حيث أعطى المؤلف من خلاله صورة متكاملة عن شخصيته وسياساته الإدارية والاجتماعية والقضائية والاقتصادية والثقافية.

## معالم النهضة الإسلامية:

في سبيل ذلك، قام نور الدين محمود بإحياء نهضة إسلامية أكدت على تكامل الحل الإسلامي، وقد تمّ التعبير عنها من خلال:

**أ. القيادة الإسلامية الصادقة:** تمثلت هذه القيادة في شخصه، وأشخاص من حوله من القادة، والمسؤولين، والعلماء. فقد كان للتكوين النفسي، والشخصية المميزة لنور الدين محمود أثرهما الكبير في وجود قيادة إسلامية واعية، جادة، ومجاهدة.

قال ابن الأثير: "طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام، وفيه إلى يومنا هذا، فلم أرَ بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين".<sup>113</sup> وكان ذكياً، أليماً، فطناً، لا تشتبه عليه الأحوال، ولا يتبهرج عليه الرجال، ولم يتقدم لديه إلا نورو الفضل، والقدرة على الإنجاز الأمين المسؤول للعمل، ولم ينظر في تقديمه للرجال إلى المكانة الاجتماعية أو للجنس والبلد.<sup>114</sup>

**ب. التزام أحكام الإسلام وتطبيقها:** حرص نور الدين على تطبيق أحكام الإسلام على الجميع، وكان قدوة في الالتزام بها، وطبقها على مسؤولي الدولة وقادتها. وكان يقول: "نحن نحفظ الطريق من لصّ وقاطع طريق... أفلا نحفظ الدين ونمنع ما يناقضه؟".<sup>115</sup> وكان أشهى شيء عنده كلمة حقّ يسمعها أو إرشاد إلى سنة يتبعها.<sup>116</sup>

**ج. البناء الإيماني والتربوي والثقافي:** في هذا المجال استقدم نور الدين العلماء العاملين، وأفسح لهم مجال العمل والدعوة، وسعى في بناء المدارس والمساجد، وأوقف عليها الأوقاف، وحارب البدع والأضاليل... فانتشر نور الإيمان والعلم بين الرعية، وأحيا سميت احترام العلماء وتوقيرهم. وعلى الرغم من أن الأمراء والقادة لم يكونوا يجرون على الجلوس في مجلسه دون أمره وإذنه... إلا أنه كان إذا دخل عليه العالم الفقيه أو الرجل الصالح قام هو إليه وأجلسه، وأقبل عليه مُظهراً كل

<sup>113</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 125.

<sup>114</sup> عماد الدين خليل، نور الدين محمود: الرجل.. والتجربة، ص 53.

<sup>115</sup> المرجع نفسه، ص 86.

<sup>116</sup> المرجع نفسه، ص 87.



احترام وتوقير.<sup>117</sup> لقد كانت بلاد الشام خالية من العلم وأهله، وفي زمانه صارت مقرّاً للعلماء، والفقهاء، والصوفية.<sup>118</sup>

**د. الإعمار والبناء الحضاري والاجتماعي:** عُرف نور الدين بشخصيته التي تهتم بأحوال المسلمين وتحيي معاني التكافل، والتعاون، والتضامن بينهم، ورفع عنهم معاناتهم، وأحوالهم الصعبة... فلقد عمل على كفالة الأيتام، وتزويج الأراامل، وإغناء الفقراء، وبناء المستشفيات، والملاجئ، ودور الأيتام، والأسواق، والحمامات، والطرق العامة، وتوطين البدو، وإقطاعهم الأراضي حتى لا يؤذوا الحجاج. لقد ارتقى بالخدمات التي تُقدّم للمسلمين فأحبه الشعب، وأصبحت صلته بهم متينة وقوية.<sup>119</sup>

**هـ. البناء الاقتصادي:** رتبّ نور الدين ديوان الزكاة في عهده ونظّم جبايتها وتوزيعها وفق الأسس الشرعية، وشجّع التجارة بتأمين طرق المواصلات، ورفع الضرائب التي تثقل حركة التجارة، وسعى في كل ما يقوّي الدولة، ويدعم بنيانها الاقتصادي.<sup>120</sup>

**و. البناء الجهادي العسكري:** سعى نور الدين في إحياء المعاني الجهادية في النفوس، وتربية الأمة على معانيها، وتكريس عزة المسلمين ومنعتهم وقوتهم، وبذل الجهد في توفير العدة والعتاد، واختيار القادة المناسبين، وحماية المدن، وبناء الأسوار والحفاظ على أرواح المسلمين. وتميز بحزمه وقوته في ذلك، وكان رده عنيفاً جداً على الأعداء إذا انتهكت حرّمات المسلمين.<sup>121</sup>

بهذا البناء المتكامل، والإعداد الجاد المتزن، دخل نور الدين مرحلة التغيير الجذري على الساحة السياسية؛ ليحقق أمرين سار بهما في اتجاهين متوازيين هما:

<sup>117</sup> المرجع نفسه، ص 35-36.

<sup>118</sup> المرجع نفسه، ص 144.

<sup>119</sup> المرجع نفسه، ص 20-24، و 111-118.

<sup>120</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 93-126.

<sup>121</sup> انظر مثلاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 86-87.

- تحقيق الوحدة الإسلامية وتعبئة قواها في بوتقة واحدة.
- تحطيم القوى الصليبية تدريجياً: بإضعاف هيبتها، وإنهاك قواها، والتحرير التدريجي لأرض المسلمين الواقعة تحت سيطرتها... وذلك بانتظار استكمال الوحدة الإسلامية لتحقيق نصر حاسم ونهائي.

### جهود الوحدة الإسلامية:

لقد حرص نور الدين على تحقيقها بقدر كبير من الصبر، والحكمة، والأناة، وحرص شديد على عدم إراقة دماء المسلمين، وقد حرص على استمالة القوى الإسلامية المتعددة في الشمال، وشمال العراق وكسب صداقتها، كما كان يكشف بطريقة عاقلة واعية حقيقة أولئك الزعماء والحكام، الذين يقفون حجر عثرة أمام الوحدة الإسلامية أمام رعيتهم. وكان الناس يقارنون بين جهاده، وبين تخاذل حكامهم، وبين إصلاحاته وبين إفساد حكامهم، وبين ولائه لله سبحانه ورسوله وللمؤمنين وبين ولاء حكامهم لمصالحهم وشهواتهم وللصليبيين!! فأخذ الناس يتمنون حكمه عليهم... ولذلك فقد وجد كل ترحيب شعبي عند انضمام أي من بلاد المسلمين إليه.

ضمّ نور الدين حمص إليه سنة 544هـ/1149م، واستطاع نور الدين أن يفتح دمشق في صفر 549هـ - 25 نيسان/أبريل 1154م.<sup>122</sup>

وتوالت سيطرة نور الدين على مدن وقلاع الشام حتى خضعت معظمها له، غير أنه كان يدرك أن السبيل الفعّال لتحرير فلسطين، واقتلاع الحكم الصليبي منها لا يكون إلا بالسيطرة على مصر، ودخولها ضمن الجبهة الإسلامية المتحدة، ووضع الصليبيين بين فكي الكماشة.

وقد جاءت الفرصة لنور الدين بالسيطرة على مصر عندما استعان به حكام مصر الفاطميين على بعضهم، أو ضدّ الصليبيين، حيث تمت السيطرة لنور الدين على مصر في الحملة الثالثة التي قادها أيضاً أسد الدين شيركوه في ربيع الأول 564هـ، وتولى أسد الدين الوزارة في 17 ربيع الثاني 564هـ - كانون الثاني/يناير 1169م، غير

<sup>122</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 45-46؛ وأبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 1، ص 236.



أنَّ أسد الدين توفي بعد شهرين في 22 من جمادى الثانية فتولى صلاح الدين يوسف الأيوبي الوزارة مكانه.<sup>123</sup>

وبأمر من نور الدين أسقط صلاح الدين الخلافة الفاطمية، وتمت الخطبة للخليفة العباسي المستضيء في ثاني جمعة من محرم 567هـ - 10 أيلول/ سبتمبر 1171م "فلم يتنطح في ذلك عنزان"، ومات الخليفة الفاطمي العاضد في 10 محرم من دون أن يعلم بذلك.<sup>124</sup> وهكذا ضُمَّت مصر رسمياً للخلافة العباسية، وأصبحت تحت القيادة الفعلية لنور الدين.

وفي 566هـ/1170م ضمَّ نور الدين الموصل، والمناطق التي تتبعها إلى حكمه،<sup>125</sup> كما ضمَّ اليمن سنة 569هـ/1173م عندما أُنزِل صلاح الدين بفتحها فأرسل إليها أخاه توران شاه بن أيوب؛ حيث تمت له السيطرة عليها.<sup>126</sup> وبذلك امتدت الجبهة الإسلامية المتحدة من العراق إلى الشام، فمصر واليمن، مما أُنذر بقرب القضاء على الصليبيين.

### تحطيم القوى الصليبية:

خلال فترة حكمه التي امتدت من 1146-1174م لم تتوقف المعارك وحروب الجهاد بين نور الدين والصليبيين، وفي الوقت الذي كان يدعم فيه حكمه، ويوحد جهود المسلمين كان يقوم بالاستيلاء التدريجي على الممالك الصليبية، ويضعف قوتها يوماً بعد يوم وهو يعد للمعركة الفاصلة معهم، وخلال تلك الفترة استطاع نور الدين في جهاده الإسلامي استرجاع وتحرير نحو خمسين مدينة وقلعة، مما كان تحت سيطرة الصليبيين.

<sup>123</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 99-103؛ وأبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 2، ص 389-406؛ وحول ضمَّ نور الدين لمصر انظر: فايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص 229-244.

<sup>124</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 111؛ وأبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 2، ص 492-500.

<sup>125</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 109-110.

<sup>126</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 123؛ وأبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 2، ص 551-554.

فمنذ بداية حكمه أحكم السيطرة على منطقة الرها وصقّى الأملاك التي كانت تتبعها (تل باشر، سميساط، قلعة الروم، دلوك، الراوندان، قورس، مرعش، إعزاز، عينتاب، البيرة...)، وذلك خلال الفترة الممتدة بين 1146-1151م. كما استعاد وحرّر جميع الأراضي التي كانت تتبع إمارة أنطاكية شرقي نهر العاصي (1147-1149م)؛ وقتل في إحدى معاركها (أنب 1149/7/29م) أمير أنطاكية ريموند Raymond of Poitiers، وزعيم الباطنية المتعامل معهم ضدّ المسلمين علي بن وفا. وقام بدور أساسي في تحطيم الحملة الصليبية الثانية (1147-1148م) التي شارك فيها ملك فرنسا لويس السابع Louis VII، وإمبراطور ألمانيا كونراد الثالث Conrad III، والتي تعدّ نقطة تحول خطيرة في تاريخ الحروب الصليبية؛ حيث كُسرت هيبة الصليبيين، ورفعت الروح المعنوية لدى المسلمين.<sup>127</sup>

واستمرّت الحروب سجّالاً، ووقعت العديد من المعارك المهمة، أدت إلى إضعاف النفوذ الصليبي وضمّ مناطق جديدة لنور الدين على حساب الصليبيين... حتى أحكم نور الدين إحاطة مملكة بيت المقدس الصليبية. ولا يتسع المجال لذكر المعارك والوقائع كلها.

وفي 569هـ/1173م كان نور الدين قد أعدّ عدّته للهجوم النهائي على بيت المقدس، وتحرير أرض الإسراء من النفوذ الصليبي، حتى إنه قد جهّز منبراً جديداً رائعاً للمسجد الأقصى يوضّع فيه بعد الانتصار على الصليبيين بإذن الله. وراسل في ذلك عامه على مصر صلاح الدين الذي تلكأ بسبب الظروف الخاصة التي تواجهه في مصر، والتي يرى أنها تحتاج إلى صبر، وأناة، وإعداد. ولم يرضَ نور الدين بذلك التآخر، فقرر الذهاب إلى مصر، وترتيب أمورها بنفسه إلا أن المنية عاجلته، فتوفي رحمه الله في 11 شوال 570هـ - 1174/5/15م.<sup>128</sup>

وهكذا انطوت صفحة رائعة من صفحات الجهاد أيام الحروب الصليبية إلا أن الصفحة التي تلتها كانت مشرقة ومؤثرة في مسار التاريخ، تلك هي صفحة صلاح الدين الأيوبي.

<sup>127</sup> انظر بالتفصيل حول صراع نور الدين مع الصليبيين: فايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ص 207-226.

<sup>128</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 124؛ وأبو شامة المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج 1، ق 2، ص 577-582.



## 6. جهاد صلاح الدين الأيوبي 569-589هـ:

رفع الراية، بعد نور الدين محمود، صلاح الدين الأيوبي، وقد سار على خطى سلفه نور الدين، فقد ترسّم المنهج الإسلامي والحل الإسلامي في تحطيم القوى الصليبية وتحرير الأرض المقدسة.

جاء صلاح الدين ووجد نور الدين قد هيا الظروف المناسبة لاسترداد الأرض المقدسة، فاستغلها أحسن استغلال وقطف ثمارها اليانعة بعد سنوات من حكمه. ولد صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة 532هـ/1137م بقلعة تكريت، وكان أبوه والياً عليها، دخل هو وأبوه وعمه في خدمة نور الدين محمود، وشارك عمه أسد الدين شيركوه في حملاته الثلاث على مصر، وتولى الوزارة في مصر وعمره 32 سنة.

يُوصف صلاح الدين بأنه كان حسن العقيدة، كثير الذكر، شديد المواظبة على صلاة الجماعة، ويواظب على السنة والنوافل، ويقوم الليل. وكان صلاح الدين عادلاً رؤوفاً، رحيماً ناصراً للضعيف على القوي، وكان كريماً، طاهر السمع، طاهر اللسان، طاهر القلم، فما كتب إيذاء لمسلم قط. وكان شجاعاً شديد البأس والمواظبة على الجهاد، عالي الهمة، قال يوماً وهو قرب عكا ”في نفسي أنه متى ما يسّر الله تعالى فتح بقية السواحل قسمت البلاد، وأوصيتُ وودعتُ، وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتبعهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت“. ومات صلاح الدين ولم يكن لديه من الأموال ما تجب فيه الزكاة، واستنفذت صدقة النفل جميع ما ملكه، ولم يخلف في خزائنه من الفضة والذهب إلا 47 درهماً ناصرية، وديناراً واحداً ذهباً، ولم يخلف ملكاً، ولا داراً، ولا عقاراً، ولا مزرعة... عزم على الحج في السنة التي توفي فيها، ولكنه تعوَّق بسبب ضيق ذات اليد وضيق الوقت.<sup>129</sup>

لما مات نور الدين بويق لابنه من بعده بالملك، وهو الصالح إسماعيل، وكان صغيراً في الـ 11 من عمره، وجُعِلَ أتاكبه شمس الدين بن المقدم... ”فاختلف الأمراء وحارت

<sup>129</sup> حول صفات صلاح الدين وأخلاقه، انظر: بهاء الدين بن شداد، النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية (مصر: شركة طبع الكتب العربية، 1317هـ)، ص 4-28؛ ومحمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص 282، و307-314؛ وفايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ج 2، ص 13-25.

الآراء، وظهرت الشرور“<sup>130</sup> وكان كل ما سبق سبباً في غضب صلاح الدين على الأمراء المتحكمين في الملك الصالح.<sup>131</sup> وهكذا فتحت أنظمة الحكم الوراثي، وانعدام المؤسسات “الدستورية” الشورية، والتنازع على السلطة وحبّ الرئاسة...، المجال أمام مرحلة جديدة من الصراع والخلاف بين المسلمين أُخّرت المعركة الفاصلة التي كان يُعد لها نور الدين، واضطرت صلاح الدين أن يخوض معركة الوحدة من جديد، ولم يتم له ذلك إلا بعد أكثر من 12 سنة.

### استمرار الجهاد:

لم تخلُ هذه المرحلة (569-582هـ/1174-1186م) من معارك عنيفة مع الصليبيين أسهمت في المحافظة على هوية المسلمين،<sup>132</sup> والتعرف على إمكانات العدو ونقاط ضعفه، واستدراك جوانب النقص عند المسلمين، وعدم إعطاء العدو فرصة للتقوّي والتمدد والانتشار، إلا أن صلاح الدين لم يدخل في معركة فاصلة مع الصليبيين.

ونمرّ هنا على أهمّ الوقائع مع الصليبيين في تلك الفترة، ففي 570هـ هزم المسلمون الأسطول الصليبي القادم من صقلية، الذي هاجم الإسكندرية بـ 50 ألف رجل، هزيمة كبيرة.<sup>133</sup> وفي 573هـ هاجم صلاح الدين الفرنج من جهة مصر حتى وصل عسقلان وفتحها وأسر وقتل وأحرق،<sup>134</sup> وهزم الفرنج في العام التالي عند حماة.<sup>135</sup> وفي 575هـ أغار صلاح الدين على مناطق سيطرة الفرنج، وخرّب الحصن الذي أقاموه بمخاضة الأحزان قرب بانياس، ووقعت معركة شديدة انتصر فيها المسلمون.<sup>136</sup>

وفي 578هـ قام صلاح الدين بغارات على أطراف مناطق سيطرة الفرنج مُركّزاً على الشوبك والكرك، وفتح المسلمون الشقيف من أعمال طبرية على يد فرخشاه (والي دمشق)، واقتحم فرخشاه بيسان وغنم ما فيها، وسارت العرب فأغارت على جنين

<sup>130</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 285.

<sup>131</sup> المرجع نفسه، ج 12، ص 285-286؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 127.

<sup>132</sup> انظر حول جهاد صلاح الدين للصليبيين في تلك الفترة: فايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ج 2، ص 47-113.

<sup>133</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 129-130.

<sup>134</sup> المرجع نفسه، ص 141-143؛ وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 596.

<sup>135</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 142-145.

<sup>136</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 147.



واللجون حتى قاربوا عكا.<sup>137</sup> وفي السنة نفسها هزم صلاح الدين الأسطول الذي سيّره أرناط (رينالد دي شاتيون Renaud de Châtillon) حاكم الكرك في البحر الأحمر للتخريب في سواحل المسلمين ومهاجمة مكة والمدينة.<sup>138</sup>

وفي 579هـ عبر صلاح الدين نهر الأردن في 19 جمادى الآخرة، وهاجم بيسان. كما غزا نابلس 580هـ، وسار إلى سبسطية فاستنقذ جماعة من أسرى المسلمين، ووصل إلى جنين فاقتحمها.<sup>139</sup>

وفي 582هـ غدر صاحب الكرك أرناط بقافلة عظيمة للمسلمين فأخذها عن آخرها وغنمها، ولم يستجب لطلب صلاح الدين ووعيده بإطلاقها، فأقسم صلاح الدين ليقتلنه إن ظفر به.<sup>140</sup>

وهكذا دخلت سنة 583هـ وقد نضجت ظروف الإعداد للمعركة الفاصلة من توحيد لقوى المسلمين، ومن كسر لهيبة الصليبيين، وخبرة أوسع في فنّ التعامل معهم، وبهذا دخل صلاح الدين معركة حطين. وقبل الإشارة إلى معركة حطين نقف قليلاً عند استراتيجية العمل لدى صلاح الدين.

### استراتيجية العمل والإعداد لدى صلاح الدين:

أ. الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة: تمثل ذلك في إعادة الوحدة وتقويتها، وبناء الإنسان المسلم المقاتل، وبناء الاقتصاد الحربي.

ب. بناء المجتمع للحرب: وفي هذا حرص على إشاعة العدل، وإزالة الأحقاد بين إمارات المسلمين، وتوجيه العداء ضدّ الصليبيين، كما أقام الصناعات الحربية من دور صناعة سفن، وتنظيم الحصون وحماتها، وتجهيزات الحصار....

ج. وضوح الهدف: الذي تمثل بقيادة الأمة الإسلامية لطرد الصليبيين، فكانت الأولوية للتحرير، وحُدّدت السياسات على هذا الأساس.

د. الحرص على المسلمين: فهو "يحرص على المسلمين لتحقيق هدف الحرب، ويحرص على الحرب للمحافظة على المسلمين"، وقد اعتاد على ردّ العدوان بأقوى

<sup>137</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 155-156.

<sup>138</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 160.

<sup>139</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 164-166.

<sup>140</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 174.

منه حفاظاً على الروح المعنوية، وتبني الاستعداد القتالي المستمر، وحدد لكل عملية أساليبها المناسبة.<sup>141</sup>

بالإضافة إلى هذه الاستراتيجيات الأساسية فقد تبنى صلاح الدين في معاركه استراتيجية الهجوم غير المباشر؛ مثل القيام بمسيرات طويلة وهجمات مباغته، والهجوم على جهة لتخفيف الضغط عن جهة أخرى. واستراتيجية الحرب التشتيتية؛ كتشتيت الجيش المعادي داخل المعركة (فصل الفرسان عن المشاة مثلاً)، واستغلال النزاعات السياسية، وضرب فريق بآخر وتحييد الأعداء. واستراتيجية الهجمات الوقائية التي تضعف قدرة العدو القتالية قبل هجومه أو استكمال استعداده.<sup>142</sup>

**وَحَقَّقَ صَلَاحُ الدِّينِ فِي حُرُوبِهِ الْمَبَادِئَ الْأَسَاسِيَةَ لِلْحَرْبِ بِكِفَايَةِ كَبِيرَةٍ مِثْل:**

- مبدأ المباغته.
- مبدأ أمن العمل: بما تمثل له من شبكة أمنية جاسوسية قوية ودقيقة.
- مبدأ القدرة الحركية: بما تعنيه من سرعة تحرك الجيش، وتجمعه، وانتقاله.
- مبدأ المبادأة والقوة الهجومية: الذي تمثل بتحويل الروح الدفاعية إلى هجومية.
- مبدأ الاقتصاد بالقوة: فكل معركة ما يناسبها.
- مبدأ المحافظة على الهدف: فكان يهتم بتدمير القوى البشرية للصليبيين بالدرجة الأولى، وحرمانهم من مواردهم الاقتصادية وتحويلهم إلى عبء على الغرب، وتحرير الأرض من الداخل تجاه الساحل.

وبالنسبة للجيش الإسلامي فإن صلاح الدين رسّخ الاستعداد الدائم للقتال، ورفع الروح الإيمانية والجهادية في النفوس، كما نمى الكفاءة البدنية الجسدية، وأكد على الانضباط وكمال الطاعة (في غير معصية).<sup>143</sup>

<sup>141</sup> انظر: بسام العسلي، صلاح الدين الأيوبي (بيروت: دار النفائس، 1983)، ص 99-106.

<sup>142</sup> المرجع نفسه، ص 107-109.

<sup>143</sup> المرجع نفسه، ص 112-115.



## معركة حطين:

جهّز صلاح الدين جيشه للمعركة الفاصلة وكانوا 12 ألف مقاتل نظامي سوى المتطوعة، وجهز الفرنج أنفسهم وتصالحوا، وتجمعت ملوكهم وجيوشهم، وكونوا جيشاً من نحو 63 ألف مقاتل.

## معركة حطين



اجتاز صلاح الدين نهر الأردن، وفتح طبرية بدون قلعته، وبدأت المناوشات يوم الجمعة، إلا أن المعركة احتدمت يوم السبت في 24 ربيع الآخر 583هـ - 4 تموز/ يوليو 1187م، وعانى الفرنج من الحر والعطش، وحاصرهم المسلمون، وأحرقوا الحشائش الجافة من حولهم ومن تحتهم، "فاجتمع عليهم حرّ الشمس، وحرّ العطش، وحرّ النار، وحرّ السلاح، وحرّ رشق النبال"، ثم أمر السلطان بالتكبير وبالحملة الصادقة، فمنح الله المسلمين أكتاف الفرنج فقتلوا منهم 30 ألفاً، وأسروا 30 ألفاً، وكان فيمن أسر جميع ملوكهم سوى أمير طرابلس،

"ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عزّ الإسلام وأهله، ودفع الباطل وأهله، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج، قد ربطهم بطنب خيمة، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يُسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين".<sup>144</sup>

ووقع في الأسر الملك غي دي لوزينيان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس وأخوه، وأرناط حاكم الكرك الذي قتله صلاح الدين بيده براً بيمينه لغدره وإيذائه المسلمين، وأسروا صاحب جبيل وابن همفري Humphrey، ومقدم الداوية، وجماعة

<sup>144</sup> انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 320-321؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 178.

من الداوية وجماعة من الإسمبترية، وقد أعدم المسلمون الداوية والاسبترية لشدة نكايتهم في المسلمين.<sup>145</sup>

هذه هي وقعة حطين، وهي إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي وتاريخ فلسطين، بات المسلمون ليلتها يكثرون من التكبير والتهليل، وانتهت بسجود صلاح الدين شكراً لله مع سقوط خيمة ملك الفرنج وأسرته.<sup>146</sup>

وبعد هذه المعركة فُتحت الطريق أمام المسلمين لتحرير معظم أرجاء فلسطين، فخلال أيام قليلة تم فتح طبرية ثم عكا (10 تموز/ يوليو) ثم الناصرة وصفورية، ثم قيسارية وحيفا وأرسوف، ثم نابلس، ثم الفولة، ودبورية، وجنين، وزعين، والطور، واللجون، وبيسان، وجميع ما يتبع طبرية وعكا، وتم فتح يافا. ثم اتجه المسلمون شمالاً ففتحوا حصن تبنين، ثم صيدا (29 تموز/ يوليو)، ثم بيروت (6 آب/ أغسطس)، وجبيل. ثم اتجهوا جنوباً لاستكمال فتوح فلسطين، ففتحوا الرملة، وبينه، وبيت لحم، والخليل، ثم عسقلان (4 أيلول/ سبتمبر)، وغزة والداروم، وأقام صلاح الدين بعسقلان حتى تسلّم حصون الداوية في غزة والنطرون، وبيت جبرين... وغيرها.<sup>147</sup> وقد تمّ ذلك كله لصلاح الدين في شهرين تقريباً، وبعضها كان يحتاج إلى سنين من الحصار لاقتحامه، وكان جملة ما فتح "خمسين بلداً كباراً كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة".<sup>148</sup>

### تحرير بيت المقدس:

تطلعت الأنظار إلى القدس فأعدّ صلاح الدين عُدّته، وبدأ حصارها في منتصف رجب 583هـ - 20 أيلول/ سبتمبر 1187م، وكان داخل القدس نحو 60 ألف مقاتل صليبي كلهم يرى الموت أهون عليه من تسليمها. وخلال أيام حصارها جرت صدامات عديدة،

<sup>145</sup> انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 321؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 178.  
<sup>146</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 178؛ وحول معركة حطين، انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 76-83؛ وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 632-638؛ وابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص 60-64.

<sup>147</sup> انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 88-114؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 172-182؛ وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 637-643.

<sup>148</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 322.



وحاول المسلمون اقتحامها، واقتتلوا "أشد قتال رآه الناس، وكل واحد من الفريقين يرى ذلك ديناً حتماً واجباً، فلا يحتاج فيه إلا باعث سلطاني".<sup>149</sup> وطلب الفرنج الأمان مقابل تسليم المدينة، وشاور صلاح الدين أصحابه فأجمعوا على الإشارة بالأمان، فأمنهم وتمّ للمسلمين فتح القدس في 27 رجب 583هـ - 2 تشرين الأول/أكتوبر 1187م، وظهر من تسامح ورحمة صلاح الدين الكثير، مما اعترف به الصليبيون أنفسهم.<sup>150</sup>

وهكذا عادت بيت المقدس لِتُحْكَمَ براية الإسلام بعد 91 سنة هجرية (88 سنة ميلادية) وأعيد للمسجد الأقصى بهاؤه ونضارته، وعاد صوت الأذان يصدح في جنباته، وتمّ إحضار المنبر الذي أعده نور الدين للمسجد الأقصى قبل فتحها بعشرين سنة.<sup>151</sup> ومن المهم الإشارة إلى أن صلاح الدين تابع فتح الكثير من المدن والقلع الواقعة تحت الاحتلال الصليبي شرقي الأردن وفلسطين ولبنان.

وهكذا عادت أرض فلسطين لتحكم تحت راية الإسلام من جديد. ولكن ربيع الانتصارات لم يدم طويلاً فانفتحت صفحة جديدة من الصراع والتحدي.

### متابعة الجهاد ضدّ الصليبيين:

تجمع الصليبيون الذين سقطت مدنهم وقلعهم في صور.<sup>152</sup> وهاجم الصليبيون من صور مدينة عكا 585هـ/1189م، وانتظروا هناك حتى جاءتهم إمدادات الحملة الصليبية الثالثة التي دعا إليها البابا جريجوري الثامن لاستعادة بيت المقدس يقودها ثلاثة من ملوك أوروبا، امبراطور ألمانيا فريديريك الأول بربروسا Frederick I Barbarossa الذي مات وهلك أكثر جيشه في الطريق،<sup>153</sup> وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا Richard the Lionheart، وملك فرنسا فيليب أغسطس Philip Augustus. وحاصرت جميع الجيوش عكا (ربيع الثاني - جمادى الأولى 587هـ أي حزيران/يونيو 1191م) وسقطت بأيدي الفرنج في 17 جمادى الأولى 587هـ - 12 تموز/يوليو 1191م. وبهذا عاد الصليبيون ليكون لهم موطن جديد في فلسطين. وتداول

<sup>149</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 182.

<sup>150</sup> انظر: المرجع نفسه، ج 9، ص 183؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 323-324؛ وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 644-650.

<sup>151</sup> ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 185.

<sup>152</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 197.

<sup>153</sup> المرجع نفسه، ج 9، ص 207.

المسلمون والفرنج الصراع، ونال كل طرف من الآخر، واستطاع الفرنج التمدد على الساحل إلى الجنوب فاحتلوا حيفا ويافا.<sup>154</sup>

ومن المهم الإشارة إلى أن الصراع كان دموياً مريعاً، فقد أشار ابن كثير إلى أن صلاح الدين أقام على عكا صابراً مصابراً مرابطاً 37 شهراً، وأن جملة من قتل من الفرنج كان خمسين ألفاً.<sup>155</sup>

وانتهت الحملة الصليبية الثالثة بعقد صلح الرملة بين ريتشارد قلب الأسد، وصلاح الدين الأيوبي في 21 شعبان 588هـ - 1 أيلول/ سبتمبر 1192م، وهو عبارة عن هدنة مدتها ثلاث سنين وثلاثة أشهر، سيطر الفرنج بمقتضاها على الساحل من يافا إلى عكا، وسمح لهم بزيارة القدس.<sup>156</sup> على أنه من المهم الإشارة هنا إلى أنه لم يتم في هذه الهدنة أي اعتراف للفرنج بأي حق لهم على أرض فلسطين، وإنما تقرر عدم القتال على ما انتزعه من أرض إلى أن تنتهي الهدنة.

وعلى كل حال، فإن الأمر لم يطل بصلاح الدين فتوفي رحمه الله في 27 صفر 589هـ - 4 آذار/ مارس 1193م،<sup>157</sup> أي بعد ستة أشهر فقط من توقيع صلح الرملة.

### الأيوبيون والصراع مع الصليبيين:

دبّ النزاع والشقاق بين خلفاء صلاح الدين، ودخلوا بعد سنوات من وفاته في صراعات دموية أضعفتهم، وقويت شوكة المملكة الصليبية في عكا التي كان يأتيها الدعم المتواصل من أوروبا، والتي استمرت وتمددت في بعض الأحيان على حساب المسلمين. فقد تابع الصليبيون حملاتهم وتمكنوا من السيطرة على شريط ساحلي بين يافا وصور، كما سيطروا مرة أخرى على القدس (بسبب الصراعات الداخلية في الدولة الأيوبية) معظم الفترة بين 626-642هـ أي 1229-1244م إلى أن عادت نهائياً إلى حظيرة الإسلام، عندما استعان الصالح نجم الدين أيوب بالخوارزمية الذين جاؤوا لمساعدته في قوة من عشرة آلاف مقاتل، قامت في طريقها إليه بتحرير طبرية

<sup>154</sup> انظر: المرجع نفسه، ج 9، ص 214-215.

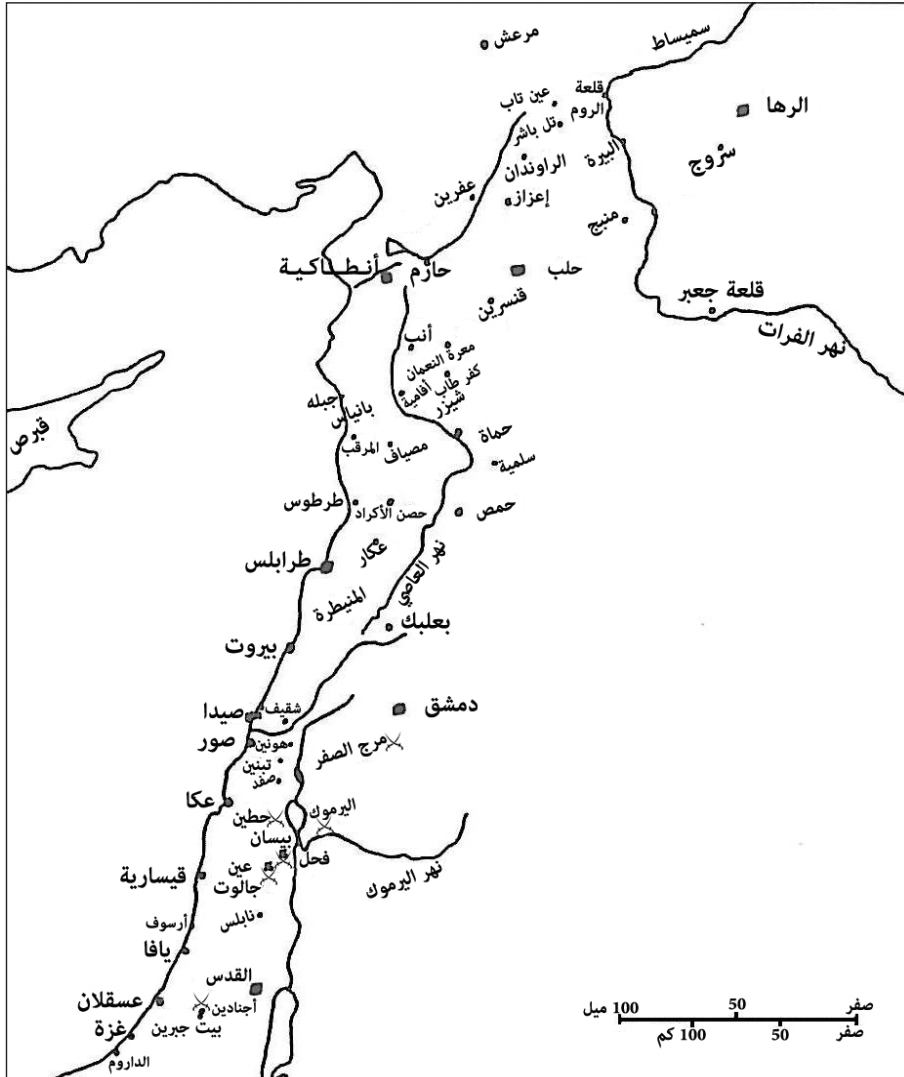
<sup>155</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 345.

<sup>156</sup> العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 605؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 350.

<sup>157</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 3.

ونابلس، واستعادت بيت المقدس بشكل كامل إلى حظيرة الإسلام في 642هـ - 23 آب/ أغسطس 1244م؛<sup>158</sup> حيث عادت نهائياً إلى أيدي المسلمين، وظلت تحتفظ بهويتها الإسلامية حتى دخلها الإنجليز في 1917/12/9م. واستمرت كذلك حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة 1917م.

### أهم المدن ومواقع المعارك في بلاد الشام



<sup>158</sup> انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 1، ص 250، وج 3، ص 447؛ وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 825-826؛ وفايد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، ج 2، ص 354-355.

## خامساً: المماليك في مواجهة التتار

### نهيد:

في القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي ظهر الخطر المغولي (التتري) على بلاد المسلمين. وكان المغول قد توحدت قبائلهم تحت قيادة جنكيز خان Genghis Khan، وبدأوا حملة كبرى للتوسع، فسيطروا على منشوريا والصين وكوريا، واستطاعوا تحطيم جيش الدولة الخوارزمية المسلمة 1221م، الذي كان سداً منيعاً أمام توسعهم تجاه العالم الإسلامي، والذي كان قد حقق عليهم عدداً من الانتصارات المهمة.

وقد توفي جنكيز خان سنة 624هـ/1227م، ولكن المغول واصلوا زحفهم فاقتحموا آسيا الوسطى، وروسيا، وسيطروا على موسكو، كما سيطروا على أوكرانيا، وهاجموا بولندا، وهزموا الجيوش الألمانية، واجتاحوا المجر بعد أن سحقوا جيشها، وتوغلوا في أوروبا، كما أخذوا يتوغلون في العالم الإسلامي، فاستكملوا سيطرتهم على مناطق التركستان وأفغانستان والهند وفارس...<sup>159</sup>

وقد استثمر المغول، إلى أقصى حد، حرب الصاعقة التي تعتمد على سرعة الحركة، وكانوا يدمرون الممالك التي أمامهم تدميراً، دون شفقة أو رحمة وبشراسة رهيبية، أرعبت العالم من قوتهم وسطوتهم، فصاروا ينتصرون لا بكفاءتهم وقوتهم فحسب، وإنما بالحرب النفسية والرعب الذي بثوه في نفوس الناس... حتى انتشر المثل القائل "من قال لك إن التتار قد هزموا فلا تصدقه"!!

ثم اجتاح المغول العراق، وسقطت بغداد في 9 صفر 656هـ - 10 شباط/فبراير 1258م، وقام المغول بمذبحة هائلة استمرت أربعين يوماً، وذكر ابن كثير أن عدد الضحايا بلغ 800 ألف، وقيل مليونان.<sup>160</sup>

<sup>159</sup> انظر: السيد الباز العريني، المماليك (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.)، ص 40-43.

<sup>160</sup> حول استيلاء المغول على بغداد، انظر: رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، نقله للعربية محمد صادق نشأت ومحمد موسى الهمداني وفؤاد عبد المعطي الصياد (الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة - دار إحياء الكتب العربية، د.ت.)، المجلد الثاني، ج 1، ص 281-295؛ وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 886-887.



وقام المغول باجتياح الشام بسرعة، ووصلوا إلى دمشق فسيطروا عليها بعد إعطاء الأمان لأهلها أول آذار/ مارس 1260م ثم غدروا بهم، وخلال فصل الربيع احتلوا نابلس والكرك، وتقدموا إلى غزة دون مقاومة تذكر.<sup>161</sup> وهكذا تقاسم النفوذ في فلسطين مملكة عكا الصليبية والمغول التتار، وعادت فلسطين لتئن من جديد تحت سنايك خيل الكفار.

## 1. الصليبيون والتتار:

فرحت أوروبا بالهجوم التتري على بلاد الإسلام، وعملت على التنسيق معهم بغية ضرب "العدو المشترك"، كما هدفوا إلى نشر المسيحية بين التتار أنفسهم، وقد نجحوا في بداية الأمر جزئياً في ذلك؛ إذ اشتهر القائد التتري الذي اجتاحت بلاد الإسلام هولوكو بميله للمسيحيين النسطوريين، وكانت حاشيته تضم عدداً كبيراً منهم، وكانت زوجته مسيحية أيضاً، كما تنصّر القائد التتري كتبغا. وقد بادر هاتون الأول Hutton 1 ملك أرمينية، وبوهيموند السادس Bohemond VI أمير طرابلس، وأمراء الفرنج في صور، وعكا، وقبرص إلى عقد حلف مع المغول التتار يقوم على أساس القضاء على المسلمين في آسيا، وتسليم الفرنج بيت المقدس.<sup>162</sup>

وفي تلك الفترة تولى السلطة في مصر — التي أخذ المماليك يحكمونها — السلطان المظفر قطز محمود بن ممدود 17 ذو القعدة 657هـ - كانون الأول/ ديسمبر 1259م، وقد عرف قطز بتقواه، وصلاحه، وارتباطه العميق بالإسلام، وكان تلميذاً لأعظم العلماء في ذلك العصر العز بن عبد السلام. وعلى حدّ تعبير ابن كثير فقد كان قطز شجاعاً بطلاً، كثير الخير ناصحاً للإسلام وأهله، وكان الناس يحبونه، ويدعون له كثيراً.<sup>163</sup>

<sup>161</sup> حول اجتياح المغول للشام، انظر: الهمذاني، جامع التواريخ، المجلد الثاني، ج 1، ص 305-309؛

وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 886-887.

<sup>162</sup> انظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 868-872، و881.

<sup>163</sup> ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 225.

ولم يكد يمرّ عليه في الحكم سوى بضعة أشهر حتى واجه مشكلة الاجتياح التتري، وتلقى رسالة تهديد عنيفة من هولوكو، قبل مغادرته سورية، تطلب منه الاستسلام.<sup>164</sup> ولكن قطز، القائد المسلم الذي لا يخشى إلا الله، قرر المواجهة. وقرر أن يبادر هو بالهجوم والزحف على قوات التتار رفعا للروح المعنوية للمسلمين، وتأكيداً على روح الجهاد الساعية إلى الشهادة في سبيل الله، وحفظاً لأرض الإسلام في مصر، وتحريراً لأرض الإسلام في بلاد الشام، ومن ضمنها أرض فلسطين والمسجد الأقصى المبارك، وتخويفاً للتتار بأنه نوع جديد من الرجال لم يواجهوه من قبل، ولأن أنجح وسائل الدفاع الهجوم.

وفي شعبان 658هـ - 26 تموز/ يوليو 1260م اجتاز الجيش المسلم بقيادة قطز الحدود، وحرر غزة؛ حيث أقام بها يوماً واحداً، ثم اتجه شمالاً باتجاه قوات التتار؛ حيث التقت القوتان الإسلامية والتترية عند "عين جالوت" شمال شرقي فلسطين.

## 2. معركة عين جالوت:

نشبت إحدى أكبر المعارك الحاسمة في التاريخ هناك وهي معركة عين جالوت، يوم الجمعة 25 رمضان 658هـ - 3 أيلول/ سبتمبر 1260م وفي هذه المعركة توفرت للتتار عناصر النصر "علمياً ومنطقياً" إذ تفوق التتار على الجيش الإسلامي في عناصر:

- الكفاءة والخبرة الواسعة نتيجة الحروب الكثيرة التي خاضوها "قيادة وجنوداً".
  - المعنويات العالية جداً لأنهم لم يهزموا من قبل.
  - التفوق الكبير في العدة، والعتاد، والأعداد.
  - الكفاءة العالية لسلاح الفرسان الذي تميز بكثرتة، وسرعة حركته، وقدرته على تطبيق (حرب الصاعقة) التي كانت إحدى السمات البارزة للتتار.
  - التفوق الإداري، فله قواعد وطرق أقرب من مواقع الجيش المسلم.
  - مواضع التتار في المعركة كانت أفضل من مواقع الجيش المسلم.
- وعلى الرغم من التفوق التتري الساحق، إلا أن النصر الساحق كان للمسلمين.

<sup>164</sup> سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 899؛ ومحمود شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص 333-334.



## التقدم المغولي ومعركة عين جالوت



المصدر: عين جالوت.. قصة النصر الإسلامي الذي دمر أسطورة المغول والتتار، موقع الجزيرة الوثائقية، 2022/4/26، انظر: <https://doc.aljazeera.net>

لقد تميّز جيش قطز بأنه "جيش إسلامي" قام لنصرة الإسلام، والدفاع عن أراضيه المقدسة، وشارك في هذا الجيش شيوخ مصر وعلمائها وصالحوها، وانتشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الجيش، فخرج من مصر تائباً منيباً طاهراً يبغى نصر دين الله، والتمكين له في الأرض، كما تميّز الجيش الإسلامي بقيادة مؤمنة تتحلّى "بإرادة القتال" بأقوى مظاهرها، وهي من أهم عوامل النصر في أي معركة.<sup>165</sup>

<sup>165</sup> انظر: محمد شيت خطاب، بين العقيدة والقيادة، ص 345-346.

طلب قطز من الجيش الانتظار لما بعد صلاة الجمعة "لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس، وتفيء الظلال، وتهب الرياح، ويدعو لنا الخطباء والناس في صلاتهم"...، وهكذا بدأ القتال.

وفي أثناء المعركة قُتِلت زوجة قطز "جنار" وهي تجاهد، فأقبل عليها قطز وهي في الرمق الأخير وهو يقول: واحبيبتاه، فقالت له: لا تقل واحبيبتاه، ولكن قل وا إسلاماه، ثم صعدت روحها إلى الله بعد أن ذكّرته بأن أمر الإسلام والجهاد في سبيل الله أهم من الحب والعلاقات الشخصية...، وقام قطز منتفضاً وهو يردد وا إسلاماه... وا إسلاماه والجيش يرددها حتى تمّ النصر.

وبدأ المسلمون فوراً في مطاردة المغول، ودخل قطز دمشق بعد خمسة أيام من عين جالوت، وامتدت المطاردة إلى حلب، فلما شعر المغول باقتراب المسلمين تركوا ما بأيديهم من أسرى المسلمين... وقاسوا من البلاء الكثير، وخلال شهر واحد كان المسلمون بقيادة المماليك قد استعادوا بلاد الشام من المغول والتتار.<sup>166</sup>

وتعدّ هذه المعركة من المعارك الحاسمة في التاريخ؛ إذ إنها أوقفت الزحف التتري الذي لم يكن يقف أمامه شيء، وكانت بداية لسلسلة من الهزائم المتوالية أعادت المغول إلى قواعدهم، وحررت بلاد الإسلام منهم. ثم إن من استقر من المغول في بلاد الإسلام تحول إلى الإسلام، فدخلوا في دين الله أفواجا، فكان ذلك نصراً جديداً للمسلمين.

### 3. المماليك والقضاء على الصليبيين :

على الرغم من انحسار المد المغولي التتري عن فلسطين، وانتصار المسلمين في عين جالوت، إلا أن مملكة عكا الصليبية ظلّت تحتفظ بسيطرتها على المنطقة الساحلية الممتدة من يافا إلى عكا. وقد تولى سلاطين المماليك مهمة تحرير باقي أرض الإسراء، وبلاد الشام، حتى جلا آخر الصليبيين عنها بعد أكثر من ثلاثين عاماً من معركة عين جالوت.

<sup>166</sup> حول معركة عين جالوت، انظر: الهمذاني، جامع التواريخ، المجلد الثاني، ج 1، ص 310-316؛ وسعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 899-901؛ وسعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام (القاهرة: دار النهضة العربية، 1990)، ص 195-199؛ وابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 220-221.



وكان الظاهر بيبرس قد تولى خلافة السلطان قطز الذي لم يدم حكمه أكثر من سنة، وقام بدور كبير في محاربة الفرنج في بلاد الشام وتطهيرها منهم. فخرج مثلاً إلى فلسطين 664هـ/1265م فاستولى على قيسارية المحصنة، وهدم أسوارها، وهاجم قسم من جيشه عكا، وضرب حيفا، ثم سقطت أرسوف في يده في السنة نفسها. وفي السنة التالية خرج إلى فلسطين مرة أخرى، وحاصر صفد وفتحها، وهدم أسوارها. وكان يتبع سياسة مهادنة بعض الصليبيين دون الآخر، حتى لا تتجمع قواهم في وجهه. وقد مكنته هذه السياسة من تحرير أنطاكية سنة 667هـ/1268م. ويعد استيلاؤه عليها أكبر نصر حققه المسلمون على الفرنجة في الشام منذ تحرير صلاح الدين بيت المقدس سنة 583هـ/1187م.

تابع السلطان المنصور سيف الدين قلاوون المسيرة، وبدأ قلاوون يشدد الخناق على الفرنج، فاحتل حصن المرقب 684هـ/1285م، واستولى على اللاذقية 686هـ/1287م، وعلى طرابلس 688هـ/1289م.

وجد قلاوون أن الوقت قد حان لتصفية الوجود الصليبي في فلسطين، فانتهز حادثة مهاجمة الفرنج في عكا تجار المسلمين وقتلهم عدداً منهم، فأعلن الجهاد، وطلب القوات من جميع أنحاء مصر والشام، وأقام خارج القاهرة ينتظر وصول الإمدادات، ولكنه مرض فجأة وتوفي في ذي القعدة 689هـ - 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1290م، فخلفه ابنه الأشرف صلاح الدين خليل، الذي سار إلى عكا وحاصرها بمساعدة القوات الشامية، وتمكن من تحريرها في 17 جمادى الأولى 690هـ - 18 أيار/مايو 1291م بعد أن هرب ملكها هنري الثاني Henry II إلى قبرص. وبعد فتح عكا استولى الأشرف خليل على صيدا، وصور، وحيفا، وعتليت، وأمر بهدم تحصيناتها جميعاً. وهكذا سقطت آخر المعاقل الصليبية في الشرق العربي في أيدي المماليك، وانتهى وجود الفرنجة في فلسطين والشام بعد قرنين من الزمان (492-690هـ أي 1099-1291م).<sup>167</sup>

وبذلك عادت فلسطين كاملة إلى حظيرة الحكم الإسلامي الذي استمر حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين.

<sup>167</sup> الموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 447-448. ولزيد من التفصيل انظر: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج 2، ص 905-936؛ وسعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص 210-234.

## 4. دروس من التجربة:

لعل الدارس لتاريخ الحروب الصليبية، ومواجهة التتار، والجهود التي بذلت لتحرير الأرض المباركة يخرج بالنقاط البارزة التالية:

- إن الراهية التي رُفعت لتحرير فلسطين هي الراهية الإسلامية، ولم تكن راهية قومية أو علمانية أو إقليمية.
- إن الجهاد في سبيل الله هو الطريق الذي عادت عن طريقه فلسطين إلى الحكم الإسلامي.
- إن أبرز رموز الجهاد والقادة الذين حررت الأرض المباركة على أيديهم (عماد الدين زنكي، نور الدين محمود، صلاح الدين الأيوبي، قطز، بيبرس، قلاوون وابنه...) تبنا الإسلام فكراً، ومنهجاً، ووسيلة للتعبئة والتحفيد والتعبئة ضد العدو الغاصب. وكانوا بشكل عام على التزام تام بالإسلام وأحكامه، وعلى سلامة العقيدة، وحسن الصلة بالله.
- إن القادة، والأمراء، والجنود، والمتطوعة، والعلماء الذين شاركوا في الجهاد والتحرير كانوا من جنسيات ومناطق شتى (عرب، أكراد، ترك... إلخ)، وكان قاسمهم المشترك أمراً واحداً هو الإسلام وإيمانهم بحقهم المقدس في الأرض المباركة.
- إن أمر استعادة كامل فلسطين قد اقتضى نحو 200 سنة من الجهاد دون أن يتنازل المسلمون عن حقهم فيها، فكانت معركة تداولتها الأجيال حتى قطفت الثمرة النهائية للانتصار.
- وبالتالي فإن المحتل الغاصب لم يكن عدواً سهلاً، ولا ينبغي أن نتوقع من أي عدو أن يكون سهلاً (كاليهود الصهاينة في عصرنا)، كما لا ينبغي أن نفقد الأمل مهما طال الزمن، ومهما كان العدو شرساً عنيداً.
- إن هناك ارتباطاً جوهرياً بين انتصارات المسلمين، وبين مدى التزامهم بدين الله وشرعة تحكيمه في حياتهم، كما أن هناك ارتباطاً جوهرياً بين هزائم المسلمين وبين تنازعههم وتشتتهم وبعدهم عن منهج الإسلام.
- إن الفكرة الإسلامية هي الوسيلة المثلى لتحفيد وتعبئة الطاقات لتحرير أي أرض إسلامية.



## **القسم الثاني**

### **فلسطين**

**في مواجهة المشروع الصهيوني  
منذ العهد العثماني وحتى نهاية  
الاحتلال البريطاني**



# الفصل الأول

## الدولة العثمانية ومواجهة المشروع الصهيوني في فلسطين

### أولاً: العثمانيون في فلسطين: التطور السياسي:

ظلت فلسطين تحت سيطرة دولة المماليك إلى أن قامت الدولة العثمانية بالسيطرة عليها 1516-1517. وكان لدولة الخلافة العثمانية من القوة ما مكنها من السيطرة على معظم شرق أوروبا (بلغاريا، ويوغوسلافيا، ورومانيا، واليونان...) بالإضافة إلى العراق، وبلاد الشام، والحجاز، ومصر، والسودان، ومعظم المغرب العربي... وكانت إحدى أهم دول العالم وأقواها في العصر الحديث، غير أن عوامل الضعف أخذت تدب في أوصالها منذ القرن الـ 18، وأخذت تفقد تدريجياً مساحات كبيرة من أرضها، ولم تتمكن من مواكبة التطورات العلمية والحضارية في الغرب الأوروبي، وعانت من الديون والتعثر الاقتصادي، كما عانت من النفوذ الأوروبي في أرضها، بالإضافة إلى حالة الجمود الفقهي والثقافي والفكري التي عاشتها بما لم يمكنها من متابعة قضايا العصر، وتقديم الحلول المناسبة وفق رؤية واعية مستمدة من الإسلام وتراثه العظيم.

ومهما يكن من أمر، فإن الدولة العثمانية حافظت على الهوية الإسلامية لأرض فلسطين، ورسختها لأربعة قرون متواصلة، كما أن أهل فلسطين كانوا يعدّون هذه الدولة دولتهم، ويتسم موقفهم منها بالإخلاص والولاء، وكانوا، ومعهم غيرهم من المسلمين، يتمتعون بكافة الحقوق السياسية وغيرها التي يتمتع بها الأتراك. فمنذ أوائل العهد العثماني؛ كما يقول عارف العارف، أحد أكبر مؤرخي فلسطين وممن عاصر أواخر أيام الدولة العثمانية: "كان العرب بوجه عام، والفلسطينيون بوجه خاص، مخلصين في شعورهم نحو الدولة والسلطان، وكانوا على أتم الاستعداد للحرب والكفاح دون (دين الإسلام وسلطان المسلمين) وكانوا مطيعين لحكامهم

ورؤسائهم، يحاربون متى شاء هؤلاء الحكام والرؤساء دون أن يسألوا: لماذا؟ وفي سبيل أي غاية؟ ومن أجل من؟<sup>1</sup>.

وحتى أواخر أيام الدولة العثمانية كان الناس يَعُدُّون الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية، وكان أكثر رجال العرب يحسون عن شعور صادق أنهم يعيشون في دولتهم ويقومون على خدمتها،<sup>2</sup> ولم يفكر أحد من سكان البلاد في الانفصال عن الدولة العثمانية فكل ما كانوا يطلبونه هو الإصلاح ولا سيّما في أيامها الأخيرة.<sup>3</sup> وقد أكد الحاج أمين الحسيني في شهادته أمام اللجنة الملكية البريطانية سنة 1937، وكان زعيم فلسطين في تلك الفترة ورئيس "اللجنة العربية العليا"، أن العرب كانوا يتمتعون في كيان الدولة العثمانية بجميع أنواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك سياسية كانت أو غير سياسية، وكان العرب يشاطرون الأتراك جميع مناصب الدولة المدنية والعسكرية؛ فكان منهم الوزراء، ورؤساء وزارات، وقواد فيالق وفرق، وسفراء، وولاة، ومتصرفون، كما كان في مجلس النواب والأعيان العثماني عدد كبير من الأعضاء العرب بنسبة عددهم إلى عدد غيرهم من القوميات... وفوق ذلك كانت البلاد تُدار بحكم يستند على مجالس إدارية ومجالس عمومية منتخبة في الأفضية والألوية والولايات، وكان لهذه المجالس صلاحيات واسعة في الإدارة والمالية والعمران.<sup>4</sup>

وعلى سبيل المثال فإن موسى كاظم الحسيني، الذي أصبح زعيم فلسطين بعد انتهاء الحكم العثماني في الفترة 1920-1934 كان مُتصرِّف (حاكم) منطقة عسير 1892، ونجد 1896، والإحساء 1900 (والمناطق الثلاث من مناطق السعودية الحالية)، كما عمل متصرفاً بعد ذلك في بتليس وأرجيدان في الأناضول في تركيا، ثم في المنتفق في العراق، إلى أن صار متصرفاً لحوران 1912 في سورية.<sup>5</sup> وهناك الشيخ

<sup>1</sup> انظر: عارف العارف، *المفصل في تاريخ القدس* (القدس: فوزي يوسف، 1961)، ج 1، ص 365-366؛ وانظر أيضاً: أحمد الشقيري، *أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية* (بيروت: دار النهار، 1969)، ص 42.

<sup>2</sup> أحمد الشقيري، *أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية*، ص 42.

<sup>3</sup> عارف العارف، *المفصل في تاريخ القدس*، ج 1، ص 366.

<sup>4</sup> *الشهادات السياسية أمام اللجنة المالكة في فلسطين و خلاصة تقرير اللجنة* (كتاب موجود في الجامعة الأردنية) (دم.: دن.، د.ت.)، ص 17-18.

<sup>5</sup> عجاج نويهض، *رجال من فلسطين* (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981)، ص 98-99.

أسعد الشقيري، والد أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية أحمد الشقيري، الذي تولى أكبر منصب في دولة الخلافة يلي منصب "شيخ الإسلام"، كما تولى منصب مفتي الجيش العثماني الرابع...<sup>6</sup>

\*\*\*

قُسمت فلسطين في العهد العثماني إلى خمسة سناجق: القدس، وغزة، وصفد، ونابلس واللجون، وكانت ملحقة بولاية الشام، التي شكلت واحدة من ثلاث ولايات قسمت إليها بلاد الشام، والولايتان الأخريان هما حلب وطرابلس. أما الضفة الشرقية من نهر الأردن فقسمت إلى سنجقين هما عجلون والكرك مع الشوبك. ودخلت بعض التعديلات أحياناً بين فترة وأخرى، مثل إنشاء ولاية صيدا كولاية رابعة، التي ضمت سنجق صفد وسنجق صيدا مع بيروت سنة 1660، بعد القضاء على فخر الدين المعني الثاني 1635.<sup>7</sup>

وفي القرن الـ 18 انتقلت الزعامة الريفية من جبل لبنان إلى شمال فلسطين، بظهور أسرة الزيدانية، البدوية الأصل، في منطقة صفد - طبرية، واشتهرت بأنها ملتزمة بجمع الضرائب للسلطات العثمانية. واستطاع زعيم الزيدانية ظاهر العمر، 1730-1775، أن يمد نفوذه على حيفا وعكا، وأسس إمارة في شمال فلسطين، غير أنها ضعفت نتيجة ثورة أبنائه عليه، وسعى أمراء دمشق لإضعافه، ثم إن تحالفه مع حاكم مصر المملوكي علي بك واحتلالهما دمشق 1771 أثار حفيظة السلطان العثماني، وبعد أن فرغت الدولة العثمانية من حربها مع الروس 1774 تفرغت لظاهر العمر، وقضى أسطولها على حكمه سنة 1775.<sup>8</sup>

أما أحمد باشا الجزار فقد نشأ كمملوك، واعتمد على القوى المملوكية في توطيد سلطته. واستطاع السيطرة على بلاد الشام الجنوبية في الفترة ما بين قدومه مع

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 134-135؛ وانظر أيضاً: خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، سلسلة إحياء التراث الثقافي الفلسطيني، رقم 8، ط 2 (دمشق): الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، (1982)، ص 134-135؛ وأحمد الشقيري، أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية، ص 47.

<sup>7</sup> عبد الكريم رافق، "فلسطين في عهد العثمانيين (2): من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إلى العام 1326هـ/ 1918م"، في: الموسوعة الفلسطينية (بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1990)، القسم الثاني، المجلد الثاني، ص 852.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 853.

الحملة العثمانية 1775 ووفاته 1804، وكان مركز قوته ولاية صيدا، ولكنه جعل مقره في عكا، التي كان ظاهر العمر قد حصَّنها. وحكم الجزار ولاية الشام أربع مرات، بدأت أولها في 1785/2/28، دون أن يتخلى عن قاعدة حكمه في صيدا التي كان يعين عليها أحد مماليكه حين ولايته للشام.<sup>9</sup> وقد اشتهر الجزار بمقاومته لحملة نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte في عكا بالتعاون مع الأسطول الإنجليزي. وكان الفرنسيون قد احتلُّوا خان يونس في 1799/2/26، والرملة في 2 آذار/ مارس، وبعد ذلك بأربعة أيام احتلُّوا يافا، حيث ارتكبوا فيها مذبحه وحشية بقتل ألفين من حاميتها بعد استسلامها، لأن نابليون لم يكن يرغب في تحمل تكاليف إطعامهم وحرستهم. وبدأ حصار الفرنسيين لعكا في 18 آذار/ مارس، وفي تلك الأثناء احتلوا صفد والناصرية في 31 آذار/ مارس، وبعد ذلك بأربعة أيام احتلوا صور؛ غير أنهم فشلوا أمام أسوار عكا وسمود حاميتها وأهلها، ولذلك عرفت عكا بـ"قاهرة نابليون". وانسحب الفرنسيون إلى مصر في 1799/5/20.<sup>10</sup>

وفي 1831/10/29 انطلقت حملة محمد علي باشا المصرية لاحتلال الشام، بقيادة ابنه إبراهيم باشا فاحتلت غزة، ويافا، وحيفا، والقدس، والجليل دون مقاومة. وحاصرت عكا من 1831/11/26 براً وبحراً وحدث قتال ضارٍ حتى استسلمت في 1832/5/28. ثم تابع إبراهيم باشا احتلال بلاد الشام حتى دخل حلب في 1832/7/17. وهزم العثمانيين في معركة بيلان في 1832/7/30، ثم توغل في الأناضول وهزمهم عند قونية في 1832/12/21. وتمّ الصلح بين الفريقين في كوتاهية في أيار/ مايو 1833 بتدخل الدول الأوروبية. وبناء عليه، وُضعت الشام تحت حاكم مدني يتبع محمد علي، وقسمت الشام لمديريات أو متسلميات.<sup>11</sup> وحدثت اضطرابات ضدّ الحكم المصري بسبب فرض ضريبة جديدة، وبسبب التجنيد الإجباري، حيث هاجر كثيرون منازلهم وأعمالهم تحاشياً له، وبسبب جمع السلاح من الناس لمنعهم من الثورة، بينما كان الناس في الشام يعدونه جزءاً من حياتهم وثقافتهم... وهو ما دفع الناس للثورة في أيار/ مايو 1834 وانتشرت بشكل واسع، غير أن إبراهيم باشا تمكن من قمعها بشدة.<sup>12</sup>

<sup>9</sup> المرجع نفسه.

<sup>10</sup> المرجع نفسه، ص 854.

<sup>11</sup> المرجع نفسه، ص 858.

<sup>12</sup> المرجع نفسه، ص 859-860.



وخلال حكم محمد علي حدث انفتاح على الطوائف المسيحية واليهودية، واستفيد من خبراتهم بشكل واسع؛ وألغيت عنهم أي إجراءات "تمييزية" تمسهم، وأعفوا من الضرائب والعوائد التي كان يقتطعها الحكام والمتنفذون المحليون (مع الإبقاء على الجزية)، فانتعشت هذه الطوائف، وسُمح لها بترميم الكُنُس والكنائس، وتدفقت البعثات "التبشيرية". وتمّ السماح لبريطانيا بافتتاح قنصلية لها في القدس سنة 1838، ومنذ ذلك الوقت، تولى البريطانيون رعاية المصالح اليهودية هناك؛ كما انفتح المجال لتدخل قناصل الدول الأوروبية وممثليها وحماية مصالح اليهود الذين يحملون جوازات هذه الدول. وقد أورث ذلك وضعاً يصعب التعامل معه، بعد عودة الحكم العثماني لفلسطين. كما أثار الحكم المصري كثيراً من أهل فلسطين والشام، بسبب سياسات الحكم المصري وإجراءاته، بالإضافة إلى ولائهم للدولة العثمانية التي استصدرت الفتاوى الدينية ضد هذا الحكم، عندما أخذ بالسيطرة على الشام، بسبب خروجه عن السلطان، وجرّدت محمد علي وإبراهيم باشا من رتبة الوزارة (الولاية) وأباحت دمهما.

وبعد مؤتمر لندن في 15/7/1840 الذي تقرر فيه انسحاب القوات المصرية من الشام، قامت قوات عثمانية وقوات بريطانية داعمة، بإجبارها على ذلك، ودخل العثمانيون عكا في 26/10/1840، والقدس في 22/12/1840. واضطر إبراهيم باشا لمغادرة دمشق في 20/12/1840، حيث تعرض لهجمات الفلاحين والبدو في طريقه، وعندما وصل غزة أوائل كانون الثاني/يناير 1841 كان قد فقد معظم جيشه وعتاده وحيوانات نقله. ثم غادر بحراً إلى مصر بينما غادر أفراد جيشه غزة براً.<sup>13</sup>

في الفترة 1841-1860 مارس العثمانيون سلطتهم بين مدّ وجزر، واعترفوا بالزعماء المحليين حكاماً ومحصلي ضرائب مثل مصطفى أبو غوش في منطقة جبال القدس والطرق المؤدية لها، وعبد الرحمن عمرو في جبال الخليل. وحاول العثمانيون توطيد الأمن في القدس والخليل فأنشأوا سنة 1854 ولاية قائمة بذاتها ترتبط بإسطنبول مباشرة، وضمت أيضاً غزة ونابلس. ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية الدولة العثمانية حدث استقرار وأمن عام في مناطق فلسطين.<sup>14</sup>

<sup>13</sup> المرجع نفسه، ص 860.

<sup>14</sup> المرجع نفسه، ص 860-861.

صدر قانون تشكيل الولايات سنة 1864، قسمت الشام لولايتين هما ولاية سورية وولاية حلب. وقسمت الولاية إلى متصرفيات والمتصرفية إلى قائمقاميات. وقد فصلت متصرفية القدس عن ولاية سورية 1873 وارتبطت مباشرة بإسطنبول، وازدادت أهميتها بسبب تدخل الدول الأوروبية والمؤسسات الدينية وخصوصاً اليهود بفلسطين بالهجرة وشراء الأراضي، مما أوجد وضعاً خاصاً اقتضى ربطها مباشرة بإسطنبول. وضمّ لواء القدس الشريف (أو سنجق) أفضية يافا، وبئر السبع، وغزة، والخليل. وقد تشكلت في بلاد الشام ولاية ثالثة هي ولاية بيروت سنة 1887 نظراً لصعود الأهمية السياسية والتجارية لبيروت آنذاك. وضمت إليها شمال فلسطين، بما في ذلك سنجق عكا (أفضية حيفا، وطبرية، وصفد، والناصرة؛ ومركزه عكا) وسنجق البلقاء - نابلس (نابلس وقضائي جنين وبني صعب (طولكرم)).<sup>15</sup> وظلّ سنجق القدس مرتبطاً بالباب العالي بإسطنبول.

\*\*\*

ويُعدّ السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) آخر السلاطين العثمانيين الذين كان للوابع الديني في عهدهم الدور الأول، حيث كان يتم بواسطة الولاء للفكرة الإسلامية تحقيق استقرار الشعوب المسلمة المتباينة الأجناس والأقاليم.<sup>16</sup> وفي غمرة التحديات التي عصفت بالدولة العثمانية، والمشاكل التي واجهتها، ظهرت أفكار متعددة تدعو للإصلاح، إلا أن السلطان عبد الحميد، ومعه في ذلك العديد من المفكرين كجمال الدين الأفغاني، رأوا أن قوة المسلمين تكمن في وحدتهم تحت راية الخلافة الإسلامية والتي تستطيع بما تملكه من سلامة المنهج وأصالة التجربة الحضارية أن تواجه الحضارة الغربية، وتوقف التوسع الاستعماري الأوروبي،<sup>17</sup> لقد رأى السلطان عبد الحميد أن القوة التي ينشدها تكمن في الإسلام، وفي ذلك يقول

<sup>15</sup> المرجع نفسه، ص 862-863.

<sup>16</sup> بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، سلسلة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رقم 57 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)، ص 11.

<sup>17</sup> محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة: انبعاثها ومظاهرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.)، ص 187.



”إن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء، ونحن أمة حية قوية، ولكن شرط أن نصدق في ديننا العظيم“.<sup>18</sup>

وحاول السلطان عبد الحميد أن يبعث الحيوية في نظام الخلافة من جديد فعمد إلى توثيق سلطة الخليفة على المسلمين وإعطاء الخلافة هيبتها ومكانتها، وحرص، إنجاحاً لسياسته، على أن يكمل الخط الحديدي الحجازي سنة 1908، الذي يصل القسطنطينية بالمدينة المنورة، والذي جُمعت ثلث تكاليفه من المسلمين في العالم.<sup>19</sup> وخلال أيام عبد الحميد كانت فكرة الجامعة الإسلامية ذائعة الصيت ومنتشرة بين الناس، ولم يفكر العرب طوال حكمه بالانفصال عن الدولة لأن أهم أسباب الثورة العربية—فيما بعد—كانت سياسة التتريك التي اتبعتها جمعية الاتحاد والترقي Committee of Union and Progress التي حكمت بعد عبد الحميد.<sup>20</sup>

## ثانياً: خلفيات ظهور المشروع الصهيوني في التاريخ الحديث:

فَقَدَ اليهود صلتهم بفلسطين عملياً مدة 1,800 عام، ولم يكن لديهم سوى العاطفة الدينية، التي رفض أبحارهم وحاخاماتهم وقادتهم تحويلها إلى برنامج عملي؛ لأنهم كانوا يؤمنون أنهم استحقوا تدمير دولتهم وشتاتهم بسبب خطاياهم، وأن عليهم انتظار المسيح المخلص الخاص بهم ”الماشياح Mashiah“ أو ”المسيا Messiah“، وعند ذلك يجوز لهم الاستقرار في فلسطين وإقامة كيانهم.

على أن عدداً من التغيرات المهمة حدثت في التاريخ الأوروبي الحديث، انعكست بدورها على اليهود وإنشاء المشروع الصهيوني. فمنذ القرن الـ 16 الميلادي ظهرت حركة الإصلاح الديني ”الحركة البروتستانتية“ التي ركزت على الإيمان بالعهد

<sup>18</sup> مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد (القاهرة: دار الأنصار، 1978)، ص 13.

<sup>19</sup> انظر: فيليب حنّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي (بيروت: دار الثقافة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، 1959)، ج 2، ص 349؛ ولوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ترجمة عفيفة البستاني (موسكو: دار التقدم، 1971)، ص 382.

<sup>20</sup> بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 11.

القديم "التوراة"، ونظرت لليهود وفق رؤية توراتية بأنهم "أهل فلسطين" المشردين في الأرض، وآمن الكثير من البروتستانت بنبوءة العهد الألفي السعيد؛ بأن اليهود سيُجمعون من جديد في فلسطين، استعداداً لعودة المسيح المنتظر الذي سيقوم بتنصيرهم، ثم يقودهم في معركة أرمجدون Armageddon، حيث ينتصر على أعدائه، ليبدأ بعد ذلك عهد يمتد ألف عام من السعادة. وقد شكّل أتباع الكنائس البروتستانتية أغلبية سكان بريطانيا، والولايات المتحدة، وهولندا، ونحو نصف سكان ألمانيا. وهكذا ظهرت "الصهيونية غير اليهودية" خصوصاً وسط هؤلاء البروتستانت، الذين دعموا المشروع الصهيوني بناء على خلفية دينية.<sup>21</sup>

لقد ظهرت بواكير الدعوات، أطلقها اليهود و"الصهاينة غير اليهود"، لما يُسمى "العودة" إلى فلسطين في القرن الـ 16، مروراً بأول كتاب صدر حول هذا الموضوع بقلم المحامي البريطاني هنري فنش Henry Finch سنة 1621، بعنوان "البعث العالمي الكبير أو عودة اليهود The World's Great Restauration/ Calling of the Jews"، كما ظهرت في كتابات ودعوات النصارى أمثال إسحق نيوتن Isaac Newton (1643-1727)، وجان جاك روسو Jean-Jacques Rousseau (1712-1778)، وجوزيف بريستلي Joseph Priestley (1733-1804)، وأنتوني شافتسبري Anthony Shaftesbury، ولورنس أوليفانت Laurence Oliphant. وظهرت كذلك دعوات اليهود أمثال شبتيي تسفي Shabbetai Tzvi (1626-1676)، وزفي هيرش كاليشر Zvi Hirsch Kalischer (1795-1874)، ويهودا القالي (القلعي) Judah Alkalai (1798-1878)، وموزيس هس Moses Hess (1812-1875)، وغيرهم.<sup>22</sup> غير أن قدوم اليهود ظلّ مرتبطاً بالعاطفة الدينية التقليدية في زيارة الأماكن المقدسة، أو السكن بجوارها، كما ارتبط بمشاريع استيطانية "خيرية"، ولم يأخذ طابع البرنامج السياسي المنظم المكشوف. فقد كان عدد اليهود في فلسطين سنة 1799 نحو 5 آلاف،<sup>23</sup>

<sup>21</sup> انظر حول هذا الموضوع: ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة رقم 96 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول/ ديسمبر 1985).

<sup>22</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 79-81؛ وأسعد عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية 1882-1982 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص 27-30.

<sup>23</sup> حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص 82-84.



وفي سنة 1876 بلغ 13,920 يهودياً.<sup>24</sup> ولم يأخذ المشروع الصهيوني أبعاداً جدية إلا قبيل نهايات القرن الـ19.

ومن جهة أخرى فإن أوروبا، خصوصاً في القرن الـ19، شهدت تحولات سياسية مهمة، فمنذ الثورة الفرنسية على الحكم الملكي سنة 1789 أخذت تتشكل الدولة الأوروبية الحديثة، وانتشرت الفكرة القومية والمشاعر الوطنية، وتمّ إنشاء أنظمة علمانية فصلت الدين عن الدولة وهمّشت دور الكنيسة. وتمّ "تحرير" اليهود وإعطائهم كافة حقوق المواطنة، خصوصاً في أوروبا الغربية، مما سهل على اليهود اختراق هذه المجتمعات والأنظمة، والارتقاء بمكانتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق مستويات أعلى من النفوذ في دوائر السياسة والاقتصاد والإعلام.

وفي المقابل فإن الدولة القومية والمشاعر الوطنية في روسيا وأوروبا الشرقية قد أخذت منحى آخر، حيث كان يتواجد غالبية يهود العالم. إذ قاوم يهود روسيا عمليات الدمج والتحديث الروسية، التي تميزت بالفوقية، والقسر، والإرهاب. وزادت مشاركة الكثير من اليهود في الحركات الثورية اليسارية من عداة الحكومة القيصرية الروسية لهم، وانفجرت العداوة ضدهم بشكل مكشوف إثر اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني (Alexander II (Aleksandr Nikolayevich) سنة 1881، والذي اتهم به اليهود. وبدأت موجة من الإجراءات العنيفة القاسية ضدهم سميت بـ"اللاسامية Anti-Semitism"، أي العداة لليهود لكونهم يهوداً ينتمون إلى العنصر السامي، وقد أدى ذلك إلى نشوء "المشكلة اليهودية"<sup>25</sup>؛ إذ إن ملايين اليهود في روسيا أخذوا يبحثون عن فرصة للخلاص مما هم فيه، وبدأت أعداد هائلة منهم في الهجرة إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية. وكانت هذه فرصة الحركة الصهيونية للظهور والدعوة إلى حلّ المشكلة اليهودية، بإنشاء كيان آمن مستقل

<sup>24</sup> سمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني (بيروت: دار الحدّثة للطباعة والنشر، 1984)، ج 1، ص 280.

<sup>25</sup> انظر حول هذا الموضوع في: عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة رقم 60-61 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول/ ديسمبر 1982 - كانون الثاني/ يناير 1983)، ج 1، ص 89-116؛ وأسعد عبد الرحمن، المنظمة الصهيونية العالمية، ص 23-26.

لليهود في فلسطين. وتعاطف الكثير من الأوروبيين والأمريكان مع هذه الدعوة، سواء لخلفياتهم الدينية، أم تخلصاً من أعباء التدفق اليهودي على أرضهم.

### بروز العوامل الاستراتيجية والسياسية:

أسهم تراجع قوة الدولة العثمانية، خصوصاً منذ أواخر القرن الـ18، وسعيّ الدول الغربية لتقاسم أراضيها، إلى بروز أجواء عملية أفضل لتأسيس المشروع الصهيوني. إذ كانت هناك رغبة غربية بملء الفراغ الذي سينتج عن سقوط الدولة العثمانية، ومنع نهوض قوة إسلامية كبرى تُخلف العثمانيين.

لقد لفتت حملة نابليون بونابرت إلى مصر، التي احتلها بسهولة في تموز/ يوليو 1798، الأنظار إلى مدى ضعف الدولة العثمانية، وفتحت شهية الاستعمار الأوروبي لاقتسام تركة هذه الدولة، بالرغم من أن حملة بونابرت على فلسطين انتهت بالفشل على أسوار مدينة عكا سنة 1799.<sup>26</sup>

ولم تكن الأهمية الخاصة لمصر وبلاد الشام لتغيب عن أعين البريطانيين الذين كانوا القوة الكبرى الأولى في العالم، فافتتحت بريطانيا قنصلية لها في القدس سنة 1838. وفي أول رسالة لنائب القنصل في القدس، طلبت الخارجية البريطانية منه توفير الحماية لليهود، حتى وإن كانوا غير بريطانيين، ولذلك ظلت هذه القنصلية مركزاً للدفاع عن مصالح اليهود حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1914.<sup>27</sup> وعندما تمّ للبريطانيين السيطرة على قبرص سنة 1878، ومصر سنة 1882، أصبحت الدولة الاستعمارية الوحيدة التي لها قواعد شرقي البحر المتوسط. وإضافة إلى الخلفيات الدينية والتاريخية، فقد صارت بريطانيا تنظر إلى فلسطين في ضوء التنافس الاستعماري على المنطقة، وفي ضوء حاجتها لحماية الجناح الشرقي لقناة السويس التي أصبحت الشريان الحيوي للمواصلات البريطانية خصوصاً إلى الهند. وعندما تأسس المشروع الصهيوني، وظهرت فكرة الدولة الحاجزة، فإنها كانت تخدم

<sup>26</sup> انظر: ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ص 106-110؛ والموسوعة الفلسطينية، إشراف أحمد المرعشلي (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ج 2، ص 279.

<sup>27</sup> Albert H. Hyamson, *Palestine under the Mandate 1920-1948* (Great Britain: Methuen, 1950), p. 7.



بلا شك، مختلف الدوافع والخلفيات الدينية والحضارية والسياسية والاستراتيجية. وأصبحت تتخذ أبعاداً عملية يمكن تنفيذها في ضوء التدهور العثماني المتسارع.

وقد ظهرت في ذلك الوقت فكرة إنشاء دولة حاجزة شرقي قناة السويس وغربي بلاد الشام، في أواخر القرن الـ19، بحيث يتم غرس كيان غريب في قلب العالم الإسلامي، يفصل جناحه الآسيوي عن جناحه الإفريقي، ويمنع وحدته، ويضمن ضعفه وتفككه، إذ إن استمرار مثل هذا الكيان مرتبط بمدى ضعف من حوله. وسيسعى هذا الكيان بالتالي لضرب أي نمو حضاري قوي في المنطقة، وسيشغل العالم الإسلامي بمشكلة طويلة معقدة تستنزف طاقته وجهوده، وتبقيه إلى أبعد مدى ممكن في فلك التبعية والضعف والحاجة للعالم الغربي، كما تبقيه مصدراً للمواد الخام وسوقاً للمنتجات الغربية. وكما أن هذا الكيان سيكون بحاجة إلى دعم الغرب لضمان استمراره، فإن الغرب كذلك سيكون بحاجة إليه لضمان ضعف العالم الإسلامي وتفككه وتبعيته. وبذلك ينشأ بينهما تحالف لا ينفصم. وهنا تكمن أهمية أن يفهم المسلمون أن هذا المشروع موجّه ضدّ كل مسلم وآماله في الوحدة، والنهضة، والتقدم، وليس ضدّ الفلسطينيين وحدهم.

لقد عانى الغرب الصليبي من قرون طويلة من الصراع مع المسلمين، كانت فيه اليد الطولى للمسلمين نحو 11 قرناً، وما كانت لتنتهي دولة مسلمة حتى تحل مكانها دولة مسلمة تجدد الحيوية في هذه الأمة، وتحفظ عزتها وكرامتها، فكانت دول الراشدين والأمويين والعباسيين والمماليك. وتمكن العثمانيون الذين خلفوا المماليك من فتح معظم أوروبا الشرقية، ومن توحيد العالم العربي تحت رايتهم فكانوا حصناً عظيماً للإسلام قرون عديدة. غير أن ضعف الدولة العثمانية خصوصاً في القرن الـ19 وأوائل الـ20 جعل الأوروبيين يفكرون بطريقة تضمن ألا تقوم بعد ذلك للعالم الإسلامي قائمة، وألا تحل محل العثمانيين دولة مسلمة جديدة، تبعث الحيوية والنهضة فيهم، فكانت فكرة الدولة الحاجزة، التي توافقت مع فكرة حلّ المشكلة اليهودية، ومع فكرة حماية الجناح الشرقي لقناة السويس.

### ثالثاً: بدايات الاستيطان والهجرة اليهودية:

تُظهر الوثائق العثمانية أن اليهود لا تكاد تكون لهم أملاك تُذكر في فلسطين، فمثلاً، حسب دفتر 342، في سنة 970هـ - 1562م، في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني بإسطنبول، حول ملكية لأرض:

لم ترد فيه أية وقفية أو ملكية مسجلة باسم أي يهودي؛ لا في القدس الشريف ولا قراها ولا الخليل ولا نواحيها، فلا بيت ملكوه، ولا قاعة، ولا جنينة، ولا بستان، ولا حاكورة، ولا قطعة أرض، ولا غراس، ولا مزارع، ولا قرى، أو بلدات، أو دكاكين، أو حواصل، أو مخازن، أو غيرها؛ حتى إن مقبرة اليهود الكائنة في رأس العمود قرب سلوان، كانت من الأوقاف الإسلامية المؤجرة لليهود لدفن موتاهم. وهي من وقف صلاح الدين بالقدس، أُجرت لهم سنة 967هـ - 1559م.<sup>28</sup>

وفي سنة 1061هـ - 1650م، أُجرت الأرض الوعر المعروفة بالثوري لليهود القرائن لدفن موتاهم، دون مشاركة اليهود الأشكناز (الغربيين).<sup>29</sup>

ولسنوات طويلة، كان اليهود القاطنون في القدس يستأجرون البيوت في الحارات التي أقاموا فيها في القدس من الملاك المسلمين. وفي ذي الحجة 1274هـ - آب/أغسطس 1858م صدر قانون متعلق بالأراضي وحيازتها، يتطلب من مالكي الأراضي تسجيل الملكية. حيث سعت الدولة العثمانية لممارسة سيطرة أكبر على المنطقة، كما سعت لزيادة الإيرادات الضريبية. ومع ذلك، لم يجد صغار المزارعين ضرورة لتسجيل أراضيهم، ربما خوفاً من دفع الضرائب المترتبة، أو تهرباً من الخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت مفروضة على مالكي الأراضي. ولذلك، كانت عمليات التسجيل نفسها عرضة للتلاعب. وحدث أن تمّ تسجيل الأراضي المملوكة، بشكل جماعي لسكان قرية ما باسم مالك واحد، كما تمّ تسجيل مساحات كبيرة من الأراضي بأسماء تجار ومسؤولين عثمانيين محليين. وبالتالي، أصبحت هذه الأراضي ملكية قانونية لأشخاص ربما لم يعيشوا هناك أبداً، بينما أصبح السكان المحليون، حتى أولئك الذين عاشوا على الأرض لعدة أجيال، من الناحية القانونية، مستأجرين من "أصحاب الأرض الغائبين".

<sup>28</sup> محمد عيسى صالحية، مدينة القدس.. السكان والأرض (العرب واليهود) 1275-1368هـ/

1858-1948م (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 13.

<sup>29</sup> المرجع نفسه.

وفي 1869 صدر قانون تملك الأجانب، حيث لم يكن يسمح لهم بالتملك لأي سبب قبل ذلك. وقد سُمح بالتملك في جميع أجزاء الدولة للأفراد والمؤسسات، عدا الحجاز، ثم أُضيفت القدس لاحقاً.<sup>30</sup>

وقد واجه الفلاحون صعوبات في سداد الضريبة التي فرضها قانون الأراضي، بينما استغل المرابون الوضع بعرض ربا يصل إلى 30%، فاضطر الفلاحون للالتجاء إلى الأثرياء، بوضع الأرض لديهم برسم الأمانة لحين السداد. وقام 26 من الملاك في القدس والخليل بتسجيل 162 ألف دونم (الدونم يساوي ألف متر مربع) من أملاك فلاحي المنطقتين. ومنذ سنة 1869 اضطرت الدولة العثمانية لبيع أراضٍ أميرية لتوفير بعض الأموال لخزينتها، فبيعت أراضٍ واسعة في المزادات، اشترت نصيباً كبيراً منها عائلات ثرية لبنانية بقصد الاستثمار. فمثلاً اشترت عائلة سرسق نحو 500 ألف دونم، منها 240 ألفاً في مرج ابن عامر، و60 ألفاً في الحولة.<sup>31</sup>

وفي مثل هذه الأجواء وجد اليهود الصهاينة منافذ لشراء الأراضي، والتعامل مع شخصيات أو عائلات طارئة تملك الأرض بقصد التجارة.

وقد بدأت حركة الاستيطان اليهودي في القدس خارج الأسوار، حين حصل السير موشيه مونتفيوري Sir Moses Haim Montefiore على فرمان سلطاني، سمح له بموجبه بشراء قطعة أرض من جهة باب الخليل، حيث تم ذلك سنة 1855، وصدرت رخصة البناء في 1859، واشترطت أن يكون البناء على بعد 2,500م من الأسوار. وقد أقيم البناء على مساحة مجموعها 66,225م<sup>2</sup>، وكان مكوناً من 20 بيتاً زادوا إلى 34 بيتاً، سكنها 104 أشخاص من "فقراء اليهود" كما ادعى مونتفيوري. وهذا أول حي يهودي عُرف باسم "يمين موشيه Yemin Moshe" أو حي المونتفيورية. وفي سنة 1282هـ - 1865م بُني حي "بيت محفاة" على مساحة 35 دونماً، وكان مكوناً من 30 بيتاً. ثم اشترى حاخام المغاربة ديفيد بن شمعون David ben Shimon سنة 1285هـ - 1868م أرضاً قرب بركة ماميلا Mamila Pool (مأمن الله) وأقام عليها مساكن لطائفته وعرف باسم حي "محنيه يسرائيل Mahane Israel". ثم تولى بناء الأحياء.<sup>32</sup>

<sup>30</sup> المرجع نفسه، ص 15.

<sup>31</sup> المرجع نفسه، ص 16.

<sup>32</sup> المرجع نفسه، ص 22.

أخذت الهجرة اليهودية تتخذ طابعاً أكثر تنظيماً وكثافة منذ سنة 1882 إثر تصاعد "المشكلة اليهودية" في روسيا، وقامت السلطات العثمانية بعدد من الإجراءات لمنع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وقامت سنة 1887 بفصل سنجق القدس عن ولاية سورية، ووضعته مباشرة تحت إشراف الحكومة المركزية (الباب العالي) لإعطاء رعاية واهتمام أكبر لهذه المنطقة.<sup>33</sup> وبالرغم من أن عدد اليهود الذين تركوا بلدانهم الأصلية، خصوصاً روسيا وشرقي أوروبا، بلغ مليونين و367 ألف شخص خلال الفترة 1881-1914، إلا أن عدد من استطاع الهجرة منهم إلى فلسطين بلغ نحو 55 ألفاً، أي ما نسبته 2.32%، بينما هاجرت الأغلبية الساحقة إلى الولايات المتحدة، وأوروبا الغربية، وأمريكا الجنوبية.<sup>34</sup> وهذا يدل على نجاح نسبي للسلطات العثمانية في الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وقد كان إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية World Zionist Organization (WZO)، وانعقاد مؤتمرها الأول في بال بسويسرا في 29-31/8/1897 بزعامة ثيودور هرتزل Theodor Herzl، فاتحة العمل الصهيوني السياسي المؤسسي المنظم لتأسيس الدولة اليهودية على أرض فلسطين. وقد حرص هرتزل على تحقيق المشروع الصهيوني من خلال الاتصالات الدبلوماسية، ومحاولة تشجيع القوى الكبرى، وخصوصاً بريطانيا، على تبني هذا المشروع، في ضوء المصالح والفوائد التي يمكن أن يجنيها الغرب الاستعماري الصليبي، وقد حاول هرتزل عبثاً إقناع الدولة العثمانية ببيع فلسطين وإعطاء اليهود حكماً ذاتياً فيها تحت السيادة العثمانية، وفتح أبواب الهجرة اليهودية إليها مقابل عروض مغرية، كانت الدولة العثمانية في أمس الحاجة إليها. إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) وقف سداً منيعاً ضد رغبات اليهود، وردّ على من نقل اقتراح هرتزل إليه قائلاً:

أنصحه ألا يسير أبداً في هذا الأمر. لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد؛ لأنها ليست لي بل لشعبي. ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية

<sup>33</sup> انظر: حسان حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ص 101-105.

<sup>34</sup> انظر: وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974)، ص 36. وقد قدّرت مراجع أخرى عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال الفترة 1882-1914 بنحو 55-70 ألفاً، انظر مثلاً: صبري جريس وأحمد خليفة (محرران)، دليل إسرائيل العام (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996)، ص 40.



بإراقة دمائهم، وقد غزوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا... ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأبيّ غرض كان.<sup>35</sup>

وقد شارك اليهود بفعالية في إسقاط السلطان عبد الحميد من منصبه، من خلال انبثاقهم ونفوذهم الكبير في جمعية تركيا الفتاة Young Turks وذراعها لجنة الاتحاد والترقي، والتي قامت بالانقلاب العسكري عليه، وإجباره على التنازل عن العرش، وتعمدت إرسال أحد زعمائها، وهو إيمانويل قره صو Emmanuel Carasso (وهو زعيم يهودي صهيوني ماسوني) ضمن الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد بقرار عزله. وكان قره صو هذا قد حاول التأثير على السلطان عبد الحميد لإسكان اليهود في فلسطين، فقام بطرده.<sup>36</sup> وقد حظي اليهود بنفوذ كبير تحت حكم الاتحاد والترقي خلال الفترة 1909-1914، فبينما كان لليهود ثلاثة وزراء من أصل 13 وزيراً في حكومة الاتحاد والترقي التي تشكلت سنة 1913، كان للعرب الذين يزيد عددهم عن نصف السكان وزير واحد.<sup>37</sup>

وقد كان لأبناء فلسطين نشاط مبكر في مواجهة المشروع الصهيوني، وترجع أولى علامات المقاومة الفلسطينية المسلّحة إلى سنة 1886 (أي قبل الاحتلال البريطاني بـ 31 عاماً)، عندما هاجم الفلاحون المطرودون من الخضيرة وملبس (بتاح تكفا) اليهود في قراهم المغتصبة التي أُجّلوا عنها رغماً عنهم، بعد أن اشتراها المستوطنون اليهود من ملاك كبار. وقد دفع ذلك السلطات العثمانية إلى فرض قيود مشددة على الهجرة والاستيطان اليهودي. وتزايد بعد ذلك الوعي بمخاطر المشروع الصهيوني، فقد احتج وجهاء القدس المسلمين ضدّ رشاد باشا متصرف القدس في أيار/مايو 1890 عندما أبدى محاباة للصهاينة، وقدموا عريضة لرئيس وزراء الدولة العثمانية في 1891/6/24 طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس إلى فلسطين، وتحريم استملاكهم للأراضي فيها. كما نشطت الصحف في تبيان الخطر الصهيوني

<sup>35</sup> سمير أيوب، وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ج 1، ص 128.

<sup>36</sup> انظر: صالح أبو بصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص 33.

<sup>37</sup> عجّاج نويّهض، رجال من فلسطين، ص 326-327.

مثل جريدتي الكرمل وفلسطين، وغيرهما. وكان للشيخ محمد رشيد رضا المصلح الإسلامي "اللبناني" المقيم في مصر من خلال مجلة المنار دور رائد في ذلك. وبرز في التحذير من الخطر الصهيوني من رجالات فلسطين يوسف ضيا الخالدي، ومفتي القدس محمد طاهر الحسيني، وسليمان التاجي الفاروقي، وإسعاف النشاشيبي؛ وممثلو مناطق فلسطين في البرلمان العثماني أمثال روجي الخالدي وسعيد الحسيني. كل ذلك، كان له دور مهم في زيادة الوعي، وتعبئة الجماهير ضد المشروع الصهيوني، قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914.<sup>38</sup>

### رابعاً: قضية فلسطين في الحرب العالمية الأولى 1914-1918:

مع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914 كان قد بلغ عدد اليهود في فلسطين نحو 80 ألفاً، غير أن موقف اليهود المماليء لبريطانيا وحلفائها ضد الدولة العثمانية قد جعل العثمانيين يضيّقون عليهم فترة الحرب (1914-1918)، فانخفض عددهم مع نهايتها إلى نحو 55 ألفاً.

وقد كانت الحرب العالمية الأولى خطراً هائلاً على الجميع، لكنها مثلت في الوقت نفسه فرصة أمام كل طرف للانتفاع من نتائجها في حالة الانتصار، فنشط سوق المفاوضات والاتصالات السرية، والمعاهدات لترتيبات ما بعد الحرب. وعلى الرغم من أن المنظمة الصهيونية العالمية عانت مؤقتاً من حالة من التشتت بسبب وجود الكثير من قياداتها في ألمانيا، إلا أن حاييم وايزمان Chaim Weizmann استطاع إعادة ترتيب أوراقها، وقيادتها عملياً من خلال مركزه في بريطانيا. أما بريطانيا فقد سعت إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام والعراق من خلال السير في ثلاثة اتجاهات متعارضة متضاربة، ولم تبال بهذا التعارض كثيراً في سبيل تحقيق أهدافها والانتصار في الحرب.

كان الاتجاه الأول التفاوض مع الشريف حسين بن علي أمير الحجاز (مراسلات حسين - مكماهون Hussein-McMahon Correspondence تموز/ يوليو 1915 - آذار/ مارس 1916) لدفعه لإعلان الثورة العربية على العثمانيين مقابل وعود

<sup>38</sup> انظر حول هذا الموضوع في: عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط 9 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985)، ص 37-67.



باستقلال معظم المناطق العربية في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق تحت زعامته. وكان الكثير من رجالات العرب قد أصيبوا بالإحباط جرّاء سياسات الاتحاد والترقي، التي أفقدت الدولة العثمانية مصداقيتها الإسلامية، كما غضبوا لقيام جمال باشا الصغير والي سورية، بتعليق العديد من القيادات العربية على أعواد المشانق في أيار/ مايو 1915، بالرغم من أن زعامات الجمعيات العربية كانت قد أعلنت في بداية الحرب تناسي خلافاتها مع العثمانيين، والوقوف إلى جانبهم في محاربة "الكفار".

وقد تعمّدت بريطانيا سياسة عدم الوضوح في تحديد التزاماتها، وضغط الشريف حسين على بريطانيا لتكون أكثر تحديداً، خصوصاً فيما يتعلق بحدود الدولة العربية المقترحة، فأرسلت بريطانيا في 1915/10/24 عدداً من التحفظات على الحدود، كمطالبتها بعدم ضمّ إقليميّ مرسين وأضنة، وكذلك المناطق التي تقع إلى الغرب من سناجق حلب وحمص وحمّاة ودمشق، إضافة إلى استمرار استعمارها لجنوب اليمن وإمارات الخليج العربي، ومطالبتها بوضع إداري خاص لجنوب العراق يكفل المصالح البريطانية. وبالرغم من أن الشريف حسين كان يفهم أنه لا يستطيع تغيير شيء بالنسبة للبلدان العربية المستعمرة، كما أنه عبّر عن استعداده لمناقشة المصالح البريطانية في جنوب العراق، إلا أنه أصر على عروبة المناطق غربي مناطق حلب وحمص ودمشق (وهو ما فهم أن المقصود منها ما يعرف الآن بלבنان). وقد تمّ الاتفاق على ضرورة المسارعة في إعلان الثورة على أن تتم مناقشة الأمور المعلقة بعد انتهاء الحرب. فقام الشريف حسين بإعلان الثورة في الحجاز في 1916/6/10 وتحالف علناً مع البريطانيين، وأيدته في ذلك الجمعيات العربية، التي كان لها نفوذ قوي خصوصاً في بلاد الشام، كالعربية الفتاة، واللا مركزية، والعهد.

أما الاتجاه البريطاني الثاني فكان التفاوض مع فرنسا (انضمت بعد ذلك روسيا للمفاوضات) بشأن مستقبل العراق وبلاد الشام. وقد تمّ الاتفاق فيما يعرف باتفاقية سايكس-بيكو Sykes-Picot Agreement في أيار/ مايو 1916 على إعطاء البريطانيين معظم العراق (مقارنة بحدوده الحالية)، وشرق الأردن، ومنطقة حيفا في فلسطين؛ أما لبنان وسورية فتوضعان تحت الاستعمار الفرنسي. ونظراً لرغبة كافة الأطراف في استعمار فلسطين، فقد اتُفق على أن توضع تحت إشراف دولي.

## اتفاقية سايكس - بيكو 1916



وكان الاتجاه البريطاني الثالث هو التفاوض مع المنظمة الصهيونية العالمية حول مستقبل فلسطين. وقد دفعهم إلى ذلك حاجتهم الماسة لاستخدام النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة لدفعها للمشاركة في الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها (وهذا ما حدث فعلاً في آذار/ مارس 1917)، بالإضافة إلى وجود النفوذ اليهودي الصهيوني في بريطانيا وفي الحكومة البريطانية نفسها، من خلال وزير الداخلية اليهودي الصهيوني هربرت صمويل Herbert Samuel، والنصارى المتصهينين مثل رئيس الوزراء لويد جورج Lloyd George، ووزير الخارجية آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour. هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً من دوافع وخلفيات دينية وسياسية واستراتيجية... وكانت النتيجة صدور تصريح بلفور الذي اشتهر بـ "وعد بلفور Balfour Declaration" في 1917/11/2 بتعهد بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود



في فلسطين. وقد كان هذا من أغرب الوعود في التاريخ الإنساني، إضافة إلى تعارضه مع المعاهدات الأخرى، فقد تجاوز بصلف وغرور، رغبات وأمني أصحاب البلاد الشرعيين، وتعهد أن يعطي أرضاً لا يملكها، بل ولم يكن قد احتلها بعد، إلى أناس لا يستحقونها، وكان ذلك في نزوة الحديث عن الشرف البريطاني، والدفاع عن القيم والمبادئ.

لم تبقَ اتفاقية سايكس-بيكو طيّ الكتمان، إذ قام الروس بكشفها بعد أن استطاعت الثورة الشيوعية القضاء على الحكم القيصري في روسيا في تشرين الأول/أكتوبر 1917، وأعلنت انسحابها من الحرب. كما عرف الناس مبكراً بوعده بلفور الذي لم يعد سراً، بعد أن وصل للصحافة في البلاد العربية، مصر بالتحديد، بعد أقل من أسبوع من صدوره. وقد كان ذلك صدمة كبيرة للثورة العربية، إذ لم يتخيل الثوار أبداً هذه الدرجة من الخداع البريطاني، ولذلك رفض جنود الثورة العربية الاستمرار في حربهم ضدّ العثمانيين ما لم توضّح لهم الأمور، فأرسلت بريطانيا إمعاناً في التضليل أحد مبعوثيها، ديفيد هوجارث David Hogarth، في كانون الثاني/يناير 1918 لطمأنة الشريف حسين، حيث حمل تصريحاً بريطانياً بأن الهجرة اليهودية لفلسطين لن تتعارض مع مصالح السكان السياسية والاقتصادية. ومن جهة أخرى، حمل التصريح البريطاني إلى القياديين السوريين السبعة في حزيران/يونيو 1918 تأكيدات واضحة على أن الأرض التي يحتلها البريطانيون (جنوب فلسطين وجنوب العراق) سوف تحكم وفق رغبات السكان، إضافة إلى الموافقة على استقلال الأرض التي ما زالت تحت السيادة العثمانية من شمال فلسطين، وشرق الأردن، وسورية، ولبنان، وشمال العراق. وعندما انتهت الحرب العالمية صدر التصريح الإنجلو-فرنسي في 1918/11/7 بتأكيد التعهدات للعرب الذين كانوا تحت الحكم العثماني في الحرية والاستقلال.<sup>39</sup>

<sup>39</sup> حول المفاوضات والوعود البريطانية مع الشريف حسين، والفرنسيين، والمنظمة الصهيونية العالمية، انظر: المرجع نفسه، ص 72-84؛ وتقرير اللجنة الملكية: الكتاب الأبيض رقم 5479، النسخة العربية الرسمية، إصدار حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين (القدس: 1937)، ص 23-31 (اشتهر هذا التقرير باسم تقرير بيل). وانظر أيضاً:

George Antonius, *The Arab Awakening* (London: Hamish Hamilton, 1955), pp. 260-272.



## الفصل الثاني

# فلسطين: من الاحتلال البريطاني إلى إنشاء الكيان الصهيوني 1917-1948

### مقدمة:

أتم البريطانيون احتلال جنوب فلسطين ووسطها في كانون الأول/ ديسمبر 1917، واحتلوا القدس في 1917/12/9. وخطب قائد الجيش البريطاني إدموند اللبني Allenby في القدس محتفلاً بانتصاره قائلاً: ”والآن انتهت الحروب الصليبية“<sup>1</sup>، وكأن حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية، وكأن الحروب الصليبية لم تتوقف منذ أن شنها الأوروبيون قبل ذلك بأكثر من 800 عام. وفي أيلول/ سبتمبر 1918 احتل البريطانيون شمال فلسطين، كما احتلوا في أيلول/ سبتمبر - تشرين الأول/ أكتوبر 1918 شرق الأردن وسورية ولبنان. ومنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، واستطاعت بريطانيا بعد ذلك إقناع فرنسا بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين كما في نصوص سايكس-بيكو، مقابل رفع بريطانيا لدعمها للحكومة العربية التي نشأت في دمشق بزعامة فيصل بن الشريف حسين، حتى تتمكن فرنسا من احتلال سورية.

وفرت بريطانيا لنفسها غطاءً دولياً باستصدار قرار من عصبة الأمم League of Nations في 1922/7/24 بانتدابها على فلسطين، وتم تضمين وعد بلفور في صك الانتداب، بحيث أصبح التزاماً رسمياً معتمداً دولياً. غير أن فكرة الانتداب التي ابتدعتها عصبة الأمم، كانت قائمة على أساس مساعدة الشعوب المنتدبة وإعدادها لنيل استقلالها. وقد تضمن صك الانتداب نفسه على فلسطين مسؤولية الدولة المنتدبة (بريطانيا) في الارتقاء بمؤسسات الحكم المحلي، وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين. وهذا يعني ألا يقف وعد بلفور في نهاية الأمر عائقاً في وجه أبناء فلسطين ضد الارتقاء بمؤسساتهم وإقامة دولتهم. وكان تنفيذ وعد بلفور يعني

<sup>1</sup> أميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً (بيروت: دار النهار للنشر، 1972)، ص 28-30.

عملياً الإضرار بمصالح أهل فلسطين وحقوقهم، وتعطيل بناء مؤسساتهم الدستورية باتجاه إقامة دولتهم. وقد فضلت بريطانيا دائماً التزام الشق المتعلق بوعده بلفور، وأصمّت أذنانها ولم تحترم الشق المتعلق بحقوق أبناء فلسطين العرب الذين كانوا يمثلون نحو 92%<sup>2</sup> من السكان عند بداية الاحتلال. وربما أرادت بريطانيا من إيجاد نصوص متعلقة بحقوق الفلسطينيين، إظهار نفسها بمظهر الحكم العادل بين الطرفين العربي واليهودي، وتشجيع الفلسطينيين على المطالبة بحقوقهم وفق أساليب مدنية "دستورية"، وعدم إغلاق كافة المنافذ أمامهم، بحيث لا يصلون إلى درجة الانفجار والثورة بسرعة، في الوقت الذي تقوم فيه بالتسويق والمماطلة، ريثما يتم لها ترسيخ الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وضعت بريطانيا فلسطين تحت الحكم العسكري حتى نهاية حزيران/يونيو 1920، ثم حوّلتها إلى الحكم المدني، وعيّنت اليهودي الصهيوني هيربرت صمويل أوّل "مندوب سام" لها على فلسطين (1920-1925)، حيث شرع في تنفيذ المشروع الصهيوني ميدانياً على الأرض. وتابع المندوبون "السامون" المسيرة نفسها، غير أن أكثرهم سوءاً ودهاءً ونجاحاً في التنفيذ كان آرثر واكبوب Arthur Wauchope (1931-1938) حيث وصل المشروع الصهيوني في عهده إلى درجات خطيرة.

## أولاً: تطور المشروع الصهيوني:

عاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة رهيبة، فحُرم أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستورية وحُكم أنفسهم، ووضّعت تحت الحكم البريطاني المباشر، وأُعطى المندوبون السامون صلاحيات مطلقة. وضّيقت بريطانيا على الفلسطينيين سبل العيش وكسب الرزق، وشجّعت الفساد، وسعت لتعميق الانقسامات العائلية والطائفية وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم. وفي المقابل شجّعت الهجرة اليهودية، فزاد عدد اليهود من 55 ألفاً (8% من السكان) سنة 1918 إلى 646 ألفاً (31.7% من السكان) سنة 1948. وبالرغم من الجهود اليهودية - البريطانية المضنية للحصول على الأرض،

<sup>2</sup> كان عدد العرب نحو 610 آلاف واليهود نحو 50-55 ألفاً.



إلا أن اليهود لم يتمكنوا من الحصول سوى على نحو 6% من فلسطين بحلول 1948، كان معظمها إما أراضٍ حكومية، أو أراضٍ باعها إقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يقيمون في لبنان وسورية وغيرها، وقد بنى اليهود على هذه الأراضي 291 مستعمرة. وفي الوقت الذي كانت السلطات البريطانية تسعى حثيثاً لنزع أسلحة الفلسطينيين، وتقتل أحياناً من يحوز سلاحاً نارياً، بل وتسجن لسنوات من يملك رصاصات أو خنجراً أو سكيناً طويلاً، فإنها غصت الطرف، بل وشجعت سراً تسليح اليهود لأنفسهم، وتشكيلهم قوات عسكرية وتدريبها، بلغ عددها مع اندلاع حرب 1948 أكثر من 70 ألف مقاتل (64 ألف مقاتل من الهاجاناه Haganah، وخمسة آلاف من الأرجون Irgun، وألفين من شتيرن Stern... وغيرها)، وهو عدد يبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش العربية السبعة عندما دخلت في حرب 1948!! وأسس اليهود الوكالة اليهودية The Jewish Agency for Israel سنة 1929، والتي تولت شؤون اليهود في فلسطين، وأصبحت أشبه بدولة داخل دولة لما تمتعت به من صلاحيات واسعة. وأقام اليهود مؤسسات اقتصادية واجتماعية وتعليمية ضخمة، شكلت بنية تحتية قوية للدولة اليهودية القادمة، فتأسس اتحاد العمال (الهستدروت Histadrut) وافتتحت الجامعة العبرية بالقدس سنة 1925...<sup>3</sup> وهكذا، فإن الظلم، والقهر، والمحاباة كان السمة الأبرز للاستعمار البريطاني لفلسطين.

<sup>3</sup> انظر مثلاً لمزيد من التفصيل حول تطور المشروع الصهيوني في: محمد سلامة النحال، سياسة الانتداب البريطاني حول أراضى فلسطين العربية، ط 2 (بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981)؛ وحرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ترجمة أحمد خليفة (قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 18، و26؛ وصالح أبو يصير، جهاد شعب فلسطين، ص 465-485؛ ومحمد عبد الرؤوف سليم، نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين: منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل 1922-1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982).

## خريطة فلسطين تحت الاحتلال البريطاني



## ثانياً: الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1929:

وبالرغم من حالة الإنهاك التي خرج بها الفلسطينيون من الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من وقوع البلاد العربية من حولهم، والعالم الإسلامي بشكل عام، تحت سطوة الاستعمار ونفوذه، وبالرغم من ضعف إمكاناتهم المادية، وانعدام أدوات الضغط والنفوذ السياسي لديهم، مقارنة بما حظي به المشروع الصهيوني من دعم يهودي عالمي، ومن رعاية القوى العظمى له، بالرغم من ذلك كله، فإن التمسك بحقهم الكامل في فلسطين، والإصرار على استقلالهم مهما كلف الثمن، كانت السمة الأبرز

لنشاطهم السياسي الجهادي طوال فترة الاحتلال البريطاني. وقد تمحور النشاط السياسي الفلسطيني حول مطالب محددة أبرزها:

- إلغاء وعد بلفور لما يتضمنه من ظلم وإجحاف بحقوق الأغلبية الساحقة من السكان.
- إيقاف الهجرة اليهودية.
- وقف بيع الأراضي لليهود.
- إقامة حكومة وطنية فلسطينية منتخبة عبر برلمان (مجلس تشريعي) يمثل الإرادة الحقيقية الحرة للسكان.
- الدخول في مفاوضات مع البريطانيين لعقد معاهدة، تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين.

وعلى هذه الأسس نشأت الحركة الوطنية الفلسطينية، وأقام الفلسطينيون مؤتمرهم الأول (المؤتمر العربي الفلسطيني 1/27-1919/2/10) في القدس، فرفض تقسيم بلاد الشام وفق المصالح الاستعمارية، وعدّ فلسطين جزءاً من سورية (بلاد الشام)، وطالب باستقلال سورية ضمن الوحدة العربية، وتشكيل حكومة وطنية تمارس الحكم في فلسطين. وقد عقد الفلسطينيون سبعة مؤتمرات من هذا النوع حتى سنة 1928. وبرز في قيادة الحركة الوطنية رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني موسى كاظم الحسيني، الذي استمر في الزعامة الرسمية للحركة الوطنية حتى وفاته في آذار/ مارس 1934. غير أنه من الناحية الفعلية برز اسم الحاج أمين الحسيني، الذي أصبح مفتي القدس سنة 1921، ورئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى منذ تأسيسه سنة 1922، والذي غدا أهم قلعة للحركة الوطنية والقوة الدافعة خلفها. وبوفاة موسى كاظم الحسيني، أصبح الحاج أمين زعيم فلسطين دون منازع حتى نهاية الاستعمار البريطاني سنة 1948.

ركّز قادة الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصاً خلال الفترة 1918-1929 على المقاومة السلمية للمشروع الصهيوني، ومحاولة إقناع بريطانيا بالعدول عن وعد بلفور، وقد كان ما يزال لديهم بقايا أمل في ذلك، خصوصاً وأن البريطانيين كانوا حلفاء الشريف حسين خلال الحرب العالمية الأولى، كما أن المشروع الصهيوني لم يكن

قد حقق بعد أيّ نتائج عملية ذات أبعاد خطيرة على الوضع في فلسطين. هذا، بالإضافة إلى أن القيادة الفلسطينية لم تكن ترى أن الفلسطينيين يملكون الوسائل البديلة المكافئة التي تمكّنهم من فرض إرادتهم على البريطانيين. كما أن القيادة نفسها لم تكن تملك العزيمة والإرادة والتماسك لتحدي البريطانيين بوسائل أكثر عنفاً. ولعبت قلة الخبرة السياسية، والتنافس العائلي على القيادة (الحسينية والنشاشيبية)، والذي أسهم البريطانيون في تأجيجه، دوره في إضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية. غير أن هذا لم يؤثر بشكل عام على الموقف المبدئي الفلسطيني من المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني، ومن المطالب السياسية العامة للحركة الوطنية.

ومن الناحية السياسية، أرسلت القيادة الفلسطينية وفدها الأول إلى لندن في تموز/ يوليو 1921، الذي التقى وزير المستعمرات ونستون تشرشل Winston Churchill وعدداً من المسؤولين، لكن جهوده لم تلقَ أذاناً صاغية من الحكومة البريطانية، وإن كان نجاح في دفع مجلس اللوردات House of Lords البريطاني بإصدار قرار برفض وعد بلفور. ومن جهة أخرى، أفشل الفلسطينيون محاولة بريطانية لتشكيل مجلس تشريعي في فلسطين سنة 1923 منزع الصلاحية الفعلية، ولا يمثل بشكل صحيح سكان فلسطين. ولقيت زيارة بلفور لفلسطين سنة 1925 احتجاجات عامة، وتمت مقاطعته، ونُفذ إضراب شمل كل فلسطين. وفي المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي أقيم في 22-25/8/1922 وضع المؤتمر ميثاقاً وطنياً أقسموا اليمين التالي على الالتزام به: ”نحن ممثلي الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المعقود في نابلس، نتعهد أمام الله والتاريخ والشعب على أن نستمر في جهودنا الرامية إلى استقلال بلادنا، وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة، وسوف لا نقبل بإقامة وطن قومي يهودي أو هجرة يهودية“.<sup>4</sup>

<sup>4</sup> انظر حول ما سبق في: عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 104-105، و134-198.



## ثالثاً: المقاومة الفلسطينية 1919-1929:

كانت أولى بوادر مقاومة المشروع الصهيوني إنشاء جمعية "الفدائية" أوائل 1919، وقد تكوّنت لها فروع في يافا، والقدس، وغزة، ونابلس، وطولكرم، والرملة، والخليل، وتولّى زعامتها في البداية محمد الدباغ، ثم محمود عزيز الخالدي، واستمرت بأشكال مختلفة حتى سنة 1923. وكان من الشخصيات الموجّهة لها في الخفاء الشيخ سعيد الخطيب، والحاج أمين الحسيني، والشيخ حسن أبو السعود، والشيخ محمد يوسف العلمي. ونشطت في تجنيد الأعضاء وسط الجندرية والشرطة الفلسطينية. وبالرغم من أنه تمّ القبض على كثير من عناصرها، إلا أنه يظهر أن أفرادها شكّلوا عناصر تحريض مهمة في انتفاضة موسم النبي موسى في القدس في نيسان/ أبريل 1920.<sup>5</sup>

وخلال كانون الأول/ ديسمبر 1919 - آذار/ مارس 1920، وقعت هجمات عربية على المستعمرات اليهودية في الجليل الأعلى حيث دُمّرت مستعمرات المطلة، وتل حاي، وكفر جلعادي، واضطر اليهود للفرار.<sup>6</sup>

### 1. انتفاضة موسم النبي موسى، القدس: نيسان/ أبريل 1920:

تعد هذه الانتفاضة أولى الانتفاضات الشعبية في فلسطين، وقد حدثت الشرارة الأولى لهذه الانتفاضة بينما كانت وفود القرى محتشدة في القدس يوم 1920/4/4 للمشاركة في هذا الموسم الديني السنوي. وقد خطب في هذه الحشود عدد من رجالات فلسطين مثل موسى كاظم الحسيني، والحاج أمين الحسيني، وعارف العارف... فألهبوا حماس الجماهير. وفي هذه الأثناء، يظهر أن أحد اليهود قد أهان العلم الإسلامي لأهل الخليل، وقام بتلويثه، فهاجمه المتظاهرون وضربوه. ثم تفجر الموقف واتّسعت

<sup>5</sup> See Report on the Arab Movement & Zionism, by J. Camp, 12 Aug 1919, The National Archives (Public Record Office), London, Foreign Office, F.O. 371/4182; and Yeshoa Porath, *The Emergence of the Palestine National Movement, 1918-1929* (London: Frank Cass, 1974), p. 129.

<sup>6</sup> انظر: كامل خلة، *فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939* (طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر، 1982)، ص 230-232؛ وانظر أيضاً: تقارير حول هذه الهجمات في الأرشيف البريطاني، وثائق الخارجية البريطانية، ملف: F.O. 371/5117.

الاشتباكات لتشمل مدينة القدس، وفرضت السلطات البريطانية الأحكام العرفية، وحاولت السيطرة على الوضع، لكن ذيول الأحداث استمرت حتى 1920/4/10.<sup>7</sup>

أسفرت هذه الانتفاضة عن مقتل 5 يهود وجرح 211 آخرين بينهم 18 إصابة خطيرة. أما من العرب فقد استشهد 4 وجرح 24 آخرين، كما جرح 7 جنود بريطانيين.<sup>8</sup> وعلى الرغم من أن هذه الانتفاضة بدت انفعالاً عفويًا، إلا أنه من الواضح أن عدداً من القيادات الوطنية والجمعيات والمنظمات التي يقودونها قد قامت بدورٍ تحريضي، ونسقت بشكل منظم الهجمات ضد اليهود. وكان للحاج أمين الحسيني دورٌ بارز في ذلك، حيث ذكر أحد معاصريه (عجاج نويهض) أنه ”في موسم النبي موسى كان للحاج أمين اليد المدبرة الحكيمة في إعطاء اليهود أول درس“؛ وقد حُكم على الحاج أمين وعلى عارف العارف، بعد أن استطاعا الهرب، بالسجن غيابياً لمدة عشرة أعوام، لكن المندوب ”السامي“ البريطاني أصدر عفواً عنهما بعد ذلك، في محاولة لتهدئة الأوضاع. وإثر هذه الانتفاضة قامت السلطات البريطانية بإقالة موسى كاظم الحسيني من رئاسة بلدية القدس، حيث تفرغ لقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية حتى وفاته سنة 1934، وقد عيّنت مكانه راغب النشاشيبي في رئاسة البلدية، لتلعب منذ ذلك الوقت ورقة الصراع العائلي (حسينية ونشاشيبيية)، والتي انعكست سلباً على حركة المقاومة طوال الاحتلال البريطاني.<sup>9</sup>

## 2. انتفاضة يافا: أيار/مايو 1921:

عاش شعب فلسطين أجواء من الغضب وخيبة الأمل إثر زيارة وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل إلى فلسطين في 1921/3/28، والذي أكد بشكل قاطع دعم بريطانيا للوطن القومي اليهودي، وكان لقاؤه بالوفد العربي الفلسطيني في القاهرة في 22 آذار/ مارس، وفي القدس في 28 آذار/ مارس مخيباً للأمال. كما قمعت الشرطة

<sup>7</sup> انظر: خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ص 193؛ وانظر:

Frances Newton, *Fifty Years in Palestine* (London: Cold Harbour Press, 1948), pp. 133-135.

<sup>8</sup> Palin Report, p. 75, F.O. 371/5121.

<sup>9</sup> انظر: تقرير بيل، ص 234؛ وعجاج نويهض، رجال من فلسطين، ص 319.



بعنف مظاهرة قامت في حيفا في 28 آذار/ مارس وقتلت اثنين من العرب، ومنعت المظاهرات... مما أثار جواً من التوتر.<sup>10</sup>

وقد وقعت شرارة الانتفاضة عندما اعتدت مجموعة من الشيوعيين اليهود، المحتفلين بعيد العمال في 1/5/1921، على المسلمين القاطنين في حي المنشية في يافا، وحدث إطلاق نار على المارة العرب، صدر—على ما يبدو—من منزل للمهاجرين اليهود شرقي شارع العجمي. فهاجم العرب منزل المهاجرين اليهود وقتلوا 13 يهودياً وجرحوا 24 آخرين من أصل 100 يقيمون فيه، معظمهم من الشباب. ثم اتسعت الاشتباكات والأحداث لتغطي أجزاء عديدة من شمال فلسطين، ولتستمر جذوتها حتى منتصف أيار/ مايو 1921.<sup>11</sup>

واستفاد اليهود من وجود أفراد الكتيبة اليهودية الذين تسلموا البنادق بحجة الدفاع عن تل أبيب، لكنهم ما لبثوا أن تسربوا منها إلى شوارع وأسواق يافا وأخذوا يطلقون النار على العرب وهم يلبسون الزي العسكري البريطاني. وتظاهر أهل يافا مطالبين السلطات بإحلال جنود هنود مكان البريطانيين لأن العرب لا يستطيعون التفريق بينهم وبين اليهود، وقد استجابت السلطات جزئياً لطلبهم.<sup>12</sup>

ومع اتساع الانتفاضة خارج يافا، قام 3 آلاف عربي بمهاجمة مستعمرة بتاح تكفا، وقد تصدت لهم قوة بريطانية من فوج الفرسان الهندي الثامن، وساعدها الطيران البريطاني الذي قام بقصف المهاجمين، وقد فقد العرب في هذا الهجوم 28 شهيداً و15 جريحاً، وفقد اليهود 4 قتلى و12 جريحاً.<sup>13</sup> وفي 6 أيار/ مايو هاجم نحو 400 عربي

<sup>10</sup> عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 142-144؛ وكامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 250.

<sup>11</sup> وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939: من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان الحوت، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984)، ص 72؛ وانظر أيضاً:

*Disturbances in May 1921: Report of the Commission of Inquiry with Correspondence Relating Thereto*, Oct. 1921, Cmd. 1540 (London: H.M.S.O., 1921), p. 60. (Hereafter referred to as Haycraft Report).

<sup>12</sup> انظر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 62؛ وانظر:

Haycraft Report, pp. 30-33; and Report on Political Situation in Palestine for the Month of May 1921, H. Samuel to Churchill, 6 Jun. 1921, F.O. 371/6375.

Haycraft Report, pp. 38-41; and Dispatch, Samuel to Churchill, 15 May 1921, The National Archives (Public Record Office), London. Air Ministry, AIR 5/1243.

مستعمرة الخضيرة وأحرقوا منزلين، وكان يمكن أن تدمر المستعمرة لولا تدخل الطيران البريطاني، الذي قصفهم وأجبرهم على الانسحاب.<sup>14</sup> وفي اليوم نفسه، هاجم قرابة 600 عربي مستعمرة رحوبوت، لكن الجيش البريطاني استطاع الوصول في الوقت المناسب، والدفاع عنها. كما هاجم العرب مستعمرتي كفر سابا وعين حاي (اللتين هرب أهلها إلى بتاح تكفا)، وأوقعوا فيهما الكثير من الدمار.<sup>15</sup>

ومن جهة أخرى، قام اليهود بأسر العرب الموجودين عندهم في مستعمرة بتاح تكفا وقتلوا 50 مسلماً. ووجد بين القتلى المسلمين من قُتل حرقاً بماء الفضة، وبالآلات القاطعة، ومن شوّه وعُدب قبل قتله، وكان بين الشهداء أطفال ونساء وبنات هُتكت أعراضهن وبُقرت بطونهن، وجُرّدن من ملابسهن، وبلغت هذه الأخبار حدّ التواتر وثبتت بتقارير الأطباء.<sup>16</sup>

وحسب الإحصاءات الرسمية البريطانية قتل من اليهود 47 وجرح 146، وقتل من العرب 48 وجرح 73.<sup>17</sup> ويبدو أن هذه الأرقام أقل من العدد الحقيقي، ففي اليومين الأولين فقط قُتل من اليهود 40 وجرح 130، كما يظهر أن الإحصائية لم تشمل الشهداء العرب الـ 50 الذين قُتلوا في مستعمرة بتاح تكفا. وربما انفرد سامي الجندي بذكر أن شهداء العرب بلغوا 157، وأن جرحاهم وصل عددهم إلى 705، وأن قتلى اليهود وجرحاهم يزيد عن ذلك.<sup>18</sup> وقد اعترف تقرير اللجنة الملكية البريطانية أن معظم الإصابات وسط العرب كانت على أيدي القوات البريطانية.<sup>19</sup> وذكر تقرير بريطاني آخر أن معظم إصاباتهم كانت برصاص البريطانيين أو اليهود، وأن معظم إصابات اليهود كانت بالسكاكين والعصي على أيدي العرب.<sup>20</sup>

<sup>14</sup> Haycraft Report, pp. 5–16.

<sup>15</sup> Ibid., pp. 36–41.

<sup>16</sup> وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 73–74؛ ووثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية 1918–1939، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988)، ص 20–21.

<sup>17</sup> Haycraft Report, p. 60.

<sup>18</sup> سامي الجندي، **عرب ويهود: العداة الكبير** (بيروت: دار النهار للنشر، 1968)، ص 61.

<sup>19</sup> تقرير بيل، ص 65–66.

<sup>20</sup> See The Situation Palestine, Memorandum by S. Of S. Colonies to the Cabinet, 9 Jun. 1921,

Enclosing a Report by C.D. Brunton, 13 May 1921, Secret, F.O. 371/6375.

وقد ظهر أيضاً الأداء المتحيز للسلطات البريطانية من خلال الإجراءات القضائية التي اتخذها النائب العام نورمان بنتويش Norman Bentwich، وهو بريطاني يهودي صهيوني كان يتولى أمور القضاء والعدالة في فلسطين، حيث أحال القضايا المتعلقة بالفضائح التي ارتكبتها الصهاينة إلى المحاكم كقضايا شخصية بسيطة.<sup>21</sup>

وكان يمكن لهذه الانتفاضة أن تتفاعل وتتسع لولا أن موقف الزعامات السياسية الفلسطينية مال إلى تهدئة الوضع. وقام عدد من الوجهاء ورؤساء البلديات بتهدئة الجماهير. وقدّرت السلطات البريطانية "خدمات" رؤساء بلديات القدس، وطولكرم، ويافا، وقاضي القدس، ومفتيا عكا وصفد فمحتهم وسام عضو الإمبراطورية M.B.E. وحتى موسى كاظم، رئيس اللجنة التنفيذية التي تُمثل قيادة الحركة الوطنية، قام بنفسه بجولة لتهدئة الوضع، لأن القيادة كانت ما تزال تأمل بحل سياسي، ولم تكن في وضع يؤهلها لأي عمل ثوري.<sup>22</sup>

وقامت السلطات، من جهتها، بعمل استرضائي، إذ أوقفت الهجرة اليهودية مؤقتاً اعتباراً من 1921/5/14. وألقى المندوب السامي هربرت صمويل بياناً، في 1921/6/3، ذكر فيه أن بريطانيا لن تفرض على شعب فلسطين سياسة تجعلهم يعتقدون أنها مناقضة لمصالحهم الدينية والسياسية والاقتصادية.<sup>23</sup> وقد نشر هذا جواً من الارتياح في الوسط العربي، غير أنه لم يكن عملياً سوى وسيلة لتهدئة الأمور وترتيب الأوضاع، ليمضي المشروع الصهيوني بوسائل أكثر احترافاً ونجاحاً. وقد اعترف السكرتير العام للحكومة ويندهام ديدز Wyndham Deedes أن الغالبية العربية شعرت بعد ذلك بأشهر بأن الحكومة البريطانية "مقيدة اليد والقدم"، وأن هذا البيان مجرد نرّ للرماد في العيون، وأن الشقة قد اتّسعت بين العرب والإدارة البريطانية، التي أصبحوا يرونها والصهيونية شيئاً واحداً.<sup>24</sup>

<sup>21</sup> وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 73.

<sup>22</sup> كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 256؛ وانظر:

Report on the Political Situation in Palestine for the Month of May 1921, F.O. 371/6375.

<sup>23</sup> انظر نص كلمة صمويل في وثائق الخارجية البريطانية، ملف F.O. 371/6375.

<sup>24</sup> Letter, Deeds, Jerusalem, to Shuckburgh, London, 22 Nov. 1921, The National Archives, Colonial Office, C.O. 537/852.

### 3. ثورة البراق: آب/ أغسطس 1929:

لم تحدث ثورات على مدى واسع بعد ثورة يافا وحتى ثورة البراق. ولكن حدثت بعض الأحداث المتفرقة مثل مظاهرة القدس في ذكرى وعد بلفور في 1921/11/2، التي أدت إلى مقتل 5 يهود واستشهاد 3 من العرب وإصابة 36 من الطرفين.<sup>25</sup> وفي 1924/3/20، كان اليهود يحتفلون بعيد المساخر Purim، وأشركوا في مساخرهم زي العلماء المسلمين مما أثار حفيظة المسلمين، فقتل يهودي وآخر مسلم، وجرح يهودي واثنان من المسلمين.<sup>26</sup> وفي 1925/3/25 أصربت فلسطين إضراباً شاملاً بمناسبة زيارة بلفور إلى فلسطين.<sup>27</sup> وكان من أسباب حالة الهدوء خلال 1922-1928 تراجع معدلات الهجرة اليهودية، وحالة الانقسام والتفكك التي شهدتها الحركة الوطنية الفلسطينية.

وحائط البراق هو الحائط الغربي للمسجد الأقصى، ويسميه اليهود حائط المبكى، وكان المسلمون يسمحون لليهود بزيارة المكان الذي هو وقف إسلامي من باب التسامح الديني. وقد حدث أول تصعيد خطير بشأن حائط البراق في 1928/9/23 عندما حاول اليهود تغيير حالة الأمر الواقع، وتحويل المكان إلى ما يشبه الكنيس اليهودي. فأسس المسلمون في 30 أيلول/ سبتمبر "لجنة الدفاع عن البراق الشريف". وعقدوا في القدس مؤتمراً إسلامياً في 1928/11/1، حضرته وفود من الأردن، والعراق، ولبنان، وسورية والهند، وقرر المؤتمر تشكيل "جمعية حراسة المسجد الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة".<sup>28</sup>

<sup>25</sup> كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 273.

<sup>26</sup> عمر أبو النصر وإبراهيم نجم وأمين عقل، جهاد فلسطين العربية: فصول تبحث في تاريخ القضية الفلسطينية وما طرأ عليها من تطور وتحول منذ النضال العربي الأول وحتى الثورة الحاضرة (يافا (فلسطين): دن،، 1936)، ص 260؛ وإحسان النمر، قضية فلسطين في دورها البلدي (نابلس (فلسطين): جمعية عمال المطابع التعاونية، د.ت.)، ص 112. وانظر أيضاً:

*The Parliamentary Debates: Official Report, Fifth Series, House of Commons (London: H.M.S.O, 1924) (P.D., Commons), Vol. 171, Col. 1796.*

<sup>27</sup> كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 399-404، وانظر:

P.D., Commons, 1925, Vol. 182, Col. 1804, and Vol. 183, Col. 564.

<sup>28</sup> انظر: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، ص 119-126؛ ومحمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1959)، ص 20-21؛ وعيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ط 2 (القدس: منشورات صلاح الدين، 1981)، ج 1، ص 122.



ثم حدث تصعيد يهودي آخر في 15/8/1929، حيث نظم اليهود مظاهرات في القدس اتّجهت إلى حائط البراق وهناك رفعوا العلم الصهيوني، وأنشدوا نشيدهم الوطني، وشتم خطبائهم رسول الله ﷺ، والإسلام والمسلمين. وقام المسلمون في اليوم التالي بمظاهرة مضادة من المسجد الأقصى. وحدث شجار بين العرب واليهود في 17 آب/ أغسطس زاد الأوضاع توتراً. ثم وقعت صدامات واسعة بعد صلاة الجمعة يوم 22 آب/ أغسطس في القدس. ولم تكذ أخبار هذه الصدامات تصل إلى الناس حتى عمّت المظاهرات والصدامات جميع أنحاء فلسطين واستمرت بشكل عنيف أسبوعاً كاملاً، غير أن جذوتها لم تنطفئ إلا بعد أيام أخرى تالية.<sup>29</sup>

وفي 24 آب/ أغسطس قام العرب في الخليل بمهاجمة الحي اليهودي فقتلوا أكثر من 60 يهودياً وجرحوا أكثر من 50 آخرين، وتمكنت الشرطة من الحؤول دون وقوع مذبحة هائلة لليهود، فاصطدمت بالمتظاهرين،<sup>30</sup> وذكّر أنها قتلت 10 منهم وجرحت آخرين.<sup>31</sup> وفي 29 آب/ أغسطس هاجم العرب الحي اليهودي في صفد فقتلوا 20 وجرحوا 25 آخرين.<sup>32</sup> وفي الفترة من 24 آب/ أغسطس وحتى 2 أيلول/ سبتمبر هاجم العرب الكثير من المستعمرات اليهودية، ودمروا ستة منها تدميراً كاملاً. وهوجم اليهود في يافا وبيسان. وتحولت فلسطين إلى ساحة قتال، ولم تستطع السلطات البريطانية الإمساك بزمام الأمور إلا في 28 آب/ أغسطس، عندما اكتملت التعزيزات العسكرية.<sup>33</sup> أسفرت هذه الثورة عن مقتل 133 يهودياً وجرح 339 آخرين، معظمهم أصيب على أيدي العرب. واستشهد من العرب 116 وجرح 232 معظمهم على يد الشرطة والجيش البريطاني.<sup>34</sup> وكانت الإصابات بين البريطانيين نادرة جداً، لأن الثورة

<sup>29</sup> انظر: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، ص 141-141؛ وعبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 202؛ وأميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ص 115.

<sup>30</sup> Report of the Commission on the Palestine Disturbances of Aug. 1929, March 1930, Cmd. 5350 (London: H.M.S.O., 1930), p. 64. (Hereafter referred to as Shaw Report)

<sup>31</sup> جريدة الشورى، مصر، 18/9/1929.

<sup>32</sup> Shaw Report, p. 65.

<sup>33</sup> انظر: كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 455؛ وانظر:

Shaw Report, p. 65; and Report on Palestine Riots 23 Aug. – 11 Sep. 1929, by Group Captain P.H.L. Play fair, 26 Dec. 1929, pp. 14–20, p. 29, p. 41, p. 49, AIR 5/1243.

<sup>34</sup> Shaw Report, p. 65.

كانت موجّهة ضدّ اليهود فقط. وقد سيق إلى المحاكمة نحو 1,300 شخص 90% منهم من العرب.<sup>35</sup> واتهم العرب مرة أخرى اليهودي الصهيوني بنتويش الذي كان يتولى منصب النائب العام أو مسؤول "العدالة" في حكومة الانتداب البريطاني بالظلم والتحيز الفاضح. وذكروا أنه أخذ يتهم العرب بالعشرات، ويُفرج عن اليهود حتى القتل بكفالة وبدون كفالة، وأنه أفرج عن مجرم يهودي متهم بقتل أربعة من العرب، أحرق أحدهم حرقاً.<sup>36</sup> وقد جرت محاولة لاغتيال بنتويش، أصيب على إثرها في فخذه، ثم إن السلطات البريطانية أعفته من منصبه سنة 1931.<sup>37</sup> وقد نفذت السلطات البريطانية ثلاثة أحكام بالإعدام على ثلاثة من العرب هم عطا الزير، ومحمد جمجوم، وفؤاد حجازي. وكان استشهادهم في 1930/6/17 يوماً مشهوداً في تاريخ فلسطين عُرفَ بـ "الثلاثاء الحمراء". وقد أبدى الثلاثة ضروباً من الشجاعة والثبات عند التقدم إلى حبل المشنقة، وطلب الزير وجمجوم "حناء" ليخضبوا أيديهما، وهي عادة عربية في منطقتيها للدلالة على الاغتباط بالموت، وأنشدوا وأنشد أهل فلسطين معهم:

يا ظلام السجن خيم      إننا نهوى الظلما  
ليس بعد الليل إلا      نور فجر يتسامى<sup>38</sup>

كانت هذه الثورة أولى الثورات التي تشمل كل فلسطين، لكنها استهدفت كسابقتها اليهود فقط وليس البريطانيين، حيث كان ما يزال بعض الأمل في أن يغيّر البريطانيون مواقفهم. ولكن الفلسطينيين أدركوا تماماً بعد هذه الثورة أن المشروع الصهيوني تحميه الحراب البريطانية، وأن صراعهم يجب أن يوجّه بالدرجة الأولى ضدّ بريطانيا نفسها.

وقد اتخذت هذه الثورة بُعداً إسلامياً واضحاً من خلال سعي المسلمين للدفاع عن حرمة المسجد الأقصى وحقهم في حائط البراق. كما ثبت بعد ذلك أن الحاج

<sup>35</sup> تقرير بيل، ص 250.

<sup>36</sup> جريدة الشورى، 1929/10/9.

<sup>37</sup> جريدة الشورى، 1930/4/30؛ وانظر:

Norman Bentwich, *Mandate Memories: 1918-1948* (London: The Hogarth Press, 1965), pp. 136-137.

<sup>38</sup> جريدة الشورى، 1930/6/25؛ وكامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 484-485.



أمين الحسيني (مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى) كان وراء التخطيط والإعداد السري لهذه الثورة.<sup>39</sup>

## رابعاً: الحركة الوطنية الفلسطينية 1929-1939:

كانت ثورة البراق 1929 فاتحة لعقد تصاعدت فيه المقاومة الجهادية العنيفة للمشروع الصهيوني وللإستعمار البريطاني على حدّ سواء، وقد وصلت ذروتها في الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939). فقد أخذت تتكسر خطورة المشروع اليهودي - الصهيوني خصوصاً إثر هجرة أكثر من 152 ألف يهودي خلال الفترة 1930-1935، مما ضاعف عدد اليهود الذين كان عددهم في منتصف سنة 1929 نحو 156 ألفاً، وكان الكثير من المهاجرين الجدد من ألمانيا، من رجال الأعمال وأصحاب الأموال والتجارة ومن العلماء المتخصصين. كما تمكن اليهود في الفترة نفسها (1930-1935) من الاستيلاء على 229 ألف دونم من الأراضي الفلسطينية. وهرب اليهود كميات ضخمة من الأسلحة كُشفت حالتان منها في 1930/3/15، وفي 1935/10/16.<sup>40</sup>

وتميّز النصف الأول من الثلاثينيات بازدياد النشاط السياسي والتفاعل الوطني مع الأحداث، وتوجيه العداء بشكل مباشر وواسع ضدّ السلطات البريطانية باعتبارها "أصل الداء، وأساس كل بلاء". وتشكلت في هذه الفترة الأحزاب الفلسطينية، وكان "حزب الاستقلال" أولها ظهوراً في آب/ أغسطس 1932، وأسهم بشكل كبير في توجيه العداء ضدّ بريطانيا، لكنه ضعّف منذ منتصف 1933. أما الحزب العربي الفلسطيني، الذي ظهر في آذار/ مارس 1935، فقد أصبح الحزب الشعبي الأول، وحظي بدعم

<sup>39</sup> انظر: أميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ص 135-136؛ وإحسان النمر، قضية فلسطين في دورها البلدي، ص 193؛ وبيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 231. وانظر أيضاً:

Yeshoa Porath, *The Emergence of the Palestine National Movement, 1918-1929*, p. 271.

<sup>40</sup> انظر: تقرير بيل، ص 266. وانظر أيضاً:

Palestine Government, *A Survey of Palestine*, prepared in Dec. 1945 & Jan. 1946 (Jerusalem: Government Printer, 1946), vol. 1, pp. 141, 185, 224.

المفتي (الحاج أمين) وبدعم الجماهير،<sup>41</sup> ونشطت في الفترة نفسها جمعيات الشبان المسلمين، والحركات الكشفية. ونشأت وتطورت تنظيمات سرية عسكرية جهادية مثل حركة "الجهادية" بقيادة عز الدين القسام، ومنظمة "الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني (والإشراف السري للحاج أمين)، كما ظهرت مجموعات ثورية أصغر دخلت في صدامات مبكرة مع السلطة مثل "الكف الأخضر".

لقد فُقد الفلسطينيون في هذه الفترة أملهم في الحصول على حقوقهم بالوسائل السلمية والقانونية، وعلّق الحاج أمين الحسيني على تلك المرحلة قائلاً: "كنا ما نزال حتى سنة 1932 على شيء من الأمل، ولكنه زال مع الزمن، كل عذابنا... كل الأمانا كانت تُعدُّ بعناية، لم يكن أمامنا غير الشهادة".<sup>42</sup> وأشارت مذكرة لمدير قسم المخابرات في شرطة فلسطين إلى أن "الشعور المتزايد بالسخط ضد الانتداب البريطاني والإدارة أصبح سائداً وسط كل الطبقات... وأن العرب، الذين أمّلوا بأن بريطانيا سوف تحقق لهم العدل، قد أصيبوا باليأس".<sup>43</sup>

وقد أسهم في تكريس القناعات المعادية لبريطانيا وانتشارها فشل مهمة الوفد العربي الفلسطيني إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني، في ربيع 1930. وعدم تنفيذ توصيات جون هوب سمبسون John Hope Simpson خبير الإسكان والأراضي، الذي كلّفته الحكومة البريطانية بدراسة الوضع في فلسطين، والذي استنتج بعد دراسة دقيقة أنه لا توجد أراضٍ إضافية يمكن إعطاؤها للمهاجرين اليهود، وأوصى بخفض الهجرة اليهودية أو وقفها.<sup>44</sup> وزاد من تفاقم الوضع نكوص الحكومة البريطانية عن تنفيذ توجهاتها التي أعلنتها في "الكتاب الأبيض White Paper" في تشرين الأول/أكتوبر 1930 الذي وعد بضبط الهجرة اليهودية، ثم إصدارها "الكتاب الأسود

<sup>41</sup> انظر: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 301-314؛ وكامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 517-521.

<sup>42</sup> زهير المارديني، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني (بيروت: دن، 1980)، ص 77.

<sup>43</sup> Appreciation of Arab Feeling as Affecting Palestine, Memorandum by H.R. Rice Submitted to the Chief Secretary, Government of Palestine, 8/9/1933, Secret, C.O. 733/257/11.

<sup>44</sup> Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development, by Sir J.H. Simpson, 1930, Cmd. 3686 (London: His Majesty Stationary Office, 1930), pp. 141-153.

“Black Letter” في شباط/ فبراير 1931 الذي أكد التزامات بريطانيا تجاه المشروع الصهيوني، ومسح عملياً ما جاء في الكتاب الأبيض.<sup>45</sup>

واستطاع أبناء فلسطين في تلك الفترة أن يجددوا البعد العربي والإسلامي لقضية فلسطين ويُنشّطوه. فنقلت التقارير في أيار/ مايو 1931 وجود مخطط ثوري جهادي يستهدف إنقاذ البلاد العربية وخصوصاً فلسطين وسورية، وأن الأمير شكيب أرسلان (وهو إسلامي لبناني) كان زعيم هذه الحركة، ويشترك معه في المخطط الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي، الزعيم الهندي المعروف. وكان على اتصال بزعماء الحركات العربية في الجزيرة العربية، والعراق، والشام، ومصر. لكن المخطط لم يُكتب له النجاح.<sup>46</sup> وفي 7-17/12/1931 انعقد في القدس المؤتمر الإسلامي العام برئاسة الحاج أمين الحسيني، وبحضور مندوبين عن 22 بلداً، وتكرس فيه البعد الإسلامي لقضية فلسطين، التي أصبحت همّاً مركزياً للعالم الإسلامي، وحضره علماء وشخصيات إسلامية كبرى مثل الشيخ محمد رشيد رضا، والمفكر الهندي الشاعر محمد إقبال، والزعيم الهندي شوكت علي، والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، ورئيس وزراء إيران السابق ضياء الدين الطبطبائي، والزعيم السوري شكري القوتلي،... وغيرهم. وصدرت العديد من القرارات العملية كإنشاء جامعة إسلامية، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي، وتشكيل لجان لفلسطين في مختلف البلدان...<sup>47</sup>. لكن وقوع معظم بلدان العالم الإسلامي تحت الاستعمار، وإصرار البريطانيين على إفشال أي من المشاريع العملية أدى إلى تعطيل العمل بمعظم هذه القرارات. وتزايد دور علماء المسلمين الفلسطينيين بانعقاد مؤتمرهم الأول في 25/1/1935، وإصدارهم فتوى بتحريم بيع الأرض لليهود، وتكفير من يرتكب ذلك، ثم قيامهم بحملة توعية كبرى في فلسطين.<sup>48</sup>

<sup>45</sup> اشتهر الكتاب الأبيض باسم كتاب باسفيلد الأبيض Passfield White Paper. أما الكتاب الأسود فهو رسالة رئيس الوزراء البريطاني ماكدونالد R. MacDonald إلى حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وقرأها في مجلس العموم البريطاني في 13/2/1931.

<sup>46</sup> عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 229.

<sup>47</sup> انظر: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 216، و246-247، و872-873.

<sup>48</sup> المرجع نفسه، ص 294-295؛ ووثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 381-391.

## 1. ثورة الكف الأخضر: 1929-1930:

كانت الكف الأخضر هي أولى المجموعات الثورية ظهوراً بعد ثورة البراق. وقد تركز نشاطها في شمال فلسطين وخصوصاً في قضاءي صفد وعكا. وبدأت هذه المجموعة بـ 27 رجلاً من الثوار الذين شاركوا في ثورة البراق، والذين هربوا من قبضة السلطات الأمنية. وقد انضم إليهم عشرات آخرين ليصل عددهم إلى نحو 80 رجلاً، وقد لاقوا تعاطفاً واسعاً من السكان. وقامت هذه المجموعة بهجمات على اليهود وضد الشرطة، ونشطت خلال الفترة من تشرين الأول/أكتوبر إلى كانون الأول/ديسمبر 1929. وقد تولى قيادتها أحمد طافش.

وقد قامت السلطات البريطانية بعمليات مسح شاملة، وبتسيير الدوريات الراجلة، وتفتيش القرى، وقام الطيران البريطاني بالمساعدة في عمليات المسح الجوي. كما تمّ التعاون مع السلطات الفرنسية وقوات حدود شرق الأردن في عمليات الملاحقة، التي استمرت بشكل مكثف طوال شهري كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير 1935. وتمكنت من القبض على أحمد طافش في شرق الأردن في 1930/1/27.

ولم تستطع هذه المجموعة الثورية من الاستمرار بسبب ما تعرضت له من حملات، ولأن الزعامات السياسية الفلسطينية لم تتبنَّ أسلوبها في العمل، ولم تدعمها، ولم تتعاون معها.<sup>49</sup>

## 2. انتفاضة تشرين الأول/أكتوبر 1933:

أخذت الهجرة اليهودية تتزايد بشكل خطير منذ مطلع الثلاثينيات، ونشطت الحركة السياسية الفلسطينية، وتزايد الوعي بأن بريطانيا هي "أصل الداء وسبب البلاء"، حيث تأكد للفلسطينيين أن مشكلتهم هي أساساً مع بريطانيا، وركّزت على ذلك حملات حزب الاستقلال وجمعيات الشبان المسلمين. وطالبت اللجنة التنفيذية العربية—التي تمثل العرب الفلسطينيين سياسياً—بوقف الهجرة، وهدّدت بتبني سياسة اللا تعاون مع السلطات. وعندما رفضت السلطات البريطانية الطلب، قررت

<sup>49</sup> حول الكف الأخضر، انظر:

Report on Safad Gang, 1930, C.O. 733/190/5; and Summary of Items of Interest, Air H.Q., Palestine Command, Jan. & Feb. 1930, AIR 5/1245.



اللجنة تصعيد الموقف بتسيير المظاهرات دون إذن السلطات. وقررت الإضراب العام في فلسطين في 13/10/1933، وإقامة مظاهرة كبرى في القدس، بحيث تتوالى بعد ذلك المظاهرات في مدن وقرى فلسطين، وتُضرب البلاد في كل مرة تحدث فيها المظاهرات. وألزمت اللجنة التنفيذية أعضائها بتقديم المسيرات، وأصدرت بياناً أكدت فيه أن "عرب فلسطين قد يؤسوا يأساً تاماً من الحكومة، فهم لا يخاطبونها في شيء، ولا يطلبون منها شيئاً"<sup>50</sup>.

وفي 13 تشرين الأول/ أكتوبر أُضربت فلسطين وخرجت مظاهرة كبيرة من المسجد الأقصى بقيادة اللجنة التنفيذية، وقامت الشرطة بتفريق المتظاهرين بالقوة مما أدى إلى وقوع 11 جريحاً بينهم 5 من الشرطة.<sup>51</sup>

وفي 27 تشرين الأول/ أكتوبر عمّ الإضراب فلسطين، وخرجت مظاهرة كبيرة في يافا بعد صلاة الجمعة بقيادة اللجنة التنفيذية، وحاولت الشرطة تفريق المتظاهرين، إلا أن الأمر تحوّل إلى مواجهات عنيفة، أدّت—بحسب المصادر البريطانية—إلى مقتل 14 عربياً بالرصاص وجرح العشرات. بينما ذكر بيان اللجنة التنفيذية أن 30 قد قتلوا وجرح 200. واعتقلت السلطات 12 من القادة الفلسطينيين، بينهم 3 أعضاء في اللجنة التنفيذية، وأصيب موسى كاظم الحسيني، رئيس اللجنة، بكدمات، وتُذكر أنه تُوفي متأثراً بهذه الإصابة في آذار/ مارس 1934.<sup>52</sup>

وقد أحدثت "مجزرة يافا" ردود فعل غاضبة، فقامت مظاهرات عنيفة في مدن فلسطين، واستمر الإضراب العام أسبوعاً كاملاً. وحدثت مواجهات مع الشرطة في

<sup>50</sup> انظر: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، ص 238-239؛ ومحمد دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 30.

<sup>51</sup> وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 378؛ وانظر:

Resume of Operations for Oct. 1933, Air H.Q., 23 Nov. 1933, AIR 5/1246; and Report of the Commission Appointed by His Excellency the High Commissioner for Palestine by Notification No. 1561, Published in the Official Gazette, Extraordinary, 7 Feb. 1934. (Hereafter referred to as Murison Report)

<sup>52</sup> انظر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 379-381؛ ومحمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 31-32؛ وزهير المارديني، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني، ص 79. وانظر: Murison Report; and Tel High Commissioner H.C. to Secretary of State for Colonies, 27 Oct. 1933, C.O. 733/239/5.

حيفا، ونابلس، والقدس. وحسب الإحصاءات العربية فقد استشهد في القدس ويافا وهدهما 35 وجرح 255.<sup>53</sup> أما المصادر البريطانية فأشارت إلى استشهاد ما مجموعه 26 عربياً وجرح 187 آخرين، بينما قتل شرطي واحد.<sup>54</sup>

وكان من الواضح أن مشاعر العداء ضد بريطانيا قد وصلت حدّاً كبيراً، وكانت هذه أولى المواجهات العامة الموجهة مباشرة ضد بريطانيا وسياستها. وقد حاول المندوب السامي البريطاني تهدئة الوضع قبيل أحداث يافا عندما اجتمع باللجنة التنفيذية في 25 تشرين الأول/أكتوبر، لكن أحد أعضائها نقل له طلب كثير من الناس أن يخبروه أنه ”ليس لدينا ما نخسره، لقد فقدنا الثقة بالحكومة، لقد فقدنا أرضنا، فقدنا كل شيء، ولن نبالي بما سيحدث لنا“.<sup>55</sup>

### 3. جماعة القسام ”الجهادية“:

الشيخ عزّ الدين عبد القادر مصطفى القسام، من مواليد بلدة جبلة قضاء اللاذقية في سورية 1882، درس في الأزهر، وعاد ليكون أحد دعاة الإسلام النشطين في بلده في سورية. كان من قادة الثورة السورية ضدّ الفرنسيين خلال الفترة 1918-1920، وقد هرب إلى فلسطين بعد توقفها، واستقر في حيفا.

عرف الشيخ القسام بتقواه، وورعه، وذكائه، وسعة علمه، وكان سلفي العقيدة، محارباً للانحرافات والبدع، قدوة في سلوكه وما يدعو إليه. وكان القسام شجاعاً جريئاً، ومن أكثر العلماء توقفاً للجهاد، قال يوماً وهو على المنبر يخطب ”رأيت شباناً يحملون المكنس لكنس الشوارع، هؤلاء مدعوون لحمل البنادق، ورأيت شباناً يحملون الفرشاة لمسح أحذية الأجانب، هؤلاء مدعوون لحمل المسدسات لقتل هؤلاء الأجانب“.

ولقد كان القسام متفاعلاً مع الواقع، ذو شخصية اجتماعية منفتحة محببة، تحمل هموم الناس، وتشاركهم أفراحهم وأتراحهم، ولأنه كان حسن السيرة والعشرة، ومحدثاً لبقاً وخطيباً بارعاً، قوي الحجة، ومتواضعاً بعيداً عن الغرور، فقد كان لذلك أثره في أن يكون ذا شعبية كبيرة.

<sup>53</sup> Murrison Report.

<sup>54</sup> وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، ص 341-344.

<sup>55</sup> Note of an Interview Granted by H.C. to Members of the Arab Executive, 25 Oct. 1933,

C.O. 733/239/5 Part 2.



وقد جعلته هذه الصفات، بالإضافة إلى رصيده تجربته الجهادية، مؤهلاً لأن يكون مؤسساً لتنظيم جهادي قوي له دوره المهم في تاريخ فلسطين الحديث المعاصر.<sup>56</sup>

تعود نشأة جماعة القسام إلى سنة 1925، عندما ابتدأ الشيخ عز الدين القسام في إنشاء تنظيم جهادي سري، يستمد فهمه ومنهجه من الإسلام، ويعدّ الجهاد طريقاً وحيداً لإنقاذ فلسطين.<sup>57</sup> وقد عدّ إميل الغوري هذا التنظيم "أخطر منظمة سرية، وأعظم حركة فدائية عرفها تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، بل تاريخ الجهاد العربي الحديث".<sup>58</sup> وقد أطلق على هذا التنظيم اسم "المنظمة الجهادية"،<sup>59</sup> ولكن غلب عليه بعد استشهاد القسام اسم "جماعة القسام أو القساميون"،<sup>60</sup> وكان شعار التنظيم "هذا جهاد... نصر أو استشهاد".<sup>61</sup>

وكانت جماعة القسام لا تقبل أي عضو إلا بعد انتقاء وتمحيص، ولا يدخل في عضويتها إلا من كان "مؤمناً مستعداً أن يموت في سبيل بلاده" ومن أهل الدين والعقيدة الصحيحة.<sup>62</sup> وقد استفاد القسام من وظيفته كإمام وخطيب لمسجد الاستقلال في حيفا منذ 1925، وكمأذون شرعي منذ 1930 في الاتصال بالناس، وانتقاء العناصر المناسبة لجماعته. كما استفاد من رئاسته لفرع جمعية الشبان المسلمين في حيفا كغطاء مقبول لحركته ونشاطه وزياراته للقري، وإنشاء فروع لهذه الجمعية في

<sup>56</sup> حول شخصية القسام بالتفصيل، انظر: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، ط 2 (الكويت: مكتبة الفلاح، 1989)، ص 231-247.

<sup>57</sup> صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين: 1936-1939 (القاهرة: وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي، 1967)، ص 33.

<sup>58</sup> إميل الغوري، فلسطين عبر ستين عاماً، ص 248.

<sup>59</sup> عوني العبيدي، ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، د.ت.)، ص 9.

<sup>60</sup> بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 317-318.

<sup>61</sup> سميح حمودة، الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1882-1935، ط 2 (عمّان: دار الشروق، 1986)، ص 42.

<sup>62</sup> انظر: صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص 31؛ وأكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939: يوميات أكرم زعيتر (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980)، ص 30؛ ومحمد نمر الخطيب، من أثر النكبة (دمشق: المطبعة العمومية، 1951)، ص 87.

اللواء الشمالي، والتي أصبحت غطاءً مناسباً لإخوانه المجاهدين المحليين.<sup>63</sup> وتشكلت القيادة الأولى للتنظيم القسامي سنة 1928، وضمت بالإضافة إلى رئيسها القسام كلاً من العبد قاسم، ومحمود زعرورة، ومحمد الصالح الحمد، و خليل محمد عيسى. وكان مركزها حيفا، وكانت القيادة جماعية ومسؤولة عن اتخاذ كافة القرارات المهمة،<sup>64</sup> وبلغ عدد أفراد الجماعة سنة 1935 نحو 200 منتظم، أكثرهم يشرف على حلقات توجيهية من الأنصار، الذين يصل عددهم إلى 800.<sup>65</sup>

وقد أنشأ تنظيم القسام خمس وحدات متخصصة تضمنت وحدة لشراء السلاح، ووحدة للتدريب، ووحدة للتجسس على اليهود والإنجليز، وكان أفرادها بشكل عام ممن يشتغل في داوئر الحكومة وخصوصاً الشرطة، ورابعة للدعاية للثورة، وخامسة للاتصالات السياسية.<sup>66</sup> أما ماليتها فقد اعتمدت على اشتراكات الأعضاء، وتبرعات الموثوقين،<sup>67</sup> وكان من منهج التنظيم أن يتدرب جميع أفرادها على حمل السلاح بحيث يكونون مستعدين لخوض معارك الجهاد عند إعلانها، وكان على كل عضو أن يدبر أمر تجهيز نفسه بالسلاح.<sup>68</sup> ولم يكن حال أغلب الأعضاء ميسورة، إذ كانوا يكفون من أجل لقمة العيش، ومع ذلك "فقد منعوا أنفسهم الخبز من أجل ابتياع السلاح" ومن أجل أن يعتمدوا على أنفسهم في العمل والإعداد.<sup>69</sup>

<sup>63</sup> انظر: علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام (عمان: دار ابن رشد، 1984)، ص 44-47، و58-60؛ وسميح حمودة، الوعي والثورة، ص 48-50.

<sup>64</sup> بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 324؛ وكامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 584.

<sup>65</sup> صبحي ياسين، حرب العصابات في فلسطين (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ودار الكتاب العربي، د.ت.)، ص 79؛ وصبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص 33-34.

<sup>66</sup> صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص 33-34.

<sup>67</sup> إبراهيم الشيخ خليل، "رسالة من مجاهد قديم: ذكريات مع القسام"، مجلة شؤون فلسطينية، عدد 7، آذار/ مارس 1972، ص 267-268؛ وبيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 323.

<sup>68</sup> صبحي ياسين، حرب العصابات في فلسطين، ص 68؛ ومحمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 29.

<sup>69</sup> عبد الستار قاسم، الشيخ المجاهد عز الدين القسام (بيروت: دار الأمة للنشر، 1984)، ص 99.



ويبدو أن انتقال جماعة القسام إلى مرحلة التسليح والتدريب كان في أواخر 1928،<sup>70</sup> وجاءت ثورة البراق في آب/ أغسطس 1929، لتعزز الاتجاه العسكري لدى الجماعة، فأخذ القسام يسهم في عملية التدريب بنفسه، والتي شملت رحلات ليلية وحركات استطلاعية وتمارين على إصابة الهدف.<sup>71</sup> وعندما أرادت الجماعة أن تعلن عن نفسها في تشرين الثاني/ نوفمبر 1935 كانت تملك حسبما ذكر صبحي ياسين، وهو أحد أعضائها، ألف قطعة سلاح وقاعدة تسليح في منطقة اللاذقية.<sup>72</sup>

وعلى الرغم من أن جماعة القسام لم تعلن عن نفسها إلا في وقت متأخر، إلا أنها قامت بعدد من العمليات العسكرية، خصوصاً في الفترة 1930-1932 وقد بدت وكأنها عمليات فردية. ويبدو أن هذه العمليات كانت من باب كسر حاجز الخوف لدى أفراد الجماعة، وجسّ النبض وردود الفعل لدى العرب والإنجليز واليهود، وربما كانت تعبيراً عن الحماس والتفاعل مع القضايا الوطنية، ومحاولة تصعيدها بما يتناسب وخطة الإعداد والتعبئة.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1935 أعلنت جماعة القسام "الجهادية" الجهاد، وقد توافق ذلك مع الازدياد الهائل في الهجرة والاستيطان، وتهريب السلاح لليهود، واشتداد المراقبة على القسام وإخوانه. وتلخصت خطة القسام في الخروج إلى القرى، وحضّ الناس على شراء السلاح، والاستعداد للثورة، وحشد العناصر المؤيدة للجماعة.<sup>73</sup> وقد اختفى القسام وعدد من إخوانه في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر بعد أن باع بيته الوحيد في حيفا، وباع أصحابه حليّ زوجاتهم وبعض أثاث بيوتهم ليوفروا الرصاص والبنادق.<sup>74</sup>

<sup>70</sup> كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 584.

<sup>71</sup> علي حسين خلف، تجربة الشيخ عز الدين القسام، ص 53-54؛ ومحمد نمر الخطيب، من أثر النكبة، ص 88؛ وانظر أيضاً:

S. Abdullah Schleifer, "The Life and Thought of Izziddin Al-Qassam," *The Islamic Quarterly*, vol. 23, no. 2, 1979, p. 75.

<sup>72</sup> صبحي ياسين، حرب العصابات في فلسطين، ص 70.

<sup>73</sup> المرجع نفسه، ص 70.

<sup>74</sup> عوني العبيدي، ثورة الشهيد عز الدين القسام، ص 42.

وبعد فجر يوم 1935/11/20، طوّقت قوات كبيرة من الشرطة تُقدَّر بـ 400 رجل، معظمهم من الإنجليز، القسام وعشرة من إخوانه في أحراش يعبد عند قرية الشيخ زيد. وقد بدأت المعركة في الخامسة والنصف صباحاً، واستمرت أربع ساعات ونصف الساعة.<sup>75</sup> وعندما لاحظ الشيخ القسام أن الإنجليز وضعوا الشرطة العربية في المقدمة أوصى رجاله "لا تقتلوا أبناءنا"،<sup>76</sup> وصاح برجاله على مسمع من الشرطة العربية "إياكم ومقابلة رصاص الجنود [الشرطة] العرب بمثله، فإنهم مساكين ولا يدرون ماذا نصنع ولا ما يصنعون، ولكن عليكم بالإنكليز".<sup>77</sup> وحسب المصادر العربية فقد حَسِرَ الإنجليز 15 رجلاً،<sup>78</sup> لكن التقارير البريطانية أشارت إلى مقتل شرطي واحد يدعى موت Mott وجرح العريف ريدر Reader في يده.<sup>79</sup> أما جماعة القسام فقد استشهد منها في هذه المعركة الشيخ عز الدين القسام نفسه، ويوسف الزيباوي، ومحمد حنفي المصري، وقبض على نمر السعدي، وأسعد المفلح اللذين أصيبا بجراح، كما قبض على عربي بدوي، ومحمد يوسف، وأحمد جابر، وحسن البايير.<sup>80</sup>

وقد أحدث استشهاد القسام ورفاقه هزة كبرى في فلسطين، وخرج في جنازتهم نحو 30 ألفاً جاؤوا إلى حيفا من مختلف أنحاء فلسطين. وقد بلغ الحماس في الجنازة مداه، وترددت صيحات الانتقام، فهاجم المشاركون دائرة الشرطة بالحجارة والطوب، وكسروا زجاج نوافذها، وحطموا باب الدائرة وثلاث سيارات للشرطة. وعندما

<sup>75</sup> كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 593-594؛ وعبد الستار قاسم، الشيخ المجاهد عز الدين القسام، ص 64-65. وانظر أيضاً:

*The Palestine Police Force, Annual Administrative Report, 1935* (Jerusalem: Government Printing Press, Undated), p. 40.

<sup>76</sup> زهير المارديني، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني، ص 83.

<sup>77</sup> عن ثورة فلسطين سنة 1936: وصف وأخبار ووقائع ووثائق، إعداد مكتب الاستعلامات الفلسطيني العربي بمصر (القاهرة: اللجنة الفلسطينية العربية، كانون الأول/ديسمبر 1936)، ص 41.

<sup>78</sup> صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص 40.

<sup>79</sup> وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 397. وانظر أيضاً:

*The Palestine Police Force, Annual Administrative Report 1935*, p. 40.

<sup>80</sup> عبد الستار قاسم، الشيخ المجاهد عز الدين القسام، ص 66-67.



حضرت قوة من الشرطة البريطانية المدججين بالسلاح ثارت الجموع، ودخلت معهم في صدام، ووقع قائداهم على الأرض، وجرح اثنان، وانسحب البريطانيون بسرعة.<sup>81</sup> ولولا أن السلطة سحبت "عساكرها" من وجه الجنازة لوقعت الثورة الكبرى في فلسطين قبل موعدها بخمسة أشهر على حدّ تعبير صبحي ياسين.<sup>82</sup>

وقد أحدث استشهاد القسام تغييراً أساسياً في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية، فقد كرسّ بديل الجهاد بعد سنوات طويلة من الحركة السياسية غير المجدية، وألهمت حركته، و"تضحيته" حماس، و"صارت مثلاً رائعاً للجرأة والجهاد العلني ضدّ الإنجليز"،<sup>83</sup> "وقامت البلاد وقعدت واهتزت أيما اهتزاز، وزلزلت أيما زلزال، ومن ذلك الحين اشتدت كراهية العرب لحكومة الانتداب، وأخذت تظهر هذه الكراهية بأشكال عنيفة".<sup>84</sup> وأطلق شعب فلسطين على القسام اسم "أبو الوطنية"،<sup>85</sup> وقد شعر الزعماء السياسيون العرب في فلسطين بحدة المأزق الذي وضعوا فيه، فقد أوضح المندوب السامي في رسالة له إلى وزير المستعمرات، في 1935/12/7، ما أحدثه استشهاد القسام ورفاقه من أثر كبير. وقال المندوب إن زعماء الأحزاب العربية الخمسة قد اجتمعوا به في 25 تشرين الثاني/نوفمبر، وأخبروه أنهم ما لم يتلقوا على مذكرتهم رداً يمكن اعتباره بشكل عام مرضياً لمطالبهم فإنهم "سيفقدون كل تأثير على أتباعهم، وستسود الآراء المتطرفة واللامسؤولية، وسيتهور الوضع السياسي بسرعة".<sup>86</sup>

<sup>81</sup> يوميات أكرم زعيتر، ص 32.

<sup>82</sup> صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص 39-41.

<sup>83</sup> محمد عزة دروزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها (بيروت: دار الكلمة، 1980)، ج 2، ص 52.

<sup>84</sup> محمد نمر الخطيب، من أثر النكبة، ص 88.

<sup>85</sup> كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 594.

<sup>86</sup> Despatch, High Commissioner of Palestine to Secretary of State for the Colonies, 7 December 1935, Secret, C.O. (Colonial Office-London), 733/297/1.

وهكذا فإن القسام كان محقاً عندما قال قبل ابتداء المعركة: إنه وإخوانه عبارة عن  
عود ثقاب سيشعل الثورة في البلاد.<sup>87</sup>

#### 4. الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939:

تعد هذه الثورة من أعظم الثورات في تاريخ فلسطين في القرن الـ 20 وقد عبّرت عن روح التضحية والفداء والمصابرة والإصرار على الحقوق التي تميز بها أبناء فلسطين. وتمكنت هذه الثورة في بعض مراحلها من السيطرة على كل الريف الفلسطيني، بل والسيطرة على عدد من المدن، بينما انكفأت السلطات البريطانية في بعض المدن المهمة. وقدّمت هذه الثورة نموذجاً عالمياً هو أطول إضراب يقوم به شعب كامل عبر التاريخ حيث استمر 178 يوماً. وربما لو كان الأمر مقتصرًا على الصراع بين شعب فلسطين وبين الاستعمار البريطاني لنالت فلسطين حريتها واستقلالها منذ تلك الثورة، إذا ما قارنا هذه الثورة بثورات الشعوب التي نالت استقلالها. ولكن وجود العامل اليهودي - الصهيوني وتأثيره القوي داخل فلسطين، وفي بريطانيا، والدول الكبرى جعل الأمر أكثر صعوبة وتعقيداً، وفرض أن تتسع دائرة مشروع التحرير إلى الدائرة العربية والإسلامية.

وتنقسم الثورة إلى مرحلتين، كانت بينهما مرحلة توقّف أشبه بـ "الهدنة المسلحة" المشوبة بالتوتر.

##### أ. المرحلة الأولى من الثورة: نيسان/ أبريل - تشرين الأول/ أكتوبر 1936:

لم تُلق جماعة "الجهادية" (القساميون) السلاح بعد استشهاد قائدها، فقامت باختيار قائد جديد هو الشيخ فرحان السعدي، على الرغم من كونه في الـ 75 من عمره، إلا أنه كان ما يزال مقاتلاً صلباً نشطاً مشهوراً بدقته في إصابة الهدف. وقد عملت هذه الجماعة على تهيئة الظروف لانطلاقة أقوى وأوسع.

وقد تفجّرت الشرارة الأولى للثورة الكبرى في فلسطين يوم 15/4/1936، عندما قامت مجموعة قسامية بقيادة الشيخ فرحان السعدي بقتل اثنين من اليهود وجرح

<sup>87</sup> عبد الستار قاسم، الشيخ المجاهد عز الدين القسام، ص 106.



ثالث على طريق نابلس - طولكرم. وقد ردّ اليهود باغتيال اثنين من العرب في اليوم التالي، ثم حدثت صدامات واسعة بين العرب واليهود في منطقة يافا يوم 19 نيسان/أبريل أدت إلى مقتل 9 يهود وجرح 45 آخرين، وقتل من العرب 2 وجرح 28.<sup>88</sup> وساد البلاد جوٌّ شديد من التوتر، أعلنت الحكومة على إثره منع التجول في يافا وتل أبيب كما أعلنت حالة الطوارئ في كل فلسطين.<sup>89</sup>

وفي 20 نيسان/أبريل شكّلت في نابلس لجنة قومية غير حزبية، كان وقودها الدافع مجموعة من الشبان المثقفين في مقدمتهم أكرم زعيتر. وقد دعت اللجنة إلى الإضراب العام في فلسطين، على أن يستمر إلى أن تعلن الحكومة البريطانية استجابتها للمطالب الوطنية.<sup>90</sup> وقد لقيَ الإضراب استجابة واسعة، وتشكلت لجان قومية في أنحاء فلسطين لتأمين الإضراب وإنجاحه، وتجاوبت الأحزاب العربية الفلسطينية مع الإضراب وأيدته. ثم ما لبثت، تحت الضغط الشعبي، أن وحدت القيادة الفلسطينية بتشكيل "اللجنة العربية العليا" في 25 نيسان/أبريل والتي وافق الحاج أمين الحسيني على رئاستها. وهكذا نزل الحاج أمين لأول مرة منذ 16 عاماً إلى ميدان المعارضة المكشوفة للسلطات البريطانية. وقد قررت اللجنة العليا الاستمرار في الإضراب، وأكدت على مطالب الشعب الفلسطيني المعروفة بإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع انتقال الأراضي العربية إلى اليهود، وإنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي.<sup>91</sup>

وهكذا، دخلت فلسطين في إضراب شامل استمر ستة أشهر، وأصبحت فيه مظاهر العمل والنشاط التجاري والصناعي والتعليمي والزراعي والمواصلات في جميع المدن

<sup>88</sup> انظر: **يوميات أكرم زعيتر**، ص 53-56؛ وبيان نويهض الحوت، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، ص 331-332. وانظر أيضاً:

Dispatch on the Disturbances in Palestine, 19 Apr. to 14 Sep. 1936, by Air Vice-Marshal R.E.C. Peirse, submitted to Air Ministry, London, 15 Oct. 1936, The National Archives, War Office, W.O. 32/4177, p. 13. (Hereafter referred to as Peirse Dispatch)

<sup>89</sup> **تقرير بيل**، ص 126؛ و**وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية**، ص 412.

<sup>90</sup> **يوميات أكرم زعيتر**، ص 60-63.

<sup>91</sup> المرجع نفسه، ص 64-77؛ و**وثائق المقاومة الفلسطينية العربية**، ص 378-379. وانظر:

Periodical Appreciation Summary, No. 9/36, C.I.D. 6 May 1936, F.O. 371/20018.

والقرى بالشلل.<sup>92</sup> وقد زاد من حدة الإضراب تبني الفلسطينيين سياسة "العصيان المدني"، بتنفيذ الامتناع عن دفع الضرائب اعتباراً من 15 أيار/ مايو.<sup>93</sup> وأخذ الوضع الفلسطيني يأخذ شكل الثورة الشاملة مع مرور الوقت، فأخذت العمليات الثورية المسلحة، التي بدأت محدودة متفرقة، في الانتشار والتوسع حتى عمت معظم أرجاء فلسطين، وبلغ معدلها خمسين عملية يومياً،<sup>94</sup> وزاد الثوار حتى بلغوا نحو 5 آلاف،<sup>95</sup> معظمهم من الفلاحين الذين يعودون إلى قراهم بعد القيام بمساعدة الثوار الذين تفرغوا تماماً. وبعد جهود سرية قام بها الحاج أمين ورفاقه، حدث تطور نوعي في الثورة، وذلك بقدوم تعزيزات من الثوار العرب من العراق، وسورية، وشرق الأردن بلغت قرابة 250 رجلاً. وكان على رأسها القائد العسكري المعروف فوزي القاوقجي، الذي وصل في 22 آب/ أغسطس. وأسهم القساميون في تنظيم وقيادة الثورة، فشارك ثلاثة منهم (من أصل ستة) في عضوية القيادة العسكرية، والتي اختارت في 2 أيلول/ سبتمبر فوزي القاوقجي قائداً عاماً، الذي استمر في القيادة حتى نهاية المرحلة الأولى من الثورة في 12/10/1936. وقد نظم القاوقجي الشؤون الإدارية والمخابرات، وأقام محكمة للثورة، وأسس غرفة للعمليات العسكرية.<sup>96</sup> واعترفت القيادة العسكرية البريطانية في تلك المدة بتحسّن تكتيكات الثوار، مشيرة إلى أنهم أظهروا علامات على فعالية القيادة والتنظيم.<sup>97</sup>

ولم تنفع الوسائل السياسية والعسكرية البريطانية في إيقاف الإضراب والثورة، بما في ذلك إعلان بريطانيا في 18 أيار/ مايو إرسال لجنة ملكية "لجنة بيل Peel Commission" للتحقيق في أسباب الاضطرابات، ورفع التوصيات لإزالة أي

<sup>92</sup> محمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 39-40.

<sup>93</sup> يوميات أكرم زعيتر، ص 99-100؛ وانظر:

Peirse Dispatch, p. 20.

<sup>94</sup> محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها (بيروت: المكتبة العصرية، 1959)، ج 1، ص 128-129.

<sup>95</sup> J. Marlowe, *Rebellion in Palestine* (London: The Cresset Press, 1946), p. 156.

<sup>96</sup> انظر: فلسطين في مذكرات القاوقجي: 1936-1948 (الجزء الثاني)، إعداد خيرية قاسمية (بيروت: مركز الأبحاث ودار القدس، 1975)، ص 20-22.

<sup>97</sup> Peirse Dispatch, p. 94.



”ظلامات مشروعة“، ومنع تكرارها.<sup>98</sup> ولم تتوقف المرحلة الأولى من الثورة الفلسطينية الكبرى والإضراب إلا في 12/10/1936، إثر نداء وجهه زعماء السعودية، والعراق، وشرق الأردن، واليمن لأهل فلسطين ب”الإخلاء إلى السكينة حقناً للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا بأننا سواصل السعي في سبيل مساعدتكم“.<sup>99</sup>

بلغت عمليات المجاهدين في هذه المرحلة من الثورة نحو أربعة آلاف. ويبدو أن السلطات البريطانية تكتمت كثيراً على خسائرها وخسائر الأطراف الأخرى، لتُهَوَّن من شأن الثورة، فذكرت أنه قُتل من اليهود 80 وجرح 288، وقُتل من الجيش والشرطة البريطانية 35 وجرح 164، فيما قُتل من العرب 193 وجرح 803. وحسب محمد عزة دروزة، فإن عدد قتلى العرب زاد عن 750 وعدد الجرحى زاد عن 1,500.<sup>100</sup> واستدل مكتب الإحصاء الفلسطيني على ”كذب البيانات الرسمية“ بأنه بعد أقل من شهرين من بدء الإضراب، بلغ عدد قتلى الجنود الذين دفنتهم إدارة الصحة في نابلس 162 جندياً.<sup>101</sup> وقد بلغت خسائر الحكومة البريطانية بسبب الإضراب 3.5 ملايين جنيه استرليني عدا خسائر توقف التجارة والسياحة، وهو ما يوازى ميزانية فلسطين لسنة كاملة في ذلك الوقت.<sup>102</sup> وقُدِّرت خسائر العرب بعدة ملايين من الجنيهات، على الرغم من أن كل ما جاءهم من إعانات خارجية لم يصل إلى 20 ألف جنيه. وبلغ عدد المنكوبين العرب 300 ألف (ثلث الشعب الفلسطيني)، بينهم 40 ألفاً من مدينة يافا وحدها.<sup>103</sup>

<sup>98</sup> تقرير بيل، ص 7-8.

<sup>99</sup> وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 458.

<sup>100</sup> انظر: يوسف رجب الرضيي، ثورة 1936 في فلسطين: دراسة عسكرية (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1982)، ص 61؛ ومحمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 43.

<sup>101</sup> عن ثورة فلسطين سنة 1936: وصف وأخبار ووقائع ووثائق، ص 43.

<sup>102</sup> يوسف رجب الرضيي، ثورة 1936 في فلسطين، ص 62.

<sup>103</sup> محمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 44؛ وعن ثورة فلسطين سنة 1936: وصف وأخبار ووقائع ووثائق، ص 28.

ب. مرحلة التوقف المؤقت للثورة: تشرين الأول/ أكتوبر 1936 – أيلول/ سبتمبر 1937:

مشروع لجنة بيل 1937



مترجم عن الأصل، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية - القدس.

دخلت فلسطين بعد توقف الإضراب في شبه هدنة مؤقتة، بانتظار نتائج توصيات اللجنة الملكية "لجنة بيل"، التي أرسلت للتحقيق في مطالب أهل فلسطين. وقد حافظ الثوار على درجة من التوتر يسهل معها انتقال البلاد إلى الوضع الثوري السابق، في حالة عدم تحقيق المطالب العربية. ولذلك، فقد استمرت عمليات المجاهدين ذات الطابع الفردي كالنسف، والقنص، والاعتقالات السياسية. وقد اعترفت الحكومة البريطانية بمقتل 97 شخصاً بينهم 9 جنود بريطانيين، وجرح 149 بينهم 13 من الشرطة والجيش، خلال الأشهر الثلاثة الأولى من سنة 1937.<sup>104</sup>

وقد أوصت اللجنة الملكية في خلاصة تقريرها، الذي رفعته للحكومة البريطانية في 1937/6/22، ونشرته الحكومة في 7 تموز/ يوليو، بتقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة عربية وأخرى يهودية، على أن تبقى الأماكن المقدسة وممر منها إلى يافا تحت الانتداب البريطاني، وقد اجتاحت البلاد موجة من السخط أدت إلى تفجّر المرحلة الثانية من الثورة.

<sup>104</sup> يوميات أكرم زعيتر، ص 286.

### ج. المرحلة الثانية من الثورة: أيلول/سبتمبر 1937 – أيلول/سبتمبر 1939:

كان حادث اغتيال أندروز Andrews حاكم لواء الجليل، على يد جماعة القسام في 1937/9/26، المؤشر البارز على بدء المرحلة الثانية من الثورة الفلسطينية. وقد عُدَّ مقتل أندروز صدمة كبيرة للسلطات البريطانية، إذ كان أول اغتيال لشخصية مدنية كبيرة، وعُدَّ إعلاناً صريحاً للثورة ضدَّ الحكم البريطاني.<sup>105</sup> ويبدو أن حكومة فلسطين كانت مستعدة تماماً للقيام بإجراءات ثورية قمعية قاسية، وكان من الواضح وجود روح من التوافق بين السلطات المدنية والعسكرية لاعتماد أسلوب الشدة والقوة لسحق أي "اضطرابات" من جذورها... ولذلك لم تتردد هذه المرة، اعتباراً من 1937/10/1، من حلّ اللجنة العربية العليا، وإبعاد بعض أفرادها إلى جزر سيشل Seychelles، وإقالة المفتي من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وحلّ اللجان القومية، والقيام بحملة اعتقالات واسعة.<sup>106</sup>

وكان متوقفاً بالنسبة لمؤيدي سياسة "القبضة الحديدية"، الذين انتقدوا بمرارة "عجز" السلطات المدنية في ثورة 1936، أن يؤدي أسلوب السلطة الجديد إلى سحق الثورة في مهدها. ولكن الذي حدث كان عكس ذلك تماماً، فقد تفجرت ثورة كبرى استمرت أربعة أضعاف تلك المدة التي عاشتها المرحلة الأولى من الثورة...، ولم تتوقف هذه الثورة إلا بعيد اندلاع الحرب العالمية الثانية في أواخر سنة 1939.

ففي يوم فرار الحاج أمين الحسيني إلى لبنان في 14 تشرين الأول/أكتوبر استؤنفت العمليات الجهادية بشكل واسع.<sup>107</sup> وبالرغم من محاولات الجيش سحق هذه الثورة بكل الوسائل، إلا أنها استطاعت الاستمرار والانتشار، وعاشت فلسطين جواً من الثورة الوطنية العارمة التي حظيت بدعم شعبي هائل. وفي صيف 1938

<sup>105</sup> Yeshoua Porath, *The Palestinian Arab National Movement: From Riots to Rebellion 1929–1939* (Great Britain: Frank Cass, 1977), p. 235.

<sup>106</sup> محمد عزة دروزة، *القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها*، ج 1، ص 187–188.

<sup>107</sup> Report on the operations carried out by the British force in Palestine and Trans-Jordan in Aid of the Civil Power for 12 Sep. 1937 to 31 Mar. 1938, by R.P. Wavell sent to Under S. of S. War, 7 Apr. 1938, Secret, p. 1, W.O. 32/9401; and Resume of Operations: for Oct. 1937, Air H.Q., 23 Nov. 1937, AIR 5/1247.

وصلت الثورة إلى قمة نفوذها، وخضعت لهيمنتها مناطق واسعة، خصوصاً شمال فلسطين ووسطها، وتحطمت الإدارة المدنية في معظم مناطق فلسطين. واقتحم الثوار العديد من المدن المهمة، وكانوا يسيرون وهم مسلحون تماماً في شوارع نابلس دون خوف، وأظهر الثوار قدرة جيدة على التنظيم وفعالية في "حرب العصابات"، وشكّلوا محاكم للفصل في القضايا، وعاقبوا بحسم السماسرة والجواسيس والعملاء.<sup>108</sup> وأصبح قادة الثوار بمثابة الحكام الإداريين في مناطقهم... وعندما كان يحلُّ القائد في قرية، كانت تزدهم بأهل القرى المجاورة ووفود المدن القريبة، "وتقام فيها الولائم والحفلات، وتنشد الأهازيج، وترسل الزغاريد، كأن الناس في عرس أو عيد، غير مبالين ولا متحسبين، كأنه لم يكن للحكومة وجود".<sup>109</sup> وزادت أعداد الثوار حتى بلغت نحو 10 آلاف، غير أن عدد المتفرغين منهم تماماً للثورة لم يكن يزيد على 3 آلاف، وكان هناك ألف يعملون في المدن، والباقي من الفلاحين الذين يقومون بنجدة إخوانهم في المعارك عندما تستدعي الحاجة.<sup>110</sup> وبلغ من شدة الثورة أن وزير المستعمرات عدّ فلسطين "أصعب بلد في العالم"،<sup>111</sup> ووصف مهمة المندوب السامي والقائد العام للقوات البريطانية بأنها "أشق مهمة واجهت السلطات البريطانية في أية بلاد أخرى بعد الحرب العظمى".<sup>112</sup>

وشكّلت في سورية ولبنان "لجنة الجهاد المركزية"، تحت إشراف وتوجيه الحاج أمين، وتولى إدارتها الفعلية في دمشق محمد عزة دروزة، وقد اهتمت اللجنة بتوجيه الثورة وإمدادها وإسعاف منكوبيها.<sup>113</sup>

<sup>108</sup> انظر: محمد عزة دروزة، *القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها*، ج 1، ص 193-207. وانظر أيضاً: Tel, H.C. to S. of S. Colonies, 25 May 1938, Secret, Most Immediate, C.O. 733/36/1; Military Intelligence Summary, No. 19/38, 23 Sep. 1933, C.O. 733/81/9; and Dispatch, H.C. to S. of S. Colonies, 24 Oct. 1939, Secret, C.O. 935/21.

<sup>109</sup> محمد عزة دروزة، *فلسطين وجهاد الفلسطينيين*، ص 53-54.

<sup>110</sup> صبحي ياسين، *حرب العصابات في فلسطين*، ص 75-77، وقد قدّر مارلو عددهم بـ 15 ألفاً. انظر:

J. Marlowe, *Rebellion in Palestine*, p. 194.

<sup>111</sup> زهير المارديني، *ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني*، ص 284.

<sup>112</sup> *يوميات أكرم زعيتر*، ص 427.

<sup>113</sup> محمد عزة دروزة، *القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها*، ج 1، ص 209.



أما قيادة الثورة في فلسطين فقد تولها الفلسطينيون أنفسهم، وأبدى العديد من قادتهم مهارة كبيرة، غير أن قادة الثورة لم يتوحدوا جميعاً تحت قائد واحد، بسبب وجود شيء من التكافؤ جعل من الصعب قيادة أحدهم للجميع. لكن جماعة القسام استطاعت أن توحد مناطق شمال فلسطين تحت قيادة أبي إبراهيم الكبير، وكان معظم قادة مناطقها من القساميين، أمثال: محمد أبو محمود الصفوري، وسليمان عبد الجبار، وعبد الله الأصبح، وتوفيق إبراهيم، وعبد الله الشاعر، وعارف حمدان، ومحمود الخضر، ورشيد عيد أبو درويش، ومحمود سالم... وغيرهم. وفي منطقة لواء نابلس المقسمة لأربعة مناطق، كان منهنما منطقتان قادتهما جماعة القسام: منطقة جنين الغربية التي قادها الشيخ عطية أحمد عوض، والذي خلفه بعد استشهاده الشيخ القسامي يوسف أبو درة؛ ومنطقة جنين الشرقية التي قادها الشيخ محمد الصالح الحمد (أبو خالد)، والذي خلفه بعد استشهاده الشيخ القسامي عبد الفتاح محمد الحاج مصطفى. أما المنطقة الثالثة فهي منطقة طولكرم الشرقية التي كان يقودها عبد الرحيم الحاج محمد، وكان يعرف في بعض مراحل الثورة بالقائد العام؛ والمنطقة الرابعة منطقة طولكرم الغربية التي كان يقودها عارف عبد الرازق. كما قاد القساميون جزءاً من مناطق شمالي القدس. وتولى حسن سلامة قيادة منطقة اللد، وتولى عيسى البطاط قيادة منطقة الخليل، كما تولى عبد القادر الحسيني قيادة منطقة القدس.<sup>114</sup>

وقد اتخذت هذه الثورة طابعاً إسلامياً جهادياً عاماً، فالشعب الفلسطيني الذي عرف بعمق ارتباطه بالإسلام، عبّر عن ثورته ومشاعره من خلال الصياغات الإسلامية ومفهوم الجهاد. كما ظهر ذلك على الأرض من خلال الدور العظيم لجماعة القسام في شمال فلسطين ووسطها، ومنظمة "الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني في مناطق القدس والخليل، ومن خلال القيادة السياسية لمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية، وكذلك عبد الرحيم الحاج محمد المشهور بتدينه والتزامه... وغيرهم.<sup>115</sup>

<sup>114</sup> انظر: محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج 1، ص 211-212؛ ومحسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص 361-412.

<sup>115</sup> انظر حول الطابع الإسلامي للثورة في: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص 354-360.

ومن البيانات التي تُعبّر بعمق عن التوجه الإسلامي للثورة، ذلك البيان الذي أصدرته قيادة الثورة العامة في فلسطين 1938، والذي جاء فيه:

إن المجاهدين قد باعوا أنفسهم لله، وخرجوا في طاعته، لم يخرجوا إلا ابتغاء وجهه، والجهاد في سبيله والفوز بثوبته، واكتساب مرضاته، لا يرضون بذلك بديلاً ولا يبيغون عنها حولاً، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وهم يتسابقون إلى ميدان الجهاد والشهادة انتصاراً للحق وإقامة للعدل ودفاعاً عن أمتهم الكريمة وبلادهم المقدسة، فقد فارقوا في سبيل ذلك أهلهم، وتركوا أموالهم، وعطلوا مصالحهم. ومن كان هذا حالهم، وكان كل مبتغاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة من الله لا من سواه، حاشا لله أن يفسدوا في الأرض... ونحن ماضون في هذا السبيل إن شاء الله إلى أن يُكتب النصر لهذه الأمة، أو يأتي الله بأمر من عنده ﴿وَلْيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، والله ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير.<sup>116</sup>

وأظهرت دراسة إحصائية<sup>117</sup> في بيانات وتقارير الثورة الكبرى شملت 154 وثيقة أنه كان للإسلام ورجاله ورموزه النصيب الأكبر من أسماء الفصائل، كما أن طريقة كتابة البيانات والتقارير العسكرية تميّزت بطابعها الإسلامي العام، فهي عادة تبدأ بالبسملة، وتحتها أحياناً آية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ وأحياناً ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، وإلى جانبها أحياناً ”الله أكبر“. وكان قادة الثورة يُوقعون بياناتهم بألفاظ ”المتوكل على الله“، أو ”خادم دينه ووطنه“، أو ”المعتصم بالله“، أو ”المعتز بالله“، أما الأختام فكان ختم ديوان الثورة يتضمن أعلاه لفظة ”الله أكبر“ وتحتها هلال بداخله آية ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾. أما مناطق العمليات فقد تركزت في شمال فلسطين ولواء نابلس حيث كان الوجود القسامي كثيفاً.

وكانت أهلك الأيام التي واجهت السلطات البريطانية ومخابراتها هي صيف 1938، إذ قُضي على الجواسيس في معظم المناطق، ولم تجد السلطات ما تفرق به بين الثوار في المدن عن غيرهم سوى اعتبار كل لابس للكوفية والعقال ثائراً، وكان هذا غطاء الرأس المعتاد للفلاحين، فتقوم السلطات بملاحقته. ولذلك أصدر الثوار أمراً في

<sup>116</sup> وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، ص 614-616.

<sup>117</sup> انظر خلاصة هذه الدراسة في: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين، ص 358-360.



آب/ أغسطس 1939 لأهل المدن الفلسطينية بنزع الطربوش (غطاء الرأس في المدن)، ولبس الكوفية والعقال، وذلك إعلاناً للتضامن التام مع الثوار ورمزاً لكون الجميع ثواراً. وما أن صدر الأمر حتى سارع أهل فلسطين إلى الاستجابة فزال الفارق الظاهري بين الثوار وغيرهم، وزال الطربوش نهائياً، مما أدهش السلطات، التي فوجئت أن شعباً بكامله ينزع لباس رأسه، الذي هو من تقاليد الموروثة.<sup>118</sup>

وقد اضطرت السلطات البريطانية إلى إرسال تعزيزات عسكرية ضخمة يقودها أفضل قادة بريطانيا العسكريين أمثال ديل Dill، وويفل Wavell، وهنينج Haining، ومونتجمري Montgomery. وقامت عملياً بإعادة احتلال فلسطين قرية قرية، مستخدمة كافة وسائل البطش والدمار والعقوبات الجماعية، ومستعينة بكافة الوسائل الحديثة لجيش من أقوى جيوش العالم من طيران ودبابات ومدافع وغيرها. واستمرت الحملة عنيفة قاسية خصوصاً من تشرين الأول/ أكتوبر 1938 وحتى نيسان/ أبريل 1939. وخلال عام واحد (تشرين الثاني/ نوفمبر 1938 - تشرين الثاني/ نوفمبر 1939)، كانت القوات البريطانية قد قامت باحتلال 2,088 قرية وتفتيشها.<sup>119</sup> أي أن كل قرية في فلسطين احتلت وفتشت بما معدله مرتين، لأن مجموع قرى فلسطين يبلغ نحو ألف قرية. ولذلك فقد عانت الثورة من حالة من التراجع والضعف خصوصاً منذ نيسان/ أبريل 1939. حيث فقدت الكثير من زخمها، واستشهد الكثير من قادتها بينما اضطر آخرون للانسحاب. غير أن جذوة الثورة استمرت بالانطفاء التدريجي حتى أواخر سنة 1939.

وحسب الإحصائيات البريطانية فإن مجموع العمليات التي قام بها الثوار خلال الفترة 1936-1939 كانت كما يلي:<sup>120</sup>

السنة	1936	1937	1938	1939
مجموع العمليات	4,076	598	4,969	952

<sup>118</sup> يوميات أكرم زعيتر، ص 440؛ وجريدة الشباب، مصر، 1938/9/21.

<sup>119</sup> Tel., General Officer Commander, Jerusalem, to W.O., London, 18 Nov. 1939, Secret, C.O. 733/404/2.

<sup>120</sup> انظر: يوسف رجب الرضيي، ثورة 1936 في فلسطين، ص 61-62، و69، و73، و78.

ولا يظهر أنه توجد إحصائيات رسمية دقيقة حول الإصابات في المرحلة الثانية من الثورة، لكن تقدير أحد القادة السياسيين المؤرخين المعاشين لتلك الأحداث، وهو محمد عزة دروزة، وكان يتولى إدارة اللجنة المركزية للجهاد في أثناء الثورة، يذكر أن إصابات اليهود كانت نحو 1,500 ربعهم إن لم يكن ثلثهم من القتلى، وهو قريب من الإحصائيات الرسمية اليهودية، وقدّر الإصابات في الجيش والشرطة البريطانية بـ 1,800 قتيل وجريح، بينما قدّر قتلى العرب بـ 3 آلاف وجرحاهم بـ 7 آلاف.<sup>121</sup>

توقّفت هذه الثورة نتيجة إعادة احتلال بريطانيا "العظمى" لفلسطين، ونتيجة تنسيقها وتعاونها الميداني مع اليهود في فلسطين، وكذلك بسبب حالة الإنهاك والإعياء والانهايار الاقتصادي التي أصابت شعب فلسطين طيلة ثلاثة أعوام ونصف، دون أن يجد عوناً جاداً من بلاد العرب والمسلمين، التي كانت هي الأخرى ترزح تحت النفوذ الاستعماري. وبسبب استشهاد كثير من قادة الثورة، ثم بسبب الخلافات الداخلية الفلسطينية الحزبية والعائلية التي ظهرت أواخر مراحل الثورة، واستثمرتها بريطانيا بشكل يسيء إلى الثورة ويضعفها.

\*\*\*

ومن جهة أخرى، حاولت بريطانيا إيجاد مخرج سياسي، بينما كانت تقوم بسحق الثورة، فقامت بإلغاء مشروع تقسيم فلسطين، وأفرجت عن معتقلي سيشل، ودعت إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن، بحيث تحضره وفود تمثل الفلسطينيين واليهود وعدداً من البلاد العربية. وقد فشل المؤتمر، الذي انعقد في شباط/فبراير 1939، في الوصول إلى نتيجة محددة. وهذا مهّد الطريق أمام البريطانيين ليعلنوا وحدهم الحل الذي يرتأونه، والذين قالوا إنهم سينفذونه بغض النظر عن رضى الطرفين. فأصدرت الحكومة البريطانية "الكتاب الأبيض" في أيار/مايو 1939، الذي شكّل إلى حدّ ما نصراً سياسياً للفلسطينيين، فقد أقرت بريطانيا بشكل حاسم أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأن ما تريده هو دولة فلسطينية مستقلة، يقتسم فيها العرب واليهود السلطة الحكومية. وأعلنت بريطانيا سعيها إلى إنشاء دولة فلسطينية خلال عشرة أعوام، وأن الهجرة اليهودية في الأعوام الخمس القادمة لن تزيد عن

<sup>121</sup> محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج 1، ص 220.



75 ألفاً، وبعد ذلك تُمنع إلا بإذن من العرب، وقرّرت حظر بيع الأراضي في بعض مناطق فلسطين، بينما يكون مقيداً في مناطق أخرى.<sup>122</sup> ولم توافق معظم القيادة الفلسطينية على المشروع البريطاني؛ لشكّها أساساً في الوعود والنوايا البريطانية، ولأنه ربط استقلال فلسطين بموافقة اليهود وتعاونهم، كما أنه لم يَعد بإصدار عفو عام عن الثوار، أو المصالحة مع زعيم فلسطين الحاج أمين. وفوق ذلك فإن الفلسطينيين رأوا أنه ليس من الحكمة الموافقة المبكرة على المشروع الذي يتضمن بعض التنازلات، وما دامت بريطانيا مصرة على تنفيذه على أي حال، فإن الزمن كفيلاً بكشف مدى جديتها. كما عارض اليهود بقوة وعنف المشروع البريطاني.<sup>123</sup>

## خامساً: التطورات السياسية ونشوء الكيان الصهيوني 1939-1948:

وخلال الفترة 1939-1945 وقعت الحرب العالمية الثانية، ودخل الفلسطينيون تلك الفترة وقد أنهكت قواهم، وتشتت قيادتهم السياسية نتيجة الثورة، واضطر الحاج أمين أن يهرب إلى العراق في تشرين الأول/أكتوبر 1939، ثم هرب إلى إيران وتركيا، ثم إلى ألمانيا التي وصلها في تشرين الثاني/نوفمبر 1941، بعد أن سقط الحكم الوطني المعادي لبريطانيا في العراق، الذي كان للحاج أمين دورٌ رئيسيٌّ في إقامته. وهناك لم يجد بُدّاً من التعاون مع الألمان أعداء الإنجليز، في سبيل نيل العرب لحقوقهم، وتمّ إعداد مسودة تصريح تضمن تقديم دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) كل مساعدة ممكنة للبلدان العربية التي تحتلها وتسيطر عليها بريطانيا، والاعتراف باستقلالها، والمساعدة في القضاء على فكرة الوطن القومي اليهودي. غير أن الألمان أصرّوا على عدم إصدار التصريح إلا بعد وصول القوات الألمانية إلى منطقة القوقاز.

<sup>122</sup> *Palestine: Statement of Policy*, May 1939, Cmd. 6019 (London: H.M.S.O., 1939).

<sup>123</sup> انظر: عبد الوهاب الكيالي، *تاريخ فلسطين الحديث*، ص 300-302؛ وكامل خلة، *فلسطين والانتداب البريطاني*، ص 733-743.

وعلى أي حال، فإن الحاج أمين استفاد عملياً من وجوده هناك في السعي لتكوين جيش عربي مدرّب على يد الألمان من الجنسيات العربية، وقد تدرّب بالفعل مئات الشبان العرب ضمن هذا الجيش الذي أعلن رسمياً عن إنشائه في 1943/11/2، ومدّه الألمان بالكثير من الأسلحة الخفيفة والذخائر، وخبّئ في ليبيا نحو 30 ألف قطعة سلاح لاستخدامها مستقبلاً.<sup>124</sup> لكن انتصار البريطانيين وحلفائهم في الحرب، وضع الفلسطينيين وقيادتهم في حالٍ أكثر صعوبة. وقبض الفرنسيون على الحاج أمين، لكنه ما لبث أن استطاع الهرب في حزيران/ يونيو 1946، ووصل فجأة إلى مصر، وعمّت فلسطين الأفراح "فأقيمت الزينات في طول البلاد وعرضها، وتألّفت المواكب، وشمل الناس سرور عظيم"،<sup>125</sup> مما دلّ على الشعبية الهائلة التي ما زال المفتي يتمتع بها.

وتألّفت "الهيئة العربية العليا لفلسطين" في 1946/6/12 بقرار من جامعة الدول العربية، وعندما عاد الحاج أمين تولى رئاستها، وأصبحت الهيئة الرسمية الممثلة للفلسطينيين. لكن مشاكل الحاج أمين مع حكومتي الأردن والعراق أضعفت قدرته على العمل والمناورة، هذا بالإضافة إلى وجوده في مصر التي كانت ما تزال تحت بعض أشكال النفوذ البريطاني.

ومن جهة أخرى، استغلت الحركة الصهيونية ما حدث لليهود خلال الحرب العالمية الثانية استغلالاً كبيراً، وسعوا إلى المبالغة وتهويل ما حدث لهم في ألمانيا وأوروبا الشرقية، كسباً للعواطف والأنصار، مؤكدين أنه لا يوجد مكان آمن لحمايتهم، وأنه لا بديل لنجاتهم سوى إقامة وطنهم القومي في فلسطين. وحوّلت الحركة الصهيونية مركز تركيزها إلى القوة العظمى الصاعدة الولايات المتحدة، خصوصاً منذ مؤتمر بيلمور Biltmore سنة 1942، وحصلوا على دعم الحزبين الجمهوري Republican Party والديموقراطي Democratic Party بإلغاء الكتاب البريطاني الأبيض في أيار/

<sup>124</sup> انظر: فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني 1939-1948 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980)، ص 107-111؛ وزهير المارديني، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني، ص 157-162، و171، و200-202، و241، و243.

<sup>125</sup> خليل السكاكيني، كذا أنا يا دنيا، ط 2، ص 367.



مايو 1939. وعندما صعد هاري ترومان Harry Truman لسدة الحكم أظهر عطفاً أكبر على الصهيونية، وطلب في 1945/8/31 من كليمنت أتلي Clement Attlee رئيس بريطانيا، إدخال 100 ألف يهودي إلى فلسطين. وسعى اليهود إلى تجهيز أنفسهم عسكرياً، وشارك 26 ألفاً من اليهود المقيمين في فلسطين في الوحدات اليهودية في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية، وكان معظمهم أعضاء في منظمة الهاجاناه، حيث استفادوا خبرة عسكرية، جعلتهم نواة الدولة اليهودية المنتظرة. وهاجر إلى فلسطين خلال الفترة 1939-1945 نحو 92 ألف يهودي، كما تمكّن 61 ألفاً آخرين من الهجرة خلال الفترة 1946-1948، وحاز اليهود خلال الفترة 1939-1947 على نحو 270 ألف دونم من الأراضي، وأنشأوا 73 مستعمرة جديدة خلال الفترة 1940-1948. وفي جوٍّ من الضغط اليهودي - الأمريكي، والضعف العربي، قام البريطانيون بالتخلي رسمياً عن الكتاب الأبيض في البيان الذي أصدره وزير الخارجية إرنست بيفن Ernest Bevin في 1945/11/14. ودعا البيان أيضاً إلى تشكيل لجنة إنجلو-أمريكية للتحقيق في قضية فلسطين، وتقديم توصياتها، مما أدخل الأمريكيان بشكل مباشر في القضية، وقد أوصت اللجنة سنة 1946 بهجرة 100 ألف يهودي، وبحرية انتقال الأراضي وبيعها لليهود.<sup>126</sup>

واتخذت قضية فلسطين بُعداً دولياً عندما طلبت بريطانيا من الأمم المتحدة في 1947/4/2 إدراج القضية ضمن جدول أعمالها. ثم تشكلت لجنة تحقيق دولية خاصة بفلسطين (اليونسكوب UNSCOP) لدراسة الوضع وتقديم تقرير عنه. وقد انتهت من وضع تقريرها في 1947/8/31، ونصّت توصياتها المتحيزة على:

- إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.
- تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين عربية ويهودية، مع وضع القدس تحت وصاية دولية.<sup>127</sup>

<sup>126</sup> حول هذه الفقرة، انظر: فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 141، و181، و195-197،

و203-205؛ وحرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ص 26، و87.

<sup>127</sup> فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني، ص 248-250.

وفي مؤتمر صوفر، في 1947/9/6، وعاليه في 7-15/10/1947، قررت الدول العربية مقاومة اقتراحات اللجنة الدولية، وتقديم المعونة من رجال وسلاح لأهل فلسطين، واتخاذ "احتياطات عسكرية"، وتنظيم العمل العسكري.

وفي يوم 1947/11/29 أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة United Nations General Assembly قرارها المشؤوم رقم 181 بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وحاز أغلبية الثلثين بضغط أمريكي ودعم روسي قوي. وأعطى القرار 54.7% من أرض فلسطين للدولة اليهودية (14,400 كم<sup>2</sup>)، و44.8% للدولة العربية (11,780 كم<sup>2</sup>) ونحو 0.5% لمنطقة القدس.

ولم تكن القوى الكبرى تملك أغلبية الثلثين، وكاد في يوم 26 تشرين الثاني/نوفمبر أن يحدث تصويت، ولو تمّ لسقط مشروع التقسيم، لكن رئيس الجمعية مندوب البرازيل أجّل الجلسة. وقام اليهود والأمريكان بحملة محمومة نجحت بمختلف الوسائل في زيادة الأصوات المؤيدة، فقد استلمت زوجات ممثلي أمريكا اللاتينية هدايا كثيرة، معظمها ألماس ومعطف فرو ثمين. وأمرت حكومة هايتي، التي كانت قد صوتت ضدّ التقسيم، مندوبها بالتصويت معه، بعد أن وعدتها أمريكا بالمساعدة الاقتصادية. واستخدم رجل الأعمال الأمريكي روبرت ناثان Robert Nathan نفوذه الاقتصادي لشراء صوت جواتيمالا، وهددت شركة فايرستون Firestone Natural Rubber Company ليبيريا اقتصادياً إن لم تتحول من الامتناع إلى التأييد، وتعرضت الفلبين لضغوط شديدة، وتدخل رئيس جمهوريتها، فأمر مندوبه بالموافقة على القرار. ووفق هذه الألعاب القذرة تمّ تقرير مصير أحد أقدس وأطهر البقع في الأرض. ثرى ما هو المنطق في أن يتقرر مصير شعب مسلم وأرض مقدسة بناء على أن زوجة فلان من أمريكا اللاتينية حصلت على طقم ألماس أو معطف فرو!! أو لأن ليبيريا تخشى نفوذ شركة أمريكية!! وفي يوم 1947/11/29، فاز قرار التقسيم بأغلبية 33 مقابل 13 وامتناع 10.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن قرارات الجمعية العامة ليست قرارات ملزمة، حتى ضمن موثيق الأمم المتحدة نفسها. والقرار نفسه مخالف للأساس الذي قامت عليه



الأمم المتحدة من حقوق الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها. ثم إن شعب فلسطين المعني أساساً بالأمر لم تتم استشارته ولا استفتاؤه. هذا، بالإضافة للظلم الفاضح الذي تضمنته تفصيلات القرار من إعطاء نحو 55% من أرض فلسطين لأقلية يهودية دخيلة مهاجرة تمثل 31.7% من السكان ولا تملك أكثر من 6% من الأرض.

### تطور أعداد السكان في فلسطين تحت الاحتلال البريطاني

اليهود		العرب		السنة
النسبة (%)	العدد	النسبة (%)	العدد	
8.4	55,000	91.6	600,000	1918
31.7	646,000	68.3	1,390,000	1948

### تطور نسبة ملكية الأراضي في فلسطين تحت الاحتلال البريطاني

اليهود (%)	العرب (%)	السنة
2	98	1918
6	94	1948

### حرب 1948 وانعكاساتها:

اندلعت الحرب فور صدور قرار التقسيم، وتحمل أبناء فلسطين أعباءها في الأشهر الستة الأولى، بمساعدة عدد محدود من المتطوعين، إذ رفضت الدول العربية إرسال جيوشها إلى أن تخرج بريطانيا في 15/5/1948. وشكّل الفلسطينيون جيش "الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني، كما شكّلت الجامعة العربية "جيش الإنقاذ" من متطوعي البلاد العربية والإسلامية. وقد عانى أبناء فلسطين من هزلة الدعم العربي بالسلاح والعتاد لدرجة مأساوية، ومع ذلك تمكنوا من إثارة قلق اليهود ورعبهم فترة طويلة، ووصل الأمر بالولايات المتحدة للتفكير الجدي بالتراجع عن فكرة التقسيم في

آذار/ مارس 1948. وحتى دخول الجيوش العربية تمكن الفلسطينيون من المحافظة على نحو 82% من أرض فلسطين بالرغم من النقص المريع في كل شيء قياساً باليهود، وبالرغم من تعاون البريطانيين، في أثناء انسحابهم، مع اليهود.

وقد مثل دخول الجيوش العربية السبعة قصة مأساة أخرى، فلم يزد عدد مقاتليها مجتمعة عن 24 ألفاً مقابل أكثر من 70 ألف يهودي، وعانت من ضعف التنسيق بينها، وجعلها بالأرض، ومن أسلحتها القديمة والفاصلة، وشغل بعضها أنفسهم بنزع أسلحة الفلسطينيين بدلاً من تسليحهم، كما عانى بعضها من سوء قياداته، إضافة إلى أن أحد هذه الجيوش كان بين ضباطه الـ 50 الكبار 45 بريطاناً. بالإضافة إلى الاستقلال الحديث لبعض الدول العربية، وقلّة خبرة جيوشها، فإن بعض هذه الدول كان ما يزال عملياً تحت النفوذ الاستعماري البريطاني.<sup>128</sup> أما ميزان القوة العسكرية العديدة فقد ظلّ طوال الحرب لصالح الكيان الصهيوني، الذي كان أكثر عدداً، وأفضل انضباطاً وتدريباً وتسليحاً من مجموع الجيوش العربية والمتطوعين؛ حيث لم يزد مجموع الجيوش العربية في أواخر الحرب عن 40 ألفاً، بينما وصل عدد القوات اليهودية إلى 106 آلاف.<sup>129</sup>

لقد كانت حماسة أبناء فلسطين وأبناء الشعوب العربية والإسلامية هائلة نحو الجهاد والبذل والتضحية، ولكن القيادات السياسية والجيوش كانت عامل إحباط وفشل كبير. وعلى سبيل المثال فقد شارك الإخوان المسلمون في مصر بجهود كبيرة لإنقاذ فلسطين، وتطوع الشهيد حسن البنا في تشرين الأول/ أكتوبر 1947 بدماء

<sup>128</sup> حول حالة الجيوش العربية وسلوكها في حرب 1948، انظر مثلاً: عارف العارف، **النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1951** (صيда-بيروت: المكتبة العصرية، 1954)، ج 2، ص 342، وج 6، ص 225؛ ومحمد عزة دروزة، **فلسطين وجهاد الفلسطينيين**، ص 80-89. كما تحدث عن ذلك بإسهاب: صالح أبو يصير في كتابه **جهاد شعب فلسطين**.

<sup>129</sup> انظر: هيثم الكيلاني، **الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991)، ص 76.



10 آلاف من الإخوان كدفعة أولى للمعركة. لكن الحكومة المصرية ضيّقت الخناق عليهم، ومنعتهم من السفر إلا بشكل محدود جداً. ومع ذلك فإنّ المئات الذين استطاعوا المشاركة في المعارك، وقاموا فيها بأدوار بطولية، كان مصيرهم الاعتقال والسجون قبل عودتهم إلى مصر، وتمّ حلّ جماعة الإخوان المسلمين قبل أن تنتهي المعارك في كانون الأول/ ديسمبر 1948، وقامت المخابرات المصرية باغتيال حسن البنا نفسه في 1949/2/11، قبيل توقيعها اتفاقية الهدنة مع الكيان الصهيوني. كما شارك الإخوان المسلمون من الأردن، وسورية، والعراق ليمثلوا صورة وضيئة للاندفاع الشعبي للتضحية والجهاد. وهذا لا يقلل من قيمة البطولات التي قدمها الآخرون، أمثال رجال الجهاد المقدس. هذا بالإضافة إلى مشاركة الكثير من العرب في جيش الإنقاذ، بل ومشاركة نحو 250 بوسنياً في هذه الحرب دفاعاً عن فلسطين. وكان من المشاهد التي ألمت أبناء فلسطين أن تقوم بعض الجيوش العربية بنزع أسلحة الفلسطينيين بدلاً من تسليحهم!! كما كان من المشاهد التي ألمت الجندي العربي أن يسلم أسلحة قديمة أو فاسدة تنفجر أحياناً في وجهه عندما يستخدمها!!

أعلنت الحركة الصهيونية "دولة إسرائيل" في مساء 1948/5/14، وتمكنت مع نهاية الحرب من هزيمة الجيوش العربية، ومن الاستيلاء على نحو 77% من أرض فلسطين. أما من الناحية الفلسطينية، فقد كانت الهيئة العربية العليا قد قررت إنشاء حكومة فلسطينية لملاء الفراغ الناتج عن انسحاب بريطانيا من فلسطين، وسعت لإقناع الحكومات العربية بذلك خلال أشهر آذار/ مارس، ونيسان/ أبريل، والنصف الأول من أيار/ مايو 1948، ولكن دون جدوى. وفي 1948/9/23 قامت الهيئة بإعلان "حكومة عموم فلسطين" في غزة برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي. وقد أقرّت الحكومات العربية (ما عدا الأردن) ذلك واعترفت بالحكومة. وتأكيداً لشرعيتها، قامت حكومة عموم فلسطين والهيئة العربية العليا بالدعوة إلى مجلس وطني فلسطيني في غزة في 1948/10/1 برئاسة الحاج أمين. وقد أعلن المؤتمر استقلال فلسطين، وإقامة دولة حرة ديموقراطية ذات سيادة، بحدودها الدولية المتعارف عليها في أثناء الاحتلال البريطاني. ومنح المجلس الثقة لحكومة عموم فلسطين المكونة من عشرة وزراء برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي.<sup>130</sup>

<sup>130</sup> حسين أبو النمل، قطاع غزة 1948-1967: تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية (بيروت: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، 1979)، ص 22-23.

وعندما حاولت حكومة عموم فلسطين ممارسة صلاحياتها في قطاع غزة، تدخلت السلطات المصرية، فنقلت الحاج أمين الحسيني بالقوة إلى القاهرة، وأجبرت عدداً من أعضاء المجلس الوطني على مغادرة غزة إلى القاهرة. ثم ما لبثت أن أكرهت رئيس وأعضاء حكومة عموم فلسطين على الانتقال إلى مصر. ورفضت الحكومات العربية الاعتراف بالجوازات التي أصدرتها حكومة عموم فلسطين، كما تمّ حلّ وإنهاء قوات الجهاد المقدس التابعة للهيئة العربية العليا، وقامت السلطات المصرية بتعيين حاكم إداري على "المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية"، أي قطاع غزة.<sup>131</sup>

وكان من النتائج المباشرة لحرب 1948 قيام العصابات اليهودية - الصهيونية بتشريد نحو 58% من الشعب الفلسطيني من أرضهم (شردّ بالقوة نحو 800 ألف من أصل مليون و390 ألفاً) إلى خارج الأرض التي أقام اليهود عليها كيانهم، بينما شردوا 30 ألفاً آخرين إلى مناطق أخرى في داخل الأرض المحتلة نفسها. ودمرّ الصهاينة 478 قرية من أصل 585 قرية كانت قائمة قبل الحرب، وارتكبوا 34 مجزرة خلال حرب 1948 بمدنيين فلسطينيين في أثناء عملية التهجير، وكان من أشهرها مذبحة دير ياسين في 9/4/1948، التي اعترف الصهاينة أنفسهم بقتلهم وذبحهم لـ 254 رجلاً وامرأة وطفلاً.<sup>132</sup>

لقد مرّقت حرب 1948 النسيج الاجتماعي والاقتصادي للشعب الفلسطيني، الذي وجد نفسه مشرداً في العراق، بعد أن استقر في بلاده طوال 4,500 عام ماضية. وكان على هذا الشعب المسلم أن يُذبح ويُدمر ليدفع ثمن حماقات الأوروبيين تجاه اليهود، وكان عليه أن يُطرد تنفيذاً لرغبات قوى الاستكبار الدولية المتعاطفة مع الحركة الصهيونية، ولم يكن الصهاينة الذين بنوا كيانهم على بحر من دماء الفلسطينيين وآلامهم ومعاناتهم ليشعروا بالإثم أو وخز الضمير، وكان أولى بهم أن يستشعروا

<sup>131</sup> انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 342-344، وج 4، ص 377-379، و556-561؛ وحسين أبو النمل، قطاع غزة 1948-1967، ص 25.

<sup>132</sup> انظر: إبراهيم أبو جابر، "المجتمع العربي في إسرائيل"، في جواد الحمد (محرر)، المدخل إلى القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات رقم 21 (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ص 427. وانظر أيضاً:

Salman Abu Sitta, *Palestinian Right to Return* (London: The Palestinian Return Center, 1999), pp. 16, and 27.



معاناة الآخرين، بسبب ما يدّعون من الظلم الذي حاق باليهود، والذي أقاموا الدنيا ولم يقعدوها بسببه، ولم يكونوا قد ضمدوا جراحهم بعد من مذابح الألمان، ومن "لا سامية" الروس. ويعترف موشيه ديان Moshe Dayan الذي تولى مناصب رئاسة أركان الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وكان عالماً بالآثار، أنه "ليست هناك قرية يهودية واحدة في هذه البلاد لم يتم بناؤها فوق موقع لقرية عربية".<sup>133</sup>

## سادساً: هل باع الفلسطينيون أرضهم؟ وتخلّوا عنها لليهود؟!

تُرَكِّزُ الدعاية اليهودية الصهيونية على أن الفلسطينيين هم الذين باعوا أرضهم لليهود، وأن اليهود إنما اشتروها بـ "الحلال" من أموالهم، فلا ينبغي للفلسطينيين أن يطالبوا بعد ذلك بها! ولعلنا نستطيع هنا إعطاء فكرة مختصرة عن الموضوع.

إن الدعاية الصهيونية في بداياتها ومنذ القرن الـ 19 ارتكزت على فكرة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، مُعتبرةً أنه لا يوجد شعب في فلسطين، وأن من حقّ اليهود الذين لا يملكون أرضاً أن تكون هذه الأرض لهم. لكنهم ومنذ بواكر الاستيطان الأولى وجدوها عامرة بالحياة والنشاط، يعيش فيها شعب كادح متجذر في أرضه. ومن الطريف أن نذكر قصة متداولة أنه في العقد الأخير من القرن الـ 19 بعث ماكس نورديو Max Nordau، أحد كبار قادة الحركة الصهيونية المقربين إلى ثيودور هرتزل، بحاخامين اثنين ليرفعا تقريراً إلى المؤتمر الصهيوني Zionist Congress عن الإمكانية العملية للهجرة إلى فلسطين، وبعد أن رجعا، كتبوا تقريراً جاء فيه: "إن فلسطين عروس جميلة، ولكنها متزوجة فعلاً من رجل آخر!! أي أن هناك شعباً يسكنها وليست أرضاً بلا شعب.

<sup>133</sup> كليفوردايت، حقائق وأباطيل في الصراع العربي الإسرائيلي، ترجمة عبد الله عريقات وعبد الله عياد (عمّان: دار الناصر، 1992)، ص 85، نقلاً عن جريدة الجارديان *The Guardian* البريطانية في عدد 1973/11/14.

وعلى الرغم من أن السلطان عبد الحميد والسلطات المركزية أصدرت تعليماتها بمقاومة الهجرة والاستيطان اليهودي، إلا أن فساد الجهاز الإداري العثماني حال دون تنفيذها، واستطاع اليهود الصهاينة من خلال الرشاوى شراء الكثير من الأراضي. ثم إن سيطرة حزب الاتحاد والترقي على الدولة العثمانية وإسقاطهم السلطان عبد الحميد سنة 1909، والنفوذ اليهودي الصهيوني الكبير بداخل هذا الحزب، قد سهل استملاك اليهود للأرض وهجرتهم لفلسطين. ومع نهاية الدولة العثمانية 1918 كان اليهود قد حصلوا على نحو 420 ألف دونم (أي 1.5%) من أرض فلسطين، اشتروها من ملاك إقطاعيين لبنانيين ينتمون إلى عائلات مثل آل سرسق، وتيان، وتويني، ومدور، أو من الإدارة العثمانية عن طريق المزاد العلني الذي تباع فيه أراضي الفلاحين الفلسطينيين العاجزين عن دفع الضرائب المترتبة عليهم، أو من بعض الملاك الفلسطينيين الذين ينتمون إلى عائلات إقطاعية أمثال عائلات روك وكسار. وقد غطت عمليات الشراء هذه نحو 93% من الأرض التي حصلوا عليها. وعلى أي حال، فإن الخطر الصهيوني لم يكن يمثل خطراً جدياً على أبناء فلسطين في ذلك الوقت، لضآلة الحجم الاستيطاني والسكاني اليهودي، وللاستحالة العملية لإنشاء كيان صهيوني في ظل دولة مسلمة (الدولة العثمانية).<sup>134</sup>

### 1. تحت الاحتلال والقهر البريطاني:

وعندما وقعت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني 1917-1948، كان من الواضح أن هذه الدولة جاءت لتنفيذ المشروع الصهيوني وإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد استثمرت كل صلاحيات الحكم الاستعماري وقهره لفرض هذا الواقع. وقد قاومت الحركة الوطنية الفلسطينية الاستيطان اليهودي بكل ما تملك من وسائل سياسية وإعلامية واحتجاجية، وخاضت الكثير من الثورات والمجابهات. وبلغ مجموع ما تمكن اليهود الصهاينة من الاستيلاء عليه خلال فترة الاحتلال البريطاني نحو 1.2-1.38 مليون دونم أي نحو 4.5-5.1% فقط من أرض فلسطين، على الرغم مما جندته من إمكانات عالمية، ورؤوس أموال ضخمة، وتحت الدعم والإرهاب المباشر لقوة الاحتلال الغاشمة.

<sup>134</sup> عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص 49.



ولكن مهلاً! فمعظم هذه الأراضي لم يشتروها في الواقع من أبناء فلسطين! فالحقائق الموضوعية تشير إلى أن معظم هذه الأراضي تسرب لليهود عن طريق منح حكومية بريطانية لأراضي فلسطين الأميرية "أراضي الدولة"، أو عن طريق ملاك إقطاعيين كبار غير فلسطينيين كانوا يقيمون في الخارج، ومُنَعوا عملياً ورسمياً من الدخول إلى هذه المنطقة (تحت الاحتلال البريطاني) لاستثمار أرضهم إن كانوا يرغبون بذلك فعلاً.

فقد منحت السلطات البريطانية نحو 300 ألف دونم لليهود من الأراضي الأميرية دون مقابل، كما منحتهم 200 ألف دونم أخرى مقابل أجر رمزي، ففي عهد هربرت صمويل، أول مندوب سام بريطاني على فلسطين (1920-1925)، وهو يهودي صهيوني، قام بمنح 175 ألف دونم من أخصب أراضي الدولة على الساحل بين حيفا وقيسارية لليهود، وتكررت هباته الضخمة على الأراضي الساحلية الأخرى، وفي النقب، وعلى ساحل البحر الميت.<sup>135</sup>

وكان هناك أملاك إقطاعية ضخمة لعائلات حصلت على هذه الأراضي، خصوصاً سنة 1869 عندما اضطرت الدولة العثمانية لبيع أراضي أميرية لتوفير بعض الأموال لخزينتها، فقامت بشرائها عائلات لبنانية غنية، وقد مثل ذلك وجهاً آخر للمأساة. وقد باع إقطاعيو هذه العائلات ما مجموعه 625 ألف دونم؛ فعائلة سرسق اللبنانية باعت أكثر من 200 ألف دونم من أراضي مرج ابن عامر للصهاينة، وتسبب ذلك في تشريد 2,746 أسرة عربية هم أهل 22 قرية فلسطينية، كانت تفلح هذه الأراضي لمئات السنين. وتكررت المأساة عندما باع إقطاعيو عائلات لبنانية أخرى نحو 120 ألف دونم حول بحيرة الحولة شمال فلسطين، كما باعت أسرتان لبنانيتان أراضي وادي الحوارث (32 ألف دونم) مما تسبب في تشريد 15 ألف فلسطيني. والإقطاعيون الذين قاموا ببيع كبرى للأراضي لليهود الصهاينة في أثناء الاحتلال البريطاني ينتمون إلى عائلات لبنانية أو سورية. وقد بلغت الأراضي الزراعية التي باعها الملاك الإقطاعيون الغائبون خارج فلسطين خلال الفترة 1920-1936 ما نسبته 55.5% مما حصل

<sup>135</sup> انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 1، ص 180؛ وهند البديري، أراضي فلسطين: بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ (القاهرة: جامعة الدول العربية، 1998)، ص 187-237.

عليه اليهود من أراضٍ زراعية.<sup>136</sup> وعلى الرغم مما يتحملة من قام بهذه البيوع من أبناء هذه العائلات من مسؤولية، فإن اللوم لا يقع بشكل كامل عليهم وحدهم، إذ إن السلطات البريطانية منعتهم من الدخول لاستغلال هذه الأراضي، بحجة أنهم أجانب، وذلك بعد أن تم فصل فلسطين عن سورية ولبنان وفق تقسيمات سايكس-بيكو بين الاستعمارين البريطاني والفرنسي.

أما مجموع ما تسرب إلى أيدي اليهود من أراضٍ باعها لهم عرب فلسطين خلال الاحتلال البريطاني فكان نحو 260 ألف دونم (أقل من 1% من أرض فلسطين). وقد حصل اليهود على هذه الأراضي بسبب الظروف القاسية التي وضعت حكومة الاستعمار البريطاني الفلاحين الفلسطينيين فيها، ونتيجة لاستخدام البريطانيين لأسلوب نزع الملكية العربية لصالح اليهود وفق مواد من صك الانتداب البريطاني على فلسطين، والتي تخول المندوب السامي هذا الحق. كما حدثت حالات بيع بسبب ضعف عدد من الفلسطينيين ووقوعهم تحت الإغراءات المادية؛ وليس من المستغرب أن توجد في كل زمان ومكان في أي بلد عربي أو غير عربي، فئات قليلة تضعف أمام الإغراءات، لكنها على أي حال فئة منبوذة محاربة من مجمل أبناء شعب فلسطين، وقد تعرض الكثير منهم للمقاطعة والتصفية والاعتقال خصوصاً في أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى التي عمت فلسطين خلال 1936-1939.

وعلى هذا، فإن مجموع ما حصل عليه اليهود من أبناء فلسطين حتى سنة 1948 لا يتجاوز 1% من أرض فلسطين، وخلال سبعين عاماً من بداية الاستيطان والهجرة المنظمة لفلسطين، وتحت ظروف قاسية. وهذا بحد ذاته يبرز مدى المعاناة التي لقيها اليهود في تثبيت مشروعهم وإنجاحه في فلسطين، ومدى إصرار الفلسطينيين على التمسك بأرضهم.<sup>137</sup>

<sup>136</sup> انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 561-562؛ وهند البديري، أراضي فلسطين، ص 239-248؛

وصالح أبو يصير، جهاد شعب فلسطين، ص 465-485.

<sup>137</sup> انظر: هند البديري، أراضي فلسطين، ص 249-259؛ ومحمد عرابي نخلة، تطور المجتمع في فلسطين

في عهد الانتداب البريطاني 1920-1948 (الكويت: ذات السلاسل، 1983)، ص 144.



## 2. مقاومة وصمود:

وقد قام أبناء فلسطين خصوصاً في الثلاثينيات من القرن الـ 20 بجهود كبيرة في محاربة بيع الأراضي، وكان للمجلس الإسلامي الأعلى بقيادة الحاج أمين الحسيني، وعلماء فلسطين دور بارز. فقد أصدر مؤتمر علماء فلسطين الأول، في 1935/1/25، فتوى بالإجماع تحرّم بيع أي شبر من أراضي فلسطين لليهود، وتعدّ البائع والسمسار والوسيط المستحلّ للبيع مارقين من الدّين، خارجين من زمرة المسلمين، وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين، ومقاطعتهم في كل شيء والتشهير بهم.<sup>138</sup>

وقام العلماء بحملة كبرى في جميع مدن وقرى فلسطين ضدّ بيع الأراضي لليهود، وعقدوا الكثير من الاجتماعات وأخذوا العهود والمواثيق على الجماهير بأن يتمسكوا بأرضهم، وألا يفترطوا بشيء منها. وقد تمكن العلماء من إنقاذ أراضٍ كثيرة كانت مهددة بالبيع، واشترى المجلس الإسلامي الأعلى قرى بأكملها مثل دير عمرو وزيتا، والأرض المشاع في قرى الطيبة وعتيل والطيرة، وأوقف البيع في نحو ستين قرية من قرى يافا. وتألّفت مؤسسات وطنية أسهمت في إيقاف بيع الأراضي، فأنشئ "صندوق الأمة" بإدارة الاقتصادي الفلسطيني أحمد حلمي باشا، وتمكن من إنقاذ أراضي البطيحة شمال شرقي فلسطين، ومساحتها تبلغ 300 ألف دونم.<sup>139</sup>

إنّ الخسارة الحقيقية لأرض فلسطين لم تكن بسبب بيع الفلسطينيين لأرضهم. فحتى سنة 1948 كان الفلسطينيون ما زالوا يحتفظون بنحو 94% من أرض فلسطين، بالرغم من قسوة معاناتهم وشراسة الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني. أما أرض فلسطين التي قام عليها الكيان الصهيوني أو ما يسمى "إسرائيل"، فقد تمّ استلابها كما لاحظنا، بسبب هزيمة الجيوش العربية في حرب 1948، حيث تمت السيطرة على نحو 77% من أرض فلسطين بقوة السلاح.

<sup>138</sup> انظر نصّ الفتوى في: وثائق الحركة الفلسطينية 1939-1981: من أوراق أكرم زعيتر، ط 2، ص 381-391.

<sup>139</sup> انظر: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 294-296؛ وعيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ط 2، ص 230؛ ومحمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 34-35؛ والموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 562.



## **القسم الثالث**

### **فلسطين**

**الحروب العربية الإسرائيلية  
ومسار التسوية السلمية**



## الفصل الأول الحروب العربية الإسرائيلية

### أولاً: حرب 1948:

تمثل هذه الحرب أحد أكبر مآسي التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي الحديث والمعاصر، إذ إنها الحرب التي أدت إلى سقوط 77% من أرض فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني وإنشاء كيانه الإسرائيلي عليها، وتشريد نحو ثلثي شعب فلسطين.

كانت هذه الحرب نتيجة مباشرة لقرار الاستعمار البريطاني الانسحاب من فلسطين وإيصال الأمر إلى الأمم المتحدة، التي أصدرت تحت ضغط القوتين العظميين آنذاك (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) قرار رقم 181 في 1947/11/29 بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية (44.8%)، ويهودية (54.7%)، ومنطقة دولية (0.5%) تشمل القدس.

ولا يمكن فهم تطورات الحرب ونتائجها إلا بتصور أوضاع القوى المختلفة ذات العلاقة، وفيما يلي أبرز ملامحها:

#### 1. فلسطينياً:

- خرج شعب فلسطين منهكاً من ثورته الكبرى ضد بريطانيا، وعانى من الحكم العسكري الصارم طيلة الحرب العالمية الثانية 1939-1945.
- افتقد شعب فلسطين القيادة السياسية والعسكرية المحلية الميدانية المتמاسكة، ذات القدرة الفاعلة على الحشد والتعبئة والتنظيم.
- افتقد شعب فلسطين البناء المؤسسي العسكري والاقتصادي القادر على مواجهة الأحداث لأسباب متعددة أهمها سياسات الاستعمار البريطاني.
- عانت القيادة السياسية من مشاكل جمّة داخل فلسطين وخارجها، فالعديد من القادة لم يكن قادراً على دخول فلسطين كالحاج أمين نفسه زعيم فلسطين، الذي كانت له

مشاكله أيضاً مع بلاد كالأردن والعراق، واللذان سعتا لتجاوزه وتهميش دوره، كما لم يكن حراً في حركته داخل مصر نفسها.

- كان قرار الدول العربية هو تولى أمر تحرير فلسطين بنفسها، وإلزام الفلسطينيين بما يرتأونه، وفق قرارات الجامعة العربية وقادة هذه الدول. ولذلك خرج القرار السياسي والعسكري عملياً من أيدي الفلسطينيين.

- عانى الفلسطينيون من ضعف مُريع في التسليح، بالإضافة إلى الضعف الشديد في الإمكانيات الاقتصادية التي يمكن أن تسهم في شراء الأسلحة، وبالإضافة إلى حظر الدول الكبرى وصول هذه الأسلحة إليهم، فإن الدعم العربي كان هزياً جداً. وعلى الرغم من أن المقرر لأبناء فلسطين كان قليلاً، إلا أن الحكومات العربية لم تعطهم منه سوى رُبعة، وكان الكثير من هذا الربع غير صالح للاستعمال!!<sup>1</sup> وقد زاد الأمر مأساوية أن بعض الجيوش العربية قامت بنزع أسلحة الفلسطينيين بدل تسليحهم، بحجة المحافظة على الأمن والنظام.<sup>2</sup>

## 2. عربياً:

- كانت البلاد العربية إما مستقلة حديثاً، ولم يشهد عودها بعد، أو ما تزال تحت بعض أشكال النفوذ الاستعماري، بحيث لم تكن كاملة الحرية في قرارها السياسي.
- كانت الجيوش العربية قليلة الخبرة، لم تخض حرباً حقيقية قبل ذلك، وكان معظم ضباط أحدها (45 من أصل 50) من البريطانيين.<sup>3</sup> كما لم تكن تملك معلومات كافية عن فلسطين، بل إن بعضها جاء للحرب دون خرائط كالجيش العراقي، وكانت معلوماتها ضعيفة، إن لم تكن منعدمة، عن القوات الصهيونية وإمكاناتها.
- بالرغم من أن الدول العربية قرّرت تولى زمام الأمر بنفسها، إلا أنها لم تحشد ولم تعبئ كافة طاقاتها للمعركة، وتعامل البعض معها وكأنها نزهة عسكرية، مهونين تماماً

<sup>1</sup> محمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 80.

<sup>2</sup> انظر مثلاً: شكيب الأموي، شهادة من الميدان: وثائق عن حرب فلسطين 1948 (تونس: الدار التونسية للنشر، 1980)، ص 41-47؛ وكامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ط 3 (الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1984)، ص 50-51، و53، و55.

<sup>3</sup> انظر: عارف العارف، النكبة، ج 6، ص 225.



من شأن القوات اليهودية التي أساؤوا تقديرها. ولم تكن المعركة بالنسبة لها معركة مصير بقدر ما كانت مساعدة بلد شقيق.

• عانت الجيوش العربية من ضعف التنسيق الميداني، وعدم وجود قيادة عسكرية مشتركة ذات صلاحيات حقيقية.

• أصدر قائد الجيش الأردني (الجنرال البريطاني جلوب Glubb) أوامر مشددة لجيشه بعدم تجاوز خطوط التقسيم التي فرضتها الأمم المتحدة، أي أنه أراد أن يثبت قرار التقسيم بدلاً من تحرير فلسطين.

• نجح اليهود إلى حد ما في زرع بذور الشك بين الفلسطينيين وبعض قادة الجيوش العربية، إذ إن اليهود العرب لبسوا ملابس الفلسطينيين ليوهموا الجيوش أن الفلسطينيين ضدّهم، فقام هؤلاء بنزع أسلحة الفلسطينيين وتحبيدهم، ولم يكفّوا أنفسهم عناء بعض الترتيبات الأمنية لمواجهة الأمر بطريقة أفضل.

• كان تسليح الجيوش العربية ضعيفاً مقارنة باليهود، خصوصاً بعد حظر الدول الكبرى تصدير الأسلحة إليهم في أثناء الحرب.<sup>4</sup>

### 3. صهيونياً - يهودياً:

• تمكن المشروع الصهيوني من بناء مؤسساته السياسية والاقتصادية والعسكرية والتعليمية والاجتماعية وتنميتها طيلة فترة الاحتلال البريطاني.

• كانت القيادة الصهيونية حاضرة بشكل فاعل وميداني، وتتمتع بقدرات قيادية وتنظيمية وتعبوية عالية.

• استفادت القيادة الصهيونية من دعم الدول الكبرى السياسي والاقتصادي والعسكري، واستثمرت بفاعلية انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، كما استخدمت معاناة اليهود في الحرب كقضية رابحة للحصول على الدعم بإنشاء الدولة.

<sup>4</sup> حول الوضع العربي في حرب 1948، انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 71-72، و 103-153.

- أمكن لليهود تعبئة جيش قوي مدرب متماسك حسن التسليح من 60-70 ألف جندي منذ بداية الحرب، واستفادوا من خبرة الفرقة اليهودية التي شاركت في الحرب العالمية الثانية والمكونة من 26 ألف جندي.<sup>5</sup>
- كانت المعركة بالنسبة لليهود معركة حياة أو موت، ولذلك تمّ تعبئة كافة الطاقات الممكنة للمعركة في فلسطين، ومن خلفها يهود العالم ودوائر نفوذهم.
- كانت أوضاع اليهود الاقتصادية وعلاقاتهم السياسية تُمكنهم من شراء حاجاتهم من الأسلحة المتطورة. فقد اشترى من الإنجليز قبل خروجهم من فلسطين 24 طائرة وألف سيارة نقل كبيرة. كما اشترى كميات ضخمة من الأسلحة التشيكية (بإذن وتوجيه من الاتحاد السوفييتي) منها 40 طائرة مقاتلة، كما اشترى ثلاث طائرات قاذفة من الولايات المتحدة من نوع ب-17 "B-17".<sup>6</sup>

#### 4. دولياً:

- بعد ثلاثين عاماً من الاحتلال البريطاني، نجحت بريطانيا في تنمية المشروع الصهيوني ورعايته، في الوقت الذي سحقته فيه شعب فلسطين وأضعفته، ومنعت نمو مؤسساته السياسية والاقتصادية والعسكرية واستقرارها.
- حظي الكيان الصهيوني بدعم القوتين العظميين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي)، وتمّ تجهيز الظروف الدولية بشكل يضمن التفوق الصهيوني وقيام دولته.
- استخدمت بريطانيا نفوذها على الدول العربية، وخصوصاً في مصر والأردن والعراق، ومارست ضغوطها بشكل كبير بحيث لا يتجاوز دور جيوش هذه البلدان الخطوط الحمراء للسياسة البريطانية، كما ضغطت ضدّ قدوم المجاهدين والمتطوعين العرب إلى فلسطين، وخصوصاً الإخوان المسلمين من مصر.
- تمّ تنفيذ قرار حظر بيع السلاح على الجانب العربي دون الجانب اليهودي.

<sup>5</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 75-76؛ وحرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ص 18.

<sup>6</sup> هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 74-76، و82؛ ومحمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 88-89.



أما ميزان القوة العسكرية العدوية، فقد ظلّ طوال الحرب لصالح الكيان الصهيوني، الذي كان أكثر عدداً وأفضل انضباطاً وتدريباً وتسليحاً من مجموع الجيوش العربية والمتطوعين. وعلى الرغم من أن هناك تقديرات متفاوتة ومختلفة في المصادر حول الأعداد، إلا أننا يمكن أن نوجز تطورها بالشكل التالي، بناء على دراسة د. هيثم الكيلاني:<sup>7</sup>

القوات العربية (بالآلاف)	القوات اليهودية (بالآلاف)	
12	60	مرحلة ما قبل دخول الجيوش العربية (كانون الأول/ ديسمبر 1947 - أيار/ مايو 1948)
21	67	المرحلة الأولى من القتال (عند دخول الجيوش العربية)
40	106	المرحلة الثانية من القتال (عند نهايات الحرب)

كانت القوات العربية النظامية تتكون من جيوش سبعة دول. وحسب تقرير مؤرخ هذه "النكبة" عارف العارف، فقد بلغ عدد الجيش المصري في البداية 6 آلاف، والجيش السوري 1,500، والجيش العراقي 1,500، والجيش الأردني 4,500، والجيش السعودي 1,500، والجيش اللبناني 1,000.<sup>8</sup> وزاد عدد الجيش المصري بعد ذلك إلى 20 ألف، كما تضاعفت مرة أخرى، على ما يبدو، أعداد الجيوش السورية والعراقية والأردنية فيما بعد، أما اليمنيون فكانت مشاركتهم رمزية.

وكانت القوات العربية غير النظامية تتكون أساساً من:

**1. جيش الجهاد المقدس:** وهو الجيش الذي شكّله القيادة السياسية الفلسطينية "الهيئة العربية العليا لفلسطين" بقيادة عبد القادر الحسيني، الذي استشهد في معركة القسطل في 1948/4/8. وكان أساساً جيشاً فلسطينياً يتألف من 5-7 آلاف مقاتل، تسانده فئة أخرى من المقاتلين المقيمين في قراهم، والذين يستدعون عند الحاجة، وكان مجموعهم نحو 10 آلاف.<sup>9</sup>

<sup>7</sup> هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 76.

<sup>8</sup> عارف العارف، النكبة، ج 2، ص 342.

<sup>9</sup> هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 70.

وقد كان هذا الجيش ضعيف التسليح والتدريب، وأسهمت خلافات الأنظمة العربية مع "الهيئة العربية العليا" في عدم تحويل الكثير من الأسلحة والأموال التي يتم التبرع بها إلى هذا الجيش، الذي كان بأمس الحاجة إليها. ولقد صرخ عبد القادر الحسيني قبل استشهاده بيومين في وجه رئيس اللجنة العسكرية العربية الذي رفض التعاون معه وتزويده بالسلح "أنتم خائنون، أنتم مجرمون، سيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين".<sup>10</sup> وها نحن كُتِّب التاريخ نحفظ شهادته للتاريخ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد توزَّع هذا الجيش في كثير من مدن وقرى فلسطين، وقام بالكثير من العمليات البطولية الناجحة، لكن إمكاناته المحدودة حرمته من الدور الذي يمكن أن يقوم به، كما أن تداخل قيادات المناطق بينه وبين جيش الإنقاذ، ووجود قائدين يعملان بشكل مستقل في منطقة واحدة كان له عواقب وخيمة.<sup>11</sup>

**2. جيش الإنقاذ:** تأسس هذا الجيش بقرار من الجامعة العربية، وقوامه متطوعين من مختلف البلدان العربية. وبلغ عدد الذين تقدموا للتطوع فيه نحو 10 آلاف، أما الذين دخلوا فلسطين فعلياً ضمن تشكيلاته فكانوا نحو 4,630 مقاتلاً. وقد تولى القيادة الميدانية لهذا الجيش فوزي القاوقجي، الذي تركز عمله في شمال فلسطين ووسطها. وقد شارك في هذا الجيش أخلاط من الناس من عسكريين محترفين ومتطوعين غير متدربين، ومن رجال دفعهم الإيمان والوطنية للتضحية، ومن آخرين كانوا للأسف من المتبطلين والمتكسبين وأصحاب السوابق ممن أسأؤوا إلى هذا الجيش، وإلى أهل فلسطين عندما قاموا بنهب وسرقة العديد من القرى والمدن التي جاؤوا للدفاع عنها، كما حدث في يافا. وعانت قيادة هذا الجيش من سوء الإدارة

<sup>10</sup> صالح أبو يصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ص 349.

<sup>11</sup> انظر: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 615-616؛ ومحمد أمين الحسيني، حقائق عن قضية فلسطين، ط 2 (القاهرة: مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، 1957)، ص 91.



والتسيب واللامسؤولية، ووجهت أصابع اللوم والالتهام إلى القاوقجي نفسه. ومع ذلك، فإن هذا الجيش خاض كثيراً من المواجهات الضارية مع الصهاينة.<sup>12</sup>

**3. الإخوان المسلمون:** مثلت مشاركة الإخوان المسلمين في حرب فلسطين سنة 1948 أحد النماذج المتميزة للحركات والتنظيمات العربية الإسلامية التي كسرت الطوق الإقليمي، وعبرت عملياً وجهادياً عن روح الأمة الواحدة. فقد شاركت تنظيمات الإخوان في مصر وسورية والأردن والعراق بفعالية في التعبئة الجماهيرية، وفي جمع التبرعات، وجمع السلاح والقتال في فلسطين.

وقد أفردنا قسماً خاصاً لدراسة النموذج الذي قدّمه الإخوان المسلمون بوصفه نموذجاً إسلامياً شعبياً في القسم الرابع من هذا الكتاب.

### مجريات الحرب:<sup>13</sup>

بدأت المرحلة الأولى من الحرب منذ صدور قرار التقسيم في 1947/11/29، وحتى انتهاء الانتداب البريطاني، ودخول الجيوش العربية في 1948/5/15. وفي هذه الفترة تحمل الفلسطينيون العبء خصوصاً من خلال "الجهاد المقدس"، بالإضافة إلى متطوعي جيش الإنقاذ والإخوان المسلمين وغيرهم.

وقد تمكّن أبناء فلسطين من الثبات وتحقيق انتصارات وإنجازات مهمة، دفعت الولايات المتحدة في آذار/ مارس 1948 إلى التفكير في التراجع عن تأييد قرار التقسيم، غير أنه في الوقت الذي كان اليهود يُحسّنون أوضاعهم بالتجنيد واستيراد كميات

<sup>12</sup> انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 68؛ وكامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 28؛ وصالح أبو يصير، جهاد شعب فلسطين؛ ومحمد محمود الصواف، معركة الإسلام أو وقائعنا في فلسطين بين أمس واليوم (لبنان: د.ن.، 1969)، ص 158-159.

<sup>13</sup> حول مجريات حرب 1948، انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 77-78؛ ومحمد عزة دروزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين، ص 82-89؛ وصالح أبو يصير، جهاد شعب فلسطين؛ وانظر:

Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars: War & Peace in the Middle East* (New York & London: Random House, 1982), pp. 17-108.

ضخمة من الأسلحة المتنوعة والمتطورة، كانت أسلحة الفلسطينيين تتناقص وذخيرتهم تنفذ. وقد أخذ الوضع بالتدهور خصوصاً في نيسان/ أبريل، وبالذات بعد استشهاد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل في 8 نيسان/ أبريل، ثم قيام العصابات الصهيونية بمجزرة دير ياسين في مساء 9 نيسان/ أبريل وحتى ظهر اليوم التالي، والتي أدت إلى استشهاد 253 من الرجال والأطفال والنساء، حيث أثار ذلك حالة من الذعر في أوساط الفلسطينيين. وتتابع سقوط مدن فلسطينية مهمة مع عمليات تهجير جماعي للفلسطينيين، فسقطت مدن: طبرية في 19 نيسان/ أبريل، وحيفا في 22 نيسان/ أبريل، وبيسان وصفد في 12 أيار/ مايو، ويافا في 14 أيار/ مايو.

وبشكل عام، فقد حافظ أهل فلسطين على نحو 80-82% من أرض فلسطين حتى لحظة دخول الجيوش العربية.

ويصعب تتبع خطوات المعارك خلال هذه الحرب لكن الجيوش العربية حققت في البداية نجاحات لا بأس بها، وتمكن الجيش المصري من السيطرة على خط: المجدل - الفالوجة - بيت جبرين - الخليل، وخط: أسدود - القسطينة، وعزل المستعمرات الصهيونية في النقب. وتحرك الجيش الأردني ليركز قطاعاته في وسط فلسطين في مناطق القدس ورام الله واللد والرملة على بُعد نحو 10 كم من تل أبيب، بينما تركز الجيش العراقي في مناطق جنين ونابلس وطولكرم ووصل إلى مسافة 10 كم شرق نتانيا. وسيطر الجيش السوري على سمخ شمال شرقي فلسطين، فيما تركز جيش الإنقاذ في مناطق الجليل الأعلى شمال فلسطين. وأصبح وضع اليهود سيئاً في جنوب فلسطين لكنه تحسن بعض الشيء في شمالها بسيطرتهم على عكا في 17/5/1948.

وتمكن اليهود (في أثناء فرض الهدنة الأولى خلال الفترة 6/11-1948/7/8، بقرار مجلس الأمن الدولي UN Security Council) من إعادة تنظيم قواتهم وتطويرها كماً وتدريباً وتسليحاً، وتسلموا 40 طائرة تشيكية وأسلحة ضخمة، بينما أُغلق باب شراء السلاح دولياً في وجه العرب. وعندما اندلعت الجولة الثانية من القتال في 9-17/7/1948، تمكن اليهود من توسيع دائرة احتلالهم فاحتلوا خلال ثلاثة أيام مدينتي اللد في 10 تموز/ يوليو، والرملة في 12 تموز/ يوليو، مُوسعين احتلالهم وسط فلسطين شرقاً بضم قرى بير معين، والبرج، والحديثة، وبيرنابلا، وقوله، ومجدل يابا. كما احتل اليهود أجزاء من شمال فلسطين، فضموا خلال هذه المدة القصيرة



مناطق الناصرة في 15 تموز/ يوليو، وشفا عمرو وكفر ياسيف، كما حسنوا مواقعهم في منطقة القدس فاحتلوا، قرية المالحه.

ثم بدأت الهدنة الثانية بقرار من مجلس الأمن في 18 تموز/ يوليو، حيث استفاد منها اليهود في تحسين مواقعهم وتوسيع احتلالهم. وفي 15 تشرين الأول/ أكتوبر، شنّ اليهود حملة جديدة ركزت على الجنوب، فاستطاعوا السيطرة على التلال المحيطة بعراق المنشية، وسقطت الحليقات في أيديهم في 20 تشرين الأول/ أكتوبر، وبالتالي انفتح الطريق أمامهم إلى النقب، ليتصلوا بالمستعمرات اليهودية التي كانت معزولة هناك. ووجدت القوات المصرية نفسها معزولة في المجدل وأسدود فقامت في الأسبوعين التاليين بالانسحاب منهما، وبسقوط عراق السويدان في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر، اكتمل طوق القوات اليهودية حول الفالوجة، حيث حوَصر نحو 4 آلاف من الجيش المصري بقيادة العميد سعيد طه، وكان جمال عبد الناصر تحت إمرته ضمن المحاصرين في الفالوجة. وقد ثبتت الفالوجة في وجه الحصار والهجمات المختلفة، إلى أن انسحبت بشرف بعد عقد الهدنة مع مصر في 1949/2/24. وبينما كانت هذه المعارك دائرة، قام اليهود بهجوم على بئر السبع في 18 تشرين الأول/ أكتوبر، وتمكنوا من احتلالها في 1948/10/21. وبذلك انفتح أمامهم الطريق إلى احتلال باقي النقب، فاحتلوا العسلوج في 15 كانون الأول/ ديسمبر. وكان يوجد في باقي أراضي النقب وحدات أردنية صغيرة تمّ تجاوزها بسهولة في حملة سريعة قامت بها القوات اليهودية خلال الفترة 1949/3/10-6، حيث وصلت إلى موقع أم الرشراش على خليج العقبة في 10 آذار/ مارس، والذي أنشأ عليه الكيان الصهيوني ما يعرف الآن بميناء ومدينة إيلات.

أما الجيب العربي الذي ثبت في أقصى شمال فلسطين، فقد تمّ احتلاله في الفترة 1948/10/31-29، وهو يضم قرى كوكب، وعيلبون، وسخنين، والرامة، وترشيحا، وسعسع شمالاً باتجاه الحدود اللبنانية.

وبذلك أكملت القوات اليهودية احتلالها 77% من أراضي فلسطين (20,700 كم<sup>2</sup>) مقيمة عليها كيانها الصهيوني "إسرائيل".

## نتائج حرب 1948



وبعد أن وقَّعت مصر اتفاقية الهدنة في 1949/2/24، تبعتها لبنان في 1949/3/23، ثم الأردن في 1949/4/3، ثم سورية في 1949/7/20.

ومن الملاحظ أن اليهود عانوا من صعوبات بالغة ووجدوا أنفسهم في أوضاع حرجة في الستة أشهر التي سبقت دخول الجيوش العربية، وفي الشهر الأول لدخول هذه الجيوش. لكنهم بعد ذلك تمكنوا من تحقيق انتصارات مهمة، وسهلة أحياناً كاحتلال باقي شمال فلسطين، واللد والرملة، واحتلال النقب الذي يشكل لوحده نحو نصف مساحة فلسطين.

لقد قاوم الفلسطينيون بضراوة وبكل ما يملكون، وهناك في كل مدينة وقرية قصص ثبات وبطولة وتضحية، وحكايات مؤلمة من انعدام السلاح أو فساده أو نفاذ الذخيرة، أو سوء إدارة المعركة من الجيوش العربية... وغيرها.

وقد ارتكب اليهود 34 مذبحاً في أثناء هذه الحرب، وأجبروا نحو 800 ألف فلسطيني على الهجرة وترك ديارهم من أصل مليون و290 ألف فلسطيني عربي، أي أن نحو 60% من شعب فلسطين وجد نفسه لاجئاً بعد هذه الحرب.<sup>14</sup> وما زالوا حتى كتابة هذه السطور يعانون من التهجير القسري ومحرومون من العودة إلى أراضيهم.

## ثانياً: حرب 1956:

أحدثت حرب 1948 هزة كبيرة في الواقع العربي، فتوالت الانقلابات العسكرية في سورية، وأنتهت ثورة الضباط الأحرار في 1952/7/23 العهد الملكي في مصر، واغتيل الملك عبد الله ملك الأردن في 1951/7/20، وقام الملك حسين بطرد رئيس أركان الجيش الأردني جلوب باشا وبتعريب الجيش الأردني في آذار/ مارس 1956.

وقامت الدول العربية بعقد اتفاقية الدفاع المشترك في 1950/4/13، أتبعها بعدد من اتفاقات الدفاع الثنائية والثلاثية بين بعضها خلال سنتي 1955 و1956. وسعت مصر وسورية إلى كسر الاحتكار الغربي لتصدير الأسلحة، فعددتا كلٌّ على حدة سنة 1955 صفقات أسلحة مع تشيكوسلوفاكيا.

<sup>14</sup> Salman Abu Sitta, *Palestinian Right to Return*, pp. 16 and 27.

ثم إن مصر كانت تسيطر على خليج العقبة، وزادت من فعاليتها الرقابية سنة 1955 على كل السفن التي تدخل هذا الخليج، ومنعت الملاحة الإسرائيلية فيه، وبذلك شلّت الحركة التجارية لميناء "إيلات" نافذة الكيان الإسرائيلي إلى دول آسيا وشرق إفريقيا. كما فرضت مصر قيوداً على مرور السفن في قناة السويس، من شأنها تشديد الحصار الاقتصادي على الكيان الإسرائيلي. كما نشطت العمليات الفدائية الفلسطينية عبر قطاع غزة، وبدعم مصري، ضد الكيان الإسرائيلي خلال الفترة 1955-1956. كل ذلك أثار مخاوف وانزعاج الكيان الإسرائيلي الذي سعى لاقتناص أي فرصة لتوجيه ضربة إلى مصر.

وفي الوقت نفسه، كانت الولايات المتحدة قد عرضت على مصر قرضاً مالياً لبناء السد العالي ذي الحيوية الكبرى للاقتصاد المصري. لكن رفض مصر لإقامة حلف بغداد، الذي انضمت إليه العراق وتركيا وإيران وباكستان، والذي استهدف ربط مصالح المنطقة بالقوى الغربية، ومواجهة الخطر الشيوعي، مع إبعاد الأنظار عن الخطر الصهيوني - الإسرائيلي الذي يربض في قلب المنطقة، أدّى إلى سحب أمريكا عرضها في 19/7/1956. وحتى تقوم مصر بتوفير الأموال اللازمة لبناء السد العالي، أعلن جمال عبد الناصر في 26/7/1956 تأميم الشركة العالمية لقناة السويس، مما شكّل ضربة كبيرة للمصالح الاقتصادية البريطانية. وكانت فرنسا من جهتها منزعة من الدعم المصري للثورة الجزائرية ضدها.<sup>15</sup>

وقد اتفق الكيان الإسرائيلي مع بريطانيا وفرنسا على توجيه ضربة إلى مصر، تؤدي للاحتلال الإسرائيلي لسيناء، والاحتلال البريطاني الفرنسي لقناة السويس. وقد انبنت الخطة، التي وقّعت عليها الأطراف الثلاثة في سيغر (قرب باريس) في 23/10/1956، على أن تبدأ القوات الإسرائيلية بشن هجوم واسع في 29 تشرين الأول/أكتوبر بهدف الوصول إلى قناة السويس، ثم تقوم بريطانيا وفرنسا بإصدار إنذار مشترك في اليوم التالي يطالب القوات المصرية والإسرائيلية بالانسحاب مسافة عشرة أميال (16 كم) عن جانبي القناة، وبسماح مصر لبريطانيا وفرنسا باحتلال

<sup>15</sup> حول الظروف والأسباب التي أدت إلى حرب 1956، انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 159-178.



مؤقت لعدد من النقاط الرئيسية فيها، بحجة حماية الملاحة الدولية. وإذا ما رفضت مصر، وبالطبع سترفض، ستقوم القوات البريطانية والفرنسية بإنزال قواتها في القناة، والهجوم على مصر لإجبارها على الرضوخ.<sup>16</sup>

بدأ الكيان الإسرائيلي هجومه في 1956/10/29 بعملية إنزال جوي لقوات المظليين في ممر متلا على بُعد 65 كم شرقي قناة السويس. وحدثت معارك محدودة شرقي القناة، لكن صدور الإنذار البريطاني الفرنسي في 30 تشرين الأول/أكتوبر، ورفض مصر له أوجد الذريعة التي يحتاجها، فبدأت بريطانيا وفرنسا في 31 تشرين الأول/أكتوبر عدوانهما على مصر، وخصوصاً المطارات والموانئ، وتمّ تدمير جزء كبير من الطيران المصري. وقررت مصر من جهتها التركيز على حماية القناة ومثلث بورسعيد - القاهرة - السويس، فأمرت الجيش المصري بالانسحاب من قطاع غزة وسيناء والتركز غربي قناة السويس. وتمكن الكيان الإسرائيلي دون صعوبة من احتلال غزة خلال الفترة 1956/11/3-10/31، ومن احتلال سيناء خلال ثمانية أيام (1956/11/5-10/29).

وصدر قرار الأمم المتحدة في 2 تشرين الثاني/نوفمبر بإيقاف الحرب وانسحاب قوات الغزو البريطاني الفرنسي من الأراضي المصرية، وانسحاب الكيان الإسرائيلي إلى ما وراء خطوط الهدنة. وعلى الرغم من أن هذه القوات تلكأت في تنفيذ القرار، إلا أن الضغط السوفييتي - الأمريكي اضطرهما لذلك، فانسحبت القوات البريطانية - الفرنسية في 1956/12/22، وأكملت القوات الإسرائيلية انسحابها في 1957/3/6. وقد تعهدت مصر في المقابل بمنع عمليات الفدائيين من قطاع غزة، ووافقت على وضع قوات دولية على حدودها. كما ضمنت "إسرائيل" بتعهد القوى الكبرى حقّ الملاحة البحرية في خليج العقبة، وكذلك الطيران الجوي فوقه.<sup>17</sup>

كانت هذه الحرب إيذاناً بانتهاء العهد الاستعماري البريطاني - الفرنسي في المنطقة، ووراثة أمريكا والاتحاد السوفييتي لحلبة التنافس فيها. وعلى الرغم من أن هذه الحرب كشفت مدى تطور القوة العسكرية الإسرائيلية، وعجز الجانب المصري

<sup>16</sup> المرجع نفسه، ص 191-192.

<sup>17</sup> حول مجريات حرب 1956 ونتائجها، انظر: المرجع نفسه، ص 185-190. وانظر أيضاً:

Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, pp. 111-141.

(في ظل المعادلات الدولية) عن حماية نفسه، بالإضافة إلى تحرير فلسطين، فإن هذه الحرب جنّدت تعاطفاً عربياً وإسلامياً واسعاً مع مصر، وأظهرت القيادة المصرية وخصوصاً عبد الناصر "أبطالاً" في المقاومة والدفاع عن الحقوق العربية، وبرز نجم عبد الناصر كامل للجماهير العربية في النصر والتحرير.



العدوان الثلاثي، 1956

## ثالثاً: حرب 1967:

لم يكن الكيان الإسرائيلي سعيداً بمساحة الأرض التي اقتطعها من فلسطين في حرب 1948، وكان يرغب في المزيد من التوسع لفتح الباب بشكل أكبر أمام الهجرة والاستيطان اليهوديين. كما كان يفتقد الشعور بالأمان في حدوده مع البلدان العربية التي يبلغ طولها 981 كم، وكانت بعض المدن الساحلية تبعد نحو 15 كم عن الحدود مع الضفة الغربية مما يسهل ضرب العمق الإسرائيلي.

ومن جهة أخرى، فإن الإعلام العربي، وخصوصاً المصري الناصري، كان يببالغ في الإمكانيات العسكرية العربية، ويعد الجماهير العربية التي كانت تنتظر بصبر وحماس بإلقاء اليهود في البحر وتحرير فلسطين. غير أن الاستراتيجية العسكرية المصرية ظلت منذ حرب 1956 وحتى 1967 استراتيجية دفاعية وليست هجومية، بخلاف ما كان يتحدث به الإعلام المصري صباح مساء. وحتى الخطة الدفاعية "قاهر" التي وضعتها القيادة المصرية في كانون الأول/ديسمبر 1966 لم يطبق منها إلا جزء بسيط، إذ إن القسم الأكبر من ميزانية الدفاع كان يذهب إلى اليمن، فلا يبقى إلا القليل لتحسين سيناء.<sup>18</sup>

ولم تكن الأوضاع الداخلية العربية ولا العلاقات العربية - العربية لتبعث على السرور، فقد عانت الشعوب العربية من أزمات فقدانها للحريات السياسية، ومن الفساد السياسي والاقتصادي، ومن الإعلام الموجه، وعاش عبد الناصر هاجس ملاحقة الإسلاميين، وضربهم وخصوصاً الإخوان المسلمين. وتمّ تقديم البديل الأيديولوجي الاشتراكي - القومي والذي لم ينجح في خطط التنمية، ولا في تحقيق أساس نهضوي عربي، ولا في تفجير طاقات الأمة بشكل يتوافق مع عقيدتها وتراثها وثقافتها. وإذا كانت الجماهير العربية قد عاشت لحظات من النشوة والحماس عندما تحققت الوحدة المصرية - السورية (الجمهورية العربية المتحدة) في شباط/فبراير 1958، فإنها سرعان ما صدمت عندما حدث الانفصال في أيلول/سبتمبر 1961. واستنزف الجيش المصري والميزانية المصرية في حرب اليمن ودعم الثورة فيها منذ 1963. وقد شهدت البلاد العربية نوعاً من التضامن السياسي الظاهري خلال

<sup>18</sup> هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 266.

الفترة 1964-1965، حيث بدأت مؤتمرات القمة العربية بالانعقاد منذ كانون الثاني/يناير 1964. غير أن الخلاف سرعان ما دبّ بينها منذ 1966، وعادت الحرب الإعلامية لتكون مادة الإذاعات والصحف خصوصاً في دول الطوق. وقد صادق الرؤساء والملوك العرب في كانون الثاني/يناير 1964 على تشكيل القيادة الموحدة لجيوش البلدان العربية، وتمّ تعيين الفريق المصري علي علي عامر قائداً عاماً، لكن الخلافات العربية منذ 1966 عطلت عمل هذه القيادة، كما افتقد عدد من البلدان العربية للجندية في التعامل معها. فإما أنها لم تلتزم بأوامرها، أو أنها لم تدفع نصيبها في الميزانية، أو أنها رفضت دخول قوات عربية أخرى إلى أراضيها، مما عطل تنفيذ عمل هذه القيادة وخططها.<sup>19</sup>

وكان إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1964، وبدء حركة فتح عملياتها العسكرية منذ مطلع 1965 من العوامل التي دفعت الكيان الصهيوني لسرعة التحرك ومحاولة فرض واقع جديد، يضمن له التوسع والأمن، ويجر البلاد العربية إلى التسوية السلمية وفق الشروط الإسرائيلية. وكان لقيام الكيان الصهيوني بمشروع تحويل مياه الأردن الذي بات معروفاً للعرب منذ 1963، وضرب الصهاينة وتدميرهم لكل المشروعات العربية المقابلة لتحويل النهر، أثره في ازدياد التوتر.<sup>20</sup>

بدأ الكيان الصهيوني تصعيد الأوضاع قبل عام من الحرب، فهاجم قرية السموع قرب الخليل في الضفة الغربية، وقام بمذبحة راح ضحيتها نحو 200 شهيد. كما حدث تسخين متبادل على الجبهة السورية حيث كان الصهاينة يقومون بطلعات جوية لقصف المواقع السورية، بينما كانت المدفعية السورية تقصف المستوطنات اليهودية المجاورة. وتزايدت التهديدات الإسرائيلية لسورية، وتواترت الأخبار عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية خصوصاً في أوائل أيار/مايو 1967.<sup>21</sup>

وقامت مصر، وفق اتفاقية الدفاع المشترك مع سورية، بالإعلان عن عزمها الدخول في الحرب منذ أول دقيقة إذا ما تعرضت سورية للهجوم. وتبع ذلك إجراء مصري بطلب سحب قوات الأمم المتحدة عن خطوط الهدنة مع الكيان الإسرائيلي،

<sup>19</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 221-231، و264-270.

<sup>20</sup> المرجع نفسه، ص 220، و261-263.

<sup>21</sup> المرجع نفسه، ص 231.



فانسحبت في 1967/5/23، وقامت مصر في 23 أيار/ مايو بإغلاق مضائق تيران (خليج العقبة) في وجه الملاحة الإسرائيلية، مما كان يعني عملياً أن مصر تجهز "لمعركة المصير" مع الكيان الإسرائيلي. غير أن الفرقتين العسكريتين اللتين حركتهما مصر إلى سيناء لم تكونا تكفيان بالكاد للدفاع عن الحدود المصرية، عوضاً عن تحرير فلسطين. وبتعبير آخر، فإن الإجراءات التي كانت تتخذ على الأرض لم تكن متوافقة مع المواقف السياسية الحادة ولا التصريحات الإعلامية النارية. وكرر الرئيس المصري قبل الحرب بأيام استعداد بلاده للحرب قائلاً "إذا أرادت إسرائيل الحرب، فأهلاً وسهلاً"، وقال: "لن نتركهم ليقررروا الوقت ويقررروا المكان... علينا أن نستعد لننتصر... وقد تمت هذه الاستعدادات... ونحن على استعداد لمواجهة إسرائيل".<sup>22</sup>

وكانت الولايات المتحدة تعلم تفصيلات الهجوم الإسرائيلي المرتقب، والذي أعطته الضوء الأخضر، وأسهمت في تضليل الجانب المصري حول الاستعدادات الإسرائيلية، واستطاعت الحصول على تعهدات مصرية بألا تكون مصر البادئة في الحرب.<sup>23</sup> بل وصل الأمر بعبد الناصر أن يعلن بنفسه "تترك المبادأة والضربة الأولى لإسرائيل"،<sup>24</sup> وبذلك ضمن الكيان الإسرائيلي أن يكون صاحب الضربة الأولى. وقدمت الولايات المتحدة ضمانات لـ "إسرائيل" بحمايتها إذا ما تعرضت للخطر، كما وقرت لها المعلومات اللازمة من خلال وسائلها الاستخباراتية والأقمار الصناعية. أما الاتحاد السوفييتي الذي كان يُعدُّ حليفاً لمصر، فإنه ضغط أيضاً على مصر بألا تكون البادئة في الحرب، ولم يساعدها في الحصول على المعلومات اللازمة عن التحشيدات الإسرائيلية.<sup>25</sup>

كانت هناك قناعات كافية لدى الإسرائيليين والأمريكان والروس أن عبد الناصر لا يريد الحرب، بل وغير مستعد فعلياً لها، على الأقل من خلال حساب تحركات الجيش المصري واستعداداته. لقد كان قرار الحرب إسرائيلياً وبغطاء أمريكي.

<sup>22</sup> المرجع نفسه، ص 259-260.

<sup>23</sup> المرجع نفسه، ص 226-228.

<sup>24</sup> المرجع نفسه، ص 276.

<sup>25</sup> المرجع نفسه، ص 224-226.

بدأت "إسرائيل" الحرب<sup>26</sup> صباح 1967/6/5 بقصف تسعة مطارات مصرية على شكل موجات متعاقبة بين كل موجة وأخرى عشر دقائق، وخلال ثلاث ساعات (8:45 صباحاً - 12 ظهراً)، كان قد تمّ تدمير 80% من الطيران العسكري المصري وهو قابع على المدرجات دونما حركة. ويشير حسين الشافعي، نائب الرئيس المصري في ذلك الوقت، إلى وجود "مؤامرة" أو "خيانة" على مستوى عالٍ في الجانب المصري. ويدلّل على ذلك بأنه رأى بنفسه الطائرات العسكرية المصرية المدمرة وهي مصفوفة بجانب بعضها وكأنما كانت معدة للتدمير، حسبما ذكره في حديثه لبرنامج شاهد على العصر، الذي بثّه تلفزيون الجزيرة القطري في تشرين الثاني/نوفمبر 1999.

وعلى أي حال، فقد تمّ إخراج سلاح الجو المصري من المعركة منذ الساعات الأولى، كما تمّ تدمير معظم سلاح الطيران السوري والأردني بالطريقة نفسها، ومنذ الساعات الأولى للحرب مع الأردن وسورية. وبذلك فقدت الجيوش العربية غطاءها الجوي، وأصبحت وحداتها العسكرية البرية ودباباتها ومدركاتها فريسة سهلة للطيران الإسرائيلي.

وقد تمكّنت القوات البرية الإسرائيلية منذ ظهر 5 حزيران/يونيو من اختراق الحدود المصرية، وتغلّبت على المقاومة المحدودة التي واجهتها في غزة ورفح وخروبة وأبو عجيلة وبيير جفجافة وغيرها، وتقدمت باتجاه قناة السويس. وفي الساعة الثامنة من مساء اليوم الثاني للمعركة (6 حزيران/يونيو)، أصدر القائد العام للقوات المصرية عبد الحكيم عامر أمراً بالانسحاب من سيناء، على أن يتم خلال ليلة واحدة!! وأعلنت مصر مساء 7 حزيران/يونيو قبولها لوقف الحرب، وأبلغته إلى الأمين العام للأمم المتحدة، بينما استكملت "إسرائيل" احتلالها لسيناء في 1967/6/8.

وفي الجبهة الأردنية، بدأت المعارك في 5 حزيران/يونيو بعد أن دمرت الطائرات الإسرائيلية 32 طائرة هوكر هنتر Hawker Hunter (هي كل سلاح الطيران الأردني) في مدرجاتها في مطاري عمّان والمفرق. وحدثت معارك في مناطق القدس وجنين وقباطية والخليل. ومع مساء 6 حزيران/يونيو كانت الدفاعات الأردنية قد انهارت، وصدرت

<sup>26</sup> حول مجريات حرب 1967، انظر: المرجع نفسه، ص 237-247؛ والموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 170-178؛ وانظر:



الأوامر بالانسحاب إلى شرقي الأردن. وفي 7 حزيران/يونيو، كان الكيان الإسرائيلي قد أنهى احتلاله للضفة الغربية بما فيها شرقي القدس، ودخل جنوده حرم المسجد الأقصى وهم يهزجون "محمد مات ... خلف بنات"، أي يقصدون رسول الله ﷺ، ويصرخون "يا لثارات خبير"، معلنين انتقامهم لهزيمة اليهود على يد رسول الله ﷺ في خبير سنة 629م/7هـ، قبل نحو 1,340 عاماً.

أما المعارك على الجبهة السورية، فبدأت في 9 حزيران/يونيو بعد فراغ القوات الإسرائيلية من جبهتي مصر والأردن، وانتهت في 10 حزيران/يونيو باحتلال الصهاينة الجولان السورية. وكان ذلك صدمة كبرى لما تتمتع به الجولان من مزايا استراتيجية وإمكانات تحصينية هائلة، بوصفها منطقة جبلية، ولأن القيادة السورية كانت تتوعد الصهاينة بمصير أسود إذا اندلعت الحرب، بل وصل الأمر بإعلامها حداً جعل أحد أهازيجه تقول إن طائرات الميغ MiG "تتحدى القدر"،<sup>27</sup> بينما ظهر مقال في افتتاحية مجلة جيش الشعب السورية في 1967/4/25 يدعو إلى "خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد... الذي يؤمن أن الله والأديان... وكل القيم التي سادت المجتمع السابق، ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ"<sup>28</sup>!! لقد كانت الاستهانة بعقيدة الأمة وتراثها إشارة إلى حالة الخواء وضعف إرادة القتال التي يعانيها هؤلاء. كانت هذه هي المعركة - الكارثة التي انتظرتها الجماهير العربية بشوق وشغف مدة 19 عاماً، وصحت على هول الصدمة التي نبهتها إلى حجم التضليل والخداع الذي كان يمارسه الإعلام العربي وقياداتهم السياسية.

وفيما يلي قائمة بما أمكن معرفته من خسائر الأطراف المشاركة في الحرب، فقد كانت خسائر القوات المصرية نحو 10 آلاف من القتلى والمفقودين، و5,500 من الأسرى، ودمرت 80% من أعتدة الجيش المصري بينها 800 دبابة، و450 مدفعاً، و10 آلاف مركبة، و305 طائرات (من أصل 360 طائرة). وخسرت القوات الأردنية 6,049 قتيلاً، و792 جريحاً، و150 دبابة. وخسرت القوات السورية نحو ألف قتيل، و560 أسيراً، وتمّ تدمير 60 طائرة (من أصل 120 طائرة)، و70 دبابة، كما استولى

<sup>27</sup> انظر: محمد بن عبد الغني النواوي، رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي، ج1: مؤامرة الدويلات الطائفية (دم.م.: دن.، 1983)، ص 398.

<sup>28</sup> المرجع نفسه، ص 397.

الصهاينة على 150 دبابة أخرى. وبلغ عدد قتلى القوات الإسرائيلية حسب هيرتزوج Herzog 764؛ منهم 338 على الجبهة المصرية، و285 على الجبهة الأردنية، و141 على الجبهة السورية. وبلغ عدد الجرحى الصهاينة، حسب الموسوعة الفلسطينية، نحو 800 على الجبهة المصرية، و1,453 على الجبهة الأردنية، و306 على الجبهة السورية.<sup>29</sup> كما خسر الصهاينة 26 طائرة قتال، و10 طائرات نقل على كل الجبهات.<sup>30</sup>

### أبرز نتائج حرب 1967:

1. احتلال "إسرائيل" لما تبقى من فلسطين أي الضفة الغربية (5,878 كم<sup>2</sup>)، وقطاع غزة (363 كم<sup>2</sup>)، وسيناء المصرية (61,198 كم<sup>2</sup>) والجولان السورية (1,150 كم<sup>2</sup>)، ليصبح مجموع الأرض التي يسيطر عليها الكيان الصهيوني 89,359 كم<sup>2</sup>.
2. تشريد نحو 330 ألف فلسطيني.
3. سيطرة الكيان الإسرائيلي على منابع مياه الأردن، وفتح مضائق تيران وخليج العقبة للملاحة الإسرائيلية.
4. تشكيل الكيان الإسرائيلي لخطوط دفاع جديدة، وتوفير عمق استراتيجي يسهل الدفاع عنه بشكل أفضل.
5. فرض احتلال جديد للأراضي العربية، جعل هدف العرب فيما بعد استرجاع هذه الأراضي المحتلة سنة 1967، وليس تحرير فلسطين المحتلة سنة 1948.
6. تدمير القوات العسكرية لمصر والأردن وسورية.
7. انكشاف ضعف القيادات العربية، وانعدام التنسيق فيما بينها، وعدم جدتها في تحرير فلسطين.
8. ظهور المقاومة الفلسطينية المسلحة وتعاظمها، وبروز الهوية الوطنية الفلسطينية التي قرّرت أن تأخذ زمام المبادرة، بعد أن تبين لها مدى الضعف العربي.

<sup>29</sup> الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 174-177؛ وانظر:

Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, pp. 165 and 183.

<sup>30</sup> هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 239.



## نتائج حرب 1967



## رابعاً: حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973:

أحدثت حرب 1967 جرحاً غائراً في الكرامة العربية، فحاولت الأنظمة العربية استيعاب الصدمة وتوقي غضب الجماهير، فاجتمع الزعماء العرب في الخرطوم في 8/29-1967/9/1 معلنين أن لا صلح ولا مفاوضات ولا اعتراف بالكيان الإسرائيلي، وتعهدت الدول العربية بدعم دول الطوق لإعادة بناء قواتها المسلحة. ووجدت الأنظمة العربية نفسها، راضية أو راغمة، تفتح المجال للعمل الفدائي الفلسطيني، الذي نشط بقوة خصوصاً في الفترة 1967-1970 عبر ساحات دول الطوق. ودخلت مصر وسورية في حرب استنزاف مع الكيان الإسرائيلي، خصوصاً في الفترة من آب/ أغسطس 1968 إلى آب/ أغسطس 1970، أسهمت إلى حد ما في إعادة الثقة ورفع المعنويات لدى الجيشين المصري والسوري، بعد أن تمت مواجهة الاعتداءات الإسرائيلية والقيام بعدد من الهجمات التكتيكية. وحسب هيرتزوج فقد خسر الصهاينة في حرب الاستنزاف نحو 500 قتيل و2,000 جريح.<sup>31</sup>

غير أن حرب الاستنزاف لم تؤدِّ إلى تسخين الوضع بما يكفي لتدخل دولي يجبر الكيان الإسرائيلي على الانسحاب. مما جعل تفكير قيادة الأنظمة العربية يتركز على شنّ حرب محدودة محسوبة الخطوات، لعلها تعيد الوضع إلى حدود ما قبل حرب 1967، سواء بنصر عسكري أم بضغط دولي ينشأ عن تحريك الوضع في المنطقة، بعد أن أرادت "إسرائيل" وأمريكا تجميد الوضع، ليحقق عامل الزمن أقصى درجات الفائدة للكيان الإسرائيلي.

لقد كان واضحاً منذ البداية أن هدف العرب من حرب تشرين الأول/ أكتوبر هو "إزالة آثار عدوان 1967"، وليس تحرير فلسطين والقضاء على الكيان الصهيوني.

شكّلت القيادتان السياسيتان المصرية والسورية "المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية - السورية المشتركة"، وعيّنتا الفريق أول أحمد إسماعيل علي، القائد العام للقوات المسلحة المصرية، قائداً عاماً للقوات المسلحة الاتحادية (مصر وسورية)، ورئيساً للمجلس بدءاً من 10/1/1973، وتولى هذا المجلس الإعداد والتخطيط

<sup>31</sup> Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, p. 220.

وانظر حول حرب الاستنزاف في: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 319-348.



للحرب. وفي 1973/2/25 اجتمع الرئيسان السوري والمصري في برج العرب غرب الإسكندرية واتخذا قراراً بالحرب. وقد سميت خطة الحرب ”خطة بدر“، حيث أنهى من إعداد تصوراتها في صيف 1973.<sup>32</sup> وفي 1973/9/24، لاحظ الإسرائيليون وجود استعدادات سورية - مصرية للحرب، وتم اتخاذ حالة التأهب الأدنى، وأخذت التقارير تتوالى لدى القيادة الإسرائيلية، لكنها كانت ما تزال تشك في جدية الهجوم وتوقيتته، وقامت في 3 تشرين الأول/ أكتوبر بدعوة الاحتياط، وأعلنت حالة التأهب في 5 تشرين الأول/ أكتوبر. وتأكد لدى القيادة الإسرائيلية أن سورية ومصر ستشنان الحرب في 6 تشرين الأول/ أكتوبر، لكنها كانت مترددة في توجيه الضربة الأولى. وعندما اندلعت الحرب بعد ظهر 6 تشرين الأول/ أكتوبر، لم تفاجأ بها القيادة الإسرائيلية، لكن كان من الظاهر أنه كان لها وقع المفاجأة على القوات الإسرائيلية، خصوصاً في قناة السويس، مما يدل على أن الإجراءات الإسرائيلية لم تكن جادة بما يكفي لدخول الحرب.<sup>33</sup>

بدأت الحرب بهجوم 300 طائرة مصرية وسورية ضدّ المواقع الإسرائيلية، وفتحت آلاف المدافع في الوقت نفسه نيرانها على طول جبهات القتال في قناة السويس والجولان. واندفعت القوات المصرية لتحطيم خط الدفاع الإسرائيلي شرقي القناة ”خط بارليف“ في بضعة ساعات، على الرغم من أنه يعد من أقوى وأعقد خطوط الدفاع العسكرية. ونجحت القوات المصرية خلال ثلاثة أيام في الزحف لمسافة 12-15 كم على الامتداد الشرقي لقناة السويس، غير أنها قامت في الفترة 9-13 تشرين الأول/ أكتوبر ”بوقفة تعبوية“ أدت لهدوء نسبي على الجبهة المصرية المشتركة. وحسب الخطة المصرية - السورية المشتركة كان ينبغي على القوات المصرية الاستمرار في الزحف للسيطرة على منطقة ممرات متلا والجدي بعمق 50 كم تقريباً شرقي القناة، ثم تطوير الهجوم بعد ذلك شرقاً حسب تحسن ظروف القتال. لكن القيادة المصرية، التي كانت تشهد بعض الخلافات في الرؤى العسكرية، أخفت نيتها عن سورية

<sup>32</sup> حول الاستعداد المصري - السوري للحرب، انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 351، و377-381.

<sup>33</sup> حول التأهب الإسرائيلي، انظر: عبد الستار قاسم وغازي ربابعة، ”الحروب الإسرائيلية“ في جواد الحمد (محرر)، المدخل إلى القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات رقم 21 (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ص 298-304.

بالتوقف على عمق نحو 12 كم فقط، لأنها ترى أن شبكة الحماية الصاروخية المضادة للطائرات لا تكفي أكثر من هذا المدى لتغطية تقدم القوات المصرية. وبسبب الضغط السوري قامت القوات المصرية باستئناف هجومها في 14 تشرين الأول/أكتوبر لكنها منيت بخسائر جسيمة، ففقدت نحو 250 دبابة، بعد أن ابتعدت عن المظلة الصاروخية، وقرّرت في نهاية اليوم العودة إلى مواقعها.

استفادت القوات الإسرائيلية من الوقفة التعبوية المصرية، ومن الجسر الجوي الأمريكي الذي زوّدها بكميات هائلة من الأسلحة المتطورة، فأعدت ترتيب قواتها، وأخذت زمام المبادرة الاستراتيجية، وقامت مساء 15 تشرين الأول/أكتوبر بتنفيذ خطة "القلب القوي" التي اشتهرت باسم "الغزالة"، والتي تُنسب إلى الجنرال أرييل شارون Ariel Sharon. وقبل فجر 16 تشرين الأول/أكتوبر، تمكنت القوات الإسرائيلية بقيادة شارون من اختراق الخطوط المصرية وعبور قناة السويس، وفتح "ثغرة الدفرسوار" غربي القناة، إلى الجنوب من مدينة الإسماعيلية. وعندما صدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار كان أقصى عمق "إسرائيلي" غربي القناة يبلغ 25-30 كم. غير أن القوات الإسرائيلية تابعت هجومها، فاستكملت تطويق قوات الجيش الثالث المصري شرقي القناة، واستولت على ميناء الأدبية جنوب غربي السويس، ووصلت إلى نقطة الكيلومتر 101، أي 101 كم شرقي القاهرة. وتمّ توقيف إطلاق النار نهائياً في 1973/10/28.<sup>34</sup> ولولا المقاومة الشعبية البطولية للشيخ حافظ سلامة وإخوانه لسقطت مدينة السويس نفسها.

وعلى الجبهة السورية، حقّق الهجوم السوري نجاحات أولية سريعة، فاخترق خط الدفاع الإسرائيلي بعمق 20 كم داخل هضبة الجولان، وجرت معارك ضارية، غير أن تفوق القوات الجوية الإسرائيلية ساعد القوات البرية على صدّ الهجوم السوري. وتحوّلت القوات الإسرائيلية إلى الهجوم المضاد في 8 تشرين الأول/أكتوبر، وبعد يومين كانت قد استعادت ما فقدته في الجولان. وأخذت تهاجم مناطق شمال شرق الجولان، وتمكنت من احتلال ما عرف "بجيب سعسع" الذي ذُكر أنه شمل 39 قرية سورية لم تكن محتلة من قبل وبمساحة 551 كم<sup>2</sup>، ووصلت القوات

<sup>34</sup> حول الحرب على الجبهة المصرية، انظر: هيثم الكيلاني، *الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية*، ص 363-368، و435-447؛ و*الموسوعة الفلسطينية*، ج 2، ص 191-194؛ وانظر:

Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, pp. 231-284.

الإسرائيلية إلى مسافة 25 كم من دمشق. ووصلت إلى سورية قوات عراقية وأردنية للمساعدة، وقامت سورية بالتجهيز لهجوم مضاد، غير أنه ذُكر أن موافقة مصر على قرار مجلس الأمن بوقف الحرب في 22 تشرين الأول/أكتوبر قد فاجأ السوريين، مما اضطرهم لإيقاف الحرب. وبعد ذلك استؤنفت حرب استنزاف استمرت نحو 80 يوماً (1973/5/31-3/13) لتتوقف حين تمّ التوقيع على اتفاقية فصل القوات.<sup>35</sup>

وعقدت مصر اتفاقية فكّ الاشتباك مع الكيان الإسرائيلي في 1974/1/18 نصّت على انسحاب القوات الإسرائيلية من غربي القناة إلى مسافة تبعد 20-30 كم من شرقي قناة السويس، واحتفاظ مصر بقوات محدودة في الأراضي التي استرجعتها شرقي القناة (بعمق 8-12 كم). وفي 1974/2/21 كانت القوات الإسرائيلية قد انسحبت من غربي القناة "ثغرة الدفرسوار". وعُقدت اتفاقية فصل القوات بين سورية والكيان الإسرائيلي في 1974/5/31، وبناء عليها، انسحبت الإسرائيلية القوات من جيب سعسع (551 كم<sup>2</sup>)، الذي احتلته في حرب 1973، ومن مدينة القنيطرة وبعض ما حولها، والتي احتلتها سنة 1967 (112 كم<sup>2</sup>).<sup>36</sup>

وقد أظهرت الدول العربية تضامناً قوياً مع مصر وسورية في الحرب، وأرسلت تسع دول عربية قوات عسكرية محدودة للمشاركة في الحرب. واستخدم العرب لأول مرة سلاح النفط، فقررت الدول العربية المنتجة للنفط في اجتماعها في الكويت في 1973/10/17 تخفيض إنتاجها بنسبة 5% شهرياً، وتطبيق حظر كامل على تصدير النفط إلى الولايات المتحدة وهولندا. وفي 22 تشرين الأول/أكتوبر، قرّر وزراء النفط زيادة نسبة خفض الإنتاج إلى 25%. وحرصت الدول النفطية في قراراتها ألا تتضرر الدول المؤيدة للعرب من حظر النفط. وقد أدى حظر النفط إلى مواجهة الدول الغربية أزمة شديدة في الإنتاج والتصنيع وشؤون الحياة اليومية، وولدت مخاوف كبيرة من أزمات اقتصادية حادة في تلك البلدان. ولفقت انتباه مواطني الدول الغربية إلى دعم بلدانهم للظلم الذي يقع في فلسطين، وإلى انعكاسات هذه القضية على حياتهم اليومية.

<sup>35</sup> حول الحرب على الجبهة السورية، انظر: هيثم الكيلاني، *الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية*، ص 368-372؛ و*الموسوعة الفلسطينية*، ج 2، ص 188-191؛ ومحمد النواوي، *رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي*، ج 1، ص 452؛ وانظر:

Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, pp. 285-307.

<sup>36</sup> هيثم الكيلاني، *الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية*، ص 448-452.

وعلى الرغم من أن الحظر النفطي استمر أشهراً قليلة إلا أنه كان ذا تأثير فعال.<sup>37</sup> واستفادت الدول العربية النفطية من تضاعف أسعار النفط مرات عديدة في مضاعفة إيراداتها وتحسين اقتصادياتها.

ولا تجنح المصادر العربية لذكر خسائر الحرب، وخصوصاً خسائر الجانب العربي، وقد قُدرت مصادر غير عربية عدد قتلى الكيان الإسرائيلي بـ 2,552 قتيلاً، والمصريين 7,700 شهيداً، والسوريين 3,500 شهيداً. وقال هيرتزوج قُتل على الجبهة السورية 772 إسرائيلياً، وجرح 2,453، وأسر 65، ودمرت 250 دبابة إسرائيلية، وتمّ تدمير 1,150 دبابة، و222 طائرة سورية، أما على الجبهة المصرية فتم تدمير 292 طائرة مصرية، وقال إنه تمّ تدمير 102 طائرة إسرائيلية على الجبهتين السورية والمصرية.<sup>38</sup> وقالت الموسوعة الفلسطينية إن الإسرائيليين خسروا في الأيام الأولى 5 آلاف قتيل، و400 أسير، و800 دبابة، و120 طائرة.<sup>39</sup>

### أبرز نتائج حرب 1973:

1. كسر أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وتحطيم نظرية الأمن الإسرائيلية، وإثبات إمكان استعادة أجزاء من الأراضي المحتلة على الأقل بالقوة العسكرية.
2. أخذ العرب زمام المبادرة، والانتقال من الدفاع إلى الهجوم الاستراتيجي، وإثبات كفاءة وشجاعة المقاتل العربي.
3. تحقيق قدر عال من التضامن العربي، من خلال المشاركة العسكرية، ومن خلال استخدام سلاح النفط.
4. تحقيق شعور الثقة بالنفس، وارتفاع المعنويات بعد سنوات من الهزيمة والإحباط.
5. استخدام الأنظمة العربية، خصوصاً مصر، النتائج السابقة لتحريك الأوضاع السياسية، ومحاولة الوصول إلى تسوية سلمية مع الكيان الإسرائيلي، تضمن عودة الأراضي المحتلة سنة 1967.

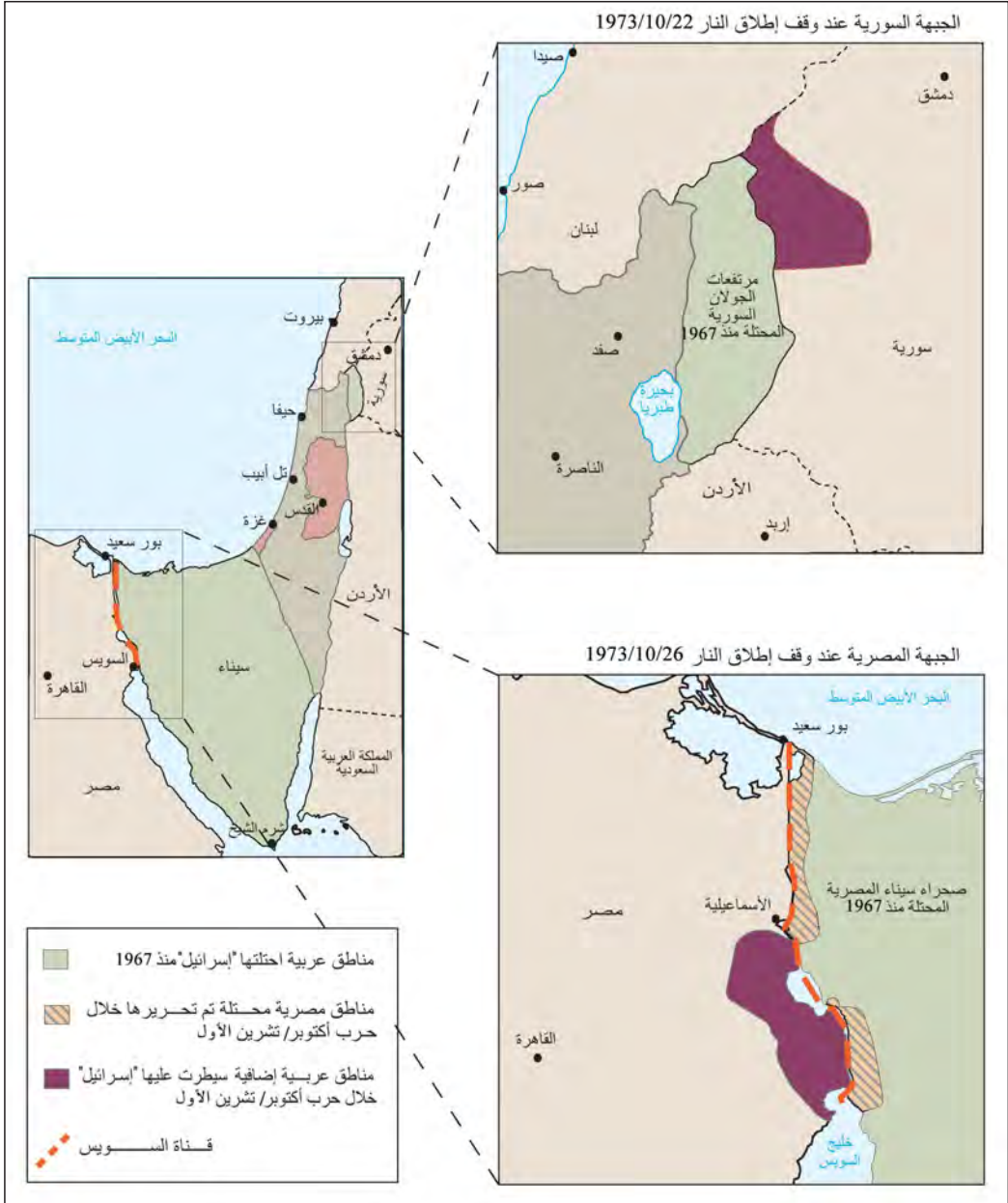
<sup>37</sup> المرجع نفسه، ص 389-390؛ والموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 194-195.

<sup>38</sup> Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, pp. 306 and 310-311.

<sup>39</sup> الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 193.



## نتائج حرب 1973



المصدر: حرب أكتوبر، تشرين الأول 1973، موقع الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية PASSIA، في: <http://www.passia.org/maps/view/101> (بتصرف)

## خامساً: حرب 1982: 40



في الفترة 14-1978/3/21، شنت القوات الإسرائيلية عملية اجتياح واسعة للجنوب اللبناني، وقد جُوبت بمقاومة فلسطينية عنيفة، استخدّمت أسلوب حرب العصابات. غير أن القوات الإسرائيلية أقامت شريطاً "أمنياً" حدودياً في جنوب لبنان، على طول الحدود مع فلسطين المحتلة، ونصّبت الرائد اللبناني المنشق سعد حداد قائداً للشريط، حيث أعلن في 1979/4/19 ما أسماه "دولة لبنان الحر"، التي كانت في حقيقتها منطقة استعمار صهيوني بوجه لبناني عميل، يسعى لحماية اليهود في شمال فلسطين المحتلة. وقد

الحزام الأمني في جنوب لبنان (الذي تشكل بقيادة سعد حداد أسفل يمين الخريطة)

استشهد في عملية الاجتياح هذه نحو 700 لبناني وفلسطيني معظمهم من المدنيين.<sup>41</sup>

لم تتمكن الاعتداءات الإسرائيلية المستمرة من وقف العمل المقاوم، فسعى الكيان الإسرائيلي في الحرب التي خاضها سنة 1982 إلى ضرب المقاومة الفلسطينية في لبنان وتدمير بنيتها العسكرية، والقضاء على مشروع الثورة الفلسطينية بتحرير فلسطين من خلال الكفاح المسلح، وجرّها إلى مشاريع التسوية وفق الشروط والمعايير الإسرائيلية، خصوصاً وأن الأنظمة العربية هجّرت الخيار العسكري، أو

<sup>40</sup> حول حرب 1982، انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 491-507؛ وانظر:

Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, pp. 339-359.

<sup>41</sup> حول اجتياح جنوب لبنان سنة 1978، انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 486-487؛ وعبد الستار قاسم وغازي ربابعة، "الحروب العربية الإسرائيلية"، ص 309.

لم تعد تراهن عليه. واستفاد الكيان الإسرائيلي من ظروف خروج مصر من الصراع العربي - الإسرائيلي بعد توقيعها اتفاقيات كامب ديفيد Camp David Accords في أيلول/سبتمبر 1978، ومن انشغال العرب بالحرب العراقية - الإيرانية، بالإضافة إلى الدعم الأمريكي للكيان الإسرائيلي الذي ازداد قوة في ولاية الرئيس رونالد ريجان Ronald Reagan.

وقد ادعى الكيان الإسرائيلي أن هدف الحرب هو تحقيق "سلامة الجليل" أي حماية المستوطنات اليهودية في شمال فلسطين المحتلة من الصواريخ والعمليات الفلسطينية. مع العلم أنه لم تحدث عمليات من هذا النوع منذ 1981/7/24 وحتى 1982/6/4. بينما قام الكيان الإسرائيلي في الفترة نفسها بخرق المجال الجوي اللبناني 2,125 مرة، وخرق المياه الإقليمية اللبنانية 652 مرة، بالإضافة إلى بعض حوادث الانتهاك برأ.

بدأ الاجتياح الإسرائيلي للبنان في 1982/6/4، واشترك فيه 125-150 ألف جندي (من أصل 170 ألفاً هم قوام الجيش الإسرائيلي العامل) تساندهم 1,600 دبابة، و1,600 ناقلة جنود مدرعة، و600 مدفع وراجمة صواريخ، والقوات الجوية والبحرية، أي أنها كانت حرب اقتلاع للوجود العسكري الفلسطيني، في جو من الاطمئنان إلى عدم وجود أي تحرك عربي جاد، فتركت الحدود شبه فارغة مع البلاد العربية الأخرى.

وقد تمكنت القوات الإسرائيلية من اجتياح جنوب لبنان ووسطه بسرعة كبيرة تساندها القوى الكتائبية، وفي 9 حزيران/يونيو كانت قد وصلت إلى مشارف بيروت. وقد حاولت القوات السورية المتمركزة في البقاع والشوف التصدي لها، لكن القوات الإسرائيلية تمكنت من تدمير شبكة الصواريخ السورية، وأسقطت في معارك جوية مئة طائرة عسكرية سورية، فانكشفت القوات السورية البرية أمام الطيران الإسرائيلي، واضطرت القوات السورية للانسحاب بعيداً عن محاور القتال منذ 11 حزيران/يونيو.

وقد استمرت معركة بيروت 65 يوماً (1982/8/12-6/9)، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى طريق بيروت دمشق، ودخلت بيروت الشرقية في 11 حزيران/يونيو حيث قصر الرئاسة في بعداء، وحيث وجدت ترحيباً من تحالف القوات اللبنانية الكتائبية. وقد أكملت حلقة حصارها على بيروت الغربية في 14 حزيران/يونيو حيث

تجمع فيها نحو 12-13 ألف مقاتل فلسطيني واللواء السوري الـ 85. وقد قررت المقاومة الفلسطينية الصمود، وقدمت نموذجاً للحملة بطولية، فشل العدو خلالها وعلى مدى شهرين من احتلال رقعة صغيرة هي منطقة بيروت الغربية، على الرغم من شراسة القصف والحصار ومحاولات الاقتحام والهجمات برّاً وبحراً وجواً، واستخدام أحدث وأشد وسائل الدمار. وفي 30 حزيران/يونيو كان قد استشهد نحو 15 ألف مدني من جراء الغزو الإسرائيلي.

وقد اضطرت القوات الإسرائيلية للموافقة على وقف إطلاق النار في 12/8/1982، بعد أن فشلت في احتلال بيروت الغربية. غير أن القوات الإسرائيلية حققت أهدافها بشكل عام. إذ اقتضت الترتيبات خروج المقاومة الفلسطينية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان بعد أن تجمعت في بيروت، مما أدى إلى خروج نحو 11 ألف فلسطيني مقاتل (نحو 8,300 من المنظمات الفدائية، و2,600 من جيش التحرير الفلسطيني، و175 جريحاً) وذلك وفق ترتيبات تضمن سلامتها، وقد تمّ ذلك في الفترة 21-31/8/1982، حيث توجه المقاتلون الفلسطينيون إلى معسكرات في سورية والعراق وتونس واليمن (الشمالي والجنوبي) والجزائر والسودان. ولم تحترم القوات الإسرائيلية تعهداتها، فقد اقتحمت بيروت الغربية بعد أسبوعين من خروج المقاومة الفلسطينية، وأشرفت بنفسها على تنفيذ قوات من القوى المسيحية المتعصبة لمذابح صبرا وشاتيلا في 16-18/9/1982، والتي أدت إلى استشهاد نحو 3,500 فلسطيني ولبناني من المدنيين الأطفال والنساء والشيوخ....

أدت حرب 1982 إلى استشهاد وجرح نحو 55 ألف فلسطيني ولبناني، وإلى تدمير معظم البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية في لبنان، بحيث لم تعد تشكل خطراً جاداً على الكيان الصهيوني، ووجدت منظمة التحرير الفلسطينية نفسها بعيدة عن فلسطين، محرومة من العمل العسكري في دول الطوق.<sup>42</sup> وكسب تيار "الواقعية" في

<sup>42</sup> حسب المصادر الإسرائيلية فإن خسائر منظمة التحرير الفلسطينية حتى منتصف تموز/ يوليو 1982 كانت ألف شهيد و6 آلاف أسير، وخسرت سورية 370 شهيداً وألف جريح و250 أسيراً، كما خسرت سورية 350-400 دبابة، و86 طائرة مقاتلة، وخمس طائرات هليكوبتر، و19 منصة إطلاق صواريخ، وخسر الكيان الإسرائيلي 35-40 دبابة، وطائرة حربية واحدة، وطائرتي هليكوبتر، و300 قتيل، و1,600 جريح. انظر:

Chaim Herzog, *The Arab-Israeli Wars*, p. 353.



المنظمة دفعات جديدة باتجاه تبني الحلول السلمية، وأخذ تركيز المنظمة ينصب بعد ذلك على النضال السياسي. وعانت من محاولات فرض الهيمنة عليها أو تجاوزها، كما عانت من الاختلافات الداخلية، ووقع انشقاق في حركة فتح بزعامة أبو موسى (سعيد مراغة). وعلى الرغم من البطولات التي أبدتها المقاتلون الفلسطينيون، فإن حرب 1982 كشفت عن اختراقات وترهلات ونقاط ضعف في جسد الثورة، كما دفعت إلى مراجعة الأيديولوجية التي يجب أن يبني عليها الصراع مع العدو.

ولم تدم سعادة الكيان الصهيوني بتحقيق أهدافه، إذ سرعان ما ظهرت المقاومة اللبنانية ممثلة خصوصاً بحزب الله، حيث حوّلت الجنوب اللبناني إلى ساحة حرب توالى فيها العمليات اليومية وسقوط القتلى الإسرائيليين. فقد جرى اغتيال الزعيم الكتائبى بشير الجميل الذي نصبته "إسرائيل" رئيساً على لبنان بعد أيام من انتخابه. وتمّ تدمير مقر القيادة العامة للقوات الإسرائيلية في صور في 1982/11/12، حيث قتل 75 عسكرياً إسرائيلياً، وهوجم مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور في 1983/11/4 وقُتل 19 إسرائيلياً. وأفشلت القوى الوطنية الإسلامية الوجود المشبوه للقوات متعددة الجنسيات في لبنان، فدمّرت السفارة الأمريكية في بيروت في 1983/4/18 وقتلت 80 شخصاً، ودمّرت مقر قيادة القوات الأمريكية في 1983/10/23 وقتلت 239 جندياً. كما ضربت مقر قيادة القوة الفرنسية في 1983/10/23 و1983/12/21 مما أدى إلى مقتل 71 جندياً. وتمكنت المقاومة من إفشال الاتفاق بين الحكومة اللبنانية والكيان الإسرائيلي الذي وقّع في 1983/5/13، حيث تمّ إسقاطه في 1984/3/5، لأنه اتفاق ينتقص من الحقوق اللبنانية الكاملة في السيادة والاستقلال. كما أخذت المقاومة الفلسطينية تعود شيئاً فشيئاً إلى لبنان، وإن بدرجة أقل مما سبق، وتتولى القيام ببعض العمليات والدفاع عن المخيمات الفلسطينية.<sup>43</sup>

وقد اضطرت القوات الإسرائيلية للانسحاب في 1983/9/4 إلى خط نهر الأولي، ثم قرّرت في 1985/1/14 تحت الضربات القاسية للمقاومة إلى الانسحاب من كثير من المناطق على ثلاث مراحل أتمتها في حزيران/ يونيو 1985، وأبقت قواتها فقط

<sup>43</sup> حول هذه العمليات، انظر: هيثم الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية، ص 498، و506.

في الشريط الحدودي، الذي عهدت بإدارته إلى عميلها إنطوان لحد. وهو شريط في جنوبي لبنان يتاخم الحدود مع فلسطين وبعمق 5-20 كم داخل لبنان.<sup>44</sup> وقد توالى ضربات المقاومة للقوات الإسرائيلية وعملائها في هذا الشريط حتى تمّ تحريره في 2000/5/24.

وتجدر الإشارة إلى الدور البارز لقوات الفجر، الجناح العسكري للجماعة الإسلامية في لبنان في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، خصوصاً في ثمانينيات القرن العشرين. وتأسست قوات الفجر بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان في حزيران/يونيو 1982، وتعدّ امتداداً لقوات "المجاهدون" التي أسستها الجماعة سنة 1975. وكانت أولى عمليات قوات الفجر في أواخر آب/أغسطس 1982، ولعبت دوراً مهماً خصوصاً في منطقة صيدا وفي معارك تحرير شرق صيدا. وكان لها تواجد في البقاع الغربي وفي إقليم الخروب، كما كان لها قواعد تدريب في منطقة صيدا وفي الشمال. ووفّرت قوات الفجر التدريب وعناصر التأهيل للشباب الفلسطيني المسلم في المخيمات لتتمكّن من المشاركة الجهادية ومن الدفاع عن نفسها. كما وفّرت معسكرات التدريب لعناصر حزب الله في بداية انطلاقته، ونسقت معه عدداً من العمليات. وظلّت قوات الفجر ناشطة في العمل العسكري حتى 1991.

### سادساً: العدوان الإسرائيلي على لبنان 2006:<sup>45</sup>

شنت القوات الإسرائيلية عدواناً شاملاً على لبنان، استهدف بالذات جنوب لبنان والضاحية الجنوبية لبيروت، استمر 33 يوماً في الفترة 2006/8/14-7/12؛ وقد ووجهت بمقاومة بطولية من قوى المقاومة وخصوصاً من حزب الله، مما أدى لاندحار القوات الإسرائيلية، وفشلها في تحقيق أهدافها.

وكان حزب الله، قبل ساعات قليلة من شنّ الكيان الصهيوني لعدوانه، قد قام بعملية عسكرية نوعية أسفرت عن قتل ثمانية جنود إسرائيليين وجرح 18 آخرين

<sup>44</sup> المرجع نفسه، ص 506-507.

<sup>45</sup> حول هذه الحرب، انظر: محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007)، ص 113-136.



وأسر اثنين؛ أعلن عقبها أن الهدف الأساسي منها كان أسر أكبر عدد من الجنود لمبادلتهم بأسرى لبنانيين محتجزين في السجون الإسرائيلية، وذلك عبر مفاوضات غير مباشرة.

من جهة أخرى، توافرت معلومات من مصادر غربية متعددة تؤكد أن تنسيقاً أمريكياً إسرائيلياً قد بدأ قبل وقت طويل من عملية حزب الله، واستهدف وضع خطط مشتركة لتدمير البنية العسكرية للحزب كمقدمة لتغيير قواعد اللعبة السياسية في لبنان والمنطقة. وحين بدأت "إسرائيل" عملياتها العسكرية أعلنت أنها تهدف إلى تدمير البنية العسكرية لحزب الله ودفع ما تبقى من مقاتليه إلى ما وراء نهر الليطاني؛ وادّعت أنها تريد مساعدة الدولة اللبنانية على فرض سيطرتها على كامل التراب اللبناني؛ وهي أهداف يصعب معها الاقتناع بأن حرباً شاملة على هذا النحو كانت مجرد رد على عملية حزب الله العسكرية المحدودة.

وقد مرت الإدارة العسكرية للحرب على الساحة الإسرائيلية بثلاث مراحل متميزة: الأولى: غارات جوية مكثفة ومتواصلة، استهدفت في الأساس تدمير منصات إطلاق الصواريخ ومخازن الأسلحة والمخابئ العسكرية التابعة لحزب الله، بالتوازي مع ضرب الموانئ والمطارات والجسور ومراكز الاتصالات التابعة للدولة اللبنانية. والثانية: تدمير الضاحية الجنوبية لبيروت، حيث المقر الرئيسي لحزب الله ولأهم المؤسسات السياسية والإعلامية والاقتصادية التابعة له. والثالثة: عمليات برية، بدأت محدودة النطاق لكنها اتّسعت تدريجياً، مع فشل وحدات النخبة في تحقيق أهدافها، إلى أن أخذت قبيل انتهاء الحرب شكلاً أقرب إلى الاجتياح البري. وقد استغرقت الحرب بمراحلها الثلاث 33 يوماً. ولم يكن الجيش اللبناني طرفاً في هذه الحرب، بالرغم من تعرّض بعض مواقعها للقصف وسقوط العشرات من الضحايا بين صفوفه، واقتصرت دوره على تقديم الدعم للمدنيين وعلى عمليات الإنقاذ. أي أن حزب الله استطاع تعويض عدم امتلاكه لطائرات أو دبابات أو سفن حربية، بترسانة بدت كبيرة من الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى. وكان حزب الله ما يزال قادراً على ضرب العمق الإسرائيلي بمئات الصواريخ يومياً حتى اللحظة الأخيرة للحرب، مما مثّل أكبر دليل على أن "إسرائيل" لم تتمكن من تحقيق أهم أهدافها وهو تدمير بنيته العسكرية.

جاء قرار مجلس الأمن رقم 1701 محصلةً لتفاعل موازين القوى العسكرية والسياسية للأطراف المشتبكة في الصراع على نحو مباشر أو غير مباشر. ومع ذلك، فإن إلقاء الولايات المتحدة بكل ثقلها السياسي وراء "إسرائيل"، مَكَّنَهَا من الحصول على مكاسب سياسية أكبر مما سمحت به موازين القوى على ساحة القتال، حيث طالب القرار 1701 بالإفراج الفوري عن الجنديين المختطفين، وبوجود منطقة عازلة خالية من مقاتلي حزب الله حتى جنوب الليطاني، بل ولا يستبعد نزع سلاح الحزب إذا ما توافرت شروط سياسية معينة.

وقد أدت الحرب إلى استشهاد 1,400 لبناني وجرح 3,700 آخرين، وتم تهجير نحو 973 ألفاً بشكل مؤقت، وحدث دمار كبير في البنى التحتية، فلاحقت أضرار بنحو 7 آلاف منزل، و145 جسراً. وقُدِّرت الخسائر الإسرائيلية بنحو 400 قتيل و1,187 جريحاً، وتضرر نحو 11 ألف منزل نتيجة سقوط 3,204 صواريخ كاتيوشا، كما أعلن حزب الله أنه تمكن من تدمير 120 دبابة ميركافا، وثلاثين مدرعة وبارجتين بحريتين وخمس مروحيات.<sup>46</sup>

<sup>46</sup> انظر: محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006، ص 129-131.

## الفصل الثاني

# مشاريع التسوية السلمية للقضية الفلسطينية

### مقدمة:

يحمل مصطلح التسوية السلمية معنى محاولة فضّ النزاع بين طرفين أو أكثر حول القضية مثار الخلاف بالطرق السلمية، وعادة ما تتم بقبول الأطراف لحلّ يوقّعون عليه، ويلتزمون بتنفيذه، بناء على اتفاقية محددة. وليس شرطاً أن تكون التسوية السلمية "عادلة" أو حلاً "وسطاً"، إذ إنها تعكس في كثير من الأحيان موازين القوى، وحالات الانتصار والهزيمة، والضغوط الداخلية والخارجية. كما أن التسوية السلمية ليست بالضرورة حلاً دائماً، إذ قد تلجأ إليها القوى المتصارعة لأخذ فسحة من الوقت بانتظار تغير الظروف إلى الأفضل، من أجل فرض تسويات جديدة تعكس تغيّر موازين القوى.

ولكن هذا المصطلح قد يكون مُضللاً عندما يتعلق بالشأن الفلسطيني، إذ إن معظم مشاريع التسوية السلمية تكون عادة بين دول مختلفة متحاربة، أو بين أطراف داخلية متنازعة من أبناء الوطن الواحد. أما المعاهدات التي تنتزعها قوى منتصرة نتيجة احتلالها لأرض شعب آخر وتشريد أهله واستغلال خيراته، فهي معاهدات بين غاصب محتل وبين شعب مقهور، وهي تعكس حالة استسلام من الطرف الضعيف إلى الطرف الأقوى. وهي بالتالي ليست صراعاً حدودياً أو إسقاطاً لنظام حكم...، وإنما هي حالة استعمارية تكون أي تسوية فيها مهما كانت تسوية ظالمة لأهل الأرض المحتلة، لأنها بالضرورة ستنتقص ولو جزءاً من أرضهم، أو حريتهم في تقرير مصيرهم، أو سيادتهم التامة على دولتهم. ولذلك، فإن من عادة الحركات الوطنية في البلدان المستعمرة الكفاح من أجل حريتها واستقلالها، وإذا ما حدثت مفاوضات واتفقات فإنها لا تعطي للقوى الغاصبة حقاً في الأرض نفسها، وإنما قد توافق مرحلياً، بانتظار تحسن الظروف، على بعض الأمور التي قد تنتقص من حريتها وسيادتها كوجود قواعد عسكرية أو شروط اقتصادية مجحفة أو تحكّم المستعمر بالشؤون الخارجية.

إنَّ أول ما يجب التنبيه إليه أن الوجود الصهيوني - اليهودي في فلسطين هو حالة استعمار واغتصاب بالقهر والقوة، وليس نزاعاً بين بلدين متجاورين. وإن جوهر القضية أن القوى الكبرى، وبالذات بريطانيا وأمريكا، قد سعت متحالفة مع الصهيونية العالمية لإيجاد كيان يهودي في فلسطين، قلب العالم العربي والإسلامي، يمتلك آليات القوة والتوسع، ويكون سيفاً مسلطاً على رقاب المسلمين في المنطقة يمنع وحدتهم ويضمن ضعفهم وتخلفهم، ويحرمهم من شروط النهضة الحضارية، ويبقي منطقتهم مصدراً للمواد الخام وسوقاً للسلع الاستهلاكية الغربية.

وبالتالي، فإن أي مشروع يطرحه الغرب أو الصهاينة، أو يمكن أن يقبلوه، لا بدّ وأن يشترط بقاء هذا الكيان اليهودي - الصهيوني وقوّته وازدهاره. وهو بالتالي لن يكون عادلاً مهما حصل الفلسطينيون أو العرب والمسلمون من "مكاسب"، لأنها "لن" تضمن استعادة الفلسطينيين لكامل حقوقهم في أرضهم وسيادتهم عليها أو خروج الغاصبين المحتلين. ولذلك، فإن أي حلّ يمكن أن يقبل به الفلسطينيون والعرب والمسلمون سيكون حلاً مؤقتاً، وسيزول بزوال مسبباته (ضعفهم وقوة خصمهم)، ذلك أن عناصر التفجير ستبقى (الإيمان بفلسطينية وعروبة وإسلامية الأرض، والشعور بالظلم). وكما أن اليهود لن يتركوا عقيدتهم في "أرض الميعاد"، وكما أن الغرب لن يترك أطماعه، فإن العرب لن يتنازلوا عن حقوقهم، كما أن المسلمين لن يتركوا إسلامهم. وعلى هذا فإن أيّ تسوية "عادلة دائمة" يجب أن تتم بناء على زوال الاحتلال واستعادة الحقوق كاملة، وإلا فإن نُذُر الحرب ستظل تلوح في الأفق.

لقد تمت هجرة اليهود إلى فلسطين قهراً ودون موافقة أهل البلاد، وتملكوا الأراضي قهراً، وأنشأوا مؤسساتهم العسكرية والمدنية والاقتصادية قهراً تحت الاحتلال البريطاني. وأقاموا الكيان الصهيوني سنة 1948 على 77% من أرض فلسطين قهراً. وكل التسويات السلمية لا تتحدث عن إزالة هذا القهر والعدوان، وإنما في أحسن الأحوال عن "قهر دون قهر"، بما يضمن إعطاء الشرعية لمعظم ما تمّ اغتصابه.



## أولاً: مشاريع التسوية السلمية 1948-1967:

كان القاسم المشترك لمشاريع التسوية في هذه المرحلة هو التعامل مع قضية فلسطين بوصفها قضية لاجئين، أي الشق الإنساني من الموضوع وليس السياسي. ففي 1948/12/11، وبناء على مشروع بريطاني، وافقت الأمم المتحدة على إصدار القرار 194 القاضي بوجوب السماح بالعودة للاجئين الفلسطينيين الراغبين في العودة إلى بيوتهم في أقرب وقت ممكن، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى بيوتهم، وأن يتم تعويض أي مفقود أو مصاب بضرر من الجهة المسؤولة عن ذلك. ويعني قرار العودة هذا أن:

1. العودة حق واجب التنفيذ.
  2. وهي تتوقف على الاختيار الحر للاجئ.
  3. وهي حق طبيعي وليس منّة من أحد.
  4. ولا يجوز لأحد منع هذا الحق أو حجبها.
  5. وأنّ عودته إلى وطنه هي عودة مواطن له كامل الحقوق المدنية والسياسية.<sup>1</sup>
- ومن الجدير بالذكر، أنّ قرار حقّ العودة هذا قد جرى التأكيد عليه سنوياً في اجتماعات الأمم المتحدة، بأكثر من 130 مرة، مع رفض إسرائيلي مستمر لتنفيذه، ودون أن تتحرك الأمم المتحدة بأي خطوة عملية لإلزام الكيان الصهيوني به. وكان قد تمّ تشريد 800 ألف فلسطيني من أصل 920 ألف كانوا يسكنون المنطقة التي استولى عليها الصهاينة. ويبلغ عدد هؤلاء الفلسطينيين نحو سبعة ملايين (حسب مطلع سنة 2021).

وفي الوقت نفسه، لم يستطع الفلسطينيون إنشاء الدولة العربية الخاصة بهم، إذ قام الأردن بضم الضفة الغربية رسمياً إليه في 1950/4/11، كما قامت مصر بوضع قطاع غزة تحت إدارتها.

<sup>1</sup> انظر نص القرار في:

Zafrul Islam Khan, *Palestine Documents* (New Delhi: Pharos Media, 1998), pp. 276-279.

(Hereafter referred to as *Palestine Documents*)

وقد تضمن القرار 194 نفسه مادة تنص على تشكيل لجنة توفيق ومصالحة<sup>2</sup> بين الكيان الصهيوني والدول العربية. وتشكلت اللجنة من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا، ودعت اللجنة في أواخر 1949 الكيان الصهيوني لقبول عودة 100 ألف لاجئ فلسطيني مقابل الحصول على صلح مع العرب، لكن الكيان الصهيوني رفض ذلك بشكل قاطع. وتعاونت الدول العربية مع لجنة المصالحة، لكن إصدار الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بيانها الشهير في 1950/5/25 بحماية الحدود الإسرائيلية القائمة، على الرغم من أنها تحتل مساحة إضافية من فلسطين تقدر بنحو 23%، كشف النوايا الحقيقية لهذه الدول، مما دفع الدول العربية لرفض مقترحات لجنة المصالحة المتعلقة بترتيبات التسوية مع الكيان الصهيوني. وقد عقدت اللجنة مؤتمراً في لوزان بسويسرا في 1949/4/26، وكان الكيان الإسرائيلي تحت ضغط الحاجة إلى قبوله عضواً في الأمم المتحدة، فوافق ووقع على "بروتوكول لوزان Lausanne Protocol" الذي تضمن:

1. أن تكون الخريطة الملحقة بقرار تقسيم فلسطين هي أساس للمحادثات بشأن مستقبل فلسطين.
2. انسحاب "إسرائيل" إلى ما وراء حدود التقسيم.
3. تدويل القدس.
4. عودة اللاجئين وحققهم في التصرف بأموالهم وأموالهم، وحق تعويض من لا يرغب بالعودة.

ولكن ما إن وافقت الأمم المتحدة على عضوية الكيان الإسرائيلي فيها، حتى تنكرت "إسرائيل" لاتفاقية لوزان، ورفضت تنفيذ شروطها. وقد عطّلت "إسرائيل" أي عمل للجنة متعلق بتنفيذ التقسيم أو عودة اللاجئين. وبدا واضحاً أن الموقف الصهيوني وجد هوى غير معن لدى لجنة المصالحة التي تعمّدت التقاعس وإماتة الموضوع، وافتقرت لأدنى درجات الجدية، وسكتت سكوتاً مريباً عن مصادرة الكيان الصهيوني

<sup>2</sup> انظر حول هذه اللجنة في: الموسوعة الفلسطينية، ج 4، ص 19-21؛ ومنير الهور وطارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ط 2 (عمّان، الأردن: دار الجليل، 1986)، ص 38-39.



لأراضي اللاجئين وأملاكهم. ومن الجدير بالذكر، أن لجنة المصالحة هذه ظلت (من الناحية الرسمية) مشكلة لعشرات السنين، وظلّ تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة يأسف سنوياً لعدم تمكن هذه اللجنة من إيجاد الوسائل لتحقيق أي تقدّم بشأن عودة اللاجئين، ويطلب منها أن تبذل جهوداً متواصلة من أجل ذلك (مثلاً قسم (ب) من قرار 3419 الصادر في 1975/12/8).

وفي إطار التعامل مع قضية فلسطين كقضية لاجئين أنشئت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA) بناء على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 302 الصادر في 8 كانون الأول/ ديسمبر<sup>3</sup>. وأخذ يتضح مع الزمن أن مزاج القوى الكبرى العام يتجه نحو إيجاد حلول اقتصادية لمصاعب الحياة التي يواجهها اللاجئون، وتوطينهم حيث استقروا أو في أماكن أخرى، وليس إعادتهم إلى أرضهم أو إعطائهم حقوقهم السياسية في الهوية الوطنية وتقرير المصير والاستقلال.

وتوالت المشاريع التي تركّز على قضية اللاجئين، وعلى تحقيق تسوية بين الدول العربية والكيان الصهيوني، دونما إشارة لإنشاء كيان سياسي فلسطيني.

## ثانياً: مسار التسوية السلمية 1967-2000:

أفرزت حرب حزيران/ يونيو 1967 حقائق جديدة على الأرض، فقد احتل الصهاينة ما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة)، بالإضافة إلى سيناء المصرية والجولان السورية. وكانت كارثة بحق، فقد تبخرت ثقة الأنظمة العربية بقدرتها على تحرير فلسطين، كما تبخرت ثقة الجماهير العربية بهذه الأنظمة. وتحوّل الشغل الشاغل للأنظمة العربية عن تحرير الأرض المحتلة سنة 1948 إلى تحرير الأرض المحتلة سنة 1967، أو تحقيق أي تسوية سلمية تضمن "إزالة آثار العدوان"، أي عدوان 1967. وبالتالي تمكّن الكيان الصهيوني من فرض جدول جديد

<sup>3</sup> انظر نص القرار في:

*Palestine Documents*, pp. 288-289.

لمشاريع التسوية، تركّز على أراضٍ لم تكن محتلة أصلاً بحيث أصبحت هي موضوع المساومة، وليس أرض 1948 التي ضَمّن الصهاينة أن تخرج عن دائرة البحث ابتداءً. وعلى الرغم من أن مؤتمر قمة الدول العربية الذي انعقد في الخرطوم في 1967/8/29 خرج باللغات الثلاث الشهيرة ”لا صلح، لا مفاوضات، لا استسلام“، إلا أن ذلك كان استجابة للحالة النفسية للجماهير العربية المصدومة التي تطالب بالتأثر والانتقام، ولم يكن ذلك خطأً أصيلاً يرفض على أساسه مشاريع التسوية، إذ إن الأنظمة العربية سرعان ما ستتعامل مع هذه المشاريع، كما أنها لن تقوم بتنفيذ خطط عمل استراتيجية تخدم تلك الشعارات المعلنة.

وقد أصبحت مشاريع التسوية من الكثرة بحيث يصعب مجرد سردها، غير أن الإطار العام للمشاريع العربية ستركز على انسحاب الكيان الصهيوني من الأرض المحتلة سنة 1967، والإطار العام للمشاريع الإسرائيلية ستركز على إنهاء حالة الحرب وإقامة علاقة طبيعية مع البلاد العربية، مع إنكار حقوق الشعب الفلسطيني. أما الإطار العام للمشاريع الدولية فسيحاول الجمع بين الرؤيتين العربية والصهيونية، بحسب الجهة التي تقدم المشروع وطبيعة علاقتها بالطرفين.

### 1. مشروع ألون Allon Plan<sup>4</sup>:

بعد شهر واحد من حرب 1967، طرح وزير الخارجية الإسرائيلية إيجال ألون Yigal Allon مشروع الذي حَظِيَ بشهرة واسعة وتضمنت أفكاره:

أ. الحدود الشرقية للكيان الإسرائيلي هي نهر الأردن، وخط يقطع البحر الميت من منتصفه.

ب. ضمّ المناطق الغربية لغور الأردن والبحر الميت بعرض بضعة كيلومترات إلى نحو 15 كم، وإقامة مستوطنات صهيونية زراعية وعسكرية ومدنية فيها بأسرع ما يمكن، وإقامة ضواحي سكنية يهودية شرقي القدس.

ج. تجنّب ضمّ السكان العرب إلى الكيان الإسرائيلي قدر الإمكان.

<sup>4</sup> منير الهور وطارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ص 80-82.



د. إقامة حكم ذاتي فلسطيني في الضفة الغربية في المناطق التي لن يضمها الكيان الإسرائيلي.

هـ. ضمّ قطاع غزة للكيان الإسرائيلي بسكانه الأصليين فقط، ونقل لاجئي 1948 من هناك وتوطينهم في الضفة الغربية أو العريش.

و. حلّ مشكلة اللاجئين على أساس تعاون إقليمي يتمتع بمساعدة دولية، وتقوم "إسرائيل" بإقامة عدة قرى "نموذجية" للاجئين في الضفة وربما في سيناء.

وعلى الرغم من أن آلون طرح مشروعه على حكومته إلا أنها لم تقم بمناقشته أو تبنيّه رسمياً. ومع ذلك، فإن هذا المشروع أصبح بعد ذلك أساساً تنطلق منه معظم، أو كل، مشاريع التسوية الإسرائيلية حتى أواخر القرن العشرين مع بعض التعديلات أو الديكورات الطفيفة.

## 2. قرار مجلس الأمن 242 في 1967/11/22:<sup>5</sup>

يُعدّ قرار مجلس الأمن 242 من أهم المشاريع التي ما تزال تستند إليها كافة مشاريع التسوية إلى الآن. وقد قدّمت بريطانيا هذا المشروع ووافق عليه مجلس الأمن الدولي بالإجماع. وكان مجلس الأمن قد انعقد في الفترة 1967/11/22-9. وكان أبرز ما جاء في القرار التأكيد على أن تحقيق مبادئ الأمم المتحدة يتطلب:

إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق المبادئ التالية:

- أ. سحب القوات الإسرائيلية المسلحة من أراضٍ احتلت في النزاع الأخير.
- ب. إنهاء جميع ادّعاءات الحرب أو حالاتها واحترام السيادة والوحدة لأراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك، وكذلك استقلالها السياسي، وحقّها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرّة من التهديد أو أعمال القوة.

<sup>5</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 84-85؛ والموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 183-185؛ وانظر:

*Palestine Documents*, pp. 296-297.

ومن أبرز عيوب هذا القرار أنه:

- لا يعيّن بوضوح الخطوط التي يجب أن ينسحب منها الكيان الإسرائيلي.
- يُقرُّ للكيان الإسرائيلي ما حازه من توسع غير قانوني قبل حرب 1967.
- لا يتناول جوهر ”النزاع“، وهو قضية فلسطين، إلا من زاوية اللاجئين، أي أنه لا يتعرض للحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني.
- يجعل الانسحاب الإسرائيلي رهناً بتحقيق شروط أخرى.
- تمّ حذف ”ال“ التعريف في النص الإنجليزي (The) ليصبح الانسحاب من ”أراضٍ“ وليس ”الأراضي“ التي احتلها الصهاينة. بمعنى أن الانسحاب لن يكون بالضرورة شاملاً من كل الأرض. أما النصين الفرنسي والإسباني فقد أبقيا على أداة التعريف، ولذلك ذكرت فرنسا والاتحاد السوفييتي ومالي والهند ونيجيريا قبل الموافقة على القرار أنها تفهم أن الانسحاب سيكون شاملاً. وبالطبع، فإن الكيان الإسرائيلي والأمريكان يرفضون الرجوع إلا إلى النص الإنجليزي.

وفي الفترة 9-12/12/1981، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة قرارات كان من ضمنها أن قرار 242 لا يؤمن مستقبل الشعب الفلسطيني وحقوقه الثابتة، وأكدت حقه في العودة وتقرير المصير والاستقلال الوطني والسيادة الوطنية.<sup>6</sup>

وقد رفضت منظمة التحرير الفلسطينية وكل المنظمات الفدائية الفلسطينية قرار 242 حين صدوره لأنه يعني ”تصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية“. كما رفضت سورية والعراق والجزائر هذا القرار، أما الأردن ومصر فقد وافقتا على القرار.<sup>7</sup>

### 3. الفلسطينيون وحق تقرير المصير في الأمم المتحدة:<sup>8</sup>

شهدت منتصف السبعينيات من القرن العشرين نجاحات دبلوماسية فلسطينية كبيرة على صعيد الأمم المتحدة باتجاه إقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وعلى رأسها الحق في تقرير المصير والاستقلال.

<sup>6</sup> الموسوعة الفلسطينية، ج 2، ص 260.

<sup>7</sup> انظر: منير الهور وطارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ص 86-87؛ وصلاح خلف، فلسطين بلا هوية، ط 2 (عمّان: دار الجليل للنشر، 1996)، ص 123، و 140.

<sup>8</sup> حول هذا الموضوع، انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 1، ص 552-557.



وكانت الأمم المتحدة قد أشارت لأول مرة للفلسطينيين باعتبارهم شعباً في قرارها 2535/أ، ب، ج الصادر في 1969/12/10 عندما ذكرت لأول مرة "حقوق شعب فلسطين الثابتة". وفي نهاية 1970، اعترفت الأمم المتحدة لأول مرة بحق شعب فلسطين في تقرير مصيره. ثم أخذت قرارات الأمم المتحدة تزداد قوة ووضوحاً وتأييداً عالمياً. كما في القرارين: 2787، و2792/د في 1971/12/6، وقرار 2963/هـ في 1972/12/13، وقرار 3089/ج، د في 1973/12/7.

ويُعدُّ قرار 3210 في 1974/10/14 تطوراً ذا أهمية، إذ رأى أن الشعب الفلسطيني هو الطرف الأساسي المعني بقضية فلسطين. وقرّر دعوة منظمة التحرير الفلسطينية "الممثلة للشعب الفلسطيني للاشتراك في مداولات الأمم المتحدة"، وصوّت مع القرار أغلبية ساحقة من 105 ضدّ 4 وامتناع 20. ودُعي أبو عمار ياسر عرفات لإلقاء خطاب منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة حيث ألقى كلمته في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر 1974، والتي لقيت اهتماماً وتجاوباً عالمياً كبيراً.

وصدر إثر ذلك "قرار تاريخي" للأمم المتحدة يحمل رقم 3236 في 1974/11/22 بأغلبية 89 صوتاً مقابل 8 وامتناع 37، ويحمل هذا القرار عنوان "حقوق الشعب الفلسطيني"، ويؤكد فيه الحقوق الثابتة لشعب فلسطين، وخصوصاً:

- الحق في تقرير مصيره دون تدخل خارجي.
- الحق في الاستقلال والسيادة الوطنية.
- الحق في عودة اللاجئين، والمطالبة بإعادتهم.
- الاحترام الكلي لحقوق الشعب الفلسطيني، وأنه أمر لا غنى عنه لحل قضية فلسطين.
- أن الشعب الفلسطيني طرف رئيسي في إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط.
- حقّ الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكافة الوسائل، وفقاً لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه.

وناشد القرار جميع الدول والمنظمات الدولية مدّ يد العون للشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه، كما طُلب من الأمين العام للأمم المتحدة أن يقيم اتصالات مع منظمة التحرير في كل الشؤون المتعلقة بقضية فلسطين.

وبموجب قرار الأمم المتحدة 3237 (1974/11/22) مُنحت منظمة التحرير مركز مراقب دائم في الأمم المتحدة. وفي السنة التالية قرّرت الجمعية العامة تأليف لجنة من 20 دولة للبحث في ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة وفق قرار 3236، حيث تقوم اللجنة بتقديم تقرير سنوي حول ذلك.

وقد رفضت الجمعية العامة في سنة 1979 اعتماد ما جاء في اتفاقية كامب ديفيد المصرية - الإسرائيلية حول فلسطين. وفي 15/12/1980 أصدرت قرارها 169/35، وأكدت توصياتها السابقة في قرار 3236، وطالب مجلس الأمن الدولي بوضع جدول زمني لانسحاب الكيان الإسرائيلي من الأرض المحتلة سنة 1967، وتسليم الأرض للأمم المتحدة التي تسلمها بدورها إلى منظمة التحرير بالتعاون مع جامعة الدول العربية.

وتكمن أهمية هذه القرارات في تحوّل قضية فلسطين من قضية لاجئين إلى قضية شعب له الحق في تقرير مصيره وتحرير أرضه، كما أنها ترفع الشرعية عن اغتصاب الصهاينة للأرض المحتلة سنة 1967 بما فيها القدس، بالإضافة إلى حقّ الفلسطينيين في العودة للأرض المحتلة سنة 1948. كما أصبح للفلسطينيين من يتحدث باسمهم باعتراف عربي ودولي باعتباره ممثلهم الشرعي الوحيد (أي منظمة التحرير الفلسطينية). وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد زاد من "إقليمية" القضية الفلسطينية، إلا أنه جعل هذه القضية عصيّة على النذوب أو القفز عن حقوق الشعب الفلسطيني وفق أي تسوية قد تشارك بها أطراف عربية أخرى. ثم إن هذه المكاسب السياسية قد حققت تعاطفاً دولياً واسعاً، وعزلت الكيان الصهيوني سياسياً، بالإضافة إلى قطع معظم دول العالم علاقتها به.

غير أن قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة لا تعني شيئاً كبيراً، فهي مجرد توصيات، والجهة الوحيدة القادرة على إصدار قرارات ملزمة هي "مجلس الأمن"، حيث إن من حقّ أيّ من الدول الكبرى الخمس (الولايات المتحدة، وروسيا، وبريطانيا، وفرنسا، والصين) اتخاذ حقّ النقض (الفيتو Veto) ضدّ أي مشروع لا يتوافق مع مصالحها. وعلى ذلك، فقد كان الأمريكان جاهزين دائماً لاتخاذ قرار الفيتو ضدّ أي قرار يلزم الكيان الصهيوني بأيّ أمر يراه تنازلاً أو إضعافاً لخطته وبرامجه. وبذلك تظل الأمم المتحدة منبراً دولياً للدعاية والعلاقات العامة أكثر من أيّ شيء آخر، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بقضية فلسطين.



#### 4. اتفاقيات كامب ديفيد بين مصر والكيان الإسرائيلي 1978: 9

قام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة مفاجئة إلى الكيان الإسرائيلي في 19/11/1977، وألقى خطاباً في الكنيست الإسرائيلي، ودعا إلى تسوية سلمية. وبدأت بعد ذلك لأول مرة مفاوضات مصرية - إسرائيلية مباشرة وعلنية. وقد نتج عنها توقيع اتفاقيات كامب ديفيد في الولايات المتحدة في 17/9/1978 بين مصر، ويمثلها أنور السادات، والكيان الإسرائيلي، ويمثلها مناحيم بيجين Menachem Begin، برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر Jimmy Carter. وقد دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في 26/3/1979. والاتفاقية مقسومة إلى وثيقتين؛ الأولى تتناول أسس علاقة الكيان الإسرائيلي مع البلاد العربية، ومستقبل الضفة الغربية والقطاع، وأما الثانية فتحدد أسس معاهدة "السلام" بين مصر والكيان الإسرائيلي. وقد استرجعت مصر بموجب هذه الاتفاقية أرض سيناء وفق شروط تضبط وجود قواتها فيها. ووافقت مصر على إقامة علاقة "سلام" دائم، وتطبيع العلاقات سياسياً واقتصادياً وثقافياً مع الكيان الإسرائيلي.

وفيما يتعلق بالشعب الفلسطيني فقد دعت إلى مشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني في المفاوضات، واقترحت حكماً ذاتياً فلسطينياً في الضفة والقطاع بحيث يشترك في المفاوضات بشأنه وشأن مستقبله مصر والأردن والكيان الإسرائيلي وممثلون عن الضفة والقطاع يضمهم في البداية وفداً مصر والأردن. وقد يضم الوفد فلسطينيين آخرين "وفقاً لما يتفق عليه"، أي بمعنى أن للكيان الإسرائيلي حق رفضهم أو قبولهم. كما تضمنت التصورات التفصيلية التالية:

أ. تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة لمدة لا تتجاوز خمس سنوات.

ب. تنسحب الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية بمجرد أن يتم انتخاب سلطة الحكم الذاتي من قبل السكان عن طريق الانتخاب الحر.

ج. تتفاوض الأطراف (مصر، والأردن، وممثلو الضفة والقطاع، والكيان الإسرائيلي) بشأن اتفاقية تحدد مسؤوليات الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة والقطاع.

<sup>9</sup> حول نصوص كامب ديفيد، انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 625-630؛ وانظر:

*Palestine Documents*, pp. 337-342.

د. سيكون هناك إعادة توزيع للقوات الإسرائيلية التي ستبقى في مواقع معينة، وستتضمن الاتفاقية ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلي والخارجي والنظام العام.

هـ. ستتم المفاوضات وفق قرار مجلس الأمن الدولي رقم 242 بكافة أجزائه. وستعالج المفاوضات، من بين أمور أخرى، موضوع الحدود، وطبيعة الإجراءات الأمنية.

و. يجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومطالبه العادلة.

ز. سيشارك الفلسطينيون بتقرير مستقبلهم من خلال:

1. يتم الاتفاق في المفاوضات بين مصر و"إسرائيل" والأردن وممثلي السكان في الضفة والقطاع على الوضع النهائي للضفة والقطاع والمسائل البارزة الأخرى بحلول نهاية المرحلة الانتقالية.

2. يُعرض الاتفاق على ممثلي الضفة والقطاع المنتخبين للتصويت عليه.

3. تتاح الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان في الضفة وغزة لتحديد الكيفية التي سيحكمون بها أنفسهم تماشياً مع نصوص الاتفاق.

4. المشاركة في عمل اللجنة التي تتفاوض بشأن معاهدة "السلام" بين الأردن والكيان الإسرائيلي.

ح. سيتم تشكيل قوة شرطة محلية قوية قد تضم مواطنين أردنيين، وستشارك قوات إسرائيلية وأردنية في دوريات مشتركة، وفي العمل على ضمان أمن الحدود.

ط. وعندما يتم إنشاء سلطة الحكم الذاتي (مجلس إداري) ستبدأ المرحلة الانتقالية من خمس سنوات. وستتم بأسرع ما يمكن، وبما لا يزيد عن السنة الثالثة من بدء هذه المرحلة، المفاوضات النهائية لتقرير الوضع النهائي للضفة والقطاع وعلاقتها بغيرها، والوصول إلى معاهدة "سلام" بين الكيان الإسرائيلي وبين الأردن مع نهاية المدة الانتقالية.

ي. سيتم اتخاذ كل الإجراءات التي تضمن أمن "إسرائيل" وجيرانها.

ك. خلال المرحلة الانتقالية تشكل لجنة من الأردن ومصر وممثلي الضفة والقطاع و"إسرائيل"، للاتفاق على مدى السماح بعودة النازحين المطرودين من الضفة



والقطاع سنة 1967. وستعمل مصر و"إسرائيل" والأطراف الأخرى المهتمة لوضع إجراءات متفق عليها لتحقيق حلٍّ عاجلٍ وعادلٍ ودائمٍ لمشكلة اللاجئين.

وقد ذكرنا تفصيلات كامب ديفيد لأنها أول تسوية سلمية متعلقة بفلسطين يتم الاتفاق عليها بين الكيان الإسرائيلي وأحد الأطراف العربية. ولأن اتفاق أوسلو Oslo Accords مع منظمة التحرير الفلسطينية فيما بعد سنة 1993 سيشكل النسخة المعدلة، وربما المشوهة، لهذه الاتفاقية.

لقد أثارت هذه الاتفاقية أحد أشد حملات الرفض والاحتجاج في العالم العربي، وانطلقت المظاهرات في كل مكان معبرة عن سخط جماهيري شامل. وأتهم السادات بأشنع أوصاف الخيانة وبيع الحقوق العربية. وقامت جماعة إسلامية باغتياله في 6/10/1981، ولم تخفِ قطاعات واسعة من العرب والمسلمين فرحها بذلك و"شامتتها" به. وفي مؤتمر القمة العربية في بغداد 1978، تمّ قطع العلاقات السياسية مع مصر، وجرى عزل مصر عن محيطها العربي. كما تمّ تشكيل جبهة الصمود والتصدي مع عدد من الأقطار العربية (سورية، والعراق، وليبيا، والجزائر، واليمن الجنوبي، ومنظمة التحرير الفلسطينية) لمواجهة مشروع كامب ديفيد. وعدت منظمة التحرير في بيان أصدرته هذا الاتفاق "أخطر حلقات المؤامرة المعادية منذ عام 1948"، وأنه يمثل "استسلاماً كاملاً من جانب السادات لمشروع مناحيم بيجين"، وأن السادات أعطى "تسليمه بكامل شروطهم لتصفية القضية الفلسطينية والعربية"، وأن "الاتفاق بين تواطؤ السادات التام مع الأهداف الصهيونية، في إنكار الحقوق الوطنية الفلسطينية بكاملها، وفي الاستعداد المشترك لضرب القضية الفلسطينية أرضاً وشعباً وثورة تحت إشراف وتخطيط الإمبريالية الأمريكية". وأكد البيان أن شعب فلسطين "لا يمكن أن يساوم أو يهادن أي مشروع تصفوي على غرار الحكم الذاتي..."، وأنهم لا يمكن أن يقبلوا أن يتقرر مصيرهم في "إطار خيانة كامب ديفيد"<sup>10</sup>. ومن العجيب أن قيادة منظمة التحرير نفسها ستقوم بعد ذلك بـ 15 عاماً (إلا أربعة أيام) بالتوقيع على اتفاق شبيه وستتهم خصومها، بما اتهم به السادات خصومه، من عدم الواقعية

<sup>10</sup> انظر بيان منظمة التحرير الفلسطينية في: منير الهور وطارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985، ص 195-196.

والجهل، وستزج كل القوى المعارضة والمجاهدة في السجون، وتتهمها بالوقوف ضدّ "المشروع الوطني"!!

وبالطبع فقد سقط الشق الفلسطيني من اتفاقية كامب ديفيد في ذلك الوقت لرفضه بالإجماع فلسطينياً، كما رفضته الأردن مما أفقده أيّ إمكانية عملية للتنفيذ.

### 5. مشروع السلام العربي (مشروع فاس) 1982:

وكان في أصله مشروعاً طرحه الأمير فهد بن عبد العزيز قبل أن يصبح ملكاً على السعودية، وقد تبناه مؤتمر القمة العربية المنعقد في مدينة فاس بالمغرب في 6-9/9/1982، إثر الخروج الفدائي الفلسطيني من بيروت. وقد تضمن النقاط التالية:

أ. انسحاب "إسرائيل" من جميع الأراضي العربية التي احتلتها سنة 1967 بما فيها القدس.

ب. إزالة المستوطنات التي أقامتها "إسرائيل" في الأراضي المحتلة سنة 1967.

ج. ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

د. تأكيد حقّ الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وتعويض من لا يرغب بالعودة.

هـ. إخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لمرحلة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة لبضعة أشهر.

و. قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

ز. يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

ح. يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادئ.<sup>11</sup>

وقد مثل مشروع فاس الخط السياسي العربي العام الذي ساد حقبة الثمانينات، والذي يجمع بين الاعتراف الضمني بالكيان الإسرائيلي وإقامة الدولة الفلسطينية على الضفة والقطاع.

<sup>11</sup> انظر: المرجع نفسه، ص 218-222؛ وانظر:

*Palestine Documents*, pp. 373 and 381-383.

## 6. منظمة التحرير الفلسطينية: من الكفاح المسلح إلى اتفاق أوسلو (أيلول/سبتمبر 1993):

كان المطلب الفلسطيني الشعبي والرسمي الذي لا يقبل التنازل أو المساومة هو تحرير فلسطين كاملة من النهر إلى البحر، وإخراج المهاجرين اليهود الصهاينة منها. وقد أخذ هذا الموقف بالتبدل من الناحية الرسمية أو من ناحية متصدري العمل الفلسطيني منذ 1968. إذ عرض صلاح خلف (أبو إياد) في 10/10/1968 هدف فتح الاستراتيجي، وهو إنشاء دولة ديموقراطية في فلسطين يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود في مساواة تامة وتكافؤ كامل. وهو ما تمّ تبنيه في منظمة التحرير الفلسطينية في المجلس الوطني الخامس في شباط / فبراير 1969.<sup>12</sup> ويعني ذلك أن قيادة الفلسطينيين لم تعد تُصرُّ على خروج المهاجرين اليهود المعتدين من فلسطين، مهما كان عددهم وسنة هجرتهم، مع إعطائهم حقّ المواطنة الكاملة فيها.

وإثر الخروج الفدائي الفلسطيني من الأردن، والأوضاع المحلية والدولية بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، أقر المجلس الوطني الفلسطيني برنامج النقاط العشر "البرنامج السياسي المرحلي" في دورته الثانية عشر في 1-8/6/1974 في القاهرة. وقد أفسح هذا البرنامج مجالاً مهماً للتحرك السياسي الفلسطيني، ووضع عبارات مبهمة تُهيئ لاحتفال المشاركة في التسويات السياسية. فقد نصّ ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية على أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، بينما ذكر برنامج النقاط العشر أن "منظمة التحرير تناضل بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح، لتحرير الأرض الفلسطينية، وإقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كلّ جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها". فلم يعد الكفاح المسلح طريقاً وحيداً للتحرير، كما وافق البرنامج لأول مرة على تجزئة مشروع التحرير خطوة خطوة، ورفض المنهج السابق الذي يؤكد على شمولية التحرير كأمر لا يقبل التنازل.<sup>13</sup>

<sup>12</sup> انظر: صلاح خلف، فلسطين بلا هوية، ص 104.

<sup>13</sup> انظر: فيصل حوراني، الفكر السياسي الفلسطيني: 1964-1974: دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية (بيروت: مركز الأبحاث (م.ت.ف.)، 1980)، ص 204-216.

وقد أعطى هذا البرنامج انطباعاً لدى البلاد العربية والعالمية أن منظمة التحرير الفلسطينية قد أصبحت أكثر "إيجابية" وأكثر "واقعية"، وهو ما أعطى القيادة الفلسطينية مجالاً أكبر للمناورة السياسية. وقد تحققت نتائج ذلك عاجلاً في قمة زعماء الدول العربية في الرباط في تشرين الأول/أكتوبر 1974، التي اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني،<sup>14</sup> وفي دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة في أعمالها، وإلقاء عرفات لخطابه فيها في 1974/11/13.<sup>15</sup> وحققت المنظمة العديد من المكاسب السياسية على منابر الأمم المتحدة.

غير أن الحملات العسكرية الشديدة التي تعرّضت لها المنظمة في الأردن ولبنان وداخل فلسطين، مُترافقة مع التوجه العربي، وخصوصاً المصري، نحو التسوية، قد أضعف من إمكانات التأثير العسكري الحاسم الذي يمكن أن تقوم به منظمة التحرير وفصائلها ضدّ الكيان الصهيوني، وهو ما فتح المجال أكثر لمزيد من النشاط السياسي على حساب غيره من خطوط العمل. ولأن أي تسوية سياسية هي عملياً انعكاس لحالة موازين القوى، فقد تضاءلت مع الزمن قدرة المنظمة على فرض شروطها وتصوراتها، وأخذت تتنازل تدريجياً عن مطالبها، كما سنرى لاحقاً.

وقد عانت منظمة التحرير في ثمانينيات القرن العشرين مزيداً من الاستضعاف السياسي، خصوصاً بعد خروج قواتها من لبنان سنة 1982، ووصلت حالة تهميشها مدى كبيراً في مؤتمر القمة العربي في عمّان في تشرين الأول/أكتوبر 1987. غير أن اندلاع الانتفاضة المباركة في الضفة الغربية وقطاع غزة في 1987/12/9 شكّل رافعة سياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وحاولت استثمارها بشكل مبكر، فقامت بتشكيل القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة (بعد شهر من اندلاعها)، وشاركت الفصائل الفلسطينية وخصوصاً فتح بفعالية في الانتفاضة. وردّ الكيان الصهيوني باغتياله لخليل الوزير (أبو جهاد) (الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية وفي فتح) رحمه الله في تونس في 1988/4/16، وذلك ضمن حملته الشرسة لقمع الانتفاضة. وقد استفادت منظمة التحرير من قيام الأردن بفك روابطه الإدارية والقانونية مع

<sup>14</sup> انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 3، ص 595-596؛ صلاح خلف، فلسطين بلا هوية، ص 155-161.

<sup>15</sup> انظر: الموسوعة الفلسطينية، ج 4، ص 603-606.



الضفة الغربية في 1988/7/31، لتؤكد تمثيلها الرسمي الوحيد لأهل الضفة الغربية، ولتخوض ما أسمته ”هجوم السلام الفلسطيني“. وسعت لتقدّم نفسها طرفاً مقبولاً، ولا يمكن تجاوزه، لأي تسوية متعلقة بالقضية.

وفي المجلس الوطني الفلسطيني الـ 19 (12-1988/11/15) الذي يتبع منظمة التحرير الفلسطينية، تمّ وضع برنامج فلسطيني قائم على الاعتراف بقرار الأمم المتحدة رقم 181 لسنة 1947 القاضي بتقسيم فلسطين لدولتين عربية ويهودية. واعترفت المنظمة لأول مرة بقرار 242 الصادر عن مجلس الأمن في تشرين الثاني/نوفمبر 1967، ودعت إلى تسوية سياسية من خلال مؤتمر دولي. وحتى ”يتجرع“ الفلسطينيون كل هذه ”المرارات“، فقد أعلن المجلس ”استقلال فلسطين“. ولقد لقي هذا الإعلان ترحيباً دولياً واسعاً، حيث اعترفت بهذه الدولة نحو 120 دولة خلال بضعة أشهر. وبالرغم من أن الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية لم تعترف بها، وبالرغم من أنها عملياً كانت ”أملاً“ لم يرق بعد على أرض الواقع، إلا أن ذلك أعاد تحريك القضية دولياً، وأعاد لمنظمة التحرير الفلسطينية حضورها السياسي، بعد أن رضيت لنفسها ”بتقزيم“ مطالبها و”قصصها“ برامجها النضالية.

ولم تكن الرياح تجري بما تشتهي سُفُن المنظمة أو الشعب الفلسطيني، فقد كان هناك حالة عجز وتفكك عربي، وكانت العراق وإيران على وشك الخروج منهكتين من حرب الثمانية أعوام (1980-1988) التي دمرت اقتصادهما ومواردهما البشرية والمالية والعسكرية. وعانت البلدان النفطية من تراجع إيرادات النفط وانخفاض أسعاره. ثم ما لبث العالم العربي والإسلامي أن انقسم على نفسه إثر الاجتياح العراقي للكويت في 1990/8/2 وما تلاه من حرب الخليج، التي أورثت وضعاً عربياً بائساً ممزقاً، بالإضافة إلى استنزاف الموارد والثروات العربية، وتدمير البنية العسكرية للعراق، وتهجير وهجرة مئات الآلاف من الفلسطينيين من الكويت. كما نصبت المساعدات المالية من البلاد الخليجية لمنظمة التحرير والفلسطينيين، بسبب استنزاف مواردها المالية في الحرب، وبسبب وقوف المنظمة إلى جانب العراق. فيما فرضت أمريكا هيمنتها وتوجهاتها على المنطقة. وفي الوقت نفسه، انهار الاتحاد السوفييتي، وانهار معه النظام العالمي ثنائي القطبية الذي سيطر على السياسة الدولية طوال الفترة 1945-1990. وضعفت بالتالي قدرة دول العالم الثالث، وضمنها

البلاد العربية والإسلامية، على الاستفادة من لعبة موازين القوى الدولية لخدمة مصالحها. وزادت صعوبة التحرر من الهيمنة الأمريكية التي أخذت تمثل القوة "البشرية" الكبرى الوحيدة، وسعت إلى تحويل العالم إلى نظام يدور حول قُطبها (أحادي القطبية) ويخدم مصالحها. وأصبحت "شرطي" العالم، وقدمت مفاهيمها ومعاييرها للسياسة والاقتصاد بل والثقافة والحياة الاجتماعية لتكون الأساس الذي يحكم العلاقات الدولية وحياة الناس.

وهكذا برزت الولايات المتحدة كقوة وحيدة أولى في العالم، خصوصاً بعد حرب الخليج في أوائل سنة 1991. وقد استثمرت الولايات المتحدة ذلك في فرض هيمنتها وإدارتها وتصوراتها لنظام عالمي جديد، كما سعت لإغلاق الملف الفلسطيني بما يخدم مصالح حليفها الاستراتيجي "إسرائيل". بينما كطف الكيان الإسرائيلي ثماراً غالية نتيجة انهيار الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية، فأعدت هذه الدول علاقاتها الدبلوماسية معها، كما فتحت أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، خصوصاً من الاتحاد السوفييتي، وقد احتفل الكيان الصهيوني في 2000/5/7 بقدوم المهاجر رقم مليون منذ بداية موجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي في أيلول/سبتمبر 1989، وقام رئيس الوزراء باستقباله بنفسه.<sup>16</sup>

وفي هذه الأجواء المثالية لأمريكا و"إسرائيل"، نجحت الولايات المتحدة في جرّ البلاد العربية إلى مؤتمر "السلام" العربي - الإسرائيلي في مدريد في تشرين الأول/أكتوبر 1991، تلتها مفاوضات عربية إسرائيلية مباشرة. ولم تنفع نحو سنتين من المفاوضات بين الجانب الفلسطيني والجانب الإسرائيلي في كسر التصلب الصهيوني. وقد جاءت المفاجأة عندما أعلن عن اتفاق أوسلو بين الطرفين، حيث كُشف النقاب عن مفاوضات سرية كانت تجري بين الطرفين منذ 1993/1/20 من وراء ظهر الوفد الفلسطيني الرسمي للمفاوض (برئاسة حيدر عبد الشافي)، ومن دون علم معظم قادة منظمة التحرير الفلسطينية. وقد وُقِّع الاتفاق بالأحرف الأولى في 1993/8/19 في أوسلو بالنرويج، وتمّ التوقيع عليه رسمياً في 1993/9/13 في واشنطن برعاية الرئيس الأمريكي بيل كلينتون Bill Clinton، وحضور ياسر عرفات ورئيس

<sup>16</sup> جريدة الخليج، الشارقة، الإمارات، 2000/5/8.



الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين Yitzhak Rabin، ووقعه عن الجانب الفلسطيني محمود عباس، وعن الجانب الإسرائيلي وزير الخارجية شمعون بيريز Shimon Peres، كما وقع وزيراً خارجية أمريكا وروسيا كشاهدين.

**ويُعدُّ هذا الاتفاق بحقَّ منعطفًا تاريخياً في مسار القضية الفلسطينية، فهو أول اتفاق يوقَّعه الفلسطينيون والإسرائيليون، ويتم بموجبه تنفيذ تسوية سلمية.** وهو يعكس مدى التنازلات الهائلة التي اضطرت قيادة منظمة التحرير إلى تقديمها حتى تحصل على اتفاق شبيه في جوهره باتفاق كامب ديفيد سنة 1978، والتي وصفت موقَّعه (السادات) يومذاك بالخيانة والاستسلام، ودعت شعب مصر لإسقاطه. وهو يعكس بالتأكيد مدى الانتكاسات والتراجعات والضربات التي عانى منها مشروع تحرير فلسطين خلال الفترة 1978-1993.

وقد عُرف اتفاق أوسلو "باتفاق إعلان المبادئ الفلسطيني - الإسرائيلي" أو باتفاق غزة - أريحا أولاً. ووقَّعت كافة الاتفاقات التالية بين منظمة التحرير وبين الكيان الإسرائيلي بناء على هذا الاتفاق. أما أبرز النقاط في اتفاق أوسلو فهي:

أ. إقامة سلطة حكم ذاتي محدود للفلسطينيين في الضفة والقطاع لفترة خمس سنوات.

ب. تبدأ قبل بداية العام الثالث من الحكم الذاتي المفاوضات على الوضع النهائي للضفة والقطاع، بحيث يفترض أن تؤدي إلى تسوية دائمة تقوم على أساس قرارَي مجلس الأمن الدولي 242 و338.

ج. خلال شهرين من دخول الاتفاق حيِّز التنفيذ، يتوصل الطرفان لاتفاقية حول انسحاب "إسرائيل" من غزة وأريحا، تشمل نقلاً محدوداً للصلاحيات للفلسطينيين، وتغطي التعليم والثقافة والصحة والشؤون الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة.

د. بعد تسعة أشهر من تطبيق الحكم الذاتي، تجرى انتخابات مباشرة في الضفة والقطاع لانتخاب مجلس فلسطيني للحكم الذاتي، وتقوم القوات الإسرائيلية قبيل الانتخابات بالانسحاب من المناطق المأهولة بالسكان وإعادة الانتشار في الضفة.

هـ. يتم تشكيل سلطة فلسطينية انتقالية ذاتية تشمل الضفة والقطاع، على أن صلاحياتها لا تشمل الأمن الخارجي ولا المستوطنات الإسرائيلية، ولا العلاقات الخارجية، ولا القدس، ولا الإسرائيليين في تلك الأراضي.

و. لـ "إسرائيل" حقّ النقض (الفيتو) ضدّ أيّ تشريعات تصدرها السلطة الفلسطينية خلال المرحلة الانتقالية.

ز. ما لا تتم تسويته بالتفاوض يمكن أن يتفق على تسويته من خلال آلية توفيق يتم الاتفاق عليها بين الطرفين.

ح. يمتد الحكم تدريجياً من غزة وأريحا إلى مناطق الضفة الغربية وفق مفاوضات تفصيلية لاحقة.

ط. وقد أكدّ الاتفاق على نبد منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية لـ "الإرهاب" و"العنف"، والحفاظ على الأمن، ومنع العمل المسلح ضدّ الكيان الإسرائيلي.<sup>17</sup>

وتمّ عقد عدة اتفاقيات تفصيلية تالية، فكان اتفاق القاهرة في 1994/5/4، الذي فصلّ المرحلة الأولى والجدولة الزمنية للانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة وأريحا والترتيبات الأمنية المتعلقة بذلك، حيث بدأ دخول الشرطة الفلسطينية في 1994/5/18، وأدت قيادة الحكم الذاتي اليميني الدستورية أمام ياسر عرفات في 1994/7/5، لتبدأ بناء على ذلك السلطة الفلسطينية بالتشكّل.<sup>18</sup> وقد تبع ذلك اتفاق طابا في 1995/9/28، مروراً باتفاقية واي ريفر بلانتيشن Wye River Plantation Agreement في 1998/10/23، ومذكرة شرم الشيخ في 1999/9/4. ووزعت مناطق الحكم الذاتي إلى مناطق أ.ب. وحتى سنة 2000، لم تكن السلطة تسيطر سوى على 18% من أراضي الضفة تحت بند أ؛ حيث سيطرتها الأمنية والإدارية، ونحو 20-25% من أراضي

<sup>17</sup> انظر نص الاتفاق في: عماد يوسف، الانعكاسات السياسية لاتفاقيات الحكم الذاتي الفلسطيني (عمّان، الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1994)، ص 128-136؛ وانظر:

*Palestine Documents*, pp. 500-512.

<sup>18</sup> انظر: جريدة الدستور، عمّان، الأردن، 4-5/5/1994؛ وداود سليمان، السلطة الوطنية في عام 1994-1995 (عمّان، الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1995)، ص 23؛ وانظر نص الاتفاق في:

*Palestine Documents*, pp. 521-534.



الضفة تحت بند ب؛ حيث تسيطر إدارياً، بينما يكون الإشراف الأمني مشتركاً مع الصهاينة.

وبشكل عام، فإن أبرز الانتقادات والملاحظات على اتفاق أوسلو يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ. قضية فلسطين قضية كل المسلمين وليس قضية الفلسطينيين وحدهم، وهي معركة تتوارثها الأجيال، ولا يجوز لجيل أن يرضخ أو يتنازل فيغمط حق الأجيال التالية. وقد أجمع علماء المسلمين الثقات على عدم جواز هذه التسوية بالشكل الذي تمت فيه، ودعوا إلى وجوب الجهاد لتحرير الأرض المباركة.

ب. تفرّدت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية بالموافقة على الاتفاق والاتفاقات التي تلتها، ولم ترجع حتى إلى الشعب الفلسطيني نفسه، الذي توجد فيه تيارات واسعة معترضة على هذه التسويات من الإسلاميين واليساريين والقوميين، وحتى في حركة فتح نفسها.

ج. اعترفت قيادة منظمة التحرير "بحق إسرائيل في الوجود"، وبشرعية احتلالها لـ 77% من أرض فلسطين المحتلة سنة 1948، والتي لا تجري عليها أيّ مفاوضات.

د. اتّسم الاتفاق بالمرحلية، ولم يتم التعرض لأخطر القضايا حيث تمّ تأجيلها إلى مرحلة المفاوضات النهائية، ولأن منظمة التحرير الفلسطينية تعهّدت بعدم اللجوء إلى القوة إطلاقاً، فقد أصبح الأمر مرتبطاً بمدى "الكرم الصهيوني" الذي يملك عناصر القوة وأوراق اللعبة، وهذه القضايا:

1. مستقبل مدينة القدس.

2. مستقبل اللاجئين الفلسطينيين.

3. مستقبل المستعمرات الصهيونية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

4. مساحة الدولة الفلسطينية الموعودة، وسيادتها على أرضها.

هـ. لا تتضمن مسؤوليات السلطة الفلسطينية الأمن الخارجي والحدود، ولا يستطيع أحد دخول مناطق السلطة دون إذن إسرائيلي. ولا يجوز للسلطة تشكيل جيش، والأسلحة تدخل بإذن إسرائيلي.

و. للكيان الصهيوني حقّ النقض (الفيتو) على أيّ تشريعات تصدرها السلطة خلال المرحلة الانتقالية.

ز. لا يوجد في الاتفاقيات إشارة إلى حقّ الفلسطينيين في تقرير المصير، أو إقامة دولتهم المستقلة، ولا تشير الاتفاقيات إلى الضفة والقطاع كأرضٍ محتلة، مما يعزز الاعتقاد بأنها أراضٍ متنازع عليها.

ح. في الوقت الذي تعهدت فيه منظمة التحرير الفلسطينية (السلطة الفلسطينية) بعدم اللجوء إطلاقاً للمقاومة المسلحة ضدّ الكيان الصهيوني، وبحل كافة مشاكلها بالطرق السلمية، فإنها في الوقت نفسه أصبحت مضطرة، في ضوء تعهداتها السلمية، لقمع وسحق أيّ مقاومة مسلحة ضدّ الكيان الصهيوني، ومحاربة أبناء شعبها الذين يقومون بذلك. ووجدت نفسها، عملياً، أداة لحماية "الأمن الإسرائيلي" في مناطقها، وقامت بحملات اعتقال واسعة وشرسة إثباتاً "لحسن نواياها"، وحرصاً على "السلام" مع "إسرائيل".

ط. أدت الاتفاقية إلى حالة انقسام كبيرة في الصف الفلسطيني، فوقفت فتح ومؤيدوها إلى جانب قيادة منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية، بينما وقفت الفصائل الفلسطينية العشر وعلى رأسها حماس والجهاد الإسلامي والجبهتين الشعبية والديموقراطية ضدّ الاتفاقية وتعهدت بإسقاطها.

ي. بما أن "ممثلي الشعب الفلسطيني" الرسميين هم الذين وقّعوا الاتفاق، فقد فتح ذلك الباب واسعاً أمام الأنظمة العربية ودول العالم إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الكيان الإسرائيلي على مستويات مختلفة، مما أدى إلى فكّ العزلة الدولية عنه، والتي عاناها طيلة 45 عاماً. وأصبح لـ "إسرائيل" مكاتب تمثيل في تونس والمغرب وقطر وعمان وموريتانيا، كما أقامت نحو خمسين دولة أخرى علاقات دبلوماسية معها.

ك. أخرج الاتفاق الأمم المتحدة كمظلة دولية تحكم النزاع بين الطرفين. ولم تعد كل قراراتها المتعلقة بحق شعب فلسطين في تقرير المصير، أو بقرار تقسيم فلسطين سنة 1947، تشكل مرجعية يمكن الاحتكام إليها. وظلّت الولايات المتحدة تلعب دور الراعي الأكبر لعملية التسوية، وهي المعروفة بانحيازها الصارخ للجانب الإسرائيلي...، ومن استرعى الذئب فقد ظلم!!



ل. اتّسمت العديد من بنود اتفاقية أوسلو بالغموض، وترك التفاصيل لمفاوضات مستقبلية. وقد أعطى ذلك فرصة كبرى للكيان الإسرائيلي (الطرف القوي في المعادلة) للتسويق والماطلة، وفرض شروطه وطريقة فهمه للاتفاقية، وجرى تقزيم المكاسب الفلسطينية (المقرّمة أصلاً) في هذه الاتفاقية. كما جرى تأجيل تنفيذ كثير من الاتفاقات التفصيلية. وأعطت "إسرائيل" لنفسها شرعية إعادة سحب التزامات كانت قد أعطتها للسلطة، كما مارست سياسات الحصار الاقتصادي والأمني لإجبار السلطة على تنفيذ التصور الإسرائيلي للاتفاقية.

لقد كان الكاتب الفلسطيني المعروف إدوارد سعيد دقيقاً إلى حدّ كبير عندما قال إن عرفات "ورّط شعبه بمصيدة لا مخرج منها"<sup>19</sup> بينما قال المفكر الفلسطيني هشام شرابي إن القيادة الفلسطينية "لا تعرف كيف يؤخذ القرار، وكيف يتم تقرير المصير"<sup>20</sup>.

أما المدافعون عن اتفاقيات أوسلو فيتهمون خصومهم "بالعدمية" و"عدم الواقعية"، ويقولون إن هذا هو أفضل ما يمكن تحصيله في ظلّ اختلال موازين القوى، والعجز العربي والإسلامي الحالي. كما يذكر المدافعون أن هذه الاتفاقيات شكّلت فرصة لمنظمة التحرير الفلسطينية وشعب فلسطين لبناء الحقائق على الأرض وإقامة السلطة الفلسطينية، واستنقاذ ما يمكن استنقاذه من أرض قبل أن تقضي عليها آلة الضم والمصادرة الصهيونية، وقبل أن يتم تذويب أو تضييع قضية فلسطين نفسها. ويذكرون أن "إسرائيل" اعترفت في هذه الاتفاقية رسمياً بالشعب الفلسطيني وبحقوقه السياسية والمشروعة، كما اعترفت لأول مرة بمنظمة التحرير ممثلة لهذا الشعب، واعترفت أيضاً بالوحدة الإقليمية للضفة والقطاع.<sup>21</sup>

وعلى أي حال، فبعد سنوات من اتفاقات أوسلو، استمرت الماطلات الإسرائيلية، ولم تُحسم القضايا الجوهرية، التي كان يجب أن تُحسم حسب الاتفاق سنة 1998.

<sup>19</sup> جريدة الحياة، لندن، 1995/8/12.

<sup>20</sup> الحياة، 1995/3/5.

<sup>21</sup> امتلأت الصحف العربية والعالمية بألاف المقالات التي تحلل الاتفاقيات، وتمدحها أو تنقدها، كما ظهرت الكثير من الكتب والدراسات مما يستحيل الإشارة إليه في الهامش. انظر على سبيل المثال: منير شفيق، أوسلو "1" "2": المسار والمآل (لندن: فلسطين المسلمة، 1997)؛ وجواد الحمد، عملية السلام في الشرق الأوسط: وتطبيقاتها على المسارين الفلسطيني والأردني (عمّان، الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1996)، ص 15-71.

وصارت مراكز سيطرة السلطة الفلسطينية الفعلية هي في المناطق المأهولة بالسكان، والتي كان الصهاينة يرغبون منذ زمن طويل بإيكال جميع "المهام القذرة" فيها، من ملاحقات أمنية، وضرائب، وأعمال بلدية...، إلى من ينوب عنهم بذلك، حتى يصبح استعمارهم استعماراً "نظيفاً". وكان اندلاع انتفاضة الأقصى في 2000/9/28 دلالة وصول هذه الاتفاقيات إلى طريق مسدود. كما أنه مع مرور السنوات تحوّلت السلطة الفلسطينية إلى كيان يخدم أغراض الاحتلال واستقراره الأمني، أكثر مما يخدم أهداف الشعب الفلسطيني، في حين ازداد الطرف الصهيوني تغولاً وتضاعفت برامج الاستيطان والتهويد في الضفة الغربية، وانعدمت فرص تشكيل دولة فلسطينية حقيقية على الأرض المحتلة سنة 1967.

### 7. معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية (وادي عربة):<sup>22</sup>

تسارعت بعد اتفاق أوسلو وتيرة المفاوضات الأردنية - الإسرائيلية، التي أدت إلى عقد تسوية سلمية بين الجانبين، وأصبحت الأردن ثالث جهة عربية بعد مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية تطبّع علاقاتها مع "إسرائيل". ووقّع إسحق رابين والملك حسين والرئيس الأمريكي كلينتون على إعلان واشنطن في العاصمة الأمريكية في 1994/7/25، وجاء في الإعلان أن "إسرائيل" والأردن أنهيا حالة الحرب والعداء الرسمية بينهما، وسيبدأن مفاوضات من أجل "وضع حدّ لسفك الدماء" ولأجل "سلام" عادل ودائم على حدّ تعبيرهما. وفي 1994/10/26، تمّ التوقيع على معاهدة التسوية السلمية، خلال حفل أقيم في وادي عربة في الأردن. وقد وقّع رئيسا الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين

<sup>22</sup> للاطلاع على تفاصيل معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية، انظر: "وثائق معاهدة السلام الأردنية - الإسرائيلية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، المجلد 5، العدد 20، خريف 1994، ص 183، في:

[https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/mdf-articles/2966\\_0.pdf](https://www.palestine-studies.org/sites/default/files/mdf-articles/2966_0.pdf)

وانظر أيضاً: "اتفاق وادي عربة"... سلام فاتر ألغى حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل، جريدة الشرق الأوسط، لندن، 2020/9/16، انظر: <https://aawsat.com>؛ وادي عربة: ربع قرن من الانصياع الرسمي والرفض الشعبي، موقع نون بوست، 2019/10/26، في: <https://www.noonpost.com/content/29952>؛ ومحمود جمال عبد العال، 24 عاماً على اتفاقية وادي عربة.. أبعاد المطالب الأردنية باستعادة الباقورة والغمر، موقع المركز العربي للبحوث والدراسات، 2018/10/28، في: <http://www.acrseg.org/40990>؛ و25 عاماً على "وادي عربة" .. ماذا استفاد الأردن وما مستقبلها؟، موقع عربي 21، 2019/11/17، انظر: <https://ar.wikipedia.org>؛ ومعاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية، موقع ويكيبيديا، انظر: <https://ar.wikipedia.org>



والأردني عبد السلام المجالي المعاهدة، فيما حضر حفل التوقيع الرئيس الإسرائيلي عيزرا وايزمان Ezer Weizman، والملك حسين، والرئيس الأمريكي بيل كلينتون، ووزير خارجيته وارن كريستوفر Warren Christopher. وفي نهاية 1994، صوّت مجلس النواب الأردني على المصادقة على المعاهدة. وقد شهدت تلك الجلسة مقاطعة نواب كتلة حزب جبهة العمل الإسلامي، الذراع السياسية لجماعة "الإخوان المسلمين"، الذين انسحبوا احتجاجاً على المعاهدة.

بعد الاتفاقات، فتحت "إسرائيل" والأردن حدودهما، وأقيمت عدة معابر حدودية سمحت للسياح ورجال الأعمال والعمّال بالسفر بين البلدين. وسمحت الاتفاقية للأردن بتحصيل حقوقه فيما يتعلق بترسيم الحدود، وحصول الأردن على حصتها من مياه طبرية واليرموك، والاعتراف الإسرائيلي بالوصاية الهاشمية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس.

وقد اشتملت معاهدة وادي عربة 30 مادة، و5 ملاحق، وتناولت موضوعات: الحدود الدولية والأمن والعلاقات الدبلوماسية، والتعاون في موضوع المياه وتقاسم مياه نهري الأردن واليرموك، والمياه الجوفية لوادي عربة، والعلاقات الاقتصادية، والتبادل الثقافي والعلمي والسياحة والبيئة والطاقة.

وكان أحد أبرز ملاحق المعاهدة يتعلق بتنظيم منطقتي الباقورة والغمر. فوفقاً لملاحق المعاهدة، فإن أراضي الباقورة والغمر تتبع نظاماً خاصاً، يقضي باعتراف إسرائيلي بسيادة الأردن على هذه المناطق، ولكن مع تأجيرها لـ "إسرائيل" لمدة 25 عاماً، ولأبي الطرفين، أن يُخطر الآخر، قبل عام واحد، برغبته بإنهاء النظام الخاص عليها. وكانت أراضي الباقورة الواقعة في الأغوار الشمالية قد احتلتها "إسرائيل" سنة 1950؛ وهي أرض زراعية تبلغ مساحتها 6 آلاف دونم (6 كم<sup>2</sup>)، فيما احتلت أراضي الغمر الواقعة في وادي عربة جنوب البحر الميت، خلال حرب حزيران/يونيو 1967، وتبلغ مساحتها 4 كم<sup>2</sup>، وهي أرض صالحة للزراعة ولها ميزات سياحية، عدا عن غناها بأحواض مائية تعتمد عليها مزارع المنطقة.

في 2018/10/21، أعلن الملك عبد الله الثاني رغبة الأردن بعدم التجديد لمُحقي الباقورة والغمر، حيث تمّ تسليم الخارجية الإسرائيلية مذكرتين من نظيرتها

الأردنية. وفي 2019/11/10، أعلن الملك عبد الله الثاني انتهاء العمل بالمُلاحقين الخاصين بمنطقتي الباقورة والغمر في المعاهدة، وفرض سيادة الدولة الأردنية عليها.

واجهت معاهدة وادي عربة معارضة شعبية واسعة، وصعدت من حالة الاحتقان الداخلي، وتبلورت مؤسسات أهلية متعددة تحت شعار مقاومة التطبيع، واصطدمت تلك الجهود بقمع ناعم أو خشن. وانعكست تلك الاتفاقية سلباً على حدود حرية الرأي والتعبير في البلاد، ومحاولة السلطات "قصاصة" أجنحة المعارضة، وخصوصاً الإسلامي، ومحاولة إضعاف حضورهم في المجلس النيابي، وفي المؤسسات الأهلية والنقابية. كما أغلقت السلطات مكاتب حركة حماس في الأردن، وأبعدت قاداتها إلى الخارج.

وقد مرّت العلاقات الأردنية - الإسرائيلية بحالات من الصعود والهبوط، ففي 1997/3/13، قُتل الجندي الأردني أحمد الدقاسمة، الذي كان يقوم بدورية قُرب منطقة الباقورة، سبع إسرائيليّات وجرح ستاً أخريات. وقد اضطر الملك حسين، الذي كان في زيارة رسمية لإسبانيا إلى العودة إلى الأردن على الفور، وذهب للكيان الصهيوني، حيث قدّم اعتذاراً للحكومة الإسرائيلية ولذوي الضحايا.

في 1997/9/25، حاول اثنان من أعضاء الموساد Mossad الإسرائيلي اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس آنذاك خالد مشعل في عمّان بمادة سامة، إلا أنهما فشلا. واستطاع مرافقو مشعل وآخرين القبض عليهما. كما اعتقلت السلطات الأردنية بقية المجموعة الستة الذين اختبأوا داخل السفارة الإسرائيلية، وهُدّد الملك حسين بتجميد المعاهدة، وبقطع العلاقات الدبلوماسية مع "إسرائيل" إذا لم تزوّدها بالترياق للمادة السامة؛ حيث رضخ بنيامين نتنياهو لذلك. وختم المشهد، بإفراج الأردن عن عناصر الموساد، مقابل إطلاق "إسرائيل" سراح 23 أردنياً و50 أسيراً فلسطينياً، على رأسهم الشيخ أحمد ياسين.

وقد جرت أحداث عديدة أخرى عمّقت الرفض الشعبي للمعاهدة مثل: تحويل مسار المياه العادمة من طبرية إلى مدن أردنية، وصفقة شراء الأردن للغاز من الكيان الإسرائيلي، والتحقيق في جريمة قتل القاضي رائد زعيتر على يد أحد الجنود الإسرائيليين، وحادثة قتل المواطنين الأردنيين في سفارة الاحتلال في عمّان، والفشل المستمر في الإفراج عن أسرى أردنيين في سجون الاحتلال، والخروقات اليومية لبند



الوصاية الأردنية على المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس المحتلة، التي كانت مثار توتر دائم بين الطرفين.

من جهة أخرى، فإن العلاقة ظلت مستمرة في إطار التعاون الأمني والاستخباري، وظلت الحدود الأردنية مع مناطق السيطرة الإسرائيلية هي الأكثر أماناً. وأمسى من الواضح أن "إسرائيل" لا تأبه كثيراً بتحسين الوضع السياسي، طالما أن التنسيق الأمني والعسكري يسير دون عقبات.

### ثالثاً: مسار التسوية السلمية حتى 2021:

قامت الاستراتيجية التفاوضية الإسرائيلية على أساس "إدارة الصراع" وليس على أساس "حلّ الصراع"، وهي تسعى إلى إضعاف الخصم بكل الطرق، إلى أن يقبل بالخيار الوحيد المتاح إسرائيلياً، وهو ما يفسّر إطالة عملية التفاوض. وقد نجح الإسرائيليون منذ توقيع اتفاق أوسلو في أيلول/سبتمبر 1993 في تثبيت مقولة إسحق رابين أن "لا مواعيد مقدسة"، والتي أصبحت عنواناً للسياسة الإسرائيلية وأحد أساليبها في الضغط والابتزاز.

وعندما عاد حزب العمل Labor بقيادة إيهود باراك Ehud Barak للحكم، بعد ثلاث سنوات من حكم الليكود Likud (1996-1999)، أعلن رغبته في الوصول إلى تسوية نهائية. وفي صيف سنة 2000، ذهب الطرفان الفلسطيني والإسرائيلي إلى كامب ديفيد بدعوة من الرئيس الأمريكي كلينتون، حيث عقدت مفاوضات ماراتونية في الفترة 12-25/7/2000 للوصول إلى تسوية نهائية. ويظهر أن موضوع الحدود والكتل الاستيطانية كانا من الأمور التي يمكن التفاهم عليها (أكثر من 90% من الضفة وكل القطاع، مع تبادل في الأرض، وبقاء الكتل الاستيطانية)، غير أن موضوعي القدس وعودة اللاجئين بقيا دونما حلّ؛ مما أدى إلى انهيار المفاوضات، واندلاع انتفاضة الأقصى بعد ذلك بشهرين.

وتحول المزاج الإسرائيلي نحو مزيد من التطرف، واضطر باراك للاستقالة في 2000/12/9، وفاز أرييل شارون في الانتخابات العامة في 2001/2/6 ضد منافسه باراك

بأغلبية تاريخية، وبفارق يزيد عن 25%، مما أكد عودة التيار الليكودي المتشدد إلى الصدارة من جديد.

لم يستطع شارون أن يوفر الأمن للإسرائيليين ويسحق الانتفاضة في مئة يوم كما وعد، وحاول أن يجرّ العجلة إلى الوراء وأن يفرض الواقع الذي يريد. ولم يكن شارون يؤمن بالتسوية، فقد كان قد صوّت ضدّ اتفاقية كامب ديفيد مع مصر، كما صوّت ضدّ اتفاق أوسلو، وتحفّظ على اتفاق التسوية مع الأردن. وأعلن مراراً أن اتفاق أوسلو قد مات. وقد استمر شارون في الحكم حتى مطلع سنة 2006، وشهدت مرحلته تعطل مسار التسوية، وانشغال "إسرائيل" بقمع الانتفاضة، ومحاولة إيجاد حلول بديلة.

### 1. مبادرة جنيف:

بينما كان الفلسطينيون منشغولون بالانتفاضة، كانت تجري مفاوضات سرية استمرت سنتين بين مجموعة مقربة من الرئاسة الفلسطينية وفتح، ومجموعة إسرائيلية مقربة من أوساط اليسار والوسط الإسرائيلي، وقد نتج عنها في أواخر سنة 2003 ما عُرف بـ"مبادرة جنيف Geneva Initiative" لحل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي. وهي اتفاقية غير رسمية تدعو إلى:

- دولة فلسطينية تكون وطناً للشعب الفلسطيني، وأن يعترف الفلسطينيون بحق "الشعب اليهودي" في دولتهم "إسرائيل" كوطن قومي لهم.
- تكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح، وتشمل الضفة الغربية وقطاع غزة مع تعديلات حدودية، بحيث تُضم الكتل الاستيطانية والأحياء اليهودية في القدس إلى "إسرائيل"، وفي المقابل ستسلم "إسرائيل" من "أرضها" المساحة نفسها التي أخذتها من الضفة، وستكون الأرض بالنوعية نفسها، وتوقع أصحاب المبادرة أن تكون مساحة الأرض 2-3% من الضفة الغربية.
- ستكون الأحياء العربية في القدس عاصمة لدولة فلسطين وتحت سيادتها. ولن يكون هناك حفريات أو بناء في المسجد الأقصى، أو ما يسميه اليهود "جبل المعبد" دون موافقة الطرفين. واعتبرت المبادرة الحي اليهودي في القدس وحائط البراق والمقبرة اليهودية في جبل الزيتون تحت السيادة الإسرائيلية.



• أعطت المبادرة للاجئين حقَّ العودة للدولة الفلسطينية، لكنها لم تعطهم الحق في العودة إلى أرضهم الأصلية المحتلة سنة 1948 "إسرائيل"، وجعلت قبول عودتهم أمراً سيادياً إسرائيلياً. وأعطت للاجئين حقَّ التعويض عن معاناة اللجوء وعن فقدان أملاكهم.

• وافقت المبادرة على عمل ترتيبات أمنية صارمة في مناطق الدولة الفلسطينية، تعمل على منع أيِّ أعمال "إرهابية" ضدَّ "إسرائيل"، وأجازت إقامة محطتي إنذار مبكر لـ"إسرائيل" في شمال ووسط الضفة الغربية، كما أجازت استخدام سلاح الجو الإسرائيلي للمجال الجوي الفلسطيني.

• تشرف على معابر الحدود الدولية لفلسطين طواقم مشتركة من قوة أمن فلسطينية وقوة أمن متعددة الجنسيات، وتحفظ "إسرائيل" بحضور غير منظور للعين على مدى 30 شهراً.<sup>23</sup>

وعلى الرغم من أن هذه المبادرة غير رسمية، إلا أنها تبدو مهمة للغاية في بيان المدى الذي يمكن أن تصل إليه القيادة الفلسطينية في شكل الدولة المرتقبة. فالشخصيات الفلسطينية المشاركة ذات طبيعة رسمية وجزء رئيسي من عملية صناعة القرار ومنهم العديد من الوزراء والقيادات؛ أمثال ياسر عبد ربه أمين سر اللجنة التنفيذية للمنظمة، ووزير الإعلام والثقافة السابق، وهشام عبد الرازق وزير شؤون الأسرى، ونبيل قسيّس وزير السياحة السابق، ورائد العمري المستشار السياسي لمحمود عباس، وهناك أيضاً قدورة فارس، ومحمد حوراني، وزهير منصور، وجمال زقوت... من قيادات ورموز فتح. أما الشخصيات الإسرائيلية فتتنتمي للمعارضة الإسرائيلية ولا تملك دوراً مماثلاً في صناعة القرار الإسرائيلي؛ ومن أبرزها يوسي بيلين Yossi Beilin، ويوسي سرید Yossi Sarid، وأمنون شاحاك Amnon Shahak، وعمرام متسناع Amram Mitzna، وأبراهام بورغ Avraham Burg.

<sup>23</sup> للاطلاع على النص الكامل لمبادرة جنيف، انظر: <http://www.geneva-accord.org/mainmenu/Arabic>

وانظر أيضاً: اتفاقية جنيف: مسودة اتفاقية للوضع الدائم، موقع مفتاح، في:

<http://www.miftah.org/arabic/docs/press/2003/genevaagreeearabic.pdf>

## 2. المبادرة العربية:

أما في الجانب العربي، فقد ظلت قرارات قمم الرؤساء العرب والجامعة العربية تحكم مجمل الرؤية العربية، وظلت بنود مشروع "السلام" في فاس 1982 بإقامة دولة فلسطينية مستقلة على الأرض المحتلة سنة 1967، وعودة اللاجئين، وحقّ جميع دول المنطقة في العيش بسلام ضمن حدود آمنة؛ تعدّ موجهاً عاماً للمسار العربي.

وفي سنة 2002، حلّت المبادرة السعودية التي جرى تبنيها في مؤتمر القمة العربية ببيروت في 27-28/3/2002، مكان مشروع فاس، وأصبحت هي المرجعية المعتمدة للرؤية العربية للتسوية، وهي لا تختلف في جوهرها عن سابقتها في إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الضفة الغربية وقطاع غزة، وعودة اللاجئين، غير أنها تتحدث بشكل صريح عن الاعتراف والتطبيع العربي الشامل مع "إسرائيل" في حال موافقتها على التسوية.<sup>24</sup> وظلّت هذه المبادرة هي التي تحكم الخط الرسمي العام للبلاد العربية حتى وقتنا هذا.

## 3. خريطة الطريق:

بدا أن هناك مكسباً سياسياً فلسطينياً جديداً عندما صدر قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1397 في 12/3/2002 الذي أوضح فيه المجلس لأول مرة رؤيته لمستقبل الصراع بقيام دولة فلسطينية مستقلة تتعايش إلى جانب "إسرائيل".<sup>25</sup>

وفي 24/6/2002، قدّم جورج بوش الابن George W. Bush رؤيته للتسوية النهائية داعياً إلى الدخول في مفاوضات تؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة وديموقراطية قادرة على الحياة وتعيش جنباً إلى جنب بأمن و"سلام" مع "إسرائيل" وجيرانها الآخرين. وقد تمّ تبني هذه الرؤية من قبل الاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة إضافة إلى أمريكا (الرباعية الدولية)، وتمّ تعديلها بشكلها النهائي في نيسان/أبريل 2003 فيما أصبح يُعرف بمشروع خريطة الطريق.

<sup>24</sup> انظر: محسن محمد صالح، فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات فلسطينية (1) (مصر: مركز الإعلام العربي، 2003)، ص 493-494.

<sup>25</sup> للاطلاع على نص القرار رقم 1397، انظر: الأمم المتحدة، مجلس الأمن، القرار 1397 (2002)، 12/3/2002، في: [https://undocs.org/ar/S/RES/1397\(2002\)](https://undocs.org/ar/S/RES/1397(2002))

تكن أهمية خريطة الطريق في أنها أول التزام أمريكي أعلن بإقامة الدولة الفلسطينية، وضمن مدى زمني محدد لا يتجاوز نهاية سنة 2005. وهي مقسمة إلى ثلاث مراحل، وقائمة على برنامج بناء ثقة بين الطرفين، ومستغرقة تماماً في توفير كافة الضمانات الأمنية لـ"إسرائيل"، فيما تفرض على السلطة الفلسطينية وقف الانتفاضة والقيام بعملية إصلاح سياسية وإدارية وأمنية واقتصادية شاملة. وخريطة الطريق مليئة بالثغرات، إذ على الرغم من أنها تدعو لحل القضايا النهائية لكنها لا تقدم تصوراً عن حلها وتترك ذلك للمفاوضات، ولا تلزم المفاوضات الإسرائيلي بشيء، بينما تترك المفاوضات الفلسطيني تحت رحمته. ومن الناحية العملية، فما انشغلت أمريكا بتطبيقه هو الالتزامات الفلسطينية، لكن الإسرائيليين لم يطبقوا التزاماتهم حتى فيما يتعلق بالمرحلة الأولى من خريطة الطريق المتعلقة بوقف الاستيطان.

لم تقدم خريطة الطريق تصوراً نهائياً متعلقاً بالقضايا الجوهرية (القدس، والللاجئون، والاستيطان، والحدود، والسيادة...)، ولم تقدم من جهة ثانية أي آلية حقيقية تلزم الطرف الإسرائيلي بتنفيذ التزاماته، كما أنها من جهة ثالثة انشغلت بكيفية ضمان أمن القوة التي تقوم باحتلال الأرض واغتصابها، بدلاً من توفير الأمن لضحايا الاحتلال.

وعلى كل حال، لم تجد خريطة الطريق طريقاً للتفويض، ليس فقط لإجحافها بحق الجانب الفلسطيني، وإنما لأن الحكومة الإسرائيلية التي أقرتها مبدئياً في 2003/5/25، وضعت 14 تحفظاً عليها، أفرغتها عملياً من محتواها.

#### 4. الفصل أحادي الجانب:

تقوم فكرة الفصل أحادي الجانب على أساس أن تفرض "إسرائيل" الشكل النهائي لحدودها وللتسوية، بالمحافظة على أكبر مساحة من الأرض، والتخلص من أكبر قدر من الفلسطينيين، ودون أن تضطر لدفع استحقاقات باهظة، مرتبطة بالقدس أو اللاجئين أو تفكيك المستعمرات في الضفة الغربية؛ وبحيث يبدو الأمر في نهاية المطاف مشكلة حدودية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، يمكن أن تموت مع الزمن. وقد هيمنت فكرة الفصل أحادي الجانب على الرؤية السياسية الإسرائيلية في الفترة من سنة 2003 وحتى سنة 2006.

وفي 2003/12/18، أعلن شارون تبنيه للفكرة، وبعد نحو شهرين قدّم خطته للفصل متضمنة الانسحاب من قطاع غزة مع تحكّم الكيان الصهيوني ومراقبته لحدود القطاع الخارجية، وسيطرته على مجاله الجوي. وهذا يعني من الناحية العملية تحويل غزة إلى سجن كبير، كما يُبقي القطاع وفق القانون الدولي منطقة تحت الاحتلال الإسرائيلي. وتضمنت خطة الفصل في الضفة الغربية الاحتفاظ بست كتل استيطانية، إضافة إلى شرقي القدس وما حولها من مستعمرات.<sup>26</sup>

لاقت خطة الفصل أحادي الجانب دعماً أمريكياً في المؤتمر الصحفي المشترك بين بوش وشارون في واشنطن في 2004/4/14. وجرى تجزئة تنفيذ الخطة بحيث تبدأ بالانسحاب من قطاع غزة وأربع مستعمرات منعزلة في الضفة الغربية.

كان لانتفاضة الأقصى دورها الرئيسي في دفع الإسرائيليين إلى الانسحاب من قطاع غزة بعد أن تحوّل إلى عبءٍ أمني واقتصادي كبير.<sup>27</sup> كانت حماية نحو 8 آلاف مستوطن في القطاع عملية مكلفة ومرهقة، وتستدعي نشر آلاف الجنود لحماية البؤر الاستيطانية في بحر من مليون و400 ألف فلسطيني. بيد أن الحكومة الإسرائيلية سعت إلى توظيف انسحابها في تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية والمادية. فهي ستخلص من العبء السكاني الهائل الذي يمثله قطاع غزة، والذي لا يمكن ضمّه في أي مشروع يستهدف الحفاظ على الهوية اليهودية للدولة. وبالإضافة إلى أن إعادة انتشار الجيش الإسرائيلي تكفل إنهاء الاحتكاك الفعلي بسكان القطاع وتخفيض احتمال تعرّضه للهجمات، فإنها سعت إلى إفقاد المقاومة في القطاع مبرر عملياتها العسكرية، في نظر المجتمع الدولي على الأقل. كما سعت الحكومة الإسرائيلية إلى الالتفاف على مشروع خريطة الطريق، والاستفراد بالضفة الغربية لتنفيذ مخططات تهويد القدس، وجماد الفصل العنصري، ومصادرة الأراضي، وإبقاء التجمعات الاستيطانية في أيّ تسوية سياسية قادمة. ومن جهة أخرى، حاولت أن تحسّن صورتها وأن تقدم نفسها إلى المجتمع الدولي كطرف محبّ لـ "السلام" ويقدم تنازلات "مؤلمة" في سبيله.

<sup>26</sup> انظر: شارون يعلن خطة فصل مع الفلسطينيين، موقع الجزيرة.نت، 2003/12/18، في:

<https://aja.me/ga2ipp>

<sup>27</sup> اعترف شارون بذلك في مقابله لجريدة يديعوت أحرونوت في 2005/8/12. انظر: موقع عرب 48، 2005/8/12.



بدأ الانسحاب الإسرائيلي من القطاع في منتصف آب/ أغسطس 2005، وتمّ إنهاؤه في 2005/9/11، وأعلنت "إسرائيل" انتهاء احتلالها للقطاع من جانب واحد، فيما أبقى سيطرتها على الحدود والمنافذ البرية والبحرية والجوية. وفي 2005/11/15 توصلت إلى اتفاق مع السلطة الفلسطينية حول إدارة المعابر، بوجود إشراف أوروبي وتثبيت كاميرات مراقبة تبتُّ للطرف الإسرائيلي بشكل مباشر كل ما يجري، مع حقّ "إسرائيل" في الاعتراض على دخول وخروج من تشبّه به، حيث يبتُّ الأوروبيون في أمره خلال ست ساعات من احتجازه.<sup>28</sup> وقد احتفلت السلطة بافتتاح المعبر في 2005/11/25.

لم تطل حماسة الحكومة الإسرائيلية لخطة الفصل، إذ بدأ الإحباط يدب بشكل سريع تجاهها في النصف الثاني من سنة 2006؛ وأخذت تتراجع عن سلّم أولويات الحكومة، حتى وُضعت على الرّف، وكان أبرز أسباب ذلك:<sup>29</sup>

- فوز حماس في الانتخابات، وتشكيل حكومتها، والفشل في إسقاطها، والخوف من اعتبار الانسحاب انتصاراً لحماس، وتثبيتاً لنفوذها على الأرض. وظهر قناعات بضرورة دعم محمود عباس ورئاسة السلطة، والتنسيق معه في مواجهة حماس.
- فشل الهجوم الإسرائيلي على لبنان وحزب الله في صيف 2006، وتزايد القناعات بأن الانسحاب من الجنوب اللبناني سنة 2000 زاد من قوة حزب الله ومن قدرات المقاومة، مما زاد من مخاوف تكرار هذا السيناريو في الضفة الغربية.
- تراجع شعبية إيهود أولمرت Ehud Olmert وحزب كادима Kadima، مما أضعف قدرة أولمرت على المناورة والحركة.

## 5. العودة إلى خيار الدولة الفلسطينية من خلال التفاوض:

أربك فوز حماس في الانتخابات القيادتين الفلسطينية والإسرائيلية، كما أربك مسار التسوية السلمية، وانشغل الجميع بمحاولات إسقاط حماس أو تطويعها. وعندما شكّل الرئيس عباس حكومة الطوارئ برئاسة سلام فياض في رام الله إثر

<sup>28</sup> انظر نصّ الاتفاق في: نص اتفاقية المعابر بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية 2005، الجزيرة.نت، 2007/12/30.

<sup>29</sup> انظر: محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006، ص 100.

سيطرة حماس على قطاع غزة في حزيران/يونيو 2007، فتحت "إسرائيل" مجالات التعاون وخصوصاً الأمنية مع الحكومة في رام الله. وعاد الحديث عن تحريك مسار التسوية الذي تكلل بمؤتمر أنابوليس للسلام Annapolis Conference في الولايات المتحدة في 2007/11/27.

ولم يكن ثمة جديد في جوهر الأفكار الإسرائيلية التي ظلت تتحدث عما هو أكثر من حكم ذاتي وأقل من دولة مستقلة. وظهر عدد من المقترحات لقيادات إسرائيلية محسوبة بشكل أساسي على حزب كاديما، الذي استمر في الحكم حتى شباط/فبراير 2009؛ كإيهود أولمرت، وتسيبي ليفني Tzipi Livni، وشمعون بيريز، وحاييم رامون Haim Ramon... تدعو إلى انسحاب من نحو 90% من الضفة الغربية مع بقاء الكتل الاستيطانية، وإجراء عملية تبادل أراضي لتعويض الفلسطينيين ما سيفقدونه بسبب المستعمرات.

وشهدت سنة 2009 عودة اليمين المتطرف بقيادة الليكود للحكم، والذي كان ما يزال يعتقد أنه بالإمكان "عصر" الفلسطينيين أكثر لتحقيق المزيد من التنازلات. وعلى الرغم من نشاط الولايات المتحدة تحت حكم باراك أوباما Barack Obama في تحريك عملية التسوية، إلا أنها فشلت في فرض أبسط استحقاقات خريطة الطريق، وهو الوقف الإسرائيلي التام للاستيطان. ولذلك، تعطل مسار المفاوضات طوال سنة 2009، كما اتسم بالتعثّر في سنة 2010. فعلى الرغم من الجهود التي بُذلت لاستئناف المفاوضات، والتي أدت إلى الاتفاق على مفاوضات غير مباشرة، ثم مفاوضات مباشرة، مقابل إعلان "إسرائيل" تجميداً مؤقتاً للاستيطان لمدة 10 أشهر، إلا أن تلك الجهود انهارت في ضوء رفض إسرائيلي قاطع لتمديد فترة التجميد، التي انتهت في 2010/9/26.

جعلت الثورات العربية التي أخذت تظهر وتتوسع منذ مطلع سنة 2011 مسار التسوية أكثر صعوبة وأبعد منالاً، فقد سقطت أكبر الأنظمة العربية الداعمة لهذا المسار (مصر)، وعانت السياسة الإسرائيلية والأمريكية من وضع قلق ومرتبك، ومال الكيان الإسرائيلي لاتخاذ مزيد من الإجراءات الأمنية، وتقوية البنية العسكرية. كما تزايد الطرح الإسرائيلي لفكرة الدولة المؤقتة، بما يعني التوافق على حدود مؤقتة وتأجيل باقي قضايا الحل النهائي. كما عاد، من جهة أخرى، طرح فكرة الانسحاب أحادي الجانب.



## 6. مسار التسوية في الفترة 2011-2020:

اتّسم مسار التسوية في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين باستمرار حالة الجمود والتّعثر، وتراجع اهتمام إدارة أوباما باستئناف المفاوضات، في ضوء استمرار الرفض الإسرائيلي للمطالب الفلسطينية للعودة للمفاوضات، والمتمثلة بتجميد الاستيطان وقبول حدود سنة 1967 كمرجعية للتفاوض بشأن حدود الدولة الفلسطينية الموعودة. هذا الرفض دفع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة في رام الله إلى اللجوء لبدائل أخرى، حيث حصلت على مقعد لفلسطين في الأمم المتحدة بصفة دولة غير عضو في 2012/11/29، حيث صوّت لصالحها 138 دولة.

غير أن المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية استؤنفت في واشنطن في نهاية تموز/ يوليو 2013، وفق الشروط الإسرائيلية، من دون تلبية أيّ من الشروط التي أكدت عليها قيادة منظمة التحرير طوال ثلاثة أعوام، وفرض الجانب الإسرائيلي أجندته في التركيز على الجانب الأمني. وقد أظهر الطرف الأمريكي انحيازاً أكبر للجانب الإسرائيلي، وامتنع عن ممارسة أيّ ضغوط عليه. ولم تفلح جهود تسعة أشهر من التفاوض في الوصول إلى أيّ نتائج، ليتعثر مسار التسوية من جديد.

ومن جهة أخرى، فإن قيادة منظمة التحرير أصرت على التمسك بمسار التسوية السلمية بالرغم من وصولها إلى حائط مسدود. وفي ظلّ حالة الإحباط التي تشعّر بها، فقد هدّد محمود عباس بتسليم مفاتيح السلطة، والاستقالة، وإعادة النظر في العلاقة مع الاحتلال، واتّخاذ قرارات بوقف التنسيق الأمني، وإلغاء اتفاقية باريس الاقتصادية، والتلويح بسحب الاعتراف بـ"إسرائيل"، واللجوء للمنظمات الدولية لمحاسبة الاحتلال. وقد تعامل الطرف الإسرائيلي مع هذه التهديدات على أنها مجرد تكتيكات، تفتقد وجود نية حقيقية لتنفيذها.

وقد فشلت المبادرة الفرنسية التي جمعت فرنسا لأجلها عشرين من وزراء الخارجية وممثلي الدول في حزيران/ يونيو 2016، والتي حاولت من خلالها التأكيد على حلّ الدولتين، وتثبيت مواعيد نهائية للتفاوض، كما لم ينجح اجتماع "باريس للسلام" في كانون الثاني/ يناير 2017 بسبب المقاطعة الإسرائيلية له، وبسبب الدور الأمريكي المعطل. وفشلت أيضاً، في إطار محاولات دفع مسار التسوية، مبادرات روسية وصينية... وغيرها.

ومع استلام دونالد ترامب Donald Trump للرئاسة الأمريكية سنة 2017، تماهت إدارته مع اليمين الصهيوني، وانتقلت إلى ما يشبه الشراكة الكاملة مع الاحتلال والاستعمار الاستيطاني والعنصرية. وتخلّى ترامب عن الموقف الأمريكي بقيام دولة فلسطينية، وبأن الضفة والقطاع أراضي محتلة، وأن الاستيطان غير شرعي. وأخذ ترامب يتحدث عن ضرورة تغيير قواعد اللعبة كلياً، واستبدال مرجعية القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية التي تضمنت الحد الأدنى من الحقوق الفلسطينية (حقّ تقرير المصير الذي يشمل إقامة دولة فلسطينية على الأراضي المحتلة سنة 1967، وحقّ التعويض والعودة للاجئين من الديار التي هُجروا منها)؛ حيث دعا إلى اعتماد مرجعية جديدة تستند أساساً إلى الوقائع والحقائق التي أقامها وقيّمها الاحتلال على الأرض.

وتلقّى مسار التسوية ضربة قاصمة عندما قرّرت الولايات المتحدة في 2017/12/6 الاعتراف بالقدس عاصمة لـ "إسرائيل"، ونقلت سفارتها فعلاً للقدس في 2018/5/14، كما أقرّ الكنيست الإسرائيلي قانوناً بإخراج القدس من العملية التفاوضية. وقرّرت إدارة ترامب إغلاق مكتب منظمة التحرير في واشنطن، ثم طالبت بحل وكالة الأونروا، وتغيير تعريف اللاجئ، بحيث ينحصر بالذين وُلدوا في فلسطين من دون أولادهم وأحفادهم. وقطعت واشنطن الدعم عن السلطة الفلسطينية، ما عدا المساعدات الأمنية، وطالبت بالاعتراف بـ "إسرائيل" كـ "دولة للشعب اليهودي"، ولم تتعامل الإدارة الأمريكية مع الأراضي المحتلة سنة 1967 باعتبارها أراضي محتلة. وفي أواخر 2019، قرّرت اعتبار الاستيطان في الضفة الغربية شرعياً وقانونياً، وغير مخالف للقانون الدولي.

أما ما يعرف بـ "صفقة القرن" أو "صفقة ترامب"، فقد تمّ الإعلان عنها في 2020/1/28؛ بعد أن استمرّت "التسريبات" حولها طيلة ثلاثة أعوام. وقد جاءت في 181 صفحة، وتحتوي على 22 قسماً، و4 ملاحق، من بينها خريطتان توضحان جغرافية "إسرائيل" والدولة الفلسطينية المفترضة وتوزيع المستوطنات. وتلخّصت بنود الوثيقة في إنشاء كيان فلسطيني تحت الهيمنة الصهيونية، في الضفة الغربية وقطاع غزة، يمكن تسميته تجاوزاً "دولة"؛ بحيث يكون منزوع السلاح تماماً، وتكون عاصمة الكيان في الضواحي المجاورة لشرقي القدس، ويتم استقطاع المستوطنات



الإسرائيلية في الضفة الغربية، وضمها لـ"إسرائيل". ويخضع نهر الأردن للسيادة الإسرائيلية، كما تبقى المياه الإقليمية لغزة تحت السيطرة الإسرائيلية، ويتم دمج سكان قرى المثلث الفلسطيني في فلسطين المحتلة 1948 مع الكيان الفلسطيني، وتبقى معابر "الدولة الفلسطينية" خاضعة للرقابة الإسرائيلية. ويتم توسيع قطاع غزة من خلال مناطق مجاورة في صحراء النقب، في مقابل الأرض المصادرة من الضفة الغربية. وعلى "الدولة الفلسطينية" الإقرار بـ"يهودية الدولة الإسرائيلية".



خريطة فلسطين المستقبلية وفق "صفقة القرن"

هدفت صفقة ترامب في جوهرها إلى:

أ. تحقيق التطبيع الإسرائيلي مع البلدان العربية، وبناء العلاقات مع الدول العربية مع تجاوز الطرف الفلسطيني، ليُستخدم ذلك في الضغط عليهم لقبول الشروط والإملاءات الإسرائيلية.

ب. تحقيق ما يُسمى ”السلام الاقتصادي“؛ من خلال التعامل مع قضية فلسطين كقضية إنسانية تُحلّ بتحسين أوضاع الفلسطينيين الاقتصادية، وليس بوصفهم شعباً تحت الاحتلال، وينشد التحرير.

ج. إنهاء حلّ الدولتين، وإعطاء فلسطيني الضفة والقطاع حكماً ذاتياً (يحمل اسم دولة) منزوع السلاح، تحت الهيمنة الإسرائيلية؛ مع تحويل الضفة إلى كانتونات ممزّقة محاطة بالكيان الإسرائيلي من كلّ الجهات، وتجريد قطاع غزة من سلاحه، ومواجهة حماس لتطويعها.

د. شطب حقّ العودة للاجئين الفلسطينيين، وفرض السيادة الكاملة على القدس، وضمّ مناطق الأغوار وضمّ المستوطنات.

هـ. تغيير بوصلة الصراع؛ بإدخال ”إسرائيل“ في تحالفات في المنطقة ضدّ ما يسمى ”الإرهاب“، و”الإسلام السياسي“، وإيران، وإشغال المنطقة بصراعات طائفية وعرقية.

وبالرغم من تصاعد الضغط على الفلسطينيين لفرض ”الصفقة“ عليهم، غير أنّهم اتّحدوا ضدها، وانتهى عهد ترامب دون أن يتمكن من إنفاذها. غير أن سنة 2020 شهدت إنجاز بعض الأنظمة العربية لمسار التسوية السلمية، وهي الإمارات والبحرين والسودان والمغرب، ودخولها في حظيرة التطبيع مع الكيان الصهيوني، مما مثّل انتكاسة كبيرة لأمتنا العربية والمسلمة.

ومع انتهاء عهد ترامب، وفوز بايدن بالانتخابات الأمريكية سنة 2020، تراجع الضغط الأمريكي بشأن ”صفقة ترامب“، وإن كان جوهر السياسة الأمريكية الداعم والراعي للكيان الصهيوني لم يتغيّر.



## رابعاً: خلاصات الموقف العربي والفلسطيني والإسرائيلي من التسوية:

من خلال العرض السابق، لاحظنا أن إقبال الأنظمة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية على المشاركة في عملية التسوية السلمية ينطلق أساساً من خلفيتين:

**الأولى:** حالة العجز العربي واختلال موازين القوى، بما يجعل مستحيلاً في المدى المنظور تحرير فلسطين بالوسائل العسكرية.

**الثانية:** عامل الزمن، وشعور الأنظمة العربية أن الزمن لا يعمل لصالحها، حيث يقوم الكيان الصهيوني ببناء الحقائق على الأرض، وأن الأولى إيقاف تمُدُّ المشروع الصهيوني، وإنقاذ ما يمكن من أرضٍ قبل فوات الأوان.

وقد يبدو هذا التفكير للوهلة الأولى منطقياً، لكن المشكلة الأساسية تكمن في التعامل مع العجز المؤقت باعتباره قدراً وعجزاً دائماً، وفي الاستسلام ابتداءً إلى مستقبل منهزم، بالإضافة إلى الحاضر المتردي. كما أنه تفكير لا يدرك تماماً حاجة العدو الصهيوني الماسة للتسوية لتجاوز العديد من أزماته ومشاكله. وهو تفكير يُعبر عن إشكالية غياب الإرادة، وغياب الرؤية لأدوات التغيير في المستقبل، كما أنه لا يستوعب دروس التاريخ التي انتهت عادة بإزالة الاستعمار والاحتلال ولو بعد مئات السنين، ما دام هناك شعوب لم تنسَ قضيتها ومستعدة للبذل في سبيلها. وهو يكشف في الوقت نفسه، حالة الأنظمة العربية في الانكفاء القطري على مصالحها الخاصة، وفقدانها لاستراتيجيات مشتركة جادة في تحقيق الوحدة التي لن تقوم إلا بزوال الكيان الصهيوني، كما أن الكيان الصهيوني لن يزول إلا إذا خطى مشروع الوحدة خطوات كبرى.

ويميط التدقيق في الموضوع اللثام عن الأزمة الداخلية التي تعيشها هذه الأنظمة. إذ إن الانتصار على المشروع الصهيوني يستدعي مشروعاً حضارياً، وحالة نهضوية عامة، لا يمكن أن تتكون بداياتها الأولى إلا بفتح أبواب الحريات للجماهير، والمشاركة الشعبية في الحكم من خلال مؤسسات شورية تستطيع أن تنتخب الكفو، وتحاسب المقصر وتعزله، ويأمن الناس على حقوقهم وأموالهم وأعراضهم. وعند ذلك يمكن أن تعود الأموال المهاجرة والعقول المهاجرة... ولا يمكن لهذا المشروع أن يستقيم إلا إذا توافقت مع عقيدة الأمة وتراثها، بحيث يمكن

أن يفجر فيها العزة والكرامة وروح التضحية والإبداع. وما دامت الأنظمة مستندة إلى الجيش والمخابرات وأقلية من المنتفعين... فإن مشروع النهضة سيبقى معطلاً وبالتالي سيتعطل مشروع التحرير، وسيكون العجز والتسوية السلمية هو البديل الوحيد الذي تُلج الأنظمة على إقناعنا به.

كما لا بدّ من الإشارة إلى أن الأنظمة العربية والإسلامية تعاملت مع قضية فلسطين ليس بوصفها قضيتها الأساسية المركزية، وإنما بوصفها قضية "جيران" تعرضوا للظلم ويحتاجون بعض الدعاء والمساعدة. وعلى هؤلاء "الجيران" أن يُقدِّروا "الضيافة"، وأن يعلموا أن للمساعدة حدوداً، فلا يستطيع هؤلاء تنظيم أنفسهم وتشكيل مؤسساتهم بحرية في تلك الأقطار، ولا يستطيعون إقامة قواعد عسكرية أو اختراق حدود بلاد الطوق العربي لتنفيذ عمليات المقاومة. والمشكلة هنا أن "النظام العربي" لا يشعر أن بيته هو الذي يحترق، وأن العدو انتهك حرمة منزله. وهذا جوهر إشكالية النظام القطري في التعامل مع قضايا "الأمة". على أن الوجه الآخر للموضوع هو عدم إدراك الأنظمة العربية والإسلامية لطبيعة المشروع الصهيوني وأهدافه، والذي لم يستهدف الفلسطينيين فقط ولا فلسطين وحدها. إن احتلال المشروع الصهيوني لفلسطين هو مجرد ركيزة ومنطلق لإبقاء الأمة العربية والإسلامية ضعيفة مفككة، يمنع وحدتها ونهضتها ويبقيها في دوائر التخلف والتبعية، لأنه يدرك تماماً أن قوّة الأمة ووحدتها خطر أكيد على بقائه ويعني زواله عاجلاً أم آجلاً. وبالتالي فإن شرط نُموه وبقائه مرتبط بضعف الأمة وتفككها، كما أن وحدة الأمة ونهضتها مشروطة بإنهاء هذا المشروع وزواله.

تحمل مشاريع التسوية بذور فشلها في ذاتها، وتحمل عناصر تفجيرها في بنودها. وستبقى مسألة الأرض وهويتها، ومسألة العودة، ومسألة القدس... تضطرم في النفوس وستظل تتفجر بين آن وآخر حتى يتم تحرير فلسطين كاملة من نهرها إلى بحرها.

أما في الجانب الإسرائيلي الصهيوني، فإن الرغبة في التسوية السلمية ترتكز أساساً على قضية جوهرية تؤرّق قاداته وهي التحول إلى كيان سياسي "طبيعي" في المنطقة. وتحويل النظرة إلى الكيان الصهيوني من كيان "سرطاني" وخطر يجب استئصاله، إلى "ظاهرة صحية" طبيعية. لأن الجانب الصهيوني يدرك تماماً أن لا



مستقبل له في المنطقة دون ذلك. وأنه ما دامت حالة العداء موجودة وما دامت المعركة معركة أجيال متواصلة، فإن العرب والمسلمين سيملكون يوماً ما عناصر القوة وأدوات الانتصار، كما لن تبقى الظروف السياسية العربية والإسلامية والدولية على حالها إلى الأبد، وبالتالي فإن هذا الكيان سيبقى مهدداً بالزوال لحظة تغير موازين القوى.

لقد دفع هذا الشعور رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ناحوم جولدمان Nahum Goldmann (1956-1968)، وهي المنظمة التي أنشأت الكيان الصهيوني، إلى القول "لا يوجد لإسرائيل مستقبل على المدى الطويل دون تسوية سلمية مع العرب". بل واعترف أن ديفيد بن جوريون David Ben-Gurion، الذي قام على أكتافه إنشاء الكيان الصهيوني، وكان أول رئيس وزراء له والشخصية الأولى فيه حتى نحو 1963، قال له سنة 1956 "إن الدولة اليهودية ستستمر في العشر أو الخمس عشر سنة القادمة ولكن احتمالات وجودها بعد ذلك هي 50%". وعلى هذا، فإن الجانب الصهيوني بحاجة ماسة إلى تسوية تضمن بقاءه، وأفضل وقت يمكن عقد تسوية فيه هو هذا الوقت الذي اجتمعت فيه خمسة عناصر قلماً تجتمع في ظرف تاريخي واحد وهي:

1. قوة الكيان الصهيوني بحيث يستطيع هزيمة البلاد العربية مجتمعة.
2. قوة النفوذ اليهودي الصهيوني الدولي، وبلوغه درجة كبرى من العلو في الأرض، تمكنه من الضغط والتأثير على القرار السياسي في الولايات المتحدة ومعظم الدول الكبرى.
3. وقوف الدولة الأقوى في العالم "الولايات المتحدة" مع الكيان الصهيوني، وتحالفها الاستراتيجي معه. وخضوع العالم لوضع "أحادي القطبية" بقيادة الولايات المتحدة وحدها.
4. حالة ضعف وعجز وانهزام عربي وإسلامي عام.
5. إن منظمة التحرير الفلسطينية، وهي الطرف الذي يمثل الفلسطينيين، قد دخلت بقوة في مشروع التسوية، وقبلت بالاعتراف بالكيان الصهيوني، وحقه في العيش ضمن حدود آمنة على 77% من أرض فلسطين التاريخية.

إن إشكالية التسوية عند الصهاينة مرتبطة بعملية المزاوجة بين مثلث:

1. الحفاظ على الأمن.

2. الحفاظ على الأرض.

3. الحفاظ على الهوية اليهودية للدولة.

وقد تختلف أضلاع المثلث وزواياه عند جهة دون أخرى بناء على ترتيب الأولويات أو تحليل الأمور. لكن هناك قواسم مشتركة بين كافة الأطراف الصهيونية من أقصى يمينها إلى أقصى يسارها:

1. لا تنازل عن الأرض المحتلة سنة 1948 أي نحو 77% من أرض فلسطين.

2. لا لحق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى الأرض المحتلة سنة 1948.

3. ما تزال الأغلبية الساحقة لكافة التيارات الصهيونية ترفض التنازل عن السيادة عن القدس الشرقية، وخصوصاً منطقة المسجد الأقصى، باعتبارها "جبل المعبد".

4. توافق كافة الأطراف الصهيونية أن الدولة الفلسطينية إذا ما قامت في الضفة والقطاع فيجب ألا تكون مكتملة السيادة بالمفهوم المتعارف عليه سياسياً ودولياً، كأن تكون منزوعة من السلاح الثقيل، وأن تضمن الأمن الصهيوني من جهتها.

إن سلوك المجتمع الصهيوني النفسي العام يتأثر أساساً بقضيتين أو عقدتين اثنتين:

**الأولى: الأمن.**

**الثانية: الوضع الاقتصادي.**

ولا شك أن هناك عوامل أخرى تلعب دورها كالجوانب الدينية والتاريخية. لكن عقدتا الأمن والمال هما جزء من التكوين التراثي الديني التاريخي اليهودي نفسه. وقد أشار إلى جانب منهما القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، وذكر الله تعالى قول اليهود: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

وهاتان القضيتان لهما دورهما الجوهري في صناعة الرأي العام الإسرائيلي، وفي صناعة القرار السياسي، وفي سلوك الفرد الإسرائيلي العادي. وعادة ما يتعامل



المجتمع الصهيوني مع مشروع التسوية حسب ما يمكن أن يوفر له من أمن ومنافع. ولذلك فإنهم عندما تعاملوا مع السلطة الفلسطينية، كان كل شيء مرهوناً بما يمكن أن توفر لهم السلطة من أمن، من خلال تولى مهمة قمع المعارضة الفلسطينية ومنعها من مواصلة الكفاح. ولم يتعاملوا معها بروح الشريك السياسي المكافئ، بقدر ما أرادوا التعامل معها كوكيل يتولى تنفيذ "المهام القذرة" بالنيابة عنها. ولذلك عندما اندلعت الانتفاضة ارتفعت الأصوات بوجوب تغيير ياسر عرفات واستبداله، وكأنما هو موظف لديهم، وليس باعتباره شخصاً آخر يمثل الشعب الفلسطيني.

إن فكرة المشروع الصهيوني نفسه قائمة على إقناع اليهود بتوفير الأمن لهم والذي فقده بسبب ظهور المشكلة اليهودية في شرق أوروبا، وتداعيات اضطهاد الزعيم الألماني هتلر Hitler لهم. ولأن "رأس المال جبان" فإن المشاكل الأمنية تؤدي عادة إلى أزمات اقتصادية، وهروب المال وأصحابه طلباً للسلامة. وهذا يُفسر جانباً من الهجرة اليهودية المعاكسة إلى أوروبا وأمريكا بأعداد ضخمة إثر اندلاع انتفاضة الأقصى.

وعلى ذلك، فإن السلوك الإسرائيلي يتجه عادة إلى التّشدد والتّصلب والقسوة في أثناء الأزمات في سبيل المحافظة على الأمن. لكنّه لا يستطيع تحمّل مشاكل وتحديات أمنية حقيقية ودائمة. وهذا ما يفسر قسوته في الرد لمحاولة حسم الأمور بسرعة. لكن المقاومة إذا صبرت وصمدت واستمرت في ضربها الموجه، بحيث تجعل التكاليف الإسرائيلية أعلى من المكاسب، فإنه سيرتد ليحاول أن يجد الأمن في التسوية أو الانسحاب بعد أن فشل في إيجادها عبر آلة الحرب. وطبيعة المجتمع الصهيوني لا تميل إلى التضحية والموت في سبيل المبادئ، ولا تتحمل الخسائر البشرية كثيراً. ونقطة الضعف هذه لديهم، هي نقطة القوة لدى المسلمين. وهي التي أدت في النهاية إلى انسحاب الكيان الصهيوني من جنوب لبنان ومن قطاع غزة.

وبشكل عام، فمن المتوقع أن يستمر "المجتمع الإسرائيلي" على تشدّده، وأن تستمر السياسات الحكومية الإسرائيلية على تصلّبها وفضاظتها، طالما ظلّت موازين القوى تميل إلى صالحها. ولذلك فإن قدرة المقاومة على الاستمرار وتصعيد الأداء والفعالية ستؤدي إلى سقوط الخيار الأمني الإسرائيلي. لكن القيادة السياسية الفلسطينية والعربية الحالية ليست، على الأغلب، بوارد استثمار ذلك باتجاه مشروع التحرير، وإنما باتجاه تسريع مشروع التسوية نفسه وفق ظروف أفضل بالنسبة لها.

## خامساً: انعكاسات مشروع التسوية على المنطقة:

حقّق المشروع الصهيوني نجاحاً كبيراً عندما عقد اتفاقية التسوية مع مصر أكبر وأقوى البلاد العربية، حيث تمكن من تحييدها وعزلها لسنوات عن محيطها العربي، مما هياً له فرصة الاستفراد بشكل أفضل في تنفيذ مشروعه في المنطقة، فتضاعفت وتيرة الاستيطان والتهويد في الضفة والقطاع، وتمّ ضرب البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية في لبنان. في الوقت الذي نحى فيه العرب جانباً الخيار العسكري مع خروج مصر من المعركة.

إنّ توقيع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية على اتفاقات أوسلو سنة 1993، وتوقيع الأردن على اتفاقات وادي عربة سنة 1994، أدخل المنطقة في أوضاع جديدة. وبدا أن الكيان الصهيوني أخذ بالتحوّل إلى كيان طبيعي في المنطقة، وأخذت تتصاعد وتيرة التطبيع وفتح العلاقات العربية والإسلامية مع الكيان الصهيوني. ولولا أنّ المقاومة الفلسطينية قد استمرت تحت قيادة حماس والجهاد الإسلامي والمعارضة الفلسطينية، ولولا أن الصهاينة قد استمروا في عنجهيتهم وإرهابهم وتسويقهم، ولولا أن انتفاضة الأقصى قد تفجرت، ولولا أن الشعوب العربية والإسلامية ما تزال ترفض بقوة التعامل مع الكيان اليهودي - الصهيوني... لولا ذلك لربما سار التطبيع مسيرة كبيرة.

إنّ قُدِّر لهذا المشروع النجاح وفق التصور الإسرائيلي - الأمريكي، فإنه سيكون له انعكاسات خطيرة على المنطقة العربية والإسلامية، ونُظهر هنا أبرز الآثار:

### فمن الآثار السياسية للتسوية:

- تسويق الكيان الصهيوني ككيان طبيعي في المنطقة، له حقّ العيش ضمن حدود آمنة، أي حصول الكيان على "شرعية" فلسطينية - عربية.
- تكريس حالة التجزئة والقطرية والضعف في العالم العربي، وهي حالة لا يمكن أن يستمر الكيان الصهيوني بدونها.
- إسقاط قرارات الشرعية الدولية المتعلقة بفلسطين كقرار تقسيم فلسطين، وحقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى أرض 1948.
- زيادة التوتر داخل الصف الفلسطيني، حيث توجد معارضة قوية واسعة للتسوية.



- قمع كافة الحركات الإسلامية والوطنية المعارضة للتسوية في البلاد العربية، وقطع الطريق عليها للوصول إلى الحكم وفق الطرق الدستورية.
- محاولة قطع الطريق على النهوض الحضاري والوحدوي للأمة.
- تراجع مسار التغيير والحريات في العالم العربي، مما سيحدث حالة احتقان وأزمات داخلية كبيرة.
- هناك مخاوف كبيرة حقيقية من أن تمارس "إسرائيل" دور شرطي المنطقة، الذي يحمل عصاه الغليظة لكل من يخرج عن "الطاعة".
- هناك احتمالات كبيرة أن تستمر البلاد العربية تدور في فلك التبعية للقرار السياسي الإسرائيلي - الأمريكي - الغربي.
- توفير ظروف أفضل للهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة حيث الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي.

#### وفي الجانب الاقتصادي:

- سيستفيد الكيان الصهيوني من القدرات المالية الهائلة والإمكانات الاقتصادية التي لديه في محاولة السيطرة على اقتصاديات المنطقة.
- ستنتهي المقاطعة الاقتصادية العربية - الإسلامية للكيان الصهيوني التي كلفته عشرات المليارات من الدولارات.
- ستوفر أجواء التسوية فرص نمو اقتصادي أفضل للكيان الإسرائيلي.
- سيقوم الكيان الصهيوني بالاستثمار الاقتصادي في المنطقة حيث هناك عمالة أرخص، وشركات غير قادرة على المنافسة، مما يفتح المجال إلى مزيد من الأرباح. وسيكون أقدر على الإضرار بالاقتصاد المحلي لأي دولة عن طريق ضرب الأسعار، أو السحب المفاجئ للأموال، أو طرد العمال وغير ذلك.

#### وفي الجانب العسكري والأمني:

- تعمل الدول العربية، وعملت، على منع استخدام أراضيها كقواعد للعمل الفدائي، ومنع أي عمليات فدائية عبرها، وعلى حماية الحدود الإسرائيلية من جهةها.

- تحقيق الهيمنة العسكرية الإسرائيلية في المنطقة، ومنع الدول العربية من تطوير قدراتها العسكرية.
- تسهيل النشاط التجسسي الإسرائيلي في البلاد العربية تحت غطاء السفارات والسياحة والوفود وغيرها.

### وفي الجانب الثقافي:

- إعادة النظر في مناهج التدريس، وحذف الآيات والأحاديث والمواد الدراسية المعادية لليهود والكيان الإسرائيلي (وقد حدثت العديد من المراجعات فعلاً).
- منع المواد الإعلامية والثقافية التحريضية وخطب الجمعة الموجهة ضد اليهود والكيان الصهيوني.
- استخدام وسائل الإعلام والثقافة لتقديم صورة إيجابية عن اليهود والكيان الصهيوني.
- التوقف عن تدريس قضية فلسطين، وعدم الإشارة إلى فلسطين بحدودها التاريخية. وتقديم "إسرائيل" بدلاً عنها ككيان جغرافي مجاور.
- إلغاء روح الجهاد، وإضعاف روح المقاومة والتضحية واعتبارها "إرهاباً".
- فتح المجال للمواد الثقافية اليهودية والرؤى الصهيونية لغزو عقول العرب والمسلمين.

### وفي الجانب الاجتماعي:

- استجلاب الكتب والدوريات والبرامج والأفلام الإسرائيلية الصهيونية، التي تحمل في جنباتها الكثير من الفساد.
- ظهر عدد من الدلائل على قيام المخابرات الإسرائيلية بتعمد ترويح المخدرات في مصر وغيرها.
- تشجيع وتمويل الرحلات واللقاءات الشبابية المختلطة بين الجنسين من عرب ويهود، نشرًا للفساد، وتجنيداً للشباب في الموساد الإسرائيلي.



## سادساً: الحكم الشرعي للتسوية السلمية مع الكيان الإسرائيلي:

تؤكد معظم فتاوى العلماء المسلمين الموثوقين على حرمة التسوية السياسية مع الكيان الإسرائيلي، وقد كان هناك حالة إجماع على إصدار مثل هذه الفتاوى من العلماء المسلمين المشهورين سواء كانوا رسميين أم غيرهم، وقد استمر ذلك حتى سنة 1977، عندما قام السادات بزيارة إلى الكيان الإسرائيلي، حيث صدرت بعض الفتاوى الرسمية من بعض المؤسسات المصرية لدعم موقفه في ضوء المعارضة الشعبية الواسعة في معظم أرجاء العالم الإسلامي. وبشكل عام، لجأت الأنظمة لتبرير مواقفها السياسية لتحصيل فتاوى من علماء موظفين لديها. غير أن التيار العام لعلماء المسلمين غير المرتبط بالخوف على الوظيفة والمصلحة، استمر في تأكيد تحريم التسوية السلمية إلى وقتنا هذا.

وقد صدرت مئات الفتاوى بهذا الصدد منذ قرار الأمم المتحدة بإنشاء الكيان الإسرائيلي. وتحمل الفتاوى عادة المضامين الأساسية نفسها دونما أي اختلاف جوهري. وأبرز هذه المضامين:

1. إن فلسطين أرض عربية إسلامية.
  2. فلسطين ملك لأجيال المسلمين، وليس لأحد حقّ التنازل عنها كائناً من كان.
  3. الجهاد هو طريق التحرير.
  4. اليهود الصهاينة معتدون غاصبون، ولا يجوز إقرار الغاصب على ما اغتصبه.
  5. ضرورة إعادة القضية إلى هويتها الإسلامية، وتعبئة طاقات الأمة باتجاهها.
- ومن نماذج الفتاوى، الفتوى التي أصدرها علماء الأزهر إثر قرار تقسيم فلسطين في 1947/11/29، والتي جاء فيها:

إن قرار هيئة الأمم المتحدة قرار من هيئة لا تملكه، وهو قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة، فلسطين ملك العرب والمسلمين... وليس لأحد كائناً من كان أن ينازعهم فيها أو يمزقها... اعلموا أن الجهاد قد أصبح

فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد  
باء بغضب من الله وإثم عظيم.<sup>30</sup>

وفي كانون الثاني/يناير 1956، أصدرت لجنة الفتوى في الأزهر فتوى تقول إن  
”الصلح مع إسرائيل، كما يريده الداعون إليه، لا يجوز شرعاً لما فيه من إقرار  
الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بأحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين  
المعتدي من البقاء على عدوانه“، وأضافت إن على المسلمين:

أن يتعاونوا جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد  
إلى أهلها...، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا  
السبيل... ومن قصر في ذلك أو فرط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من  
شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية  
من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام... فهو—في حكم الإسلام—مفارق  
جماعة المسلمين ومقترف أعظم الآثام.<sup>31</sup>

وجاء في فتوى شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية الشيخ حسن مأمون:

إن ما فعله اليهود في فلسطين هو اعتداء على بلد إسلامي يتعين على أهله  
أن يردوا هذا الاعتداء بالقوة حتى يُجلوهم عن بلدهم، ويعيدوها إلى حظيرة  
البلاد الإسلامية، وهو فرض عين على كلٍّ منهم، وليس فرض كفاية إذا قام  
به البعض سقط عن الآخرين. ولما كانت البلاد الإسلامية تعتبر كلها داراً لكل  
مسلم فإن فرضية الجهاد في حالة الاعتداء تكون واقعة على أهلها أولاً، وعلى  
غيرهم من المسلمين المقيمين في بلاد إسلامية أخرى ثانياً، لأنهم وإن لم يُعتد  
على بلادهم مباشرة إلا أن الاعتداء قد وقع عليهم بالاعتداء على بلد إسلامي  
هو جزء من البلاد الإسلامية. (...)

الصلح إذا كان على أساس ردّ الجزء الذي اعتدي عليه إلى أهله كان صلحاً  
جائزاً، وإن كان على إقرار الاعتداء وتثبيتته فإنه يكون صلحاً باطلاً، لأنه  
إقرار لاعتداء باطل، وما يترتب على الباطل يكون باطلاً مثله.<sup>32</sup>

<sup>30</sup> فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين (الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي،

1990)، ص 47-50.

<sup>31</sup> المرجع نفسه، ص 53-59.

<sup>32</sup> المرجع نفسه، ص 63-66.



وفي شباط/ فبراير 1968، أصدر العلماء المشاركون في المؤتمر الإسلامي الدولي في باكستان فتوى جاء فيها:

إن الصلح مع هؤلاء المحاربين لا يجوز شرعاً، لما فيه من إقرار الغاصب على غضبه، والاعتراف بأحقية يده على ما اغتصبه. فلا يجوز للمسلمين أن يصلحوا هؤلاء اليهود المعتدين، لأن ذلك يمكنهم من البقاء كدولة في هذه البلاد الإسلامية المقدسة. بل يجب على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهودهم لتحرير هذه البلاد.<sup>33</sup>

وأعدّ د. محمد عثمان شبير دراسة حول هذا الموضوع بعنوان ”حكم الصلح مع اليهود“ سنة 1983، ثم اختصرها على شكل فتوى في تشرين الأول/ أكتوبر 1989 جاء فيها:

أما بعد... فإن الصلح مع اليهود اليوم لا يجوز شرعاً لعدم توفر أي شرط من شروط عقد الصلح فيه. فقد وضع علماؤنا الأمجاد شروطاً ينبغي أن تتوفر في عقد الصلح مع المحاربين من غير المسلمين ومن هذه الشروط:

**الشرط الأول:** أن يتولى عقد الصلح إمام المسلمين أو نائبه، فإن لم يكن فأهل الحل والعقد، ممن تنطبق عليهم المواصفات الشرعية، وإلا اعتبر العقد غير صحيح عند جمهور الفقهاء. وينبغي على إمام المسلمين ألا ينفرد بمثل هذا القرار الخطير، وإنما يجب عليه مراجعة العلماء العاملين الذين نذروا حياتهم لله تعالى ولمصلحة الأمة، وأي قرار يصدر على غير هذه الصفة فلا يصح.

والملاحظ اليوم أن قرار الصلح مع اليهود يتخذ في غياب العلماء المخلصين الحريصين على مصلحة الأمة، فلا يتحقق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

**الشرط الثاني:** أن يتحقق من الصلح مصلحة حقيقية راجحة: كتقوية المسلمين والاستعداد لجولة قادمة.

وبتطبيق هذا الشرط على الصلح مع اليهود اليوم، نجد أنه لن يحقق للعرب والمسلمين مصلحة راجحة، وتكون المكاسب الكبرى في هذا الصلح لصالح اليهود، إذ سيحصلون بموجبه على الاعتراف الدولي الكامل بهم،

<sup>33</sup> المرجع نفسه، ص 69-73.

وهذا بالتالي سيؤدي إلى التغلغل الاقتصادي الصهيوني في المنطقة العربية والإسلامية، ونشر الفساد والانحلال في صفوف شباب الأمة، والقيام بدور الشرطي لضرب أي تحرك عربي وإسلامي صادق، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة.

أما المصلحة التي سيجنيها الشعب الفلسطيني من وراء هذا الصلح، فهي إقامة دولة هزيلة على جزء يسير من أرض فلسطين. فهذه المصلحة تتضاءل أمام المصالح التي يحققها الأعداء من وراء الصلح، فلا يتحقق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

**الشرط الثالث:** أن يخلو عقد الصلح من الشروط الفاسدة، ومثل الفقهاء لذلك باقتطاع جزء من دار الإسلام، وإظهار الخمر والخنازير في دار الإسلام. وبتطبيق هذا الشرط على الصلح مع اليهود نجد أنه لا يتحقق فيه، لأن الصلح يقوم على مبدأ "مقايسة الأرض بالسلام"، أي لا يمكن أن يتحقق الصلح بدون اقتطاع اليهود للجزء الأكبر من فلسطين. ومن جهة ثانية، فإن الصلح سيؤدي إلى اختراق اليهود للمنطقة العربية والإسلامية لنهب ثرواتها، وإفساد شبابها، والقضاء على قوتها العسكرية والمعنوية. فلا يتحقق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

**الشرط الرابع:** أن يكون عقد الصلح مقدراً بمدة معينة، فلا يصح الصلح المؤبد، وبخاصة مع الغاصبين المعتدين على الأعراض والأديان والمقدسات. وبتطبيق هذا الشرط على الصلح مع اليهود اليوم نجد أنهم يريدونه صلحاً دائماً، يتنازل بموجبه المسلمون عن جزء كبير من الأرض المباركة، ولا يجوز لهم أن يطالبوا بذلك الجزء المقطوع فيما بعد. ولضمان ذلك لا بد أن تكون تلك الدولة التي يسعى إليها رموز الفلسطينيين في الخارج منزوعة السلاح أو مرتبطة في اتحاد كوندراي مع الأردن بحيث، لا تقوم لها قائمة في يوم من الأيام. فلا يتحقق هذا الشرط في الصلح مع اليهود اليوم.

فإذا كانت شروط عقد الصلح غير متوفرة في الصلح مع اليهود اليوم فلا يجوز الصلح شرعاً، ولا بد من أن تكون معاملة المسلمين لليهود قائمة على أساس الجهاد، وأنه الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، ويجب على المسلمين أن ينتبهوا جيداً لمخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية، ويحذروا منها



حزراً شديداً، ويخَلُّصوا الأمة من السرطان اليهودي الذي عُرس في جسمها،  
لئلا يستفحل أمره وينتشر خطره.<sup>34</sup>

وعندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية بعقد مجلسها الوطني الـ 19 في منتصف تشرين الثاني/ نوفمبر 1988، واعترفت بالكيان الإسرائيلي وقرار تقسيم فلسطين، ودخلت بشكل حثيث في عملية التسوية السلمية. قام العشرات من كبار علماء المسلمين، والشخصيات الإسلامية المرموقة، وقادة الحركات الإسلامية، بالتوقيع على فتوى في أواخر سنة 1989 بشأن الصلح مع اليهود. وجاءت توقيعات هؤلاء العلماء من 19 بلداً (مصر، وفلسطين، والأردن، وسورية، ولبنان، والعراق، والكويت، وعمان، وتركيا، والهند، وأفغانستان، وماليزيا، وباكستان، والجزائر، والمغرب، والسودان، وتونس، وجزر القمر، وغينيا)، وشارك في التوقيع الشيخ يوسف القرضاوي ومحمد الغزالي وغيرهما... وكانت هذه التواقيع هي ما أمكن جمعه على عجل، دونما حملة منسّقة مستمرة. وقد جاء في الفتوى:

ونحن نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق في بيان الحق، أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين. وليس لشخص أو جهة أن تُقر اليهود على أرض فلسطين أو تتنازل لهم عن أي جزء منها أو تعترف لهم بأي حقٍّ فيها. إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة التي وُكِّل إلى المسلمين المحافظة عليها... إننا نوقن بأن فلسطين أرض إسلامية، وستبقى إسلامية، وسيحررها أبطال الإسلام... كما حررها الفاتح صلاح الدين من دنس الصليبيين...“<sup>35</sup>

وعندما وقَّعت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية اتفاقات أوسلو في أيلول/ سبتمبر 1993، تتالت الفتاوى من علماء المسلمين في معظم بلدان العالم الإسلامي والمهجر بعدم جواز عقد الصلح مع الكيان الصهيوني. وكان أبرزها فتوى وقَّعها

<sup>34</sup> المرجع نفسه، ص 79-81؛ وانظر الدراسات كاملة في: محمد عثمان شبير، حكم الصلح مع اليهود (الكويت: الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين، 1983).

<sup>35</sup> فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، ص 16-24.

معظم العلماء المشار إليهم في الفتوى السابقة مع كثيرين غيرهم. وأصدر علماء فلسطين وعلماء الأردن فتاوى مماثلة.

وقد عكست هذه الفتاوى حقيقة أن التيار السائد بين علماء المسلمين (غير الحكوميين الرسميين، أي غير المحسوبين على الأنظمة التي تدعم "السلام"...) هو تيار رافض للتسوية، ويعتقد بحرمتها من وجهة النظر الشرعية.

وتكمن أهمية هذه الفتاوى في تأثيرها الشعبي الواسع على جماهير المسلمين في العالم، وفي أنها تُمثّل قاعدة انطلاق صلبة للتيارات والحركات الإسلامية التي تتبنى الجهاد طريقاً للتحرير. كما أنها تمثل ركيزة مهمة للوقوف في وجه التطبيع وإقامة أيّ علاقة طبيعية مع الكيان الصهيوني. وبذلك فإنها تسهم في إبقاء وترسيخ حالة العداء، وتُوجد حالة من التوتر الذي يجعل الانفجار في وجه العملية السلمية أمراً محتملاً عندما تنضج الظروف الملائمة له.



## **القسم الرابع**

# **الإخوان المسلمون والعمل الإسلامي المقاوم**



## الفصل الأول

### الإخوان المسلمون ودورهم في المقاومة ضد المشروع الصهيوني حتى 1948

#### أولاً: رؤية الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية:

أسس الشيخ حسن البنا جماعة "الإخوان المسلمين" في آذار/ مارس 1928م الموافق رمضان 1346هـ في مدينة الإسماعيلية في مصر.<sup>1</sup> وقد أراد الشيخ حسن البنا من تأسيس جماعة الإخوان المسلمين إحياء معاني الإسلام الصحيحة في النفوس والالتزام بتعاليمه عقيدة وسلوكاً ومنهج حياة، وبناء الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة، وتخليص البلاد الإسلامية من الاستعمار بكافة أشكاله، وإقامة الخلافة الإسلامية الواحدة على بلاد المسلمين، وسيادة العالم.<sup>2</sup>

وقد اكتسبت جماعة الإخوان المسلمين من خلال هذا الطرح فهماً متكاملًا وشاملاً للطرح الإسلامي، بحيث شمل جوانب الحياة المختلفة، حيث أبدى الإخوان اهتماماً بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجهادية، بالإضافة إلى الجوانب التَّعبدية والعقدية، فهي حسب تعبير مؤسسها الشيخ البنا "دعوة سلفية.. وطريقة سنية.. وحقيقة صوفية.. وهيئة سياسية.. وجماعة رياضية.. ورابطة علمية ثقافية.. وشركة اقتصادية.. وفكرة اجتماعية"<sup>3</sup>، كما عبّر عن هذا الفهم الشعار الذي يرده الإخوان دائماً في لقاءاتهم وأنشطتهم: الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.<sup>4</sup> وهو ما جعل هذه الحركة متفاعلة مع الواقع ومع هموم المسلمين وقضاياهم. وقد عبّر شعاراً: "الجهاد سبيلنا"، و"الموت في سبيل الله أسمى أمانينا" عن رغبة في تحقيق جاهزية نفسية عالية لدى الأفراد في الدفاع عن أرض المسلمين وحمايتها وتحريرها.

<sup>1</sup> حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ط 5 (بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي، 1983)، ص 28.

<sup>2</sup> حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا (القاهرة: دار الشهاب، د. ت.)، ص 271-273.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 156-157.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 271، و 273-274.

## أمة واحدة.. وطن واحد.. همّ واحد:

وقد عدَّ الإمام البنا الوطن الإسلامي وطناً واحداً وأمة الإسلام أمة واحدة. وكان من الطبيعي بناءً على هذا الفهم أن يهتم الإخوان المسلمون بقضايا المسلمين المختلفة، فيذكر الشيخ حسن البنا "إن كل أرض يقال فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله هي جزء من وطننا، له حرمة وقداسته، والإخلاص له والجهاد في سبيل خيره"، ولأن فلسطين كانت أسخن القضايا الإسلامية الحساسة في ذلك الوقت، وما تزال، فقد أولاهما الإخوان المسلمون دائماً "المقام الأوفى في عنايتهم واهتمامهم"<sup>5</sup>.

وقد رأى الإخوان المسلمون أن الوطنية والعروبة والإسلام هي دوائر متكاملة غير متعارضة، وأن الشخص يسعه أن يعمل بكل إخلاص لمصلحة وطنه، ويعمل في الوقت نفسه لعالمه العربي ولعالمه الإسلامي.<sup>6</sup>

وحسب البنا، فإن المسلمين هم:

أشدّ الناس إخلاصاً لأوطانهم... ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية. فهم يعملون لوطن مثل مصر، ويجاهدون في سبيله ويفنون في هذا الجهاد، لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه. كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها، بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامي... وحسب من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التقرّيب في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيده أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا.<sup>7</sup>

## فلسطين.. المكانة والمسؤولية:

وعلى ذلك فإن اهتمام الإمام البنا والإخوان بقضية فلسطين جاء في السياق الطبيعي لفهمهم الإسلامي وفي صميم برنامج عملهم، بل ومحكّ لاختبار مصداقية دعوتهم وجدّية فكرهم. ولذلك يؤكد البنا أن "فلسطين وطنٌ لكلّ مسلم باعتبارها من أرض الإسلام، وباعتبارها مهد الأنبياء، وباعتبارها مقرّ المسجد الأقصى الذي

<sup>5</sup> كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 31.

<sup>6</sup> انظر بتوسع حول هذه الفكرة في: عثمان عبد العز رسلان، التربية السياسية عند الإخوان المسلمين (القاهرة: دار التوزيع الإسلامية، د.ت.)، ص 273-307.

<sup>7</sup> حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ص 180.

بارك الله حوله<sup>8</sup>. ويرى البنا أن "قضية فلسطين هي قضية كل مسلم"<sup>9</sup>. ولفلسطين في تصوّر البنا مكانة خاصة فهي حسب قوله "تحتلّ من نفوسنا موضعاً روحياً قدسياً فوق المعنى الوطني المجرد، إذ تهبّ علينا منها نسيمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصدّيقين، ومهد السيد المسيح عليه السلام، وفي كل ذلك ما ينعش النفوس ويغذي الأرواح"<sup>10</sup>.

### وفلسطين في فهم الإخوان:

أرض وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جداً منها، ولذلك فهي ليست ملكاً للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هي ملك للمسلمين جميعاً... فعلى المسلمين في كل مكان أن يساهموا عملياً في تقديم المال والدم للدفاع عنها.<sup>11</sup>

وفلسطين "قطعة من الجسد الإسلامي العام، ولبنة قيّمة من بنيان الكيان الإسلامي"<sup>12</sup>. ويربط طرح الإخوان بشكل مُحكم بين الإسلام وفلسطين، وهو طرح لا يقرّر فقط المكانة الدينية لفلسطين أو الترابط العاطفي والتاريخي معها، ولكنه يعمل لتحمل مسؤولية العمل والجهاد، ويعدّ التخاذل عن نصرتها تخاذلاً عن نصرّة الإسلام نفسه... ولذلك فحسب الإخوان فإن القول "مالي وفلسطين في هذه الظروف معناه مالي وللإسلام... ليست قضية وطن جغرافي بعينه، وإنما هي قضية الإسلام الذي تدينون به، فما فلسطين إلا قطعة مصابة من الجسد الإسلامي العام، ولبنة مزعزة من لبنات بنيانه، فكل قطعة لا تتألم لألم فلسطين ليست من هذا الجسد، وكل لبنة لا تختلّ لاختلال فلسطين ليست من هذا البنيان"<sup>13</sup>. ويتكرّر هذا الربط المُحكم في

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 150.

<sup>9</sup> حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص 304.

<sup>10</sup> مجلة الإخوان المسلمون، 1947/10/25، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت.)، ص 28.

<sup>11</sup> مجلة الإخوان المسلمون، 1947/10/25، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 29.

<sup>12</sup> جريدة الإخوان المسلمون، 1937/11/5، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 21.

<sup>13</sup> مجلة النذير، 1937/3/25، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 5.

موضع آخر عندما ينصّ الإخوان على القول ”وما الشعب الفلسطيني إلا أُنح لنا، فمن قعد عن فلسطين فقد قعد عن الله ورسوله، وظاهر على الإسلام، ومن أعانها وبذل لها وأمدّها فقد انتصر لله ورسوله ودافع عن الإسلام“.<sup>14</sup>

### مشروع النهضة ومشروع التحرير:

رأى البنا وجوب الجهاد لتحرير فلسطين ونصرة أهلها، وذكر في رسالة بعثها إلى السفير البريطاني في القاهرة ”إن الإخوان سيبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيل بقاء كل شبر من فلسطين إسلامياً عربياً حتى يرث الله الأرض ومن عليها“.<sup>15</sup> وقال في رسالة بعثها إلى رئيس وزراء مصر محمد محمود ”إن الإنجليز واليهود لن يفهموا إلا لغة واحدة، وهي لغة الثورة والقوة والدم“.<sup>16</sup>

عبّر فكر الإمام البنا عن حالة نضج مبكرة ومتقدمة في جدلية العلاقة بين مشروع النهضة الإسلامية وبين تحرير فلسطين. فقد رأى البنا أن حلّ قضية فلسطين سيكون بتلازم حطّي الوحدة والجهاد.<sup>17</sup> فالمشروع بالنسبة له يمكن أن يسيرا جنباً إلى جنب بحيث يسند بعضهما بعضاً ويكمل أحدهما الآخر. إذ إن تحرير فلسطين يستدعي العمل على نهضة الأمة لتستكمل عناصر قوتها ووحدتها، وبالتالي تكون مؤهلة للاستجابة لتحدي التحرير وهزيمة المشروع الصهيوني. وكذلك فإن الجهاد في فلسطين ومقاومة العدو تمثل بحد ذاتها عنصراً مهماً في عملية استنهاض الأمة، وتقديم النماذج، وبثّ معاني الجهاد والعزّة والكرامة، وكشف أعداء الأمة، وفي توحيدها تجاه التحديات الكبرى. ويظهر أن البنا رأى في الخطّين خطان متوازنان يمكن أن يعمل جنباً إلى جنب، فلا يُشترط توقف الجهاد بانتظار الوحدة، أو إقامة الخلافة، ولا يتوقف العمل لتحقيق الوحدة بحجة الانشغال بمشروع الجهاد أو

<sup>14</sup> جريدة الإخوان المسلمون، 1936/6/16، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 21.

<sup>15</sup> النذير، 1938/12/26، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 6.

<sup>16</sup> النذير، 1939/5/31، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 7.

<sup>17</sup> النذير، 1938/10/18، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 38.



التحرير؛ وهو الخط الفكري الذي تطرحه حماس. إذاً، فليس ثمة تعارض بين المشروعين، ولا ينبغي تعطيل مشروع بانتظار إنجاز الآخر. ولذلك نجد في أدبيات الإخوان التي يعود بعضها إلى سنة 1936، أن العمل لقضية فلسطين لن تقف بركته عند تحقيق الوحدة العربية، بل إنها ستحقق أيضاً الوحدة الإسلامية.<sup>18</sup> ورأى البنا أن قضية فلسطين وثورتها كان له أثر كبير طيب على بلدان المسلمين، فعندما قامت الثورة الكبرى في فلسطين سنة 1936 أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى، وقام الفلسطينيون "يُحْسِنون من جديد صناعة الموت". وسرى هذا التيار "من نفس الفئة المجاهدة القليلة في جوار الحرم المقدس إلى شباب الإسلام والعرب". وخاطب البنا أهل فلسطين "أيها الفلسطينيون، لو لم يكن من نتائج ثورتكم إلا أن كشفتم غشاوات الذلة وحجب الاستسلام عن النفوس الإسلامية، وأرشدتم شعوب الإسلام إلى ما في صناعة الموت من لذة وجمال وروعة وربح لكنتم الفائزين".<sup>19</sup>

ويربط البنا بين عدم القدرة على تحرير فلسطين وبين ضعف المسلمين وتخلفهم عن دينهم، وبمعنى آخر فإن عملية التحرير مرتبطة بعملية استنهاض الأمة، فيذكر أن "قضية فلسطين لم تحل، ليس لأن المسلمين لا يقدرّون، بل لأنهم لا يريدون، وهم لا يريدون لأنهم لا يشعرون، وذلك لأنهم مسلمون أذعياء".<sup>20</sup> وبتعبير آخر نُشر في جريدة الإخوان سنة 1937 "لا قيام للباطل إلا في غفلة الحق، وإن أشد ما يمكن لأعدائكم في دياركم قعودكم عن نصره إخوانكم".<sup>21</sup>

وفي سعيه لتشجيع التواصل بين المسلمين والدفع باتجاه مشروع الوحدة، اتصل البنا بعدد من القيادات العربية والإسلامية للحصول على دعمهم لعقد مؤتمر لنصرة فلسطين، وكتب البنا في 1937/10/4 في النذير إنه:

<sup>18</sup> جريدة الإخوان المسلمون، 1936/9/8؛ والنذير، 1939/5/23؛ ومجلة الإخوان المسلمون، 1948/5/22، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 21.

<sup>19</sup> النذير، 1938/7/27، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 37-38.

<sup>20</sup> النذير، 1938/7/27، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 6.

<sup>21</sup> جريدة الإخوان المسلمون، 1938/10/18، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 6.

لا يكفي الاستماع لمطالب الفلسطينيين الشجاعة بتقرير المصير وتحقيق الوعود...، وإنما يجب عقد اجتماع للقادة للاعتراف بحقوق المجاهدين... بهذا المؤتمر نتجه نحو الوحدة والتقدم... أيها المسلمون لا تضيعوا دقيقة دون التحضير للتحريير، ولتكونوا قادرين بعد ذلك على اختيار ميدان المعركة بدل أن تُساقوا كالخراف... أيها المسلمون أنتم تحتاجون القوة وتحتاجون الوحدة التي هي أول خطوة لتحقيق القوة.<sup>22</sup>

وهي رسالة تعبر عن فهم البنا للجمع بين مشروعَي الوحدة والتحريير.

كما أدرك حسن البنا والإخوان خطورة المشروع الصهيوني على نهضة مصر والعالم العربي والنهضة الإسلامية بشكل عام، حيث إن وجود الكيان الصهيوني سيعطل مشروع الوحدة، ويمثل خطراً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً واجتماعياً على المنطقة. ويتحدث الإمام البنا بوضوح حول هذه المسائل فيقول:

نريد أن نؤمن حدودنا الشرقية بحلّ قضية فلسطين حللاً يحقق وجهة النظر العربية أيضاً ويحول دون تغلب اليهود على مرافق هذه البلاد. إن مصر والعالم العربي والإسلامي كله يفتدي فلسطين، فأما مصر فلأنها حدّها الشرقي المتاخم، وأما بلاد العرب فلأن فلسطين قلبها الخافق وواسطة عقدها، ومركز وحدتها، وهي ضنيّة بهذه الوحدة أن تتمزق مهما كانت الظروف، ومهما كلفها ذلك من تضحيات. وأما العالم الإسلامي فلأن فلسطين أولى القبلتين وثاني الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ. وهذه الحقيقة يجب أن تضعها الدول المتحدة نصب عينيها، فصداقة المسلمين والعرب في كفة، ومطامع اليهود في فلسطين في الكفة الأخرى.

نحن نطالب بهذا لأنه تأمين لحدودنا ومصالحة مباشرة لنا، ونطالب به كذلك لأنه حق أمّتين عربيتين في الشرق والغرب، هم منا ونحن منهم، ولن يفرق بيننا شيء.<sup>23</sup>

Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938-1947*<sup>22</sup> (London: Tauris Academic Studies, 1998), p. 81.

<sup>23</sup> حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ص 263-264.



لذلك حذر الإمام البنا المصريين منذ سنة 1938 بأن عدم مساندة الثورة في فلسطين يعني أنهم "سيضطرون إلى أن يدفعوا عن أنفسهم في غائلة الخطر اليهودي الصهيوني بعد أن ترسّخ أقدامه قيد خطوات من الحدود المصرية، وحينئذ لا تنفع الجهود ويصدق علينا المثل السابق (أكلت يوم أكل الثور الأبيض)".<sup>24</sup> ولا تخلو أدبيات الإخوان المسلمين المنشورة في الثلاثينيات والأربعينيات من إشارات إلى الأهمية الاستراتيجية لفلسطين واعتبارها نقطة الاتصال بين البلاد العربية وآسيا وإفريقيا، وإلى أن قيام دولة لليهود في فلسطين يعني أن تكون تلك الدولة قاعدة للاستعمار الغربي، وسلاحاً مسموماً لطعن البلاد العربية، كما أنها تنذر البلاد العربية بالتمزق والتفرق، وتهدها من ناحية الوجود والكيان.<sup>25</sup> كما تحدّث الإمام البنا عن الخطر الاقتصادي الصهيوني وما ينتج عن محاولات اليهود تصريف منتجاتهم في البلاد العربية مما سيؤدي إلى "خراب اقتصادي واضطراب مالي".<sup>26</sup> وبالإضافة إلى ذلك، فقد رأى الإخوان المسلمون أن إقامة الدولة الصهيونية سينتج عنه أيضاً خطر اجتماعي يهدد البلاد العربية بالانحلال لأن الصهيونية ستعمل على نشر الإلحاد والإباحية.<sup>27</sup>

### الموقف من اليهود:

على الرغم من أن الكثير من أدبيات الإسلاميين لم تكن تفرق (إلى سنوات قريبة) بشكل واضح بين معاداة أو محاربة اليهود لكونهم يهوداً وبين معاداة ومقاتلة اليهود المعتدين في فلسطين، إلا أن الإمام البنا ومنذ مرحلة مبكرة جداً قدّم تصوراً واضحاً يفرّق بين اليهود بكونهم أهل كتاب تجري عليهم الأحكام العامة ولهم حقوقهم المعروفة في الفقه الإسلامي، وبين اليهود الصهاينة المعتدين الذين تجب محاربتهم

<sup>24</sup> النذير، 1938/7/18، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 40.

<sup>25</sup> انظر: عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 42.

<sup>26</sup> جريدة الإخوان المسلمين، 1936/8/11، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 42.

<sup>27</sup> جريدة الإخوان المسلمين، 1936/8/11، نقلاً عن عبد الفتاح العويسي، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص 43.

لقيامهم باغتصاب أرض المسلمين وحقوقهم. أي أن قتالهم لا يكون لمجرد كونهم يهوداً، وإنما ينحصر بقتال من قام منهم بالاعتداء على حرمة المسلمين. وقد عبّر البنا عن ذلك أمام لجنة التحقيق البريطانية - الأمريكية في 1946/3/5.<sup>28</sup>

ورفض البنا الظلم الذي تعرض له اليهود في أوروبا، لكنه رفض أن يتحقق إنصافهم عبر ظلم أهل فلسطين والعرب، وذكر البنا "لا شك أننا نتألم لمحنة اليهود تألماً شديداً ولكن ليس معنى هذا أن يُنصَفوا بظلم العرب وأن ترفع عنهم بهلاك غيرهم والعدوان عليه. وفي الأرض مندوحة وفي الأوطان مُتسع".<sup>29</sup>

### الموقف من الاحتلال البريطاني لفلسطين:

رفض الإمام البنا وعد بلفور، ورأى بأن بريطانيا نكثت عهدها للعرب بالحرية والاستقلال (مراسلات الحسين - مكماهون) والتي خاضوا على أساسها الحرب ضدَّ العثمانيين في الحرب العالمية الأولى. كما رفض البنا مشروع تقسيم فلسطين الذي أوصت به لجنة بيل سنة 1937، وعدَّ أن معنى هذا المشروع هو "القضاء على حقوق العرب كلها، ولن يخطر ببال عربي واحد أن يفكر فيه فضلاً عن أن يقبله".<sup>30</sup> وقال البنا إن فلسطين "دينٌ على إنجلترا للمسلمين لا تهدأ ثأرتهم حتى توفيهم فيه حقهم... وإنما ننتهز هذه الفرصة فنذكرها بأن حقوق العرب لا يمكن أن تُنتقص".<sup>31</sup> وعبّر البنا عن سخطه على السياسات القمعية البريطانية ومصادرتها للحريات وإرهاب الأمنين ونفي الزعماء، التي مارستها في أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى، وطالب بإطلاق سراح السجناء وإعادة الزعماء المنفيين وإرجاع الحقوق إلى المجلس الإسلامي الأعلى، وأعلن تضامنه مع الحاج أمين الحسيني زعيم فلسطين وطالب بالسماح له بالعودة، كما حذّر الوفود الإسلامية المشاركة في مؤتمر لندن (شباط/فبراير - آذار/مارس 1939) من المكر والخداع البريطاني.<sup>32</sup>

<sup>28</sup> محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ - رؤية من الداخل 1928-1948 (الإسكندرية، مصر: دار الدعوة، 1983)، ج 1، ص 456.

<sup>29</sup> حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ص 263.

<sup>30</sup> حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص 303-304.

<sup>31</sup> حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ص 150.

<sup>32</sup> انظر: حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص 304؛ وحسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد

حسن البنا، ص 150.



وذكر البنا في مقال له في النذير في 1938/12/6، أنّ المشكلة الحقيقية ليست مع اليهود الذين جاؤوا إلى فلسطين والذين اعتبرهم مجرد سفاكي دماء ومغتصبين قدموا تحت ظلال الرماح والخداع...، المشكلة الحقيقية هي بين العرب مالكي الأرض في فلسطين وبين البريطانيين الذين سيطروا على البلد ووضعوها تحت هذه الظروف.<sup>33</sup> ويعكس هذا الفهم النتيجة نفسها التي وصل إليها العرب في فلسطين إثر ثورة البراق (آب/ أغسطس 1929) وفي مطلع الثلاثينيات من أن بريطانيا هي "أصل الداء وسبب كلّ بلاء"، حيث أخذت معارضتهم وثوراتهم تتركز ضدّ البريطانيين.

وطالب البنا الحكومة المصرية بالضغط على بريطانيا للإفراج عن المعتقلين والاعتراف بحقوق الفلسطينيين كاملة غير منقوصة. وفي مذكرات الدعوة والداعية نضّان لرسالتين رفعهما الإمام البنا إلى رئيس الوزراء المصري علي ماهر بهذا المعنى سنة 1939.<sup>34</sup>

تبني الإمام البنا طرح الحركة الوطنية الفلسطينية فيما يتعلق بمطالب الشعب الفلسطيني من بريطانيا وبحلّ قضية فلسطين. فقد طالب بريطانيا بوقف الهجرة اليهودية وقفاً تاماً، وبإطلاق السجناء، وإعادة المبعدين، وتعويض المتضررين، وباعتراف بريطانيا باستقلال فلسطين استقلالاً تاماً عربية مسلمة، ويمكن أن يكون ذلك بناءً على اتفاق يضمن حقوق العرب، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات.<sup>35</sup>

## ثانياً: جهود الإخوان الأوّلى لنصرة فلسطين:

عندما تحرك الإخوان في مصر لنصرة فلسطين لم يكن هناك اهتمام مصري شعبي أو رسمي ذي بال بالقضية الفلسطينية، ما عدا نشاط بعض الرموز والجمعيات الإسلامية مثل عبد الحميد سعيد زعيم جمعيات الشبان المسلمين، ومحمد رشيد رضا صاحب المنار الذي كان أستاذاً للحاج أمين الحسيني، ومحمد علي علوبة... .

<sup>33</sup> Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938–1947*, p. 47.

<sup>34</sup> حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص 350–361.

<sup>35</sup> المرجع نفسه، ص 304، و360–361.

وقد لاحظ البنا أنه عندما:

ثار الشعب الفلسطيني... كانت الهيئات السياسية والأحزاب في مصر منصرفة كل الانصراف عن مناصرة فلسطين مناصرة جديّة بحكم النعرة الوطنية الخاصة التي لم تكن قد تطورت إلى ذلك الشعور الدفاق بحق العروبة والإسلام. ولم يكن المتحرك لفلسطين أو نحوها من الأقطار الشقيقة في ذلك العهد إلا الهيئات الإسلامية. ومن هنا تقدم الإخوان المسلمون إلى مناصرة فلسطين الثائرة المجاهدة بكل ما فيهم من قوة، ووقفوا على ذلك جهودهم مادياً وأدبياً....<sup>36</sup>

وكان من نماذج السلوك الرسمي السلبي المصري، أن رئيس وزراء مصر محمد محمود عندما سُئل عن سياسته حول قضية فلسطين أجاب في خبر نشرته جريدة الأهرام في 1938/6/20 أنه رئيس وزراء مصر وليس فلسطين. وكان من المفارقات أنه بينما كانت الثورة مشتتة على أشدها في فلسطين 1936-1938، كان ما يزال القنصل المصري في القدس يدعو الزعماء الصهاينة إلى حفلات الاستقبال في الذكرى السنوية لميلاد الملك وفي ذكرى اعتقاله العرش!!<sup>37</sup>

في سنة 1927، أرسل الإمام البنا رسالة دعم وتأييد إلى الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى فيها.<sup>38</sup> تعكس هذه المبادرة اهتمام البنا المبكر بقضية فلسطين وارتباطه النفسي بها وهو ما يزال في الحادية والعشرين من عمره وفي سنة تخرجه من دار العلوم وقبل أن يبدأ حياته العملية. كما أنه من جهة ثانية، أرسل هذه الرسالة قبل نحو عام على تأسيسه الإخوان المسلمين، وهو ما يؤكد أن اهتمامه بفلسطين بعد ذلك من خلال عمل الجماعة لم يكن مجرد برنامج من برامجها أو أداة لكسب الشعبية والرأي العام، وإنما كان اهتماماً أصيلاً صادقاً. ومن ناحية ثالثة، فإن هذه الرسالة أُرسِلت في ظرف لم تكن تشهد فيه فلسطين في تلك الفترة أيّاً من الأحداث الجسام أو الثورات، ولا حتى الحراك السياسي، مما يدلّ على أن الرسالة لم تكن انفعالاً بحدّث بقدر ما كانت انشغالاً بالهمّ الفلسطيني نفسه.

<sup>36</sup> المرجع نفسه، ص 279.

<sup>37</sup> لمزيد من التفصيل حول الموقف المصري، انظر:

Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938-1947*, pp. 21-27.

<sup>38</sup> Ibid., p. 28.



وعندما انعقد المؤتمر الإسلامي العام في القدس في كانون الأول/ ديسمبر 1931 وحضره مندوبون من 22 بلداً، أرسل البنا رسالة تحية وتقدير ومؤازرة للمؤتمرين باسم الإخوان المسلمين. ولا تنحصر أهمية الرسالة في كونها تحمل دلالات الوعي والتفاعل المبكر لجماعة الإخوان مع قضية فلسطين، وإنما في مضمون الرسالة الذي تجاوز المشاعر والمواقف إلى الاقتراحات العملية الممكنة للتنفيذ، والتي تحمل دلالات مهمة على انغماس حقيقي بالقضية. وكان أحد الاقتراحات إنشاء صندوق إسلامي أو شركة لشراء الأراضي الفلسطينية لحفظها وقطع الطريق على شرائها من قبل اليهود. وكان من الطريف أن البنا قدّم باسم الإخوان تبرعاً بقيمة خمسة جنيهات مصرية كبداية لعمل الصندوق مع الاعتذار عن ضآلة المبلغ الذي تمّ تقديمه لإعطاء الفكرة أهميتها وبعدها العملي. واقترح البنا إنشاء لجان للدفاع عن الأماكن المقدسة في كل بلدان العالم الإسلامي، كما اقترح توحيد وتحديث الثقافة الإسلامية، وإنشاء جامعة فلسطينية تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم المعاصرة، وإصدار جريدة إسلامية يومية، واقترح إنشاء مركز إعلامي إسلامي. ولم ينسَ اقتراح استعادة السيطرة على خط الحجاز الحديدي واستكماله لما له من أهمية في ربط المسلمين ببعضهم. وقد أبدى الحاج أمين الحسيني اهتمامه بالرسالة، وفي ردّه على البنا ذكر بأن اللجنة التنفيذية للمؤتمر ستعطي الاقتراحات الاهتمام اللازم.<sup>39</sup>

نلاحظ أن المؤتمر تبني في قراراته بالفعل تأسيس شركة لإنقاذ الأراضي في فلسطين، والمطالبة بتسليم خط السكة الحديدية الحجازية، وإنشاء جامعة باسم جامعة المسجد الأقصى، والتعهد بالدفاع عن إسلامية البراق...<sup>40</sup> وهذا يعني أن عدداً من اقتراحات الإمام البنا قد تمّ اعتمادها، غير أنه من المحتمل أن بعض هذه الاقتراحات قد توافق مع اقتراحات مشابهة قدّمها المشاركون في المؤتمر.

وعندما حدثت انتفاضة تشرين الأول/ أكتوبر 1933 في فلسطين، والتي راح ضحيتها في القدس ويافا 35 شهيداً و255 جريحاً،<sup>41</sup> والتي أصيب فيها زعيم فلسطين موسى كاظم الحسيني، طالب الإمام البنا، في مقال نُشر في جريدة الإخوان

<sup>39</sup> Ibid., pp. 28–30.

<sup>40</sup> بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 246–247.

<sup>41</sup> وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، ص 341–344.

المسلمين في 1933/10/21، بإيقاف الهجرة اليهودية وتنفيذ بريطانيا لوعودها للعرب بحكم أنفسهم، ودعا العالم الإسلامي للضغط بكل ما يملك من وسائل وتقديم الدعم والتبرعات لفلسطين.<sup>42</sup>

ومن الملاحظ أن جماعة الإخوان أخذت تستخدم المناسبات الإسلامية، وخصوصاً الاحتفالات بالإسراء والمعراج للدعاية لقضية فلسطين في سنة 1933 والسنوات التي تلتها. وقبل الثورة الكبرى في فلسطين بنحو عام، دعا الإمام البنا في أثناء انعقاد المؤتمر الشوري الثالث للجماعة في آذار/ مارس 1935 لجمع التبرعات لفلسطين.<sup>43</sup>

اندلعت الثورة الكبرى في فلسطين في منتصف نيسان/ أبريل 1936، واستمرت مرحلتها الأولى حتى تشرين الأول/ أكتوبر 1936، ثم ما لبثت أن انفجرت مرحلتها الثانية في أواخر أيلول/ سبتمبر 1937 واستمرت حتى أواخر سنة 1939. وفي 16 أيار/ مايو 1936 ترأس البنا اجتماعاً للإخوان وقال إنه يخشى أنه إذا ما كانوا بطيئين في مساعدة الفلسطينيين، فإن مقاومتهم لن تحقق أهدافها، وبالتالي "فستحمل المسؤولية أمام الله والتاريخ". ولذلك قرّر المجتمعون إنشاء اللجنة المركزية العامة لمساعدة فلسطين، وتشكّلت من 29 عضواً برئاسة البنا نفسه، وكان من الملفت للنظر مشاركة سبعة من أعضاء مكتب الإرشاد العشرة في عضويتها. وقد نشطت هذه اللجنة في دعم قضية فلسطين بمختلف الوسائل.<sup>44</sup> وفي نهاية أيار/ مايو 1936، شاركت اللجنة في تشكيل اللجنة العليا لمساعدة ضحايا فلسطين، حيث دعت جمعية الشبان المسلمين في القاهرة المنظمات الإسلامية والأفراد لتشكيل هذه اللجنة، وقد مثل الإخوان في هذه اللجنة كل من حسن البنا وحامد عبد الرحمن.<sup>45</sup>

وقد نشط الإخوان المسلمون في الدعاية الإعلامية لقضية فلسطين في مصر نشاطاً كبيراً، ودعوا إلى مشروع "قرش فلسطين" لدعم أهل فلسطين وثورتهم، وطبعوا المنشورات التي تهاجم الإنجليز وسياستهم في فلسطين، وركّزوا في مجلتهم (النذير)

<sup>42</sup> Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938-1947*, p. 31.

<sup>43</sup> Ibid.

<sup>44</sup> Ibid., pp. 35-36. وانظر: حسن البنا، *مذكرات الدعوة والداعية*، ص 280-285.

<sup>45</sup> Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938-1947*, pp. 37-38.



على خدمة قضية فلسطين وإبرازها إعلامياً، واستفادوا من منابر المساجد للدعوة للقضية، وأرسلوا الطلاب في الصيف إلى أنحاء القطر المصري للدعوة للفكر الإسلامي وإلى مساعدة فلسطين، كما دعوا إلى مقاطعة المحلات اليهودية في مصر، ووزعوا كتاب "النار والدمار في فلسطين"، الذي أصدرته اللجنة العربية العليا، بشكل واسع في مصر، فكان له أثر إعلامي عظيم، وقد اعتُقل البنا لفترة وجيزة بسبب توزيع الكتاب.

ودعا البنا وإخوانه إلى القنوات في الصلاة من أجل فلسطين. وجاء في تعميم لمكتب الإرشاد العام، أن نازلة فلسطين من أشد النوازل بالمسلمين جميعاً، وأعظمها وقعاً على قلوبهم، وأشدّها نيلاً من إخوانهم وأوطانهم ونفوسهم.

ولهذا اقترح مكتب الإرشاد أن يقنت المسلمون في الركعة الأخيرة من كل صلاة بعد الركوع قنوتاً يدعون فيه بنصرة أهل فلسطين وخذلان أعدائهم ومناوئتهم، بالصيغة التالية مثلاً: اللهم غياث المستغيثين ونصير المستضعفين انصر إخواننا أهل فلسطين، اللهم فرج كربتهم وأيد قضيتهم واخذل أعداءهم واشدد الوطأة على من ناوهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وارفع مقتك و غضبك عنا يا رب العالمين، وصلّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

كما أرسلوا الرسائل والبرقيات إلى المسؤولين في الدولة وأصحاب النفوذ للتدخل لمساعدة فلسطين، والعمل الجاد على حلّ قضيتها.<sup>46</sup>

وعندما انعقد المؤتمر العربي لنصرة قضية فلسطين في "بلودان" في 1937/9/10، أبرق حسن البنا باسم الإخوان المسلمين في مصر إلى المؤتمر برقية يعلن فيها استعداد جماعة الإخوان المسلمين للدفاع عن فلسطين بدمائهم وأموالهم.<sup>47</sup>

وعندما انعقد المؤتمر البرلماني للبلاد العربية والإسلامية في 1937/10/7، أولاه الإخوان عناية خاصة، وحرصوا على توفير سبل نجاحه على الرغم من أنهم لم يشاركوا في أعماله، حيث لا يملكون أعضاء برلمانيين. وأقام الإخوان حفل استقبال للوفود في مركزهم الرئيسي في القاهرة، حيث ألقى البنا كلمة فيهم، وأرسلت فروع

<sup>46</sup> محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون، ج 1، ص 173-177؛ وحسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص 207-215، و224-226.

<sup>47</sup> أكرم زعيتر، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939: يوميات أكرم زعيتر، ص 322.

الإخوان 13 برقية تدعم المؤتمر وتطالب بإصدار قرارات بحل القضية الفلسطينية بناءً على مطالب العرب.<sup>48</sup>

ونظّم الإخوان وجمعية الشبان المسلمين مظاهرة كبرى في مصر في حزيران/يونيو 1938 لنصرة فلسطين، وقد اصطدمت بالشرطة مما أدى إلى اعتقال 34 من المتظاهرين،<sup>49</sup> كما نظّموا مظاهرة كبرى بمناسبة وعد بلفور في تشرين الثاني/نوفمبر 1938، شملت جميع أرجاء مصر، فكانت تنبيهاً قوياً للشعب المصري على أهمية قضية فلسطين.<sup>50</sup>

كما رحّب البنا بالقادة الفلسطينيين الذين أنهت السلطات البريطانية إبعادهم إلى جزر سيشل (أبعدوا من تشرين الأول/أكتوبر 1937 إلى كانون الأول/ديسمبر 1938)، وسمحت لهم بالعودة إلى مصر، وأقام لهم مكتب الإرشاد حفل استقبال في 1939/1/11.<sup>51</sup> وقد أصبح من الواضح أن مركز الإخوان المسلمين صار ملتقى ومزار القيادات الفلسطينية القادمة إلى القاهرة.

وعندما عقد الإخوان مؤتمرهم الخامس في 1939/2/2، قرّر المؤتمر إرسال تحياته للحاج أمين الحسيني وللمجاهدين ولأعضاء اللجنة العربية العليا. كما تقرر إرسال برقيات للحاج أمين والوفد المصري إلى مؤتمر لندن، ولوزير الخارجية البريطاني بدعم مطالب العرب في فلسطين.<sup>52</sup>

ويبدو أن الإخوان المسلمين المصريين قد شاركوا بشكل محدود في الثورة الكبرى في فلسطين (1936-1939)، فيذكر كامل الشريف أنّ عدداً من شباب الإخوان قد استطاعوا التسلسل إلى فلسطين والاشتراك مع المجاهدين في جهادهم، خصوصاً في مناطق شمال فلسطين،<sup>53</sup> حيث جماعة القسام؛ ويبدو أن المفتي الحاج أمين قد شهد

Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938-1947*, p. 82. <sup>48</sup>

من أوراق أكرم زعيتير، ص 403. <sup>49</sup>

محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون، ص 177. <sup>50</sup>

Abd Al-Fattah El-Awaisi, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938-1947*, p. 84. <sup>51</sup>

Ibid., p. 85. <sup>52</sup>

كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 31. <sup>53</sup>



بصحة هذا الكلام.<sup>54</sup> كما أن في مذكرات محمود عبد الحليم ما يشير إلى اتصال الإخوان بمجاهدي فلسطين والتنسيق معهم،<sup>55</sup> وعلى هذا، فنحن لا نستبعد مشاركة الإخوان بشكل فردي في الثورة الكبرى.

ويذكر الإخوان المسلمون عادة أن أهم أسباب إنشاء الإمام البنا للنظام الخاص داخل جماعة الإخوان هو مشاركة أعضائه في الجهاد لتحرير فلسطين من الانتداب البريطاني، وإفشال المخطط اليهودي في بناء الوطن القومي على أرضها. وقد كان أعضاء هذا النظام، الذي أنشئ في مطلع الأربعينيات، يُختارون من خلاصة الإخوان، وينظمون في عضويته في سرية تامة، ويتم تربيتهم على معاني الجهاد، ويخضعون لتدريبات بدنية شاقة والتدريب على السلاح.<sup>56</sup>

### ثالثاً: نشأة حركة الإخوان في فلسطين:

في سنة 1935، ظهر توجه الإمام البنا لنشر دعوة الإخوان خارج مصر، وكان ذلك إحدى قرارات المؤتمر الشوري الثالث للجماعة في آذار/مارس 1935. وكانت فلسطين هي أول بلد مرشح لتنفيذ هذه المهمة، وفي 3-6/8/1935 زار القياديان في الجماعة عبد الرحمن الساعاتي ومحمد أسعد الحكيم فلسطين، ولقيا ترحيباً هناك من الحاج أمين، حيث قاما بنشر دعوتهم، ثم تابعا سفرهما إلى سورية ولبنان.<sup>57</sup> وخلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، وبتكليف من البنا، زادت زيارات الإخوان لفلسطين، وخصوصاً عبد المعز عبد الستار وسعيد رمضان، وأخذ عدد من أبناء فلسطين ينضمون للإخوان، غير أن تشكيل فروع للإخوان لم يتم، على ما يظهر، إلا بعد انتهاء الحرب، حيث خفّت ظروف القهر والتشديد البريطاني، ونشطت الحركة السياسية الفلسطينية. ويبدو أن أول فروع الإخوان إنشاءً كان فرع غزة برئاسة الشيخ عمر صوّان، ثم تأسس فرع يافا برئاسة ظافر الدجاني، أما فرع القدس فقد أنشئ

<sup>54</sup> ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، ترجمة محمود أبو السعود، تعليق صالح أبو رقيق (إنديانا بوليس، الولايات المتحدة الأمريكية: دار النشر الأمريكية، 1980)، ص 142.

<sup>55</sup> محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون، ص 200-201.

<sup>56</sup> المرجع نفسه، ص 258-260؛ وريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، هامش ص 108.

<sup>57</sup> حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، ص 198-199.

سنة 1945، ثم جرى حفل افتتاح مميز له في 1946/5/5 وحضره الزعيم الفلسطيني جمال الحسيني، وأنشئ فرع حيفا برئاسة الشيخ عبد الرحمن مراد، وتتابع إنشاء الفروع في قلقيلية، واللد، ونابلس، وطولكرم، والمجدل، وسلواد، والخليل، حتى زادت الفروع عن عشرين فرعاً.<sup>58</sup>

أبقى الإمام البنا على متابعته للصيقة لفلسطين، ولم يعامل فرع الإخوان فيها كقطر مستقل تماماً، وقد ظلّ الحضور الإخواني المصري فيها كثيفاً ومتواصلاً، وأشرفوا بأنفسهم على افتتاح عدد من الفروع وخصوصاً في المدن الكبيرة. وقد نشطت جماعة الإخوان في فلسطين في مجالات الدعوة والتربية والتوعية الإسلامية، والتعريف بالخطر الصهيوني، والمؤامرة على فلسطين، والتعبئة للجهاد.

وقد عقد الإخوان الفلسطينيون مؤتمراً عاماً في حيفا في 1946/10/18 حضره ممثلون عن لبنان والأردن. وحملت القرارات أبعاداً تنظيمية داخلية وسياسية محلية وخارجية تؤكد الوعي والتفاعل السياسي مع الأحداث. وقد جاء في القرارات: اعتبار حكومة الاحتلال البريطاني في فلسطين مسؤولة عن الوضع السياسي المضطرب، وتأييد مطالب مصر بالجلء ووحدة النيل، وتأييد المشاريع التي ترمي إلى إنقاذ الأراضي، وعدم الاعتراف باليهود الطارئین على البلاد، وتعميم شعب "الإخوان المسلمين" في فلسطين.<sup>59</sup> وبعد عام من انعقاد المؤتمر السابق، عقد الإخوان المسلمون مؤتمراً آخر كبيراً في حيفا في 1947/10/27، حيث أعلن الإخوان تصميمهم على الدفاع عن بلادهم بجميع الوسائل، واستعدادهم للتعاون مع جميع الهيئات الوطنية في هذا السبيل. كما أعلنوا أن هيئة الإخوان المسلمين ستتحمل نصيبها كاملاً من تكاليف النضال.<sup>60</sup>

ونلاحظ في هذه القرارات مدى جديتها وقوتها ومتابعتها للأحداث السياسية والواقعية، حيث كان للقرارات السياسية نصيب الأسد فيها، كما نلاحظ المضمون الجهادي الذي تمخضت عنه هذه القرارات، والتي كانت متفوقة في مضمونها وطبيعتها عن الاتجاهات السياسية السائدة في تلك الفترة.

<sup>58</sup> انظر: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، ص 438-445.

<sup>59</sup> بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 503.

<sup>60</sup> المرجع نفسه، ص 794.



وقد نشط الإخوان الفلسطينيون في تعبئة الجماهير للجهاد ضدّ الإنجليز واليهود، واعترفت الرواية الإسرائيلية الرسمية لحرب فلسطين 1947-1948 بذلك، حتى إن المؤسسات القومية اليهودية احتجت واشتكت عليهم للسلطات البريطانية.<sup>61</sup> ولكن لا ينبغي المبالغة في قدرة الإخوان الفلسطينيين وإمكاناتهم، إذ كانوا جديدين إلى حدّ ما على الساحة، ولم يبلغ انتشارهم حجماً سياسياً كبيراً يؤهلهم للتأثير في القرار السياسي الفلسطيني المحلي. وكانوا بشكل عام أنصاراً للحاج أمين الحسيني الذي كان صديقاً شخصياً للشيخ حسن البنا. كما أن إمكاناتهم كانت محدودة جداً مقارنة بما لدى اليهود أو بما تحتاجه فلسطين في عملية الدفاع عنها. غير أن هذا لم يمنع أن يمثلوا في تلك الفترة حالة جهادية مضحية واعية، ذات روح وطنية قوية منفتحة.

### رابعاً: دور الإخوان المسلمين في حرب فلسطين 1947/1948:

شارك الإخوان المسلمون الفلسطينيون في الجهاد<sup>62</sup> عندما اندلعت حرب 1947/1948، إلا أن حداثة تنظيمهم وعدم نموه واستقراره بشكل مناسب وقوي جعلت مشاركتهم محصورة ضمن قدراتهم المحدودة وإمكاناتهم المتواضعة.

ومع ذلك فقد شكّلت شعب الإخوان في فلسطين قوات غير نظامية منذ بداية الحرب، عملت في أماكن استقرارها في الشمال والوسط تحت القيادات العربية المحلية هناك (التي تتبع جيش الإنقاذ أو جيش الجهاد المقدس). وقد قامت بغارات ناجحة على مستعمرات اليهود وطرق مواصلاتهم، على الرغم من الضعف الشديد الذي كانت تعانيه سواء في التسليح أم التدريب، ولذلك لا نجد ذكراً رسمياً لدور الإخوان في هذه المناطق بشكل عام. أما في المناطق الجنوبية وخصوصاً غزة وبئر السبع، فقد انضم العديد من إخوان فلسطين إلى قوات الإخوان المصرية الحرة بقيادة كامل الشريف، وشاركوا بقوة وفاعلية في معارك فلسطين هناك. ويذكر كامل الشريف أنّ قوات الإخوان المصرية الحرة كان معدل عددها 200 مجاهد في مناطق جنوب فلسطين،

<sup>61</sup> حرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ص 14.

<sup>62</sup> حول دور الإخوان المسلمين الفلسطينيين في حرب 1947-1948، انظر: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، ص 464-468.

وأنها كان يشاركها الجهاد نحو 800 مجاهد آخر من أبناء فلسطين، تحت قيادتها، حيث إن كثيراً منهم تأثروا بفكر الإخوان المسلمين وأصبحوا منهم.<sup>63</sup>

وكانت أنشط شعب الإخوان مشاركة في الجهاد شعبة الإخوان المسلمين في يافا، وقد كان هناك، تنظيم عسكري سري خاص، ضمن أعضاء الإخوان في يافا، شارك فيه عدد محدود من الإخوان ممن يصلحون لهذا العمل، ولم يكن باقي الإخوان أعضاء فيه أو يعلمون شيئاً عنه، وقد ظهر نشاطه الجهادي مع بداية الحرب. وعندما تشكلت لجنة قومية في يافا مع بدء الحرب، شارك ضمن قيادتها ممثل عن الإخوان المسلمين وهو رئيس الفرع هناك، ظافر راغب الدجاني، وقد ألفت هذه اللجنة لجاناً عديدة لتعنى بمختلف الشؤون في المدينة، وقد أسندت مهمة إدارة اللجنة الاقتصادية لظافر الدجاني، الذي كان يشغل أيضاً رئاسة الغرفة التجارية في المدينة.

وعندما جاء كامل الشريف إلى منطقة يافا مع سرية من شباب الجامعات، تولى هو قيادة مجاهدي الإخوان حيث تجمع تحت قيادته نحو 100 مجاهد،<sup>64</sup> وتولى كامل الشريف قيادة منطقة في يافا اسمها كرم التوت، وتقع بين يافا وتل أبيب، حيث تقع معارك يومية بين المجاهدين واليهود. كما شارك الإخوان المجاهدون في الهجوم على مستعمرة بتاح تكفا، ثم ما لبث كامل الشريف أن انتقل إلى منطقة النقب.

ويذكر عارف العارف أنه كان للإخوان المسلمين في يافا قوات متحركة يبلغ عددها 30 مجاهداً بقيادة حسن عبد الفتاح والحاج أحمد دولة، وكان عندهم 30 بندقية ورشاش و2 ستن Sten Gun، وقد كانوا يهّبون لنجدة المواقع كلما دعت الحاجة.<sup>65</sup> وقد تولى الإخوان في يافا في أثناء الحرب الدفاع عن مناطق البصة وتل الريش والعجمي والنزهة، بالإضافة إلى المحافظة على الأمن داخل المدينة، كما يؤكد على الدور المشرف الذي قام به الإخوان في يافا، حيث كان الالتزام بالإسلام من سماتهم، وكان الدفاع والقتال عن إيمان بالله.

<sup>63</sup> كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 64.

<sup>64</sup> عارف العارف، النكبة، ج 1، ص 227-229.

<sup>65</sup> المرجع نفسه، ج 1، ص 234.



وفي منطقة القدس شارك إخوان فلسطين في القتال مع إخوانهم القادمين من البلاد العربية أو مع قوات الجهاد المقدس.

### دور الإخوان المسلمين المصريين:

تذكر بيان نويهض أن اهتمام الإخوان المسلمين بتحرير فلسطين كان اهتماماً صادقاً ومرتكزاً على الإيمان الديني العميق.<sup>66</sup> ولأن الإخوان في مصر قد أصبحوا في تلك الفترة من أنشط وأقوى الاتجاهات فيها، فقد كان لهم الدور الأكثر قوة من بين إخوان الدول العربية المشاركين في حرب فلسطين.

فقبل إعلان الحرب، قام الإخوان في مصر بمهمة تهيئة الشعب لفكرة الجهاد، وانطلقوا في أرجاء القطر المصري داعين للجهاد في سبيل الله لإنقاذ الأرض المباركة،<sup>67</sup> كما قاموا بالعديد من المظاهرات القوية والتي كان لها أثرها في زيادة وعي الجماهير بقضية فلسطين،<sup>68</sup> وقاموا بحملة لجمع التبرعات لفلسطين، كما أخذوا يجوبون صحراء مصر الغربية لتوفير السلاح من بقايا الحرب العالمية الثانية للجهاد في فلسطين.<sup>69</sup>

وأسهم الإمام البنا في توحيد أكبر منظمتين شبه عسكريتين في فلسطين وهما منظمتا النجادة والفتوة، حيث كان الصراع والتنافس قد احتدم بينهما، واختير باتفاقهما محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين للشؤون العسكرية مسؤولاً عن تنظيم هذه التشكيلات، التي توحدت تحت اسم "منظمة الشباب العربي"، لكن السلطات البريطانية أجبرت لبيب على مغادرة فلسطين.<sup>70</sup>

وفي 1947/10/9، أبرق الشيخ حسن البنا إلى مجلس الجامعة العربية يقول إنه على استعداد لأن يبعث كدفعة أولى عشرة آلاف مجاهد من الإخوان إلى فلسطين، وتقدم

<sup>66</sup> بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 504.

<sup>67</sup> كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 34؛ ومحمد علي الطاهر، معتقل هاكستب:

مذكرات ومفكرات (مصر: المطبعة العالمية، 1950)، ص 61.

<sup>68</sup> انظر مثلاً: محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون، ص 412.

<sup>69</sup> ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، ص 151-152.

<sup>70</sup> كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 33-34؛ ومحمود عبد الحليم، الإخوان

المسلمون، ص 414-415.

فوراً إلى حكومة النقراشي طالباً السماح لفوج من هؤلاء المجاهدين باجتياز الحدود ولكنها رفضت.<sup>71</sup> وفي 15/12/1947 قام الإخوان بمظاهرة كبرى، وممن خطب في هذه المظاهرة رياض الصلح، والأمير فيصل بن عبد العزيز، وجميل مردم بك، وإسماعيل الأزهرى، وقد خطب أيضاً حسن البنا الذي أكد "أن الإخوان المسلمين قد تبرعوا بدماء عشرة آلاف متطوع للاستشهاد في فلسطين... وهم على أتم استعداد لتلبية ندائكم".<sup>72</sup>

بدأ الإخوان المسلمون المصريون بالتوجه فعلاً للجهاد في فلسطين منذ تشرين الأول/ أكتوبر 1947، أي قبل بدء الحرب في فلسطين بأكثر من شهر، وقد سافرت أول كتيبة من الإخوان بإمارة محمد فرغلي وقيادة محمود لبيب،<sup>73</sup> لكن التضيق الشديد من الحكومة المصرية على سفر الإخوان قد جعل مشاركتهم محدودة، وقد اضطر الإخوان للتحايل فاستأذنوا بعمل رحلة علمية إلى سيناء، فأذنت لهم الحكومة بعد إلحاح شديد ومن هناك انطلقوا إلى فلسطين. وأخذ الإخوان يتسللون سراً حيث تجمعوا في معسكر النصيرات، وأخذوا يقومون بالعمليات الجهادية. وبهذا بدأت العمليات الجهادية العسكرية في صحراء النقب، وانضم للإخوان الكثير من المجاهدين من عرب فلسطين، حتى صاروا أضعاف عدد الإخوان أنفسهم فيما بعد. وبدأت حرب عصابات تُبشر بنجاح رائع، إلا أن الحكومة المصرية طلبت من المركز العام للإخوان سحب قواته من النقب، فرفض فقطعت عنهم الحكومة الإمدادات والتموين، وراقبت الحدود، إلا أنهم وجدوا من أبناء فلسطين كل مساعدة وعون.<sup>74</sup>

ولما اشتد الضغط على الحكومة المصرية سمحت للمتطوعين بالمشاركة في الجهاد تحت راية الجامعة العربية، حيث تدرّبوا في معسكر هاكستب Camp Huckstep، وكان يشرف على حركة التطوع محمود لبيب وكيل الإخوان للشؤون العسكرية، وتألّفت ثلاث كتائب من المتطوعين يقدر عددها بـ 600 مقاتل، نصفهم تقريباً من

<sup>71</sup> عارف العارف، النكبة، ج 2، ص 398.

<sup>72</sup> محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون، ص 412.

<sup>73</sup> صلاح شادي، صفحات من التاريخ: حصاد العمر (الكويت: دار الشعاع، 1980)، ص 56.

<sup>74</sup> كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 40-41، و71-74، و126؛ وصلاح شادي، صفحات من التاريخ، ص 63.



الإخوان المسلمين، وقد طبعوا هذه الكتائب بطابعهم الخاص، وكان أبرز قادة هذه الكتائب أحمد عبد العزيز وعبد الجواد طبالة.<sup>75</sup>

ولم يكفِ معسكر هاكستب لاستيعاب المتطوعين، إذ إنَّ المتطوعين كانوا عشرات الأضعاف بالنسبة للمشاركين، فأرسل الإخوان 100 من أفرادهم ليتدربوا في معسكر "قطنا" في سورية، وهم كل ما استطاع المركز العام للإخوان أن يقنع الحكومة المصرية بقبوله.<sup>76</sup>

وقد سافرت هذه الكتيبة عن طريق ميناء بورسعيد في 1948/3/10، وقبل مغادرتها خرجت بورسعيد عن بكرة أبيها لتحيتهم وتوديعهم، وخطب البنا في الجميع، ومما قاله "هذه كتيبة الإخوان المسلمين المجاهدة بكل عددها وأسلحتها تتقدم للجهاد في سبيل الله ومقاتلة اليهود أعداء الإسلام والوطن. ستذهب إلى سوريا حتى تنضم إلى باقي المجاهدين، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، وفي هذا فليتنافس المتنافسون".<sup>77</sup>

وقد استقبلت هذه الكتيبة في سورية استقبلاً شعبياً كبيراً، وكان في مقدمة المستقبلين المراقب العام للإخوان في سورية مصطفى السباعي، وعمر بهاء الدين الأميري، والشيخ محمد الحامد وغيرهم. وفي ظهر يوم الثلاثاء 23 آذار/ مارس سافر حسن البنا إلى دمشق على متن طائرة لتفقد أحوال المتطوعين هناك.<sup>78</sup>

قام الإخوان المسلمون بدور مشرف في حرب فلسطين اعترف لهم به كل من كتب عن هذه الحرب،<sup>79</sup> وكان لهم دور مشهود في جنوب فلسطين في مناطق غزة ورفح وبئر السبع، حيث كانوا يهاجمون المستعمرات ويقطعون مواصلات اليهود. ومن أبرز المعارك التي شاركوا فيها هناك معركة التبة 86 التي يذكر العسكريون أنها هي التي حفظت قطاع غزة عربياً، ومعركة كفار ديروم، واحتلال مستعمرة ياد مردخاي

<sup>75</sup> عارف العارف، النكبة، ج 2، ص 399؛ وكامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 45، و78.

<sup>76</sup> صلاح شادي، صفحات من التاريخ، ص 63.

<sup>77</sup> عباس السيسي، في قافلة الإخوان المسلمين (دم. د.ن.، 1986)، ص 152-153.

<sup>78</sup> المرجع نفسه، ص 153.

<sup>79</sup> زكريا سليمان بيومي، الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية 1928-1948 (القاهرة: مكتبة وهبة، 1979)، ص 131.

Yad Mordechai وغيرها، كما أسهموا بدور مهم في تخفيف الحصار عن القوات المصرية المحاصرة في الفالوجة. كما كان للإخوان المصريين مشاركتهم الفعالة في معارك القدس وبيت لحم والخليل وخصوصاً صور باهر. وكان من أبرز المعارك التي شاركوا فيها في تلك المناطق معركة رامات راحيل Ramat Rachel، واسترجاع مار الياس، وتدمير برج مستعمرة تل بيوت Talpiot قرب بيت لحم، والدفاع عن تبة اليمن التي سميت تبة الإخوان المسلمين نظراً للبطولة التي أبدوها... وغيرها.<sup>80</sup>

ومن طريف ما يرويه عباس السيسي أنه زار مع أحد الضباط معسكر مجاهدي الإخوان المسلمين في البريج، وكان الحارس على بوابة المعسكر فتى لا يتجاوز الثالثة عشر من عمره ومعه بندقية، فسلما عليه وسأله الضابط عن اسمه:

فقال الفتى: قيس.

فقال الضابط: وأين ليلاك يا قيس؟

فقال الفتى بكل ثقة: إن ليلاي في الجنة.

فذهلاً من هذا الرد الذي خشعت له قلوبهما، وكان في هذا الكفاية للتعرف على المعنويات العالية الموجودة داخل المعسكر قبل دخولهما!!<sup>81</sup>

وقد استشهد من إخوان مصر في معارك فلسطين نحو مئة، وجرح نحو ذلك، وأسر بعضهم.<sup>82</sup> وكانت وطأة الإخوان شديدة على اليهود، وقد سئل موشيه ديان بعد الحرب بقليل عن السبب الذي من أجله تجنّب اليهود محاربة المتطوعين في بيت لحم والخليل والقدس فأجاب "إن الفدائيين يحاربون بعقيدة أقوى من عقيدتنا.. إنهم يريدون أن يستشهدوا ونحن نريد أن نبني أمة، وقد جربنا قتالهم فكبدونا خسائر فادحة.. ولذا فنحن نحاول قدر الإمكان أن نتجنب الاشتباك بهم"،<sup>83</sup> ولذلك كان انتقام اليهود من الإخوان رهيباً إذا وقعوا أسرى في أيديهم، فقد كانوا يقتلونهم، ويشوهون أجسامهم.<sup>84</sup>

<sup>80</sup> عن العمليات العسكرية للإخوان بالتفصيل انظر: كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين.

<sup>81</sup> عباس السيسي، في قافلة الإخوان المسلمين، ص 166.

<sup>82</sup> صلاح شادي، صفحات من التاريخ، ص 63.

<sup>83</sup> حلمي سلام، "كان الفدائيون قوة فأضعناها"، مجلة المصور، عدد 1351، 1950/9/1، ص 19.

<sup>84</sup> كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 39-40.



لم يكن حسن البنا سعيداً بأداء الجيوش العربية وهزائمها وتراجعاتها، ولذلك قرر أن يعدّ قوّة ضخمة للدفاع عن القدس، حيث كان اليهود الصهاينة يشنون هجمات عنيفة على مراكز الجيش الأردني فيها، مما خُشي معه أن يستولي اليهود على المدينة المقدسة. وأخبر الشيخُ البنا كاملَ الشريف إنه يجهز قوات كثيفة ليدخل بها فلسطين، وأنه سيعلم الجهاد الديني والتعبئة الشعبية، بعد أن فشلت الحكومات وجامعتها. وكان يسوّق له هذه الأنباء مردداً هذه العبارة ”ما فيش فايده، الناس دول مش عاوزين يحاربوا“، وكان البنا يرمي من وراء ذلك إلى إثارة الشعور الديني في العالم الإسلامي، ودفع الشعوب الإسلامية والحكومات الإسلامية لعمل شيء ما.<sup>85</sup>

### دور الإخوان المسلمين السوريين:

قام الإخوان السوريون بدور مشهود خصوصاً في معارك منطقة القدس وقد تدرّبت كتيبة الإخوان السوريين في معسكر ”قطنا“ ثم سافرت إلى منطقة القدس. وقد شارك من الإخوان السوريين نحو مئة أخ، بقيادة المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية مصطفى السباعي، وقد اشتركوا ببسالة في معارك القدس مثل معركة باب الخليل التي أصيب فيها 35 منهم بجراح، وكان النصر معقوداً فيها للمجاهدين، ومعركة القسطل حيث شارك فيها فوجٌ، منهم عبد القادر الحسيني، ومعركة الحي القديم في القدس، ومعركة القطمون، ونسف الكنيس اليهودي الذي اتّخذه اليهود مقراً حربياً وغيرها.<sup>86</sup>

وكان الدفاع عن مناطق القدس التالية: الشيخ جراح، والمصرارة، وسعد وسعيد، من مسؤولية الأخ عدنان الدبس، وكان الأخوان زهير الشاويش وكامل حتاحت مسؤولين عن الدفاع عن القطمون. كما تألف من الإخوان السوريين فريق لحفظ الأمن والانضباط في المدينة بقيادة الشيخ ضيف الله مراد، ثم انضم إليه بعد انتهاء معارك القطمون الأخ زهير الشاويش، الذي طارد اللصوص والفجار وأغلق الخمارات وأندية القمار، وشعر السكان في المدينة بالأمن والطمأنينة إثر ذلك، وجاء وفد منهم يشكرون الإخوان على جهودهم. أما الإشراف على الاتصال بين المراكز وأمور

<sup>85</sup> كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 213.

<sup>86</sup> انظر: مصطفى السباعي، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين (دم.: دار النذير، 1985)؛ وعارف العارف، النكبة، ج 1، ص 326، و329، و435-437.

السلاح والذخيرة فكان يشرف عليه الأخ لطفي السيروان،<sup>87</sup> وقد استشهد العديد من الإخوان السوريين في أثناء المعارك كما جرح الكثيرون. وذكر السباعي أسماء عشرة منهم في نهاية حديثه عن دور الإخوان السوريين في حرب فلسطين.<sup>88</sup>

### دور الإخوان المسلمين الأردنيين:

تفاعل سكان شرقي الأردن مع حرب فلسطين، وشكّل الإخوان المسلمون هناك لجنة لجمع التبرعات والمساعدات، كما فتحوا باب التطوع للمشاركة في الجهاد، وكان تجاوب الناس رائعاً، فعندما فتح باب التطوع في شعبة السلط سجل أكثر من 3 آلاف شخص أنفسهم.

وتكوّنت من إخوان منطقة عمّان وما حولها سرية متطوعين تضم نحو 120 مجاهداً من الإخوان المسلمين، وسميت باسم سرية أبي عبيدة، وقد تولى قيادتها الإخوانية الحاج عبد اللطيف أبو قورة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن في تلك الفترة، أما قيادتها العسكرية فقد تولّاها الملازم المتقاعد ممدوح الصرايرة، وقد دخلت فلسطين في 14/4/1948 وتمركزت في عين كارم وصور باهر.<sup>89</sup> وقد خاضت هذه السرية عدة معارك واستشهد عدد من أفرادها مثل سالم المسلم وبشير سلطان.<sup>90</sup>

وفي إربد تولى مسؤول شعبة الإخوان هناك السيد أحمد محمد الخطيب قيادة الإخوان فيها في حرب فلسطين، وبلغ مجموع من شارك معه في الجهاد من إخوان إربد وأهلها المتطوعين نحو مئة مجاهد، بحيث كان يشترك في المعركة الواحدة من 20-25 مجاهداً. وكان إخوان إربد يقومون بمهاجمة المستعمرات القريبة من الحدود، ويرجعون إلى إربد ثانية بعد القيام بعملياتهم، وقد استشهد من إخوان إربد شهيداً واحداً، كما أصيب أحمد الخطيب بجراح خطيرة حيث تماثل للشفاء بعد فترة طويلة.

<sup>87</sup> مصطفى السباعي، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ص 27.

<sup>88</sup> المرجع نفسه، ص 28-57.

<sup>89</sup> انظر: سليمان موسى، أيام لا تنسى: الأردن في حرب 1948 (الأردن: مطبعة القوات المسلحة الأردنية، 1982)، ص 44-45.

<sup>90</sup> المرجع نفسه، ص 45.



## دور الإخوان المسلمين العراقيين: <sup>91</sup>

بعد أسبوع واحد من قرار التقسيم، أسهم الإخوان المسلمون في العراق بقيادة الشيخ محمد محمود الصواف بشكل فعال في تأليف "جمعية إنقاذ فلسطين" في بغداد، ولقد لبّى نداء التطوع 15 ألفاً معظمهم ممن تدرب في الجندية أو الشرطة. وكان للإخوان المسلمين في تلك الفترة دور أساسي في تعبئة الجماهير للجهاد، وكانوا على رأس المظاهرات التي خرجت للتنديد بقرار تقسيم فلسطين، والتي اشترك فيها 200 ألف عراقي في بغداد. <sup>92</sup>

وتألف من المتطوعين للجهاد فوجا الحسين والقادسية وسرية المغاوير وغيرها، وكلما تدرب فريق منهم كانت الجمعية ترسله إلى اللجنة العسكرية في دمشق. وفي 1948/1/7 وصلت أول سرية مغاوير إلى دمشق، وبعد أسبوع وصل فوجان آخران مع السلاح والعتاد. وبينما كانت الجمعية تستعد لإرسال فوج جديد، تلقت إنذاراً من اللجنة العسكرية بأن تكف عن إرسال المتطوعين حتى إشعار آخر!! كما أشار رئيس وزراء العراق صالح جبر (بعد أن وقّع معاهدة بورتسموث Portsmouth Treaty) بعدم إرسال أكثر من 500 متطوع، كما أن طه الهاشمي، المفتش العام للجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، قال لرئيس الجمعية "إذا أرسلتم مدداً آخر من المتطوعين أعدتهم إلى بغداد على نفقة الجمعية!!"، فاكتفت الجمعية بعد ذلك بإرسال التبرعات، <sup>93</sup> وقد كان الإخوان من أبرز وأنشط عناصر هذه الجمعية، وقد وصلت كتائبنا الحسين والقادسية من متطوعي العراق (كل واحدة تتكون من 360 مقاتلاً) إلى فلسطين في آذار/ مارس 1948. <sup>94</sup>

كما اشترك ضمن الأفواج التي ذهبت للجهاد الكثير من إخوان العراق الذين قاتلوا ضمن قوات جيش الإنقاذ، ورأوا الكثير من تخاذل وضعف وسوء إدارة قيادته وعلى

<sup>91</sup> حول دور الإخوان المسلمين العراقيين في حرب 1947-1948، انظر: محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد، ص 477-478.

<sup>92</sup> انظر: بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ص 612.

<sup>93</sup> المرجع نفسه، ص 612-613.

<sup>94</sup> حرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ص 221.

رأسه فوزي القاوقجي، إلا أنهم بذلوا ما استطاعوا في المعارك التي شاركوا فيها خصوصاً في شمال فلسطين.<sup>95</sup>

### حلّ الإخوان واغتيال الإمام البنا:

من الصعب الادّعاء بأن حلّ جماعة الإخوان المسلمين في 1948/12/8 واغتيال البنا في 1949/2/12 لم يكن له علاقة بجهد الإخوان في فلسطين، وربما لا تكون مشاركتهم في حرب فلسطين هي السبب الوحيد، لكن القدرة العالية على التعبئة والحشد التي أظهرها الإخوان، والبطولات والتضحيات التي برزت في المعارك والصدامات، بالإضافة إلى الاستعدادات الحقيقية لتحشيد عشرات الآلاف، وهو ما يفوق أعداد بعض الجيوش العربية، كلّ ذلك أثار مخاوف الصهاينة والبريطانيين والعائلة الحاكمة في مصر، خصوصاً إذا ما وجدت احتمالات لتوجيه غضب الشارع المصري ضدّ نظامه الحاكم بسبب تخاذله وضعف أدائه في فلسطين.

لقد دفع الإمام البنا فاتورة حبه لفلسطين والتزامه الصادق بنصرتها وتحريرها، كما دفعت جماعة الإخوان فاتورة جهدها وجهادها في فلسطين. استشهد الإمام البنا، وحلّت الجماعة وتعرّضت للقهر والمطاردة، لكن الجماعة بقيت وسقط النظام الملكي.

ومن الملفت للنظر أنه عندما حلّت الجماعة، ووصلت الأخبار إلى الإخوان المجاهدين في فلسطين، أرسل إليهم البنا يطلب منهم الاستمرار في جهادهم، مؤكداً على أن معركتهم هي في فلسطين. وهكذا كان، ولكن النظام لم يمهلهم ولم يمهلهم، فاغتالوه عليه رحمة الله، وساقوا المجاهدين إلى السجون بدل أن يحظوا بالإجلال والتكريم.

سوف يكتب التاريخ أن الإمام البنا كان من رجال العصر النادرين، الذين أعطوا لفلسطين الكثير: فكرياً، وسياسياً، وإعلامياً، وتعبوياً، وخيرياً، وجهادياً، ومن أبرز من وسّعوا دائرة الاهتمام بها، وجعلوها محطّ أنظار المسلمين. عليه رحمة الله.

<sup>95</sup> لمزيد من المعلومات، انظر: محمد محمود الصواف، معركة الإسلام أو وقائعنا في فلسطين بين أمس واليوم، ص 158-175.



## الفصل الثاني

# التيار الإسلامي الفلسطيني والمقاومة المسلحة

### 1949-1987

#### مقدمة:

شهدت الفترة 1949-1967 غلبة الفكر القومي العربي ونمو الاتجاه الاشتراكي على الساحة العربية، وبرز دور مصر في عهد عبد الناصر فيما يتعلق بفلسطين، بينما لم تكن الهوية الوطنية الفلسطينية قوية بما يكفي لبروزها وانتشارها. أما التيار الإسلامي فقد عانى كثيراً من المطاردة والتضييق، منذ النصف الثاني من الخمسينيات، خصوصاً في مصر، وانحسر دوره السياسي والشعبي في البلاد العربية. وشهدت هذه المرحلة أفول نجم الحاج أمين الحسيني، وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1964. وانتهت المرحلة بهزيمة الجيوش العربية في حرب 1967، وفقدان باقي فلسطين والجولان وسيناء، مما أدى إلى صدمة كبيرة في العالم العربي، واهتزاز الثقة بالأفكار القومية والاشتراكية وبالأنظمة العربية.

#### أولاً: اختراق الحدود وبدائيات العمل المقاوم:

كان ما يزال كثير من الفلسطينيين يقطعون حدود الهدنة، بمبادرات فردية، للقيام بهجمات ضدّ الإسرائيليين أو لمحاولة استحصال بعض أملاكهم وأغراضهم الخاصة. ومع الزمن، اتخذت هذه الهجمات طابعاً أكثر تنظيماً وبدأت تتخذ شكل المقاومة الوطنية. وتشير الإحصاءات الإسرائيلية الرسمية إلى أن حوادث اختراق خطوط الهدنة وصلت إلى 10-15 ألف حادثة سنوياً بعد انتهاء حرب 1948، وأنها وصلت إلى نحو 16 ألفاً سنة 1952، غير أنها مالت إلى الانخفاض التدريجي لتصل إلى نحو 7 آلاف حالة سنة 1953، وليصبح معدلها نحو 4,500 حادثة في سنتي 1954 و1955.<sup>1</sup> ويعود الانخفاض إلى السلوك الإسرائيلي العنيف تجاهها،

<sup>1</sup> Benny Morris, *Israelis Border Wars: 1949-1956* (New York, US: Oxford University Press, 1993), pp. 28 and 411.

وتطور قدرات الجيش الإسرائيلي وإمكاناته، وإلى مجموعة الإجراءات العربية على الحدود لمنع "التسلل"، وبدرجة أقل إلى إنشاء مستعمرات إسرائيلية حدودية. وكان واضحاً أن أغلبية حالات الاختراق كانت سلوكاً فردياً، وأن الأغلبية الأوسع للمتسللين لم تكن مسلحة.<sup>2</sup> وبحسب الباحث الإسرائيلي بني موريس Benny Morris الذي درس ظاهرة "التسلل" هذه، فإن نحو 10% من الحوادث كان مرتبطاً بخلفية سياسية وبعمل المقاومة المسلحة. غير أن ما يمكن أن يطلق عليه دوافع اقتصادية، كان لا يخلو من دوافع سياسية ومن رغبات في الانتقام والثأر، أو أن العديد ممن كان يبدأ الأمر معهم اقتصادياً كان ينتهي بهم إلى تدمير ممتلكات إسرائيلية أو قتل إسرائيليين، وحتى أولئك الذين كانوا يصادرون ممتلكات إسرائيلية كانوا لا يرون أنهم يقومون بـ"السرقه" وإنما بعمل وطني انتقامي.<sup>3</sup>

ووفق إحصائية وزارة الدفاع الإسرائيلية، فقد بلغ عدد القتلى من العسكريين الإسرائيليين في الفترة 1951-1956 ما مجموعه 288 قتيلاً، وعدد القتلى من المدنيين 264 قتيلاً؛ نتيجة حوادث اختراق الحدود، مع عدم احتساب القتلى الإسرائيليين نتيجة احتلال قطاع غزة وسيناء سنة 1956.<sup>4</sup>

وبناء على ذلك يمكن استنتاج أن معدل الاختراق كان بين 12 و44 حادثاً يومياً في الفترة من 1951 إلى 1956، ما يدل على أن خطوط الهدنة كانت ما تزال "رخوة"؛ وأن هناك جرأة في الاختراق بالرغم من المخاطر الكبيرة المحتملة. إذ تشير التقديرات الإسرائيلية إلى قتل 2,700-5,000 متسلل في الفترة 1949-1956، مع التنبيه إلى أن معظم القتلى استشهدوا في الفترة 1949-1951، حيث انخفض المعدل إلى 300-500 سنوياً في الفترة 1952-1956.<sup>5</sup>

وعلى افتراض صحة معدلات الاختراق المشار إليها، وأن تلك المرتبطة بدوافع سياسية وعمل مقاوم كانت في حدود 10%، فمعنى ذلك أنه كان يحدث ما معدله عملية مقاومة واحدة إلى أربع عمليات على الأقل يومياً في الفترة 1949-1956 (بدقة أكثر

<sup>2</sup> Ibid., pp. 411 and 416.

<sup>3</sup> Ibid., p. 49.

<sup>4</sup> Ibid., p. 98.

<sup>5</sup> Ibid., p. 416.



1.2-4.4 عملية يومية). وعلى ذلك، فقد وقّرت الرغبة الواسعة للاجئين الفلسطينيين في المشاركة في العمل الوطني، وفي المقاومة، مع الخبرة الدقيقة بأرضهم المحتلة، أرضية قوية لقوى المقاومة كالإخوان المسلمين أو الجهات المحسوبة على المفتي الحاج أمين الحسيني، لتجنيد هؤلاء والاستفادة منهم في العمل المقاوم. كما لاحظ موريس أنه وإن اتّجهت عدد حالات الاختراق الحدودي إلى الانخفاض، فإن العمل المنظم الموجه لأهداف سياسية قد تزايد؛ الأمر الذي حولها إلى مشكلة عسكرية سياسية إسرائيلية مع مرور الوقت.<sup>6</sup>

## ثانياً: التيار الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة :1967-1949

من ناحية التيار الإسلامي الفلسطيني، فبعد انتهاء حرب 1948 وبداية الخمسينيات، كان الإخوان المسلمون يزدادون قوة ونفوذاً، خصوصاً في قطاع غزة. وفي القطاع أصبح الشيخ عمر صوان، رئيس المكتب الإداري في غزة. وكان مركز قيادة الإخوان حيث المكتب الإداري في حارة الدرج، وهناك 11 شعبة أخرى في الرمال، وحارة الزيتون، والشجاعية، وخان يونس، ورفح، والبريج، والنصيرات، والمغازي، ودير البلح، وبني سهيلة، وبيت لاهيا. وخلال الفترة 1949-1956 كان الإخوان أقوى التيارات، والقوة السياسية الأولى في القطاع.<sup>7</sup>

من الناحية الشعبية، كان للإخوان المسلمين قصب السبق وسط قطاعات الفلسطينيين خلال الفترة 1949-1954 سواء في الضفة أم في القطاع، لما حققوه من سمعة جهادية في حرب 1948، ولما طرحوه من برامج إسلامية وطنية، حيث نعموا بحرية نسبية في مصر حتى 1954، وبأجواء مواتية في الأردن. كما أصبح حزب "التحرير الإسلامي" ظاهرة لا يستهان بها خصوصاً في الأردن في منتصف الخمسينيات، حيث ركّز على العمل السياسي وإقامة الخلافة الإسلامية. ومثّل

<sup>6</sup> Ibid., p. 55.

<sup>7</sup> حول الإخوان المسلمين في قطاع غزة، انظر الفصل الثاني من كتاب: محسن محمد صالح، الإخوان المسلمون الفلسطينيون: التنظيم الفلسطيني - قطاع غزة 1949-1967 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020)، ص 41-99.

الشيوعيون تحدياً شعبياً للتيار الإسلامي، خصوصاً في القطاعات الطلابية والمهنية، بما طرحه من شعارات برّاقة حول معاناة الجماهير، واتّهام الأنظمة بالخيانة والعمالة... إلا أن هذا التيار والتيارات القومية واليسارية الأخرى لم تكن لتقوى على منافسة الإسلاميين، إلا بعد أن سدّد عبد الناصر ضربته القاسية للإخوان، وأخذ يلاحقهم، واستخدم إعلامه القوي في تشويه صورتهم. فأصبح التوجه العام لدى الإخوان والإسلاميين عموماً هو المحافظة على النفس، والانكفاء على الذات بانتظار ظروف أفضل. وكانت أحد نماذج قوة الإسلاميين رابطة طلبة فلسطين في مصر التي كان يفوز بها الإسلاميون أو من يدعمونه حتى سنة 1957، والتي رأسها ياسر عرفات عندما كان طالباً مقرباً من الإخوان.

### ثالثاً: الإخوان المسلمون والمقاومة المسلحة 1949-1955:<sup>8</sup>

لم يكن من المستغرب أن تكون فكرة استئناف العمل العسكري بعد النكبة، حاضرة في نفوس الإخوان المسلمين. وثمة ما يشير إلى أن بدايات عمل المقاومة المنظمة من قطاع غزة ومن الحدود المصرية تعود إلى جهود كامل الشريف. فقد كان الشريف أحد قادة الإخوان المسلمين المصريين، من أبناء سيناء، الذين شاركوا في حرب 1948 في يافا وفي جنوب فلسطين. وقد تمرد كامل ورفاقه من الإخوان ومؤيديهم، على الهدنة بين مصر و"إسرائيل"، والتي عُقدت في آذار/ مارس 1949، وتابعوا القتال، بالرغم من وجود بيئة سياسية وأمنية مصرية تحارب الإخوان وتطاردهم، بعد حظر جماعتهم واغتيال مرشدهم. وكان الشريف ورفاقه يرون أنه إذا ما توقفت الحرب بين الجيوش النظامية، فإن حرب العصابات يجب أن تستمر، حتى تكون الجيوش العربية جاهزة لحرب جديدة. غير أن السلطات المصرية قامت باعتقاله ورفاقه في رفح، ثم أفرجت عنهم في أوائل 1950، واضطر للعودة إلى العريش.

<sup>8</sup> حول المقاومة المسلحة للإخوان المسلمين خصوصاً في قطاع غزة، انظر الفصل الرابع من كتاب: محسن محمد صالح، الإخوان المسلمون الفلسطينيون: التنظيم الفلسطيني - قطاع غزة 1949-1967، ص 159-221.



ظلّ الشريف "مسكوناً" بفكرة الجهاد ضدّ الصهاينة، حيث أقام في مدينة العريش، وأخذ يعيد ترتيب شبكة للمقاومة المسلحة في قطاع غزة ومن الحدود المصرية، تحت المظلة الواسعة للإخوان. ومن الواضح أن كامل الشريف، ابن صحراء سيناء، وبما لديه من خبرة عسكرية ناجحة، قد فاز بثقة قيادة الإخوان في القاهرة، لتكليفه بمهام قتال الإسرائيليين، والتي أضيف إليها مهام قتال الإنجليز في قناة السويس، بعد أن قام رئيس الوزراء المصري النحاس باشا بإلغاء معاهدتي 1899 و1936 مع بريطانيا، في أواخر سنة 1951. وكان يتابعه تنظيمياً عضو مكتب الإرشاد الشيخ محمد فرغلي، والذي كان القائد العام لحملة الإخوان العسكرية في حرب فلسطين 1948.

وبالتنسيق مع كامل الشريف، أنشأ الإخوان المسلمون في قطاع غزة تنظيماً سرياً ذا طبيعة عسكرية، قام بعدد من العمليات بالتنسيق مع بدو النقب وسيناء. وبحسب شهادات أعضاء هذا التنظيم العسكري الخاص، أمثال: محمد الخضري، وفوزي جبر، وخيري الأغا، ومحمد صيام، فإن هذا العمل كان عملاً سرياً منظماً جداً. ولضمان نجاح العمل، لم يكن هذا النشاط موضوعاً تحت إشراف القيادة الرسمية "التقليدية" للإخوان في غزة، ولكن كان له صلة وصل بكامل الشريف في العريش، الذي كانت تتم متابعته تنظيمياً من عضو مكتب الإرشاد الشيخ محمد فرغلي.

وكان محمد أبو سيدو صلة وصلٍ رئيسية بين الشريف وبين القيادات في القطاع، فقد كان يعمل سباً في الجيش المصري في العريش، وكان معتاداً على العودة إلى غزة في عطلة نهاية الأسبوع. وقد وُفّر له ذلك غطاءً مناسباً لتوصيل المعلومات والتعليمات، ابتداءً من رفح مروراً، بخان يونس، ووصولاً إلى مكان إقامته في غزة.

من ناحية تنظيمية، تمّ تقسيم قطاع غزة إلى ثلاث مناطق:

1. غزة: ويتولى قيادتها خليل الوزير (أبو جهاد) وكان من بين مساعديه فوزي جبر، ومحمد الخضري، ومعاذ عابد، وعبد الله أبو مريحيل، وحمد العايدي.
2. الوسطى (خان يونس): ويتولى قيادتها خيري الأغا.
3. الجنوب (رفح): ويتولى قيادتها محمد يوسف النجار؛ وكان يساعده موسى نصار، وتولى إبراهيم عاشور في وقت لاحق القيادة مكان النجار.

ومن بين أعداد كبيرة من الطلاب الإخوان، كان يتم انتقاء دقيق للأفراد بناء على مواصفات محددة خصوصاً أولئك الملتزمون، النشيطون، الكثومون، الذين لا يواجهون مشاكل اجتماعية. وكان عباس السيسي وأبو سيدو يتنقلان بين شعب الإخوان لتجنيد الأعضاء، ولعب أبو جهاد دوراً نشطاً في تجنيد عدة مجموعات من الإخوان.

وكانت إحدى العلامات المشجعة أن هناك المئات من الشباب الفلسطيني ممن تدرب في معسكرات الإخوان، في حرب 1948. واستفاد الإخوان من وجود الضابط الإخواني في الجيش المصري عبد المنعم عبد الرؤوف في القطاع إثر نجاح الثورة المصرية، فسُهل لهم سبل التدريب العسكري. كما وقّر كامل الشريف ورفاقه دعماً لوجستياً للعمل المقاوم، من خلال إنشاء معسكر للتدريب في القصيمة في سيناء، على بعد نحو 86 كم جنوب شرقي العريش، قرب الحدود مع فلسطين المحتلة. وكان محمود الشريف (شقيق كامل) مشرفاً إدارياً ومسؤولاً عن التدريب والاتصال في المعسكر؛ حيث تمّ تدريب المئات من شباب البدو. كما تلقى عدد من الفلسطينيين تدريباً عسكرياً في المعسكرات التي أقامتها الجامعات المصرية بعد تصاعد الأزمة مع الإنجليز في قناة السويس منذ أواخر 1951 وحتى 1954. وكان ياسر عرفات أحد الفلسطينيين الذين تلقوا التدريب على يد مدربي الإخوان في جامعة فؤاد الأول (القاهرة) في تلك الفترة. واستفادت عملية التدريب من غطاء المخيمات الكشفية في التدريب الخشن وشبه العسكري، لتوفير حدٍّ أدنى مرتبط باللياقة البدنية والانضباط والاستعداد الرجولي للتضحية.

وكان معظم السلاح المتوفر سلاحاً خفيفاً يتناسب مع عمليات مقاومة محدودة، وزرع ألغام، ولكن لا يسمح بمواجهات واسعة مباشرة أو طويلة.

وقد تمّ تنفيذ الكثير من العمليات المسلحة تحت إشراف كامل الشريف في النصف الأول من الخمسينيات ضدّ الإسرائيليين. وكانت المخابرات العسكرية المصرية تعتقل أحياناً، ولوقت محدود، بعضاً من رفاق كامل الشريف؛ ومع ذلك، فقد كان هناك مجموعة من الضباط، مرتبطون بشكل عام بالإخوان المسلمين وبالضباط الأحرار، يدعمون هذه العمليات، ويشاركون فيها، وهو ما كان يُسهل عمل المقاومة، ويوفر لها بيئة عمل أفضل. ويشير أبو جهاد، في المقابلة التي أجرتها معه سلوى العمدة، إلى قيامه



وإخوانه بعمليات زراعة ألغام، في المناطق المقابلة لمنطقة المنطار في غزة، وعلى طريق غزة - بئر السبع، وفي مكان متقدم من الطريق إلى المجدل، ومن المجدل إلى الفالوجة. كما كان يتم نسف أنابيب المياه في المستعمرات. وبحسب الوزير فإن العمليات تعددت وتوسعت تدريجياً حتى وصلت إلى منطقة يازور قرب يافا.

نفَّذ عبد الله صيام عمليات من شمال غزة، بينما نفَّذ حمد العايدي عمليات من الوسط، ونفَّذ إبراهيم عاشور عمليات من الجنوب. وكان محمد صيام من بين أولئك الأعضاء المسؤولين عن تزويد عبد الله صيام بالسلاح والذخيرة، وكان من بين هجماتهم الهجوم على محطة القطارات في المجدل.

وكانت عملية "الباص" في 17/3/1954 أحد أشهر العمليات التي تُظهر بعض المؤشرات أن البدو نفَّذوها بالتنسيق مع الإخوان، وأدت إلى مقتل 11 إسرائيلياً قرب بئر السبع بجانب مستعمرة معاليه أكرابيم Ma'ale Akrabim.

وأشار المؤرخ الصهيوني بني موريس بناء على تقارير المخابرات الإسرائيلية إلى أن مجموعة من الإخوان المسلمين كانت نشيطة على طول خطوط قطاع غزة في النصف الثاني من سنة 1954؛ وأنها كانت تقوم بشكل متكرر بتدمير خطوط المياه المؤدية إلى مستعمرات النقب. وقد لاحظت مخابرات الجيش الإسرائيلي أنه في النصف الثاني من 1954 وبداية 1955 خفَّت حوادث اختراق الحدود بعد الإجراءات التي اتخذتها السلطات المصرية، لمنع التسلل، وبعد توجيهها ضربة قاسية لجماعة الإخوان المسلمين.

أسهمت عمليات الإخوان العسكرية في القطاع في إفشال مشروع توطين اللاجئين في سيناء، الذي كانت قد وافقت عليه حكومة الثورة المصرية، ذلك أن كل عملية جهادية كان يعقبها انتقام إسرائيلي، مما أخرج الحكومة المصرية، ودفعها إلى إنشاء الكتبية الفلسطينية. وحتى بعد حظر نشاط الإخوان في القطاع، وتعرضهم للمطاردة، استمروا في عملهم الجهادي السري، وكان لهم دورهم في المقاومة الشعبية للاحتلال الإسرائيلي للقطاع (1956/10/31-1957/3/6). وتحت الاحتلال نظَّم الإخوان إضراباً نجح على نطاق واسع، وقبض الصهاينة على عدد من الإخوان الذين ظلُّوا في السجن حتى انسحاب الصهاينة من القطاع.

غير أن ظروف مطاردة النظام الحاكم في مصر للإخوان واعتقالهم، والإفساح لنشاط الحركات القومية والاشتراكية، بالإضافة إلى هجرة العديد من كفاءات ورموز الإخوان إلى الخارج، وخصوصاً الخليج للعمل، كل ذلك أضعف من قوة حركة الإخوان في القطاع، وهمَّش دورها خصوصاً منذ أواخر الخمسينيات وحتى 1967.

**وفي الضفة الغربية،** التي ضُمت إلى الأردن، تابع الإخوان نشاطهم الذي حافظ على لافته الرسمية، وأنشأوا فروعاً جديدة لهم في الخليل وبيت لحم وجنين وقلقيلية وعنبتا ودورا وصوريف وصور باهر وطوباس وكفر برقة وأريحا، وبعض مخيمات اللاجئين مثل عقبة جبر قرب أريحا والعروب قرب بيت لحم.<sup>9</sup>

مع أواخر سنة 1953، انتقل كامل الشريف إلى الأردن، حيث انتخب نائباً للأمين العام للمؤتمر الإسلامي الذي عُقد في القدس. ويبدو أن الإخوان أرادوا من نقله الاستفادة من موقعه في المؤتمر كغطاء لمتابعة عمله العسكري الجهادي عبر الضفة الغربية. إذ أشرف بنفسه على تحصين الحدود، ودعم حرس الحدود على خطوط الهدنة في الضفة الغربية. وقد تمَّ جمع أموال كثيرة تحت غطاء المؤتمر لتسليح حرس الحدود، وهي قوة رسمية لكنها كانت ضعيفة التسليح والتدريب، وكان جزء كبير من المال يذهب للعمل الفدائي السري الذي يشرف عليه الشريف. وقد حضر الشريف أحد أبرز مدربي الإخوان العسكريين ممن شاركوا في حرب 1948 وهو عبد العزيز علي، وطلب منه تدريب العناصر الفدائية سراً. وفي القدس، قام عبد العزيز بتدريب عدة دفعات بأعداد لا بأس بها من الإخوان، كما قاموا بعمليات ضد الكيان الإسرائيلي، وقد استمر عبد العزيز علي في العمل والتدريب حتى حصلت الضربة الثانية للإخوان في مصر في كانون الأول/ديسمبر 1954 حيث غادر إلى سورية.

وقد تركَّز العمل من منطقتي القدس والخليل. وممن ساعد في العمل العسكري أبناء عبد النبي النتشة في الخليل، وكذلك عبد الرحيم الشريف الذي كان يعمل قاضياً في غزة، وكان له بيت في الخليل، حيث كانت تُرتب عن طريقهم العمليات. غير أن العمليات من سيناء والقطاع كانت أكثر من الضفة الغربية.

Ammon Cohen, *Political Parties in the West Bank under the Jordanian Regime, 1949-1967*<sup>9</sup> (London: Cornell University Press), p. 145.



ويبدو أن ما ذكره خليل الوزير، في ذكرياته عن بدايات العمل المقاوم، حول تفعيل خط المقاومة الواصل بين غزة والخليل في الضفة الغربية، بعد هرب حمد العايدي إلى هناك سنة 1954، هو أمر متصل بنشاط كامل الشريف نفسه، نظراً للعلاقة القوية بينهما. غير أن السلطات الأردنية قامت بطرد كامل الشريف وكذلك عبد العزيز علي،<sup>10</sup> بعد أن انزعج رئيس أركان الجيش الأردني في تلك الفترة جلوب باشا من نشاطهما، غير أنهما عادا للأردن، بعد طرد الملك حسين لجلوب في آذار/ مارس 1956، ولكن العمل العسكري كان قد توقف.

### رابعاً: نشأة حركة فتح:<sup>11</sup>

فرضت حالة التضييق والمطاردة وحملات التشويه الإعلامي ضد التيار الإسلامي، خصوصاً في مصر والقطاع، تساؤلاتٍ أمام شباب الإخوان المسلمين الفلسطينيين المتحمسين، الذين أخذوا يتساءلون عن وسائل العمل الممكنة لتحرير فلسطين. وبالرغم من أن التيار العام وسطهم كان يدعو إلى التريث، والتركيز على الجوانب التربوية والإيمانية، إلا أن تياراً آخر أخذ يتجه للقيام بعمل منظم مسلح، لا يتخذ أشكالاً إسلامية مكشوفة، وإنما يتبنى أطراً وطنية تمكنه من تجنيد قطاعات أوسع من الشباب، ولا تجعله عرضة لعداء الأنظمة وملاحقاتها. وكانت تجربة الثورة الجزائرية في تلك الفترة أحد الحوافز المهمة لهذا العمل.

تشير الدلائل إلى أن جماعة الإخوان المسلمين كانت الحاضنة الأولى لنشأة حركة فتح، وخصوصاً بين أفرادها من أبناء قطاع غزة. ويظهر أن عامة الإخوان كانوا يعدونها في البداية جزءاً منهم، أو على الأقل رصيماً لهم. غير أن الطرفين اتخذا خط الانفصال والتمييز عن بعضهما منذ صيف 1962.

والدارس لنشأة حركة فتح في النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين يلاحظ، وبما لا يدع مجالاً للشك، أن كثيراً من قادة هذا التنظيم العسكري السري

<sup>10</sup> عبد العزيز علي أحد مجاهدي الإخوان المسلمين المصريين في حرب 1948.

<sup>11</sup> حول علاقة الإخوان المسلمين بنشأة حركة فتح، انظر الفصل الخامس من كتاب: محسن محمد صالح، الإخوان المسلمون الفلسطينيون: التنظيم الفلسطيني - قطاع غزة 1949-1967، ص 223-297.

وأعضائه، الذي أنشأه الإخوان في قطاع غزة، أصبحوا من الجيل المؤسس لحركة فتح. وقد أبقى الكثير من قيادات وعناصر التنظيم العسكري الذي أنشأه الإخوان في القطاع على صلاتهم مع بعضهم عندما انتقلوا للدراسة في مصر أو عندما رجعوا إلى القطاع، أو عندما ذهبوا للعمل في الكويت والسعودية وقطر والأردن (بما في ذلك الضفة الغربية). ويظهر أن النقاشات التي تلت تعطل عملهم سنة 1955 وحتى 1957، أوصلتهم إلى قناعة بضرورة إنشاء ما عُرف لاحقاً بـ"فتح". غير أن بؤرة هذا النقاش تركزت على ما يبدو وسط طلاب الإخوان في الجامعات المصرية وبدرجة أقل في قطاع غزة. حيث نجد أسماء أعضاء من الإخوان أصبحوا قيادات بارزة في فتح أمثال: خليل الوزير، وسليم الزعنون، ورياض الزعنون، وغالب الوزير، وسعيد المزين، وعبد الفتاح حمود، ومحمد يوسف النجار، وكمال عدوان، وصلاح خلف، وعبد الله صيام، ومحمد الإفرنجي؛ وانضم إليهم فتحي البلعاوي بعد خروجه من السجن في صيف 1957، كما كان معهم هاشم الخزندار. ومعظم هؤلاء كانوا على صداقة بياسر عرفات.

وحسب خالد الحسن، أحد أبرز قادة فتح، فإن أبا جهاد خليل الوزير هو الذي بدأ حركة فتح، وهو رأي يؤكده عدد من رموز وقيادات الإخوان الفلسطينيين. وكان أبو جهاد من قادة التنظيم الإخواني السري العسكري. أما ياسر عرفات، فثمة شبه إجماع بين الإخوان على أنه لم يكن عضواً في جماعة الإخوان، ولكنه كان قريباً منها. بعد انتهاء الاحتلال الإسرائيلي للقطاع ببضعة أشهر، وتحديداً في صيف 1957، قدّم أبو جهاد تصوراً إلى قيادة الإخوان المسلمين في قطاع غزة؛ يقضي بإنشاء تنظيم لا يحمل لوناً إسلامياً في مظهره، وإنما يحمل شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح، ويقوم بالإعداد لذلك. ونوّه أبو جهاد في مذكرته إلى أن هذا التنظيم سيفتح الأبواب المغلقة بين الإخوان والجماهير، وسوف يفك حصار نظام عبد الناصر للإخوان، وسوف يُبقي قضية فلسطين حية، ويجبر الدول العربية على خوض الحرب. ويبدو أن قيادة الإخوان في غزة لم تأخذ المذكرة مأخذ الجد، فأهملتها ولم تردّ عليها. وعلى ما يظهر فإن التوجه العام للقيادة كان يميل نحو التريث، والسلوك الأمني الحذر، والتركيز على التربية، والمحافظة على الذات، في أجواء ملاحقة النظام المصري، بعد عودته لإدارة القطاع. وربما انعكست طبيعة القيادة والتي تميل لعدم



الدخول في مغامرات تراها غير محسوبة، في بيئة غير مواتية، على النظرة السلبية للمشروع.

وعندما قدم ياسر عرفات وخليل الوزير إلى الكويت سنة 1957، أخذ ينشران فكرة فتح في الوسط الإخواني، وهو وسطهما الطبيعي. وكانا على معرفة بمعظم الخريجين من شباب الإخوان الذين وفدوا إلى الكويت. وكان لوجود اثنين من قيادة التنظيم الإخواني الخاص، هما يوسف عميرة ومحمد أبو سيدو، ممن سبقا خليل الوزير في القدوم للكويت، أثر كبير في تهيئة الظروف المناسبة لنشأة فتح في الوسط الإخواني الفلسطيني في الكويت؛ كما انضم إليهما أخ قيادي ثالث مقيم في الكويت هو سليمان حسن حمد.

ويعترف عبد الله أبو عزة الذي كان في قيادة إخوان غزة، أنّ طرح عناصر فتح كان "منطقياً، وتتولاه عناصر قيادية إخوانية موثوقة". وأنه خلال ثلاث سنوات (1957-1960)، وقبل أن تتوصل قيادة إخوان غزة إلى إجابات وتصورات واضحة، في مقابل طرح فتح، كان الإخوان قد فقدوا أفراداً من أفضل عناصرهم؛ وإن "موثوقية وقيادية دعاة فتح في الإخوان، سهّلت عليهم اقتناص أفراد كثيرين وممتازين من الإخوان".

وكان من أبرز المؤسسين في القطاع من ذوي الخلفية الإخوانية سليم الزعنون، وهاشم الخزندار، وصلاح خلف، وأسعد الصفاطوي، وسعيد المزيّن (أبو هشام)، وغالب الوزير، وفتحي البلعاوي، ورياض الزعنون.

وفي الأردن، بما في ذلك الضفة الغربية، التي تمّ توحيدها مع شرقي الأردن سنة 1950، مثل الإخوان حاضنة مهمة وأساسية لبدایات حركة فتح. وبحسب هاشم عزام، الذي كان من الإخوان الذين انتموا لفتح في أواخر الخمسينيات، فإن قادة الثورة (فتح) في الأردن "كلهم كانوا إخوان مسلمين في البداية". وكان مخيم عقبة جبر قرب أريحا حاضنة أساسية بوجود حمد العائدي (أبو سامي)، وعبد الفتاح حمود، ومحمد يوسف النجار. وفي القدس كان من الإخوان القيايين الذين انضموا لفتح رمضان البنا، الذي كان سكرتيراً لكامل الشريف، وزكريا قنيبي، وموسى غوشة (شقيق إبراهيم غوشة). وفي شرقي الأردن في عمّان كان من رواد الإخوان في

فتح محمد غنيم (أبو ماهر)، ومحمد أبو سردانة، وعبد الله جبر. وأبقى قادة فتح على صلتهم القوية بكامل الشريف.

وشهد بدايات العمل في السعودية سعيد المزيّن، وعبد الفتاح حمود، وسعيد المسحال، وغيرهم. وفي قطر، قاد إنشاء فتح عضو الإخوان القادم من الضفة الغربية رفيق النتشة، وانضم إليه لاحقاً محمد يوسف النجار، وعبد الفتاح حمود، وكمال عدوان، وسعيد تيم، وغيرهم.

وقد تعرّض تنظيم الإخوان الفلسطينيين لهزة كبيرة، بخروج عدد لا يستهان به من عناصره القيادية التي شكّلت حركة فتح، وهي عناصر نوعية تميزت بالكفاءة والحيوية وروح المبادرة؛ ومعظمها كانت قيادات وكوادر أساسية في التنظيم العسكري الخاص، الذي شكّله الإخوان في النصف الأول من خمسينيات القرن العشرين. وقد وفّرت أساليب التنظيم الخاص والتدريب والخبرة العسكرية التي اكتسبتها هذه العناصر، قاعدة مهمة وغنية لإطلاق حركة فتح من حيث انتهى التنظيم الخاص.

إن القراءة المتأنية لسلوك عناصر الإخوان التي شاركت في فتح في السنوات الثلاث الأولى من نشأتها، على الأقل، تشير إلى أن الكثير من هذه العناصر استمر في عضويته في الإخوان، واستفاد من موقعه القيادي والتنظيمي في تجنيد عناصر الإخوان النوعية.

ولم يكن خلاف الإخوان الفلسطينيين مع فتح على فكرة المقاومة والجهاد، ولا على العمل في إطار وطني، وإنما على التوقيت، وإمكانات النجاح، والقدرة على التحكم في مسارات الحركة.

وعلى أي حال، فلا ينبغي للإخوان أن يبالغوا في نسبة حركة فتح إليهم، كما لا ينبغي لحركة فتح أن تنتكر لجذورها وبداياتها الأولى، فإذا كان الإخوان هم المحضن الذي خرجت منه الفكرة وبداياتها الأولى، فإن فتح لم تنشأ بقرار من قيادة الإخوان ولا وفق خططهم، كما أن مشروعها لم يحمل أيديولوجية الإخوان، ولا الضوابط التي تضمن سيره كمشروع يخدم أهدافهم.

غير أن فتح، التي ظلت تركز في تجنيدها على العناصر الإخوانية حتى سنة 1962، انفتحت أكثر على مختلف التيارات وقطاعات الشعب الأخرى، خصوصاً بعد أن أصدرت قيادة الإخوان في القطاع أوامرها بالتمايز إما مع فتح وإما مع الإخوان.



وبشكل عام، رفضت فتح أن يكون لها أيديولوجية أو عقيدة سياسية محددة، وفتحت المجال أمام مختلف الأفراد من كافة الأطياف الفكرية والسياسية (إسلامية، قومية، وطنية، يسارية...) للانضمام إليها، ولهؤلاء أن يحتفظوا بفكرهم، ولكن عليهم ترك انتماءاتهم التنظيمية والحزبية السابقة. أي أن فتح أرادت أن تكون إطاراً جبهوياً يستوعب تناقضات المجتمع الفلسطيني، ويوجهه نحو الحرب مع العدو الصهيوني. وأخذت فتح تصطبغ بصبغة وطنية علمانية شكّلت هويتها العامة إلى وقتنا هذا.

### خامساً: إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف):

كانت الأنظمة العربية تشعر بما تموج به الساحة الفلسطينية من أنشطة سرية وحركات وتنظيمات. وكان الرئيس عبد الناصر يرغب ألا يفلت الزمام من يده، خصوصاً في ظروف الخلافات بين الأنظمة العربية... فأصبح هناك اتجاه يريد استيعاب الفلسطينيين في كيان رسمي معتمد، يسهل التحكم فيه. وفي سنة 1959، اتخذ مجلس الجامعة العربية قراراً دعا إلى إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني، وإبرازه كياناً موحداً بواسطة ممثلين يختارهم الشعب، لكن ذلك ظلّ عرضة للتأجيل والتسويف، حتى وفاة أحمد حلمي عبد الباقي، ممثل حكومة عموم فلسطين لدى الجامعة العربية في سنة 1963.

وبدعم من عبد الناصر، تمّ اختيار أحمد الشقيري ممثلاً لفلسطين مكان عبد الباقي، وكُلف بدراسة القضية الفلسطينية وسبل تحريكها وتنشيطها. وعندما انعقد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة في 13/1/1964، تقرر تكليف الشقيري بالاتصال بالدول الأعضاء والشعب الفلسطيني، ”بغية الوصول إلى القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه، وتقرير مصيره“. ولم يقدّم الشقيري بتقديم تقرير للجامعة حول السبل المقترحة؛ لقناعته بأنه سيكون عرضة لمزيد من المدارس والتأجيل، فقرر وضع البلاد العربية أمام الأمر الواقع. فقام، بدعم مصري، بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، حيث انعقد المجلس الوطني الفلسطيني الأول في القدس في 28/5/1964 بحضور 422 ممثلاً للفلسطينيين، وبرعاية الملك حسين ملك الأردن. وأعلن ميلاد المنظمة رسمياً، وصادق على الميثاق القومي الفلسطيني الذي أكد على الكفاح المسلح لتحرير كل فلسطين، وعدم التنازل عن أي

جزء منها، وانتُخب أحمد الشقيري رئيساً للمنظمة. وقد قرّرت منظمة التحرير تشكيل جيش التحرير الفلسطيني، كما قامت بعدد من الجهود التعبوية والإعلامية. ورُحّب الفلسطينيون بشكل عام بإنشاء المنظمة باعتبارها تمثيلاً للكيان الفلسطينية والهوية الوطنية التي جرى تغييبها سابقاً، وإن كان البعض مثل حركة فتح قد شكّ في خلفيات إنشائها، وقدرتها على القيام بواجباتها.<sup>12</sup>

لم يكن للإخوان دور يُذكر في إنشاء منظمة التحرير، إذ كانوا يعانون في تلك الفترة من أجواء التضيق والمطاردة والاستضعاف، وكان انشغالهم منصباً على الحفاظ على الذات في وجه الهجمة الشرسة الأمنية والسياسية والإعلامية التي تستهدف اجتثاثهم.

### سادساً: فصائل فلسطينية في إطار منظمة التحرير:<sup>13</sup>

بالإضافة إلى حركة فتح، هناك عدد من الفصائل الفلسطينية التي انضمت لمنظمة التحرير الفلسطينية وخصوصاً منذ سنة 1968 وما تلاها. ومن أبرز هذه الفصائل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كانت تُعدُّ بشكل أو بآخر امتداداً للفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، التي نشأت في مطلع الخمسينيات في بيروت؛ وكان من أبرز مؤسسيها جورج حبش، الذي أصبح أميناً عاماً للجبهة منذ إنشائها سنة 1967 وحتى سنة 2000. وكان فرع فلسطين في حركة القوميين العرب قد شكّل في أيار/ مايو 1964 "الجبهة القومية لتحرير فلسطين" وجناحها العسكري "شباب الثأر"، الذي أخذ يمارس منذ تشرين الثاني/ نوفمبر 1964 العمل الفدائي، حيث قدّمت أول شهدائها "خالد أبو عيشة" في 1964/11/2. ولكن يبدو أن هذه البداية كانت متواضعة متقطعة ولم تستمر. وبعد حرب 1967، سعى "إقليم فلسطين" في الحركة إلى تشكيل إطار جهوي، نتج عنه إنشاء "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" في 1967/12/11، واتخذت الجبهة طابعاً يسارياً، حيث أقرّت الجبهة في آب/

<sup>12</sup> حول م.ت.ف انظر: أسعد عبد الرحمن، منظمة التحرير الفلسطينية (نيقوسيا: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، 1985)؛ والموسوعة الفلسطينية، إشراف أحمد المرعشلي (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ج 4، ص 313-325.

<sup>13</sup> محسن محمد صالح، فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ص 396-407.

أغسطس 1968 تبني الماركسية - اللينينية. وبدأت الجبهة المنافس الرئيسي لحركة فتح، ولكن سرعان ما عصف بها انشقاقان كبيران أضعفا قدرتها على العمل الجبهوي واستقطاب الشارع الفلسطيني. وكان الانشقاق الأول هو انسحاب عناصر جبهة التحرير الفلسطينية في تشرين الأول/أكتوبر 1968 بزعامة أحمد جبريل الذي شكّل الجبهة الشعبية - القيادة العامة. أما الانشقاق الثاني فقاده نايف حواتمة في 1969/2/22 والذي شكل الجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين.

أما الجبهة الديمقراطية فتبنت البرنامج السياسي والعقيدة الأيديولوجية نفسها التي تبنتها الجبهة الشعبية في آب/أغسطس 1968، غير أنها كانت أكثر "تطرفاً" في تبني الماركسية - اللينينية، وقد عبّرت عن نفسها من خلال مجلة الهدف. وقامت الجبهة الديمقراطية بعد هذه الأحداث بمراجعة "نقدية" لأدائها. وبالرغم من إصرارها على منهجها الماركسي - اللينيني، إلا أنها أخذت تتبنى سياسيات أكثر "واقعية" تراعي حسب تقديرها ظروف المرحلة وإمكانات الشعب الفلسطيني. وقد تعرّضت الجبهة الديمقراطية للانشقاق عندما خرج عنها ياسر عبد ربه (أحد القياديين البارزين) ومؤيدوه في أواخر الثمانينيات؛ حيث حظي بدعم وتأيد ياسر عرفات، وقد أصبح تنظيمه الذي حمل اسم الجبهة الديمقراطية مقرباً من فتح ثم من السلطة الفلسطينية. وحمل هذا التنظيم اسم "فدا" بعد اتفاقات أوسلو، والتي أيدها إلى جانب فتح.

أما الجبهة الشعبية - القيادة العامة فترجع جذور تشكيلها إلى سنة 1959، عندما أنشأ أحمد جبريل، وهو ضابط فلسطيني مُسرح من الجيش السوري، حركة فدائية صغيرة اسمها "جبهة تحرير فلسطين". وفي منتصف 1965 بدأت عملها العسكري، بعد أن تمكنت من توفير ثلاث مجموعات مقاتلة. وارتقى أول شهيد لها، خالد الأمين، في هجوم على مستعمرة ديشون Dishon في الجليل الأعلى. وعبر برنامجها السياسي الصادر عن مؤتمرها الأول المنعقد في نهاية 1968 عن روح قومية عربية. وفي مؤتمرها الثاني في أيلول/سبتمبر 1969 تبنت بالإجماع الاشتراكية العلمية (الماركسية)، وتبنت برنامجاً سياسياً منطلقاً منها. وعبرت عن نفسها من خلال مجلة "إلى الأمام". ومنذ التسعينيات أخذت الجبهة في نبذ الماركسية، وأخذت تتجه أكثر نحو الخطاب القومي الإسلامي، كما يلاحظ في خطابات أحمد جبريل وإذاعة القدس.

أما الصاعقة، فهي فصيل تمّ تشكيله سنة 1967 بناء على قرار حزب البعث العربي السوري في مؤتمره التاسع بدمشق سنة 1966، وبالطبع فإن هذه المنظمة ذات توجه قومي، يتركز تواجدها في سورية وحيث يكون النفوذ السوري في لبنان. وكانت تعدّ فصيلاً كبيراً في أواخر الستينيات. لكنها عبّرت بشكل عام عن التوجهات الرسمية للحكومة السورية، ولا يكاد يوجد لها تواجد في الداخل الفلسطيني.

تشكّلت جبهة التحرير العربية في نيسان/ أبريل 1969 بتوجيه ودعم من العراق، وانضمت إليها كوادر حزب البعث العربي الموالي للعراق، وتألّفت عناصرها من أفراد من العراق ولبنان والأردن وفلسطين، وتبنت الطرح القومي. ومنذ نشأتها وحتى أحداث أيلول/ سبتمبر 1970 استفادت من تواجد الجيش العراقي في الأردن، ونبعت مواقفها السياسية والعسكرية وغيرها من مواقف العراق، وهي بشكل عام تفتقر كثيراً إلى القاعدة الشعبية.

## سابعاً: تطور المقاومة الفلسطينية 1967-1987:14

كانت أبرز معالم هذه المرحلة:

- هزيمة الأنظمة العربية في 1967، وتراجع المد القومي واليساري.
- ظهور الهوية الوطنية الفلسطينية بقوة، وسيطرة المنظمات الفدائية على منظمة التحرير سنة 1968، والاعتراف بها ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني سنة 1974.
- الاندفاع نحو التسوية السلمية مع الكيان الإسرائيلي على الصعيد العربي، وعقد مصر لاتفاقيات كامب ديفيد Camp David سنة 1979.
- بروز نشاط الكفاح المسلح الفلسطيني ضدّ الكيان الإسرائيلي، وتعرضه لعمليات تصفية وضربة قاسية أدت إلى تحجيمه وإضعافه، خصوصاً إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982.

<sup>14</sup> لمزيد من المعلومات انظر: محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012)، ص 87-90، و93-94.



• تنامي المدّ الإسلامي على الساحة الفلسطينية والعربية والإسلامية، بحيث أصبح الاتجاه الإسلامي الفلسطيني أحد أبرز القوى المؤثرة على الساحة الشعبية. وهذا ينطبق على الساحة العربية، وخصوصاً في الأردن، ومصر، والسودان، والجزائر، والكويت، وتونس، واليمن، كما ينطبق على الساحة الإسلامية بنجاح التجربة الإسلامية في إيران، والتجربة الجهادية في أفغانستان، وتنامي الاتجاه الإسلامي في باكستان وماليزيا وأندونيسيا، وبين الجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا.

بعد هزيمة 1967، اضطرت الأنظمة العربية تفادياً لموجات السخط الشعبي، وتجاوزاً لحالة الإحباط إلى إفساح المجال للعمل الفدائي الفلسطيني، الذي استطاع أن يبني قواعد قوية وواسعة في الأردن ولبنان. واستطاعت التنظيمات الفدائية الفلسطينية بقيادة فتح الوصول إلى قيادة منظمة التحرير التي أصبحت برئاسة ياسر عرفات منذ شباط/ فبراير 1969. وبرز خط الكفاح الشعبي المسلح وحرب العصابات، واكتسبت الشخصية الوطنية الفلسطينية زخماً كبيراً. وتمكنت منظمة التحرير في مؤتمر الزعماء العرب في الرباط في تشرين الأول/ أكتوبر 1974 من الحصول على الاعتراف بها ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني من الدول العربية.

كانت الفترة 1967-1970، هي الفترة الذهبية للعمل الفدائي الفلسطيني حيث كانت حدود الأردن مع فلسطين المحتلة (360 كم) ومع لبنان (79 كم) مفتوحة للعمليات الفدائية. وكانت معركة الكرامة في 1968/3/21، التي وقف فيها الفدائيون الفلسطينيون والقوات الأردنية في مواجهة القوات الإسرائيلية، وكبّدوها خسائر فادحة، نصراً معنوياً ومادياً للمقاومة الفلسطينية. فاندفع عشرات الآلاف للتطوع للقتال، وقد تطور العمل الفدائي الفلسطيني من 12 عملية شهرياً سنة 1967، إلى 52 عملية شهرياً سنة 1968، إلى 199 عملية شهرياً سنة 1969، إلى 279 عملية شهرياً في الأشهر الأولى من سنة 1970.

لكنّ الصدمات العنيفة التي حدثت بين الجيش الأردني والمقاومة الفلسطينية في أيلول/سبتمبر 1970 وفي تموز/يوليو 1971 أدت إلى إخراج العمل الفدائي الفلسطيني من الأردن، وحرمان المقاومة من أهم ساحاتها. غير أن المقاومة الفلسطينية استطاعت أن ترسخ قاعدة نفوذها في لبنان، لكنها اضطرت لخوض صراع عنيف مع الجيش اللبناني لتحقيق ذلك، وانتزعت اتفاق القاهرة في تشرين الثاني/ نوفمبر 1969، الذي

يخولها حق العمل المسلح عبر لبنان. ثم ما لبثت أن وجدت نفسها تدخل في مستنقع الحرب الأهلية اللبنانية، التي اندلعت في 13/4/1975، والتي استمرت 15 عاماً، حيث استهدف قوى انعزالية لبنانية التواجد الفلسطيني وقواه المقاومة بالتحديد. وقد استنزف هذا كثيراً من طاقات المقاومة الفلسطينية ودماء أبنائها، ومصادر دعمها، وأضعف قدرتها على التركيز ضدّ العدو الصهيوني.

ونتيجة لما سبق، فإن معدل العمليات الفدائية من الخارج قد انخفض في السبعينيات، وتراجع إلى حدود متواضعة جداً في الثمانينيات. غير أنه تمّ تنفيذ عدد من العمليات النوعية التي تجدر الإشارة إليها، مثل عملية سافوي التي نفذتها حركة فتح في تل أبيب في 6/3/1975، وأدت إلى مقتل 50 جندياً و50 مدنياً، وعملية كمال عدوان التي نفذتها فتح أيضاً في 11/3/1978، والتي أدت إلى مقتل 37 وجرح 82 إسرائيلياً. وبرزت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مجال اختطاف الطائرات خصوصاً سنة 1970، وفي الهجوم على مطار اللد في 30/5/1972، مما أدى إلى مقتل 31 إسرائيلياً وجرح 80 آخرين. ونفذت الجبهة الشعبية - القيادة العامة عملية الخالصة في 11/4/1974، مما أدى إلى مقتل 18 إسرائيلياً وجرح 15 آخرين، كما نفذت الجبهة نفسها عملية الطائرة الشراعية في تشرين الثاني/نوفمبر 1987. ونفذت الجبهة الديموقراطية عمليات مهمة مثل عملية ترشيحا في 15/5/1974 التي أدت إلى مقتل 27 إسرائيلياً وجرح الكثير، وعمليات بيسان وطبرية وعين زيف والقدس.

وفي آذار/مارس 1978، قام الجيش الصهيوني بعملية اجتياح واسعة للجنوب اللبناني، نجحوا على إثرها في إنشاء حزام أمني لهم داخل الحدود اللبنانية بقيادة سعد حداد، الذي قاد جيش لبنان الجنوبي العميل للصهاينة.

وفي معركة الشقيف في 19/8/1980، حققت المقاومة الفلسطينية نجاحاً كبيراً ضدّ الهجوم الصهيوني، عندما تمكنت من صدّ هجوم إسرائيلي يبلغ 15 ضعف عددها، وقد تكبّد العدو خسائر كبيرة أجبرته على الانسحاب.

وكان اجتياح الجيش الصهيوني للبنان في صيف 1982 هو الأضخم والأعنف، وقد تمكّن من اجتياح الجنوب بسهولة وسرعة نسبية، غير أنه توقف عند أسوار بيروت نحو ثمانين يوماً. أدت حرب 1982 إلى استشهاد وجرح نحو 55 ألف فلسطيني ولبناني، وبالرغم من أن المقاتل الفلسطيني أثبت شجاعته وكفاءته، وبالرغم من أن



الصهاينة فشلوا في سحق الفدائيين وقيادتهم، إلا أنهم نجحوا في تدمير معظم البنية التحتية للعمل الفدائي الفلسطيني. ووجدت منظمة التحرير وفصائلها نفسها بعيدة عن فلسطين، محرومة من العمل العسكري في دول الطوق.

وهكذا، فمنذ سنة 1982 أدى الإنهاك العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى استضعاف سياسي، وكسب أنصار تيار "الواقعية" فيها دفعات جديدة باتجاه تبني الحلول السلمية. وواجهت منظمة التحرير سنوات عجافاً خلال الفترة 1983-1987 انعكست على شكل تراجع في الأداء النضالي المسلح، وفي التأثير والفاعلية السياسية حتى في الوسط العربي نفسه.

### ثامناً: معسكرات الشيوخ:<sup>15</sup>

كانت أولى المشاركات الإسلامية الجهادية الفلسطينية فيما يعرف بـ"معسكرات الشيوخ" في الأردن والتي شكّلها الإخوان المسلمون تحت مظلة فتح سنة 1968، واستمرت في عملها حتى إغلاق معسكرات العمل الفدائي الفلسطيني في الأردن سنة 1970.

وكانت قيادة الإخوان المسلمين قد أصدرت قراراً بفتح معسكرات لتدريب الإخوان ومؤيديهم، حيث استفاد الإخوان من أجواء حرية العمل الفدائي والتأييد الشعبي الهائل له، والذي ظهر خصوصاً بعد هزيمة سنة 1967، غير أنّ الإخوان لم يستطيعوا العمل باستقلالية كاملة نتيجة أجواء العداء ضدّ الإسلاميين التي كانت ما تزال مستمرة، وبالذات من عبد الناصر والقوى اليسارية...، بالإضافة إلى صعوبة التمويل.

<sup>15</sup> حول معسكرات الشيوخ، انظر: محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين، ط 5 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، ص 163-165؛ وغسان محمد دوعر، قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968-1970 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2018).

وقد وافقت حركة فتح على توفير الغطاء لمعسكرات الإخوان، كما التزمت بتقديم التموين والسلاح والذخيرة، بالإضافة إلى مصاريف الأفراد 15 ديناراً للأعزب، و30 ديناراً للمتزوج، وكانت العمليات الفدائية تحدث بالتنسيق معها. بينما كان للإخوان حريتهم الكاملة في تصريف أمور التدريب والانتقاء وشؤونهم الخاصة.

افتتح أول معسكر للشيوخ في منطقة العالوك (باتجاه طريق الزرقاء - السخنة)، وتولّى التدريب صلاح حسن وإبراهيم حسن (وهم أخوان في الدم)، وعبد العزيز علي، وكان ينسّق معهم من جهة إخوان الأردن إسحق الفرحان، وأبو بشير الزميلي. ومن الذين تدربوا في المعسكر أحمد نوفل، وعبد الله عزام، وإبراهيم المشوخي، وذيب أنيس. وشارك في هذه القواعد أفراد من جنسيات عربية مثل فلسطين، والأردن، وسورية، والسودان (نحو سبعة سودانيين)، ومصر، واليمن، ولبنان.

والدفعة الأولى التي تمّ تدريبها كانت من 30-40 رجلاً ذهبوا جميعاً بعد ذلك إلى منطقة إربد، حيث فُتحت لهم قاعدة جهادية. وبلغ عدد الذين تمّ تدريبهم في معسكرات الشيوخ نحو 250-300 رجل من الإخوان المسلمين ومؤيديهم، بينما بلغ عدد القواعد التي أنشئت سبع قواعد.

ومن العمليات البارزة التي نفذتها معسكرات الشيوخ عملية "الحزام الأخضر" في 1969/8/31 بالتعاون مع فتح، حيث استهدفت ثلاث مستعمرات متقاربة هي ياروينا، وبيت يوسف، وبيت يور، وتمّ الهجوم في ليلة واحدة، وكانت أصدائها مدوية. وهناك أيضاً عملية دير ياسين، المشتركة مع فتح، في الجولان ضدّ مستعمرة ناحال هجولان في ليلة 1969/9/14، حيث تمّ تدمير نادي الضباط ومحطة للوقود ومستودعات التموين وسيارات عسكرية إسرائيلية، وقد اعترف الصهاينة بمقتل إسرائيلي واحد و12 جريحاً، غير أن المشاركين في العملية قالوا: إنهم أحصوا نحو ستين قتيلاً إسرائيلياً، وكانت خسائر المجموعة الفدائية شهيداً واحداً وثلاثة جرحى.

أما عملية 1970/6/5، فقد شارك فيها ستة من المجاهدين حيث تصدوا لدبابتين وكاسحة ألغام، وكان موشيه ديان قد أرسل مراسلاً كندياً وآخر أمريكياً ليطوف بهما على الحدود، ويريهما أن العمل الفدائي قد انتهى، ففاجأهم المجاهدون، وجرح الصحفيان، واعترف الصهاينة بـ 12 قتيلاً، ولكن القتلى، كما يذكر الشيخ عبد الله عزام، كانوا أكثر من هذا بكثير. وقد ضجّ الإعلام العربي بهذه العملية، واستشهد



من المجاهدين ثلاثة منهم مهدي الإدلبي من قاعدة بيت المقدس التي يقودها الشيخ عبد الله عزام، وبلال المقدسي من قاعدة غزة.

وحسب عبد العزيز علي، فإن عدد شهداء معسكرات الشيوخ خلال الفترة 1968-1970 بلغ 11 شهيداً، غير أن عبد الله عزام يذكر أن عددهم كان 13 شهيداً، ومن هؤلاء الشهداء رضوان كريشان، ورضوان بلعة الدمشقي، ومحمد سعيد باعباد الضابط اليمني، وأبو الحسن إبراهيم الغزي.

## تاسعاً: اتساع التيار الإسلامي الفلسطيني وتأسيسه الأرضية للمقاومة المسلحة 1967-1987:

في منتصف السبعينيات، بدأ الاتجاه الإسلامي يظهر ويقوى على الساحة الفلسطينية في الداخل والخارج، وأصبحت الفكرة الإسلامية والطرح الجهادي يلقي شعبية متزايدة في الأوساط المختلفة. ومع استمرار الوقت أخذت تتزايد الجمعيات الخيرية الإسلامية ولجان الزكاة والتكافل الاجتماعي، ومن أبرزها المجمع الإسلامي في غزة، كما تضاعفت أعداد المساجد في الضفة وقطاع غزة، وأصبح الكتاب الإسلامي والشريط الإسلامي هما الأكثر رواجاً.

وانتشر التيار الإسلامي في الأردن، والكويت، والسعودية، ولبنان، وبلدان العالم الغربي... وأخذ المسلمون يفوزون في الانتخابات الطلابية منذ أواخر السبعينيات كما في جامعة النجاح في نابلس، وجامعة غزة الإسلامية وغيرهما، وفي جامعات الأردن، كما أخذوا في الانتشار والسيطرة على النقابات المهنية. وبرز التيار الإسلامي الفلسطيني بشكل قوي في جامعة الكويت، حيث أسس خالد مشعل وعدد من رفاقه "قائمة الحق الإسلامية" سنة 1977، ثم أسسوا، بعد تخرجه، "الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين" سنة 1980. ونجح المسلمون الفلسطينيون في ميادين العمل الخيري والاجتماعي والتعليمي مما مكّنهم من تأسيس قاعدة واسعة صلبة، بحيث أصبح التيار الإسلامي، الإخوان المسلمون تحديداً، هو المنافس الأول للتيار العلماني الذي تمثّله فتح والذي تسيطر على منظمة التحرير.<sup>16</sup>

<sup>16</sup> حول التيار الإسلامي في هذه الفترة، انظر: محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، ص 165-168.

قويت الظاهرة الإسلامية في فلسطين المحتلة سنة 1948، وأصبحت تحظى بشعبية متزايدة. وفي سنة 1980، كشف الكيان الإسرائيلي تنظيم "أسرة الجهاد" في قرى المثلث العربي، واعتقل العشرات من أفرادها، أكثر من ستين عنصراً، من قرى أم الفحم وكفر قاسم وقلنسوة وبقعة الغربية، وكان أبرز قياداته فريد أبو مخ والشيخ عبد الله نمر درويش اللذان حُكِم عليهما وعلى رفاقهما بالسجن مُدداً مختلفة. وكان هذا التنظيم قد قام بتدمير العشرات من المرافق الاقتصادية، وإحراق السيارات والمعامل والبساتين الإسرائيلية.<sup>17</sup>

وفي قطاع غزة أصبح الاتجاه الإسلامي أقوى اتجاه في مؤسسات التعليم، وفي العديد من القطاعات، وبرز دور المجمع الإسلامي والشيخ أحمد ياسين، وأصبحت الجامعة الإسلامية بغزة أحد أهم المعامل الإسلامية، وتزايدت أعداد المساجد من 200 مسجد سنة 1967 إلى أكثر من 600 مسجد سنة 1987.

وكانت قد طُرحت في مجلس شورى الإخوان الفلسطينيين، الذي انعقد سنة 1977، فكرة دمج التنظيمات الإخوانية في تنظيمات إقليمية، حيث تتوحد مثلاً تنظيمات الإخوان في الأردن وسورية وفلسطين ولبنان في تنظيم بلاد الشام؛ وقس عليها مصر والسودان وشمال إفريقيا.

وطُرحت الفكرة على مجلس شورى الإخوان في الأردن بوجود رئيس التنظيم الفلسطيني خيرى الأغا ونائبه سليمان حمد، فوافق عليها المجلس بالإجماع. وخلال سنة 1978، حُلَّ مجلسا شورى إخوان الأردن وإخوان فلسطين، وانتُخب مجلس جديد وقيادة جديدة برئاسة محمد عبد الرحمن خليفة، وانضمت تشكيلات الإخوان الفلسطينيين في غزة والكويت والسعودية وقطر والإمارات لهذا التنظيم الذي أطلق عليه بلاد الشام. وبالرغم من أن ظروفاً عملية وموضوعية حالت دون انضمام إخوان سورية ولبنان للتنظيم فإنه حافظ على اسمه.

<sup>17</sup> انظر: زياد محمود علي، عداء اليهود للحركة الإسلامية (عمّان: دار الفرقان، 1982)، ص 100-114؛ وفايز سارة، "الحركة الإسلامية في فلسطين: وحدة الأيديولوجيا وانقسام السياسة"، مجلة المستقبل العربي، عدد 124، حزيران/يونيو 1989، ص 55.



انبثقت عن هذا التنظيم لجنة متخصصة تتابع الشأن الفلسطيني في الداخل، وخصوصاً في الضفة والقطاع. وكان من أبرز العاملين فيها قنديل شاكر وأبو بشير الزميلي، بالإضافة إلى متابعة أمين السر يوسف العظم لأعمالها.

ومن خلال الحوارات والمناقشات، طوّرت الفكرة باتجاه اقتراح جسم مركزي يتابع العمل لفلسطين في الداخل والخارج ويشرف عليه. رُفِع المشروع إلى قيادة الإخوان في الأردن فوافقت على إنشاء هذا الجسم باسم "قسم فلسطين" في سنة 1985، ثم أصبح لاحقاً يُعرف باسم "جهاز فلسطين". وقد وافق خيرى الأغا على قيادته فانطلق العمل فيه بقوة بعد ذلك. وأصبح هذا الجهاز يدير العمل الفلسطيني ويملك صلاحيات واسعة، غير أنه ظلّ ملتزماً بالعمل تحت سقف تنظيم بلاد الشام.

في صيف 1985، اتخذت قيادة الإخوان المعنية بمتابعة العمل لفلسطين قراراً باستغلال أي أحداث للاشتراك في المواجهة ضدّ الاحتلال. وأعطت قيادة العمل في الخارج لقيادة الداخل صلاحية اختيار التوقيت المناسب لإطلاق العمل الإخواني المقاوم، فبدأ يزداد التفاعل، حيث استشهد اثنان من شباب الإخوان في المواجهات التي شهدتها جامعة بيرزيت سنة 1986.<sup>18</sup>

كان للإخوان في الضفة الغربية وقطاع غزة مكتب إداري يدير العمل وينسقه بين المنطقتين. وكان يرأسه الحاج راضي السلايمة، من إخوان القدس، ثم خلفه عبد الفتاح دخان. وفي 1987/10/23 اتخذ المكتب، الذي كان مجتمعاً في بيت حسن القيق، في دورا قضاء الخليل، قراره بإطلاق المقاومة ومواجهة الاحتلال. وكان ذلك بحضور عبد الفتاح دخان وعدنان مسودي وحماد الحسنات وناجي صبحة وإبراهيم اليازوري وحسن القيق نفسه. وقرر المجتمعون أن يتركوا لكل مدينة الخيار في أن تعمل بالكيفية التي تراها مناسبة.<sup>19</sup>

أما بوادر تأسيس الإخوان للجهاز العسكري للعمل الفلسطيني فظهرت في الخارج عندما أرسلت القيادة بعض كوادرها سنة 1980 للتدريب العسكري. وبالتوازي، قام

<sup>18</sup> انظر: محسن محمد صالح، المسار من الإخوان المسلمين الفلسطينيين إلى حماس، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2016/12/29.

<sup>19</sup> بلال محمد (محرر)، إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013)، ص 98.

الشيخ أحمد ياسين، بتأسيس الجهاز العسكري في قطاع غزة، وقاده في مراحل الأولى عبد الرحمن تمارز ثم صلاح شحادة. بيد أن انكشاف أمر التنظيم العسكري عن طريق أحد تجار السلاح المشبوهين أدى إلى ضربه في الفترة 1984/7/1-2/25. وقُبض على الشيخ أحمد ياسين وعدد من رفاقه، وحُكم عليه بالسجن 13 عاماً، غير أنه أُفرج عنه في عملية تبادل الأسرى التي تمت في 1985/5/20، بين المنظمات الفدائية الفلسطينية والكيان الإسرائيلي. وقد أعيد ترميم الجهاز وإعادة بنائه من جديد سنة 1986 تحت اسم "المجاهدون الفلسطينيون"، وبدأت تشكيلات الجهاز العمل قبل انتفاضة 1987، خصوصاً في مجال جمع السلاح وتخزينه وتدريب العناصر. وتأسس الجهاز الأمني للإخوان في قطاع غزة (مجد) سنة 1981، كجزء من العمل العسكري، وأعيد بناؤه وتوسيعه سنة 1985.

من جهة أخرى، شهدت سنة 1980 إنشاء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والتي قام بتأسيسها عدد من الشباب الفلسطيني الدارس في الجامعات المصرية برئاسة الدكتور فتحي الشقاقي رحمه الله. وكان أعضاؤها المؤسسون أفراداً سابقين في الإخوان المسلمين. وكان الشقاقي قد انضم لجماعة الإخوان المسلمين في القطاع بزعامة الشيخ أحمد ياسين سنة 1968، واستمر في أطر الإخوان إلى أواخر السبعينيات.<sup>20</sup>

وحسب فكر حركة الجهاد الإسلامي فإنها جاءت لتعبر عن "الإسلام كمنطق، والجهاد كوسيلة، وفلسطين كهدف للتحرير"، وأنها عندما قامت "كانت قوة تجديد داخل الفكر الإسلامي وداخل الحركة الإسلامية على مستوى الفكرة والمنهج والتنظيم وعلى مستوى الأداء داخل فلسطين".<sup>21</sup> وبشكل عام، فإن الحركة ركزت على المعاني الجهادية وتحرير الوطن، وتنظيم العناصر للقيام بالعمليات العسكرية، وتأثرت بتجربة الجهاد الإسلامي في مصر والتجربة الإيرانية والتجربة القسامية. وحافظت على علاقات متينة بإيران منذ إنشائها وحتى الآن.

وقبل أن يعود الشقاقي إلى فلسطين سنة 1981، كان قد سبقه عدد من إخوانه الذين تخرجوا سنة 1980 من الجامعات المصرية، وبدأوا نشاطهم داخل الأرض

<sup>20</sup> انظر: مقابلة مع الدكتور فتحي الشقاقي، مجلة الوسط، لندن، 1995/11/6.

<sup>21</sup> مجلة الوسط، 1995/1/30.



المحتلة. وقد التحق الشقاقي بمستشفى فكتوريا بالقدس لمدة سنتين إلى أن اعتقل سنة 1983 لمدة عام لإصداره مجلة الطليعة، ثم أعيد اعتقاله سنة 1986 وحكم عليه بالسجن أربع سنوات بتهمة تشكيل تنظيم سري عسكري، ثم أبعد سنة 1988 إلى لبنان حيث عاش سنة واحدة ثم انتقل إلى دمشق.<sup>22</sup>

وقام تنظيم سرايا الجهاد، الذي اندمج مع الجهاد الإسلامي، بتنفيذ عملية باب المغاربة في 1986/10/16، والتي أوقعت نحو ثمانين إصابة في الجنود الإسرائيليين. كما قامت الجهاد الإسلامي بعمليات نوعية جريئة. كما أن أربعة من مجاهدي الحركة، اثنان منهم كانا قد هربا من سجن غزة المركزي في أيار/ مايو 1987، قد قاموا بعدد من العمليات الجهادية إلى أن استشهدوا في عملية الشجاعة في 1987/10/6 في اشتباك مسلح مع القوات الإسرائيلية. وترى الجهاد الإسلامي أن ذلك اليوم 1987/10/6 هو اليوم الأول للانتفاضة المباركة، وقد استمرت طيلة سنوات الانتفاضة تدعو إلى الإضراب الشهري لذكرى بدء الانتفاضة في هذا اليوم من كل شهر.<sup>23</sup> وقد قدّمت نماذج استشهادية متميزة، وهي ما تزال تقف إلى جانب حماس في رفض مشاريع التسوية السلمية وتبني العمل الجهادي المقاوم.

<sup>22</sup> مجلة الوسط، 1995/11/6؛ وانظر: جريدة الأسواق، عمّان، الأردن، 1995/10/30.

<sup>23</sup> مجلة الوسط، 1995/1/30؛ وانظر أيضاً حول حركة الجهاد الإسلامي: زياد أبو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة وقطاع غزة (عكا، فلسطين المحتلة: دار الأسوار، 1989)، ص 111-148.



## الفصل الثالث

# التيار الإسلامي الفلسطيني والمقاومة المسلحة

### 1987-2024

#### أولاً: الانتفاضة المباركة:

عُرِفَت هذه الانتفاضة بـ”الانتفاضة الأولى“، وبـ”الانتفاضة المباركة“، وبـ”انتفاضة أطفال الحجارة“. وعلى الرغم من أنها لم تكن الانتفاضة الأولى إلا أنها كانت علامة فارقة في التاريخ الفلسطيني؛ فمن خلالها انتقل مركز المقاومة من الخارج إلى الداخل. حدثت شرارة الانتفاضة المباركة في يوم 1987/12/9 إثر استشهاد أربعة عمال فلسطينيين في حادث دعس متعمد في اليوم الذي سبقه. وفي مساء يوم ذلك الحادث، اجتمعت قيادة الإخوان في قطاع غزة بحضور الشيخ أحمد ياسين، وإبراهيم اليازوري، وعبد العزيز الرنتيسي، وعبد الفتاح دخان، ومحمد شمعة، وصالح شحادة، وعيسى النشار، وناقشت ما جرى من أحداث، وقرّرت القيادة تصعيد المواجهات في مختلف مناطق القطاع، وهو ما بدأ فعلاً بعد صلاة فجر 1987/12/9 عندما خرجت المظاهرات من مخيم جباليا. وكان اثنان من تيار الإخوان هما أول شهيدين دشناً بدء الانتفاضة المباركة في فلسطين، وهما حاتم أبو سيس ورائد شحادة.<sup>1</sup> وفي 1987/12/14 أصدر الإخوان المسلمون بيانهم الأول باسم حركة المقاومة الإسلامية.<sup>2</sup> وتوالى سقوط الشهداء واتّسعت المظاهرات لتعم أرجاء الضفة والقطاع وليشارك فيها كافة أبناء الشعب.<sup>3</sup> وتميزت هذه الانتفاضة بأربعة مظاهر:

1. أن أهل ”الداخل“ المحتل (الضفة والقطاع) أخذوا زمام المبادرة النضالية الجهادية، بعد أن كانت بيد العمل من ”الخارج“.

<sup>1</sup> انظر: غسان حمدان، الانتفاضة المباركة: وقائع وأبعاد (الكويت: دار الفلاح، 1989)، ص 36-38.  
<sup>2</sup> انظر نصّ البيان في: وثائق حركة المقاومة الإسلامية، سلسلة بيانات الحركة، رقم 1، إعداد المكتب الإعلامي لحماس (د.م.: المكتب الإعلامي لحماس، د.ت.)، ص 17-18.  
<sup>3</sup> غسان حمدان، الانتفاضة المباركة: وقائع وأبعاد، ص 36-38.

2. أن التيار الإسلامي شارك بقوة وعنف وفاعلية، وبرز على ساحة المواجهة بحجم منظم مؤثر.

3. أنها شملت كافة قطاعات الشعب الفلسطيني واتجاهاته وفئاته العمرية.

4. أنها اتّسمت بالجرأة والتضحية، والمشاركة الواسعة للأطفال والفتيان والنساء، وبالمظاهر النبيلة من إيثار وتعاون وشهامة، وبالقضاء على مظاهر العمالة والفساد من خمور ودور لهو... .

وتميّزت المرحلة الأولى من الانتفاضة بالمواجهات الشعبية الواسعة والإضرابات، والمظاهرات، ومقاطعة الإدارة المدنية الصهيونية، وتنظيف المجتمع من العملاء ومروجي الفساد والمخدرات. وبعد نحو أربع سنوات، أخذت تبرز المرحلة الثانية التي شهدت تنامي العمليات المسلحة ضدّ الصهاينة مع تراجع الأنشطة الجماهيرية الواسعة. وقد عدّت حركة فتح وحلفاؤها في منظمة التحرير اتفاقية أوسلو (أيلول/سبتمبر 1993) نهاية للانتفاضة فأوقفت فاعلياتها، أما الجهات الأخرى وخصوصاً حماس والجهاد الإسلامي فقد استمرت في فاعليتهما، بل وصعدتا من عمليتهما الجهادية. غير أن تشكيل السلطة الفلسطينية في الأرض المحتلة في أيار/مايو 1994 أفقد الانتفاضة كثيراً من وهجها، كما أفقدها المشاركة الشعبية الجماهيرية اليومية، فاقنصر الأمر بشكل أكبر على أعضاء الحركات والتنظيمات.

ومن جهة أخرى، عدّت منظمة التحرير الانتفاضة رافعة لها من محاولات العزل والتهميش والتجاوز، فسعت لتوظيف الانتفاضة في تحقيق استراتيجيتها للوصول إلى تسوية سلمية مع الكيان الصهيوني تؤدي إلى انسحابه من الضفة الغربية وقطاع غزة، وإقامة الدولة الفلسطينية على أراضيها. فبعد أسبوعين من بدء الانتفاضة دعت المنظمة إلى إضراب عام في 1987/12/21، وبدأت صور ياسر عرفات وشعارات المنظمة بالظهور. وشكلت المنظمة "القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة" التي شاركت فيها فتح والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية، وصدر بيانها الأول في 1988/1/8<sup>4</sup>.

<sup>4</sup> انظر البيان الأول في: أسعد عبد الرحمن ونواف الزرو، الانتفاضة: مقدمات ونتائج، تفاعلات وآفاق (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1989)، ص 194-195.



وهكذا بدأ يتنازع قيادة الانتفاضة تياران هما التيار الإسلامي وتيار منظمة التحرير الفلسطينية باستراتيجيات مختلفة وأهداف متباينة، ولكن بفعاليات جهادية نضالية متشابهة تقريباً ضدّ العدو، تمثلت في المظاهرات والإضرابات وقذف الصهاينة بالحجارة وقنابل المولوتوف الحارقة... وغيرها. وكانت الجماهير تستجيب لكلا التيارين، وتلتزم بالإضرابات التي يدعون إليها.

وقد قام الكيان الإسرائيلي بإجراءات لا مثيل لها لقمع الانتفاضة، فاستخدم الرصاص الحي، ورصاص الدمدم المحرم دولياً، وأساليب تكسير عظام المتظاهرين، ومختلف أشكال تعذيب الأسرى، ومنع السفر، وقطع المواصلات والاتصالات الهاتفية، ومصادرة الهويات، وهدم المنازل، وقام بمصادرة الأراضي في الضفة والقطاع بوتيرة عالية، وشملت الإجراءات الإسرائيلية الحصار التمويني، وإغلاق الأسواق، وإتلاف المحاصيل الزراعية، ومحاولات كسر الإضرابات التجارية. وتعرضت المؤسسات التعليمية والصحية الفلسطينية لعمليات الإغلاق والمداومة، بالإضافة إلى انتهاك حرمة المساجد.<sup>5</sup>

وحسب إحصائية أعدتها منظمة التحرير الفلسطينية، فإن السنوات الست الأولى للانتفاضة (كانون الأول/ ديسمبر 1987 - كانون الأول/ ديسمبر 1993) قد شهدت استشهاد 1,540 فلسطينياً، وبلغ عدد الجرحى 130 ألفاً، كما اعتقل نحو 116 ألفاً لمدة مختلفة.<sup>6</sup> وكان من بين شهداء الانتفاضة 353 طفلاً دون 16 من العمر.<sup>7</sup>

وتعدّ الانتفاضة المباركة من أروع وأنبّل ما شهده تاريخ فلسطين، بل والتاريخ الإنساني، عندما واجه شعب أعزل بأطفاله ونسائه وشيوخه إحدى أعتى وأقسى القوى في العالم، والمدججة بأحدث أسلحة البطش والدمار. وانشدّ العالم إليه مُعجباً ومبهوراً بـ”العين التي تحدّت المخزّن“، وبالحجر الذي واجه الرصاص والذباب. وكان من أبرز إنجازات الانتفاضة:

<sup>5</sup> انظر مثلاً: جواد الحمد، ”الانتفاضة الكبرى وتطور القضية الفلسطينية“، في جواد الحمد (محرر)، **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، سلسلة دراسات رقم 21 (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997)، ص 407-413.

<sup>6</sup> جريدة صوت الشعب، الأردن، 1993/12/8.

<sup>7</sup> جواد الحمد، ”الانتفاضة الكبرى وتطور القضية الفلسطينية“، ص 410.

- أثبتت للكيان الإسرائيلي فشل كافة أساليبه في تركيع وإذلال الشعب الفلسطيني، وأثبتت للعالم أن هناك شعباً مظلوماً، أرضه محتلة، ويريد أن يعيش حراً مستقلاً.
- فضحت الوجه القبيح للكيان الإسرائيلي، وكشفت زيف ادّعاءاته المتعلقة بالمدنية والديموقراطية، وأظهرته قوة اغتصاب وإجرام وقهر للآخرين.
- وجّهت الانتفاضة ضربة قوية لمظاهر الاحتلال ومؤسساته، وخصوصاً الجواسيس والعملاء المتعاونين مع جهاز المخابرات، وتمت تصفية نحو 900 منهم.
- عالجت الانتفاضة بكثير من النجاح مظاهر الفساد الخُلقي والاجتماعي، وتضاعفت مظاهر التدين، وتحقق قدر عال من التكافل والتراحم والإيثار، وظهر جيل جديد من الشباب والفتيان، يمتاز بالشجاعة والثقة بالنفس والاستعداد للتضحية والاستشهاد.
- عادت القضية الفلسطينية لتصدر قائمة الاهتمامات الدولية، ولتثبت أنها تستعصي على الضياع أو الذوبان.
- أظهرت الانتفاضة قوى جديدة، أصبحت ذات تأثير فاعل في الساحة الفلسطينية ممثلة بحماس والجهاد الإسلامي.
- وقد كان من نتائج الانتفاضة أن عاد الوهج والألق لمنظمة التحرير وقيادتها مرة أخرى، وفرضت نفسها على الساحة من جديد.
- انتهت الانتفاضة المباركة بتوقيع المنظمة لاتفاقية أوسلو في أيلول/سبتمبر 1993، وبدء مرحلة الحكم الذاتي في أجزاء من الضفة والقطاع في أيار/مايو 1994. غير أن حماس والجهاد الإسلامي استمرت في فعاليتها الجهادية وعملياتهما العسكرية النوعية، وخصوصاً الاستشهادية.

## ثانياً: حركة المقاومة الإسلامية (حماس):

ظهر اسم حركة المقاومة الإسلامية مع انطلاق الانتفاضة المباركة في كانون الأول/ديسمبر 1987. ولكن الحركة عرّفت نفسها منذ البداية بأنها "جناح من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين". والحقيقة أن حماس هي أحد أشكال المقاومة التي قرّر



الإخوان المسلمون تبنيها ضمن تاريخهم الطويل في العمل الشعبي والمقاوم. وبالتالي فإن حماس لم تأت من فراغ، وإنما هي استمرار لعملهم الذي نشأ في فلسطين منذ بداية الأربعينيات من القرن العشرين.

غير أن الجديد في حركة حماس أنها:

1. حسمت حالة "التقطع" في الأداء الجهادي الإخواني، وحولته إلى حالة دائمة مستمرة.
2. وفّرت غطاءً حركياً مقاوماً لجماعة الإخوان، يتسم بالمؤسسية التنظيمية والسياسية والعسكرية، وله قيادته السياسية المعلنة.
3. نقلت الوضع الداخلي للإخوان الفلسطينيين نقلة نوعية، بحيث أصبح العمل التنظيمي والتربوي والتعبوي يخدم الفعل الجهادي واستراتيجية المقاومة.
4. أجابت عملياً على "جدلية الدولة والمقاومة"، بأن مشروع الدولة الإسلامية ومشروع تحرير فلسطين ومقاومة العدو الصهيوني خطان متوازنان مكملان لبعضهما البعض، ويسيران جنباً إلى جنب دونما تعارض.

وقد تمكّنت حماس منذ البداية في الاستناد على أسس أيديولوجية وحركية وشعبية صلبة، مكّنتها من الوقوف في وجه الضربات القاسية التي تلقّتها من الكيان الصهيوني ومن السلطة الفلسطينية بعد ذلك، وقد أعانها على ذلك:

1. عراققة وقدم التنظيم الإخواني الفلسطيني، إذ إنه أقدم تنظيم حركي فلسطيني، ما يزال يحتفظ بفاعليته على الساحة.
2. تراث الإخوان المسلمين العالمي الفكري والدعوي والتربوي الضخم، الذي أنتجته مدرسة الشيخ حسن البنا ومفكروها في بلدان العالم منذ الثلاثينيات وحتى الآن، مما ساعدها كثيراً في تحديد الرؤية والأولويات والمواقف منذ مراحل مبكرة من نشأتها.

3. استناد الإخوان إلى ماضٍ جهادي مقاوم يفخرون به منذ 1948.

4. شمولية دعوة الإخوان وتكاملها، بحيث لم تركز على مشروع المقاومة العسكرية فقط. وإنما مثلت دعوة إصلاح ومدرسة تربوية وهيئة اجتماعية خيرية. وتغلّغت

في أوساط الناس، بحيث استفادت من هذه الأنشطة في تجنيد عناصرها وتجديد نفسها، مما جعل عملية اقتلاعها أمراً يكاد يكون مستحيلاً.

وهذا ما يفسر أن حماس منذ نشأتها لم تبدأ من ذيل القائمة الطويلة لمنظمات المقاومة الفلسطينية، وإنما قفزت مباشرة لتكون المنافس الأول والقوي لحركة فتح التي تعد العمود الفقري لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وفي اجتماع المكتب الإداري لإخوان الداخل يوم 1988/1/10 في بيت حسن القيق بالقدس، اتخذ قرار تأكيد استمرار الانتفاضة ونشرها في جميع المدن والقرى والمخيمات. أما اختصار اسم حركة المقاومة الإسلامية إلى "حماس"، فكان باقتراح من حسن القيق وفي بيته أيضاً. وبذلك تمّ تثبيت اسم "حماس".

### ميثاق حماس:

أصدرت حماس ميثاقها في 1988/8/18. وكتب مسودته الأستاذ عبد الفتاح دخان، وخصوصاً أن قيادة الداخل (الضفة والقطاع) أقرّته، كما أقرّه المكتب التنفيذي في بلاد الشام. وجرى توزيعه بشكل واسع في السنة نفسها في الكويت والأردن بالإضافة إلى الداخل الفلسطيني. لم يُناقش الميثاق أو يُعرض للإقرار في مجلس شوراها؛ إذ إن حماس عقدت أول مجلس شورى لها لاحقاً في شهر آب/ أغسطس 1991 (انتخب الشيخ عمر الأشقر رئيساً له)، غير أن الجميع تعامل مع الميثاق عملياً باعتباره ميثاق الحركة.

أعلنت حماس نفسها في الميثاق جناحاً من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين، وامتداداً من امتداداتها، وأنها تعدّ الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها، وإليه تحتكم، ومنه تسترشد خطاها.<sup>8</sup> وتهدف حماس إلى تحرير فلسطين، وإقامة دولة الإسلام عليها، وإعادة الحقوق إلى أصحابها، وتعدّ نفسها سنداً لكل مستضعف، ونصيراً لكل مظلوم.<sup>9</sup> وترى حماس أن فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصحّ التفريط بها أو بجزء منها، أو

<sup>8</sup> ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، آب/ أغسطس 1988، المادة 1 و2.

<sup>9</sup> ميثاق حماس، المادة 9.



التنازل عنها أو عن جزء منها، وأنه لا حلّ لقضية فلسطين إلا بالجهاد في سبيل الله، وأن العمل على تحريرها فرض عين على كلّ مسلم حيثما كان.<sup>10</sup>

وأبدت حماس في ميثاقها اهتماماً بتربية الأجيال تربية متكاملة، وأعطت للمرأة المسلمة دوراً لا يقلّ عن دور الرجل في معركة التحرير.<sup>11</sup> ونظرت حماس نظرة احترام وتقدير إلى الحركات الإسلامية، وبادلت الحركات الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الاحترام، لكنها رفضت في الوقت نفسه الفكرة العلمانية، معتبرة أنها لن تؤدي إلى التحرير.<sup>12</sup> وأكدت حماس على اعتبارها حركة إنسانية تلتزم بسماحة الإسلام في النظر إلى أتباع الديانات الأخرى، ولا تعادي إلا من يناصبها العداء.<sup>13</sup>

### الوثيقة السياسية لحماس:

واجهت حماس عشرات القضايا والمستجدات طوال نحو ثلاثين عاماً، كانت مثار نقاش في أطرها، وقدمت عليها إجابات سياسية من قياداتها في بيئات وظروف مختلفة، فأصبحت ثمة ضرورة للملزمة الصورة وتوحيد الرؤية، وضبط اللغة السياسية وتحديد المعايير والأولويات، خصوصاً لدى كوادرها ومؤيديها، وبالتالي فقد كانت الحاجة الداخلية والبيئة الداعمة سبباً أساسياً لصدور الوثيقة.

إن قرار قيادة حماس بإعداد الوثيقة يعود إلى أواخر أيار/ مايو 2013 كأحد أبرز أولوياتها كقيادة جديدة منتخبة. وحظيت الوثيقة بنقاش واسع وعمق في كل أطرها المعنية في الداخل والخارج، وأقيمت لها ورش عمل في بلدان عديدة، وقامت الجهات المختصة بإدخال التعديلات والتحسينات على النصوص في عدة مسودات وقرارات، إلى أن تمّ اعتمادها نهائياً في قيادة الحركة التنفيذية، ثم في مجلس شوراها العام في أواخر كانون الأول/ ديسمبر 2016. وتُرك بعد ذلك للقيادة صلاحية وضع بعض الرتوش وتحديد توقيت إطلاق الوثيقة.

<sup>10</sup> ميثاق حماس، المادة 11، و13-15.

<sup>11</sup> ميثاق حماس، المادة 16.

<sup>12</sup> ميثاق حماس، المادة 23، و25-27.

<sup>13</sup> ميثاق حماس، المادة 31.

عاجت الوثيقة ثغرات في الميثاق كان أبرزها ما يتعلق باليهود، حيث كان ثمة لبس بين اليهود كأتباع ديانة وأهل كتاب، وبين اليهود الصهاينة الغاصبين لأرض فلسطين. وهي ثغرة غير مقصودة باعتبار أن الثقافة الشعبية التي كانت سائدة في العالم العربي والإسلامي تستخدم لغة مبسطة في استخدام المصطلح وتعميمه.

غير أن الجانب الإسرائيلي استغلّ هذه الثغرة لاتهام حماس بـ"اللا سامية" وتشويه صورتها في كل مكان. ولذلك أكدت الوثيقة أن حماس لا تحارب اليهود لكونهم يهوداً أو بسبب ديانتهم، وإنما تحارب المشروع الصهيوني والصهاينة المعتدين المحتلين لفلسطين. كما عاجت الوثيقة الجوانب المرتبطة بالصياغة السياسية والقانونية، فقدّمت صياغة محترفة متماسكة، وتجنّبت التوضيحات والشروح التي أسهب فيها الميثاق.

أما أبرز معالم ومزايا الوثيقة فهي فيما يلي:

1. اللغة السياسية والقانونية المحترفة والمعاصرة، التي تخاطب الأنظمة والمجتمعات العربية والدولية باللغة التي يفهمونها.
2. الصلابة والوضوح فيما يتعلق بالثوابت، وتأكيدا عليها في مواضع عديدة بشكل لا يحتمل اللبس.
3. اللغة السياسية المرنة المنفتحة على الواقع، والتي تؤكد على المشترك مع الآخرين دونما إخلال بالثوابت.
4. الرّوح الإسلامية الوسطية المتسامحة المعتدلة، البعيدة عن الغلوّ والتطرّف والتعصّب؛ والتي تؤكد على القيم الإنسانية المشتركة في الحرية والعدالة ورفض الظلم والعدوان.
5. الشمول: حيث غطّت الوثيقة كافة الخطوط الأساسية بشكل متوازن في 11 عنواناً، شملت تعريفها لنفسها، ولأرض فلسطين وشعبها، ولرؤيتها الإسلامية لفلسطين، وللقدس، وغطّت موضوع اللاجئين وحقّ العودة، والمشروع الصهيوني، والموقف من الاحتلال ومن التسوية السياسية، وحدّدت رؤيتها للمقاومة ومشروع التحرير وللنظام السياسي الفلسطيني، كما تحدّثت عن الأبعاد العربية والإسلامية والدولية والإنسانية.



ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ البند 20 في الوثيقة، الذي يشير جزءً منه إلى إمكانية القبول بدولة فلسطينية على خطوط 4 حزيران/ يونيو 1967، هو أكثر الجوانب التي أثارت النقاش وشغلت الرأي العام، وكأنه مبادرة جديدة أو تنازل من حماس. والحقيقة أنّ النص حول الدولة يأتي في سياق نصّ حاسم يرفض التنازل عن أي جزء من فلسطين مهما كانت الأسباب. والنص نثبته هنا لمن لم يطلع عليه:

لا تنازل عن أي جزء من أرض فلسطين، مهما كانت الأسباب والظروف والضغط، ومهما طال الاحتلال. وترفض حماس أي بديل عن تحرير فلسطين تحريراً كاملاً، من نهرها إلى بحرهما. ومع ذلك—وبما لا يعني إطلاقاً الاعتراف بالكيان الصهيوني، ولا التنازل عن أيّ من الحقوق الفلسطينية—فإن حماس تعتبر أن إقامة دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة، وعاصمتها القدس، على خطوط الرابع من حزيران/ يونيو 1967، مع عودة اللاجئين والنازحين إلى منازلهم التي أخرجوا منها، هي صيغة توافقية وطنية مشتركة.

هذا النص مرتبط بقضية جوهرية كانت وما تزال مثار النقاش في الساحة الفلسطينية طوال السنوات العشر الماضية، وكانت حماس مطالبة بالإجابة عنها في كلّ حواراتها مع فتح والقوى الفلسطينية لبناء قاعدة التقاء وتقاطع مشترك، لتجاوز الانقسام الفلسطيني والعمل المشترك في الأطر الفلسطينية كمنظمة التحرير والسلطة.

فقد ثبتت حماس هنا حرصها على الشراكة والتوافق وإنهاء الانقسام، وأنها ليست عقبة في طريق إنشاء دولة فلسطينية كاملة السيادة على خطوط الرابع من حزيران/ يونيو؛ غير أنّ هذه الصيغة لا تملّي على حماس أي التزامات تجاه العدو كالاقرار بـ"إسرائيل" أو التنازل عن أي جزء من فلسطين، وهي النصوص الحاكمة التي سبقت النص على موضوع الدولة. فكرة القبول بدولة فلسطين الكاملة السيادة على خطوط 1967 مقابل هدنة هي فكرة طرحتها قيادات حماس منذ أكثر من 25 عاماً، ولا جديد في نص الوثيقة. مع الإشارة إلى أنّ الوثيقة أشارت إلى "خطوط" وليس إلى "حدود" 1967، مما يعني أنها خطوط هدنة وليست حدوداً دائمة.

ما هو مهم هو أنّ حماس جمعت في الوثيقة بين المحافظة على الهوية والثوابت واتجاه البوصلة، وبين التوازن والاعتدال والانفتاح.

### ثالثاً: حماس وانطلاقة العمل العسكري<sup>14</sup>:

تري حركة حماس أن العمل العسكري هو خيار استراتيجي دائم، وتتعامل مع المعركة باعتبارها معركة طويلة الأمد، ربما تتداولها الأجيال. وهي في مثل أجواء التسوية السلمية وحالة استضعاف الأمة تسعى لإبقاء جذوة الجهاد مرفوعة تعبيراً عن عدم التفريط بالأرض المقدسة. ولكن الذي عقّد الأمر في وجه حماس أنها أقبلت على الخيار العسكري حين أدبر الآخرون، وسارت عكس التيار، لكنها على أي حال تمكنت من إثبات نفسها.

تطوّرت فعاليات حماس الانتفاضية من الإضرابات، والمظاهرات، ورمي الحجارة، إلى تطوير تدريجي في الفعاليات العسكرية كالهجمات بالسكاكين والأسلحة النارية، واختطاف الجنود، وقتل العملاء، إلى السيارات المفخخة، والعمليات الاستشهادية. وقد أصبح الجهاز العسكري جزءاً ثابتاً وأصيلاً من تركيبة حماس، وعلى الرغم مما تعرّض له الجهاز من ضربات سنة 1988 و1989 و1990 على خلفيات فعاليات عسكرية، فإنّ الحركة كانت تعيد بناءه من جديد، وعلى الرغم من حالات المد والجزر فإنّ الجهاز ظلّ موجوداً، وفعالاً، ومركزياً. وقد أمكن لحماس تجاوز الصعوبات بوجود نوعية من الرجال مستعدة للتضحية والاستشهاد، ويعترف المحللون الإسرائيليون أن "حماس قد صكّت نماذج جديدة للإنسان الفلسطيني، وهم الاستشهاديون الجدد".<sup>15</sup> ويذكر أحد الخبراء أن حماس قد أثبتت أنها الرقم الأصعب في المعادلة الفلسطينية.<sup>16</sup>

في 1988/3/21، قامت المجموعة 101 في الجهاز العسكري لحماس "المجاهدون الفلسطينيون" الذي يقوده الشيخ صلاح شحادة، بمحاولة اختطاف مهندس ومقاول

<sup>14</sup> حول عمليات حماس 1989-1996، انظر: محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، ص 187-204؛ وغسان دوعر، موعد مع الشبابك: دراسة في النشاط العسكري لحركة حماس وكتائب عز الدين القسام خلال عام 1993 (لندن: فلسطين المسلمة، 1995)؛ وغسان دوعر، عماد عقل (عمّان: فلسطين المسلمة، 1995)؛ وغسان دوعر، حرب الأيام السبعة: أسود حماس (عمّان: فلسطين المسلمة، 1993)؛ ومهيب النواتي، حماس من الداخل (غزة، فلسطين: دار الشروق، 2002)، ص 71-90.

<sup>15</sup> انظر: موسى الكيلاني، "الرقم الأصعب في المعادلة"، جريدة الدستور، عمّان، 1995/2/1.

<sup>16</sup> المرجع نفسه.



صهيوني في منطقة الشيخ رضوان في قطاع غزة، بيد أن العملية واجهتها صعوبات حالت دون إتمامها، فقامت المجموعة بإطلاق النار عليه وأصابوه بجراح، وتلا ذلك عمليات تفجير عبوات ناسفة في بيت حانون في أيار/ مايو 1988، وفي يوم عيد الأضحى في 1988/7/25، ثم في ذكرى الهجرة النبوية في 1988/8/14. كما قتلت المجموعة مستوطنات إسرائيلية في 1988/8/18، قرب منطقة بيت لاهيا شمال قطاع غزة. ونجحت المجموعة في خطف وقتل الرقيب الصهيوني آفي ساسبورتس Avi Sasportas في 1989/2/3، وفي خطف الجندي إيلان سعدون Ilan Sa'adon وقلته في 1989/5/3. لكن سرعان ما ضرب هذا الجناح العسكري وحركة حماس بشكل عام في أيار/ مايو 1989؛ حيث قامت قوات الاحتلال باعتقال ما يزيد عن ألف من كوادر الحركة وأبنائها، وتمّ التحقيق بأساليب وحشية مع المئات منهم، فأدى ذلك إلى كشف بنية الحركة التنظيمية لأول مرة، وألقي القبض على الشيخ أحمد ياسين في 1989/5/18. وفي الذكرى الثالثة لانطلاقة حماس في 1990/12/14، قامت حماس بقتل ثلاثة إسرائيليين، مما فجر أكبر عملية اعتقال شاملة تتعرض لها الحركة، وجرى مجدداً ضرب أجهزة الحركة. وكان من أبرز الظواهر التي رافقت هذه الضربة انكشاف علاقة الحركة في الخارج، ودورها فيما يجري بالداخل.

شكلت حماس جناحها العسكري الحالي "كتائب عز الدين القسام" في أيار/ مايو 1990، الذي حلّ محلّ "المجاهدون الفلسطينيون".

وفي 1992/12/13، قامت حماس باختطاف الجندي نسيم توليدانو Nissim Toledano والمطالبة في مقابل الإفراج عنه بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وعلى إثر رفض رئيس وزراء العدو إسحق رابين التجاوب مع مطالبها قامت الحركة بتصفية الجندي، وهو ما دفع رابين للإعلان في الكنيسة عن الحرب الشاملة على حركة حماس؛ فتم اعتقال 1,300 من أنصار حماس، كما أقدمت السلطات الإسرائيلية على أكبر عملية تهجير وإبعاد بعد حرب 1967، عندما قامت بإبعاد 415 غالبيتهم الساحقة (نحو 380) من القيادات الإسلامية المدنية المحسوبة على حماس. غير أنّ رفض المبعدين للإبعاد وصمودهم في مرج الزهور على الحدود مع لبنان، أكسبهم المعركة الإعلامية الدولية ضدّ الاحتلال، ووسّع دائرة الاهتمام بحركة حماس، وزاد

من شعبيتها، مما اضطر السلطات الإسرائيلية إلى الموافقة على العودة التدريجية للمباعدين، والتي اكتملت بعد عام من الإبعاد.<sup>17</sup>

وحسب دراسة لغسان دوعر، فقد نُفذت حماس سنة 1993 ما مجموعه 138 عملية، خسر الكيان الإسرائيلي حسبها أعلن بنفسه 79 قتيلاً و220 جريحاً.<sup>18</sup>

وبالرغم من أن دخول منظمة التحرير الفلسطينية في تسوية مع الكيان الصهيوني، وتوليها إنشاء الحكم الذاتي في المناطق السكنية في الضفة والقطاع (منذ سنة 1994)، جعل العمل الجهادي أمراً يكاد يكون مستحيلًا، إلا أن الفترة 1994-1998 شهدت تطوراً نوعياً في العمليات وخصوصاً الاستشهادية منها. ومن ذلك ردُّ حماس على مذبحة الحرم الإبراهيمي في 1994/2/25 بخمس عمليات عنيفة، أدت إلى قتل ما مجموعه 39 إسرائيلياً وجرح 158 آخرين. وردُّ حماس على استشهاد يحيى عياش، الذي اغتيل في 1996/1/5، والذي كان مهندساً لعمليات أدت لقتل 70 إسرائيلياً وجرح 340 آخرين، بعدة عمليات في الفترة 1996/3/3-2/25 مما أسفر عن قتل 45 إسرائيلياً وجرح 113 آخرين حسب المصادر الإسرائيلية.<sup>19</sup> وقد هزّت العمليات الكيان الصهيوني، وهو ما دفع إلى عقد مؤتمر دولي بمشاركة الدول الكبرى لما أسماه "محرقة الإرهاب". وشعرت الجهات المعنية بالتسوية أن مشروعها السلمي أصبح في "مهب الريح"، على حدّ تعبير القيادي الفلسطيني صائب عريقات. وقام الصهاينة والسلطة الفلسطينية بالتعاون المباشر مع أمريكا وباستخدام كافة التقنيات الأمنية، بحملة شعواء استهدفت اجتثاث كل ما له صلة بالتيار الإسلامي الحركي المقاوم في فلسطين. ومرّت حماس والجهاد الإسلامي، بمرحلة من أقصى المراحل، وعانت من ضربات قاسية. وتمكّنت السلطة من تفكيك معظم خلايا المقاومة. ومع ذلك فقد

<sup>17</sup> انظر أعداد مجلة فلسطين المسلمة، لندن، التي غطت عملية الإبعاد وأخبار المباعدين بالتفصيل طوال سنة 1993.

<sup>18</sup> انظر: غسان دوعر، موعد مع الشباك.

<sup>19</sup> انظر: جريدة الرأي، عمّان، الأردن، 1996/1/7، والأعداد الصادرة في 1996/3/5-2/26؛ ومجلة فلسطين المسلمة، نيسان/ أبريل 1996. وقد نُفذت حماس أربع عمليات انتقاماً لاستشهاد يحيى عياش أدت إلى مقتل 47 صهيونياً وجرح 105 آخرين (حسب المصادر الإسرائيلية)، ونفذت الجهاد الإسلامي العملية الخامسة—بالتنسيق مع حماس—مما أدى إلى مقتل 14 صهيونياً وجرح 125 آخرين (حسب المصادر الإسرائيلية).



بذلت حماس جهداً استثنائياً لمتابعة المقاومة، حيث عادت العمليات العسكرية للظهور سنة 1997، غير أنه لم يتم تنفيذ سوى عمليات محدودة للمقاومة حتى سنة 2000، بينما استشهد عدد من رموز العمل العسكري المقاوم أمثال محيي الدين الشريف، وعماد عوض الله، وعادل عوض الله.

أما في فترة انتفاضة الأقصى (2000-2005) وما تلاها، فقد شهدت قفزات نوعية متتالية لحماس وجناحها العسكري، الذي أصبح الأقوى على الساحة الفلسطينية، منذ تلك الفترة وحتى كتابة هذه السطور.

ومن جهة أخرى، فإن حركة الجهاد الإسلامي قامت بعدد من العمليات النوعية والاستشهادية مثل عمليات نتساريم Netzarim في تشرين الثاني/ نوفمبر 1994، وبيت ليد في كانون الثاني/ يناير 1995، وتل أبيب في آذار/ مارس 1996. وقد تعرضت لما تعرضت له حماس من ضغوط ومطاردة. وقد استشهد قائدها فتحي الشقاقي في عملية نفذها الموساد الإسرائيلي في 1995/10/26.

## رابعاً: انتفاضة الأقصى:

اندلعت انتفاضة الأقصى في 2000/9/29، إثر اقتحام أرييل شارون زعيم حزب الليكود حرم المسجد الأقصى في 2000/9/28. وكان واضحاً أن ثمة مباركة وتأييداً من رئيس الحكومة الصهيونية إيهود باراك للزيارة حيث زوّده بـ 600 جندي مرافقته، واستنفر 3 آلاف جندي وشرطي في القدس وأحيائها. وصمّم المسلمون على الدفاع عن الأقصى، حيث سقط في المواجهات الأولى خمسة شهداء، وجرح أكثر من مئة. وكانت عناصر اشتعال الوضع جاهزة، فقد وصلت مفاوضات التسوية السلمية إلى طريق مسدود، وتأكّدت الأطماع الصهيونية في القدس والمسجد الأقصى، واستمر الصهاينة في مصادرة الأراضي وتوسيع المستعمرات.

وأفرزت الانتفاضة عدداً من الحقائق والمؤشرات أهمها:

1. أن الأمة الإسلامية ما تزال حية، بالرغم من الجراح التي أثّختها، وأن روح المقاومة والصمود والاستعداد للبذل والتضحية لم تخمد. فقد خرجت المظاهرات بعشرات الآلاف بل بمئات الآلاف في بلدان العالم الإسلامي، من الرباط في أقصى المغرب

وحتى جاکرتا في أقصى المشرق الإسلامي، كلها تتهافت للأقصى والقدس وفلسطين، وتطالب بالجهاد، وتقدم ما لديها من تبرعات ودعم. فكانت لحظات رائعة من أخوة الإسلام ووحدة الأمة. وظهرت تجليات الإمكانيات الكبرى لهذه الأمة لتحقيق النصر لو سلكت طريق الجهاد.

2. أن قضية فلسطين قضية تجمع المسلمين وتوحدهم، بل وتكون سبباً في تجاوز خلافاتهم والتركيز على العدو الصهيوني المشترك. وأن هذه القضية غدت القضية المركزية للعالم الإسلامي، فلا قضية تجمعهم كهذه القضية، ولا عدو يجتمعون ضده كهذا العدو.

3. وجّهت الانتفاضة ضربة قاسية لمشروع التسوية السلمية والتطبيع مع العدو، وبرز الخيار الجهادي كخيار أمثل.

4. أنّ هذه الانتفاضة انعكست على طريقة تفكير الناس وأسلوب حياتهم اليومي، فاشتدّ العداء للمشروع الصهيوني، واشتدّ العداء ضدّ أمريكا، وتكرّست الروح الجهادية وروح التكافل، وتجاوبت الجماهير مع دعوات مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، حتى غيّر الملايين من أسلوب طعامهم وشرابهم اليومي، ومن لباسهم ووسائل تنقلهم واتصالاتهم وترفيهم، فكانت مدرسة تربوية اجتماعية شعبية، ربما احتاجت حركات الإصلاح سنوات للوصول إلى مثل نتائجها. بل واضطرت الشركات الأجنبية الأمريكية لإنزال إعلانات عدم العلاقة بالكيان الصهيوني، بل والتبرع لضحايا الانتفاضة، كما حدث مع مطاعم مكدونالدز التي تبرعت بريال سعودي لكل وجبة طعام، لعلاج جرحى الانتفاضة.<sup>20</sup>

5. برزت أهمية الإعلام ودوره في التعبئة، إذ تمكّن المسلمون من كسر الطوق الإعلامي الغربي المتصهين، من خلال الفضائيات العربية، وخدمات الإنترنت والبريد الإلكتروني، وخصوصاً في المراحل الأولى من الانتفاضة.

ومن جهة أخرى، فقد تميّزت هذه الانتفاضة بالمشاركة الشعبية الواسعة في كل أرجاء فلسطين المحتلة، وبمشاركة كافة التيارات الفلسطينية. كما تميّزت في الوقت

<sup>20</sup> يمكن مراجعة التقارير المنشورة في الإنترنت في أشهر تشرين الأول/أكتوبر وكانون الأول/ديسمبر 2000 في المركز الفلسطيني للإعلام وموقع إسلام أون لاين، لقراءة العديد من النماذج والتقارير.



نفسه، بشدة القمع الصهيوني الذي تهادى في قتل الأطفال والأبرياء واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً، وانكشفت سوءات أديعاء "السلام" الصهاينة الذين تباروا في سحق الانتفاضة المباركة.

وقد شهدت سنة 2005 خُفوت موجة انتفاضة الأقصى، وكان ذلك نتيجة الأوضاع التي تلت وفاة ياسر عرفات، وانتخاب محمود عباس رئيساً للسلطة، وبسبب انشغال الفلسطينيين في الضفة والقطاع في الانتخابات البلدية وفي التحضير للانتخابات التشريعية، بالإضافة إلى إعلان الفصائل الفلسطينية في 2005/1/22 التهدة من جانب واحد، ثم إعلان وقف إطلاق النار بين السلطة و"إسرائيل" في 8 شباط/فبراير.

وخلال الفترة 2000/9/28-2005/12/31، بلغ عدد الشهداء 4,242 شهيداً، بينهم 793 طفلاً، و270 شهيدة. وقامت السلطات بعمليات اغتيال وتصفية جسدية ميدانية لـ 376 مواطناً، واستشهد بسبب الإعاقة على الحواجز الإسرائيلية 140 مريضاً ما بين طفل وسيدة وشيخ مسن من مرضى القلب والكلى والسرطان. وبلغ عدد الجرحى 46,068 جريحاً.<sup>21</sup> وبالرغم من إعلان التهدة الفلسطينية وخُفوت الانتفاضة، إلا أن أعداد الأسرى زادت، فبعد أن كانت نحو 7,800 في مطلع 2005 ارتفع عددهم إلى نحو 9,200 أسيراً في نهاية السنة نفسها. وتمّ اعتقال 3,495 فلسطيني خلال سنة 2005، ظلّ منهم 1,600 محجوزين خلف القضبان.<sup>22</sup>

وفي انتفاضة الأقصى وُضع ياسر عرفات تحت حصار قاسٍ في مقرّه في رام الله لنحو سنتين ونصف، وتوفي في ظروف مريبة في 2004/11/11. كما استشهد عدد من قادة حماس الكبار أمثال جمال سليم وجمال منصور في 2001/7/31، وصلاح شحادة في 2002/7/22، وإسماعيل أبو شنب في 2003/8/21. وتلقّت حماس إحدى أقسى الضربات باستشهاد زعيمها الروحي ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين في 2004/3/22،

<sup>21</sup> موقع مركز الإحصاء الوطني الفلسطيني، 2005/2/9، في:

[http://www.pnic.gov.ps/arabic/quds/arabic/viol/quds\\_viol\\_12-2005.html](http://www.pnic.gov.ps/arabic/quds/arabic/viol/quds_viol_12-2005.html)

<sup>22</sup> تقرير وزارة شؤون الأسرى والمحررين لسنة 2005، في: [www.pnic.gov.ps/arabic/social/prisoners/2005.html](http://www.pnic.gov.ps/arabic/social/prisoners/2005.html)؛ وحسب مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (بتسليم)، نقلاً عن مصادر الأمن والجيش الإسرائيلي، فإن المعتقلين كانوا 7,838 في مطلع سنة 2005، ووصل العدد إلى 8,238 معتقلاً في مطلع سنة 2006، انظر:

[www.btselem.org/arabic/statistics/detainees](http://www.btselem.org/arabic/statistics/detainees)

ثم تبعه استشهاد عبد العزيز الرنتيسي في 2004/4/17. وبلغ عدد شهداء كتائب القسام 604 شهداء خلال انتفاضة الأقصى (2000/9/28 - نهاية 2005). كما استشهاد أبو علي مصطفى الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في عملية اغتيال صهيونية في 2001/8/27.

وبلغ عدد المنازل التي دُمّرت بشكل كلي أو جزئي 71,470 منزلاً، وعدد مؤسسات التربية والتعليم التي تعرّضت للقصف 316 مدرسة ومديرية ومكاتب تربية وتعليم وجامعة. وقام الإسرائيليون باقتلاع وتدمير مليون و355 ألف شجرة. وتشير التقديرات إلى أن الاقتصاد الفلسطيني (الناشئ المنهك) قد خسر منذ اندلاع الانتفاضة وحتى 2005/9/29 نحو 15 مليار و600 مليون دولار.<sup>23</sup>

وقد شاركت الفصائل الفلسطينية كافة في العمليات العسكرية. وحسب التقديرات الإسرائيلية فقد نفذت المقاومة الفلسطينية 22,406 عملية خلال الفترة 2000/9/29 - 2005/7/24.<sup>24</sup> وتميّزت حركة حماس بدورها البارز وبعملياتها الاستشهادية التي أحدثت دويماً هائلاً، وزعزت الأمن في الكيان الإسرائيلي حيث نُفذ معظمها في فلسطين المحتلة سنة 1948. وحتى 2005/12/1 حدثت 135 عملية استشهادية، نفذت حماس منها 61 عملية، بالإضافة إلى عمليات كثيرة نفذتها كتائب شهداء الأقصى والجهاد الإسلامي.<sup>25</sup>

ومن العمليات التي تستحق الإشارة عملية اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي رجبام زئيفي في Rehavam Ze'evi في 2001/10/17، وهو جنرال سابق في الجيش، ومن أشدّ الصهانية تطرفاً. وقد نفذت الجبهة الشعبية هذه العملية انتقاماً لاغتيال أمينها العام أبو علي مصطفى.

لكن العمليات الاستشهادية على قلّتها النسبية كانت الأكثر أثراً. وينبغي الإشارة إلى أن كثيراً من الإصابات في صفوف "المدنيين" الإسرائيليين هي في الحقيقة إصابات في جنود احتياط، إذ إن كل اليهود تقريباً في فلسطين المحتلة فوق سن الـ 18 يخضعون

<sup>23</sup> مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، في:

<http://www.pnic.gov.ps/arabic/quds/arabic/losses/28-9-2005.html>

<sup>24</sup> موقع الجيش الإسرائيلي، في: [http://www1.idf.il/SIP\\_STORAGE/DOVER/files/9/21829.doc](http://www1.idf.il/SIP_STORAGE/DOVER/files/9/21829.doc)

<sup>25</sup> موقع الجيش الإسرائيلي، في: [http://www1.idf.il/SIP\\_STORAGE/DOVER/files/6/31646.doc](http://www1.idf.il/SIP_STORAGE/DOVER/files/6/31646.doc)



للتدريب العسكري الإجباري، سواء كانوا من الرجال أم النساء. أما الأغلبية الكبرى للشهداء الفلسطينيين فهي من المدنيين. ويشير تقرير جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) (Israel Security Agency—ISA (Shabak) إلى مقتل 1,513 إسرائيلياً وجرح 3,380 آخرين منذ بدء الانتفاضة وحتى تموز/ يوليو 2005.<sup>26</sup>

وقد عانى الكيان الصهيوني من تدهور وضعه الاقتصادي، والذي كان يشهد ازدهاراً كبيراً قبل بدء الانتفاضة. فقد تعطلت السياحة تقريباً في السنتين الأوليين للانتفاضة، وهي التي تمثل ثاني أكبر مصدر للدخل.

وحسب تقرير رسمي صادر عن دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، فإن سنة 2002 كانت الأسوأ من الناحية الاقتصادية في تاريخ الكيان الصهيوني منذ خمسين عاماً (سنة 1953).<sup>27</sup> وانخفض المعدل السنوي لمعدل ناتج الفرد بنحو 3 آلاف دولار (من 18,600 دولار سنة 2000 إلى 15,600 دولار سنة 2002). وحسب تقرير القسم الاقتصادي في اتحاد المستقلين "لاهاف Lahav"، فقد أغلق في سنة 2002 نحو 50 ألف متجر.<sup>28</sup> وحسب بعض التقديرات، فإن مجموع الخسائر الاقتصادية الإسرائيلية خلال السنتين الأوليين للانتفاضة بلغت نحو 8 مليارات دولار أي نحو 11 مليون دولار يومياً.

وهكذا فإن الفرق الجوهرى الذي أحدثته الانتفاضة هو أن الشعب الفلسطيني لم يعد الجهة الوحيدة التي تدفع ثمن الاحتلال والغطرسة الصهيونية من شهداء وجرحى ودمار، وإنما أصبح الكيان الإسرائيلي يدفع غالباً ثمن احتلاله وظلمه.

لقد أحدثت هذه الانتفاضة هزة عميقة في الكيان الصهيوني، وأصابتها في صميم القاعدتين اللتين بنى عليهما وجوده المادي، وهما الأمن والازدهار الاقتصادي. وأخذ عشرات الآلاف من اليهود يحزمون حقائبهم ويغادرون الكيان الصهيوني إلى أوروبا وأمريكا وأستراليا، وأظهرت استطلاعات الرأي العام أنّ أكثر من 25% من اليهود

<sup>26</sup> نشرت التقرير جريدة معاريف، ونشرت ترجمته جريدة السفير، بيروت، 2005/7/15.

<sup>27</sup> موقع دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، انظر: www.cbs.gov.il؛ وانظر: وكالة قدس برس إنترناشيونال للأنباء، نشرة بانوراما، 2003/1/2.

<sup>28</sup> قدس برس، نشرة بانوراما، 2003/1/3.

في فلسطين يفكرون جدياً في المغادرة وترك البلاد. وأظهر استطلاع أجرته جريدة الجيروزالم بوست The Jerusalem Post الإسرائيلية في 2002/11/29، أن 69% من الإسرائيليين يعيشون حالة الخوف من التعرض لإصابات أو الموت بسبب العمليات الاستشهادية.<sup>29</sup> وفي المقابل، فإنه على الرغم من قسوة المعاناة الفلسطينية، فقد أظهر استطلاع للرأي نشر في 2002/12/18 أن 80% من الفلسطينيين يؤيدون استمرار الانتفاضة، وأن 63% يؤيدون العمليات الاستشهادية.<sup>30</sup>

### خامساً: العدوان والمقاومة 2006-2024:

تابعت "إسرائيل" عدوانها، كما تابعت الفصائل الفلسطينية مقاومتها، وإن بوتيرة وأشكال مختلفة. وكان من أبرز ملامح هذه الفترة:

- ضرب المقاومة الفلسطينية وتفكيك معظم خلاياها في الضفة الغربية، بسبب التعاون الشامل والمنهجي بين السلطة الفلسطينية في رام الله وبين الاحتلال الإسرائيلي.
  - تطوّر المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، برعاية الحكومة التي تقودها حماس، وتمكنها من تجنيد الآلاف من عناصر المقاومة، ومن تهريب الأسلحة، ومن تطوير إمكاناتها الصاروخية، وإن بشكل محدود مقارنة بإمكانات بالعدو وبحالة الحصار الخانق التي تعيشها.
  - الاعتماد بشكل كبير على إطلاق الصواريخ في عمليات المقاومة، خصوصاً من قطاع غزة، وخفوت ظاهرة العمليات الاستشهادية التي طبعت انتفاضة الأقصى.
- تركزت الحملات العسكرية الإسرائيلية في هذه الفترة على قطاع غزة، بهدف إسقاط حكومة حماس، وضرب المقاومة، وإسكات صواريخها. وكان من أبرز الحملات عملية "أ مطار الصيف" التي استمرت في الفترة 2006/10/31-6/26، والتي جاءت بعد قيام حماس، بالتعاون مع لجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام، بعملية "الوهم المتبدد" التي أدت إلى أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليت Gilad Shalit. وقد أدت عملية "أ مطار الصيف" إلى استشهاد 400 فلسطيني وجرح 1,852 آخرين.

<sup>29</sup> نقلاً عن: Site of British Broadcasting Corporation (BBC), 30/11/2002, <http://news.bbc.co.uk>

<sup>30</sup> جريدة الخليج، الشارقة، الإمارات، 2003/2/18.



كما نفذت "إسرائيل" حملة "غيوم الخريف" في تشرين الثاني/نوفمبر 2006، التي أدت إلى استشهاد 105 فلسطينيين وجرح 353 آخرين؛ وحملة "الشتاء الساخن" في 2008/3/3-2/27، والتي أدت لاستشهاد 107 فلسطينيين. وبالتأكيد فإن مثل هذه الحملات كانت تُواجه بمقاومة بطولية، وإن كانت غير متكافئة، من المقاومة الفلسطينية.<sup>31</sup>

### العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: "معركة الفرقان" 2009/2008:<sup>32</sup>

كان العدوان الإسرائيلي الشامل على قطاع غزة خلال الفترة 2008/12/27-2009/1/18 من أشدّ الحملات الإسرائيلية شراسة واتّساعاً، والتي عُرفت باسم "الرصاص المصبوب"، وسمّتها المقاومة "معركة الفرقان". وقد واجهت آلة الحرب الإسرائيلية المدمرة صموداً بطولياً ومقاومة عنيفة من قبل حماس وباقي قوى المقاومة، ففشلت القوات الإسرائيلية في النهاية في احتلال القطاع، وفي كسر قوى المقاومة، وفي إسقاط الحكومة التي تقودها حماس، فاضطرت إلى الانسحاب غير المشروط من قطاع غزة. وقد أعطى ذلك دفعاً معنوياً كبيراً لقوى المقاومة، ومساندة فلسطينية وعربية وإسلامية ودولية واسعة لها. وقد استشهد في العدوان الإسرائيلي 1,334 فلسطينياً، بينهم 417 طفلاً و108 نساء، وجرح 5,450 آخرين، كما تمّ تدمير 5,350 منزل وتضرر أكثر من 16 ألف منزل آخر بشكل جزئي. أما "إسرائيل" فلم تعترف إلا بمقتل 13 إسرائيلياً، ونحو 185 جريحاً؛ بينما قدّرت قوى المقاومة أنها قتلت نحو 80 إسرائيلياً خلال هذا العدوان.

<sup>31</sup> حول هذه الحملات، انظر: محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006، ص 91؛ ومحسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009)، ص 100.

<sup>32</sup> حول العدوان على غزة، انظر: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008، ص 100-102؛ ومحسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010)، ص 105؛ وعبد الحميد الكيالي (محرر)، دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: عملية الرصاص المصبوب/ معركة الفرقان (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009).

### العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: معركة "حجارة السجيل" 2012:33

هاجم الجيش الإسرائيلي قطاع غزة في العملية التي أطلق عليها "عمود السحاب"، بينما أطلقت عليها المقاومة الفلسطينية "حجارة السجيل" خلال الفترة 2012/11/21-14، وهو ما أدى إلى 191 شهيداً و1,526 جريحاً، غالبيتهم من الأطفال والنساء والمسنين. وهاجم الجيش الإسرائيلي خلال أيام العدوان نحو 1,500 هدف في القطاع، من بينها مقرات حكومية، وأنفاقاً، ومنصات صواريخ، ومنازل، وناشطين بارزين، ومخازن أسلحة.

وقد أدت عملية حجارة السجيل، حسب معطيات الشاباك، إلى مقتل 6 إسرائيليين، من بينهم جنديان، بينما بلغ عدد الجرحى 232 إسرائيلياً. كما سقط على "إسرائيل" نحو 1,731 صاروخاً من قطاع غزة، استهدف مستعمرات الجنوب المحيطة بالقطاع، بالإضافة إلى تل أبيب والقدس. ووفقاً لحسابات شركة العلوم الاقتصادية والتي أجرتها في 2012/11/17، فإن تكلفة عملية حجارة السجيل وصلت إلى 1.1 مليار شيكل (278.3 مليون دولار) في أسبوع.

### العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: "معركة العصف المأكول" 2014:34

تعرض قطاع غزة إلى عدوان إسرائيلي واسع خلال الفترة 2014/7/7-2014/8/26، استمر 51 يوماً. أطلقت "إسرائيل" على هذا العدوان عملية "الجرف الصامد" وأطلقت عليه المقاومة الفلسطينية حرب "العصف المأكول". وكان واضحاً أن الجيش الإسرائيلي مارس سياسة الانتقام من المدنيين في قطاع غزة بشكل كبير؛ وتمثلت الصورة الأبرز لذلك في عمليات قتل جماعي لسكان عزّل في بيوتهم.

وقد أظهر الأداء البطولي للمقاومة خلال 51 يوماً من الحرب، قدرتها (وتحديداً حماس) على تطوير أنظمة صواريخها، فازداد مداها إلى نحو 120 كم، لتصل في هذه المعركة إلى كل التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة. كما تمكّنت المقاومة

<sup>33</sup> حول معركة حجارة السجيل، انظر: محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2012-2013 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014)، ص 100.

<sup>34</sup> حول معركة العصف المأكول، انظر: محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2014-2015 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2016)، ص 116-117.

من اختراق الجانب الإسرائيلي براً وبحراً وجواً، وقدمت مفاجآت جديدة متميزة كالتطورات من دون طيار...؛ وحافظت قيادة العمل في قطاع غزة على منظومة القيادة والسيطرة، ولم تتعرض للضرب أو التعطيل. ووقع الطرف الإسرائيلي في حالة "عمى استخباري" على الأرض، مما أضعف بنك أهداف الإسرائيليين المحتملة. كما حققت المقاومة حالة التفاف وإجماع شعبي واسع، بالرغم من الضربات العنيفة البشعة التي وجهتها القوات الإسرائيلية للمناطق المدنية.

وتشير الإحصائية التي أعدها المرصد الأورومتوسطي إلى أنّ عدد الضحايا الإجمالي بلغ 2,147 شهيداً، منهم 530 طفلاً، و302 امرأة. وبلغ عدد الجرحى 10,870 جريحاً، منهم 3,303 أطفال، و2,101 امرأة. وهاجم الجيش الإسرائيلي خلال أيام العدوان نحو 5,263 هدفاً في القطاع. كما أدى العدوان إلى تدمير 17,123 منزلاً، منها 2,465 منزلاً دُمّر بشكل كلي، و14,667 منزلاً دُمّر بشكل جزئي، إضافة إلى 39,500 من المنازل لحقت بها أضرار.

وقدّر وكيل وزارة الاقتصاد الفلسطينية تيسير عمرو في 2014/8/28 أنّ إجمالي الخسائر التي تعرّض لها قطاع غزة خلال أيام العدوان تتراوح بين 7.5 و8 مليارات دولار "شاملة الخسائر المباشرة وغير المباشرة".

وقد أدّت عملية العصف المأكول، حسب معطيات الشاباك، إلى مقتل 73 إسرائيلياً، من بينهم 67 جندياً، بينما بلغ عدد الجرحى 312 إسرائيلياً. كما سقط على "إسرائيل" (فلسطين المحتلة 1948) نحو 4,692 صاروخاً من قطاع غزة، استهدفت مستعمرات الجنوب المحيطة بالقطاع، بالإضافة إلى تل أبيب، والقدس، وحيفا، والخضيرة وغيرها. وقدّرت مصادر إسرائيلية الأضرار الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة للحرب بـ 12 مليار شيكل (نحو 3.07 مليارات دولار).

### انتفاضة القدس 2015-2017:<sup>35</sup>

شكّلت انتفاضة القدس واحدة من أهم التطورات التي أقلقت الاحتلال منذ اندلاعها في تشرين الأول/أكتوبر 2015؛ والتي هبّ فيها الشعب الفلسطيني خصوصاً في

<sup>35</sup> حول انتفاضة القدس 2015-2017، انظر: محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2016-2017 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2018)، ص 209-211.

منطقة القدس، ليوجّه للمحتل رسالة بأن المسجد الأقصى والمقدسات خطّ أحمر لا يمكن تخطيه.

وأتّسمت انتفاضة القدس بعمليات المقاومة المبنية على المبادرة الفردية، لا سيّما عمليات الطعن والدعس، التي أبدع الفلسطينيون في إيجاد وسائلها، وبالذور البارز للشباب. ومع انقضاء عامين على بدايتها، وصل عدد العمليات التي نُفذت ضدّ الاحتلال إلى 3,719 عملية، في الضفة الغربية بما فيها شرقي القدس، وفي قطاع غزة، وداخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948. وقد أسفرت عمليات المقاومة عن مقتل 57 إسرائيلياً، وإصابة 416 آخرين، وذلك حسب معطيات جهاز الشاباك الإسرائيلي. وتجدر الإشارة إلى أن معظم العمليات التي سُجلت خلال تلك الفترة في الضفة كانت رشق حجارة وزجاجات حارقة.

وقد قامت سلطات الاحتلال بانتهاكات جسيمة شملت كافة مناحي الحياة للمواطن الفلسطيني، بالإضافة إلى ارتكاب الإعدامات الميدانية اليومية بحقّ الشبان والأطفال والفتيات على الحواجز، وعمليات الاعتقال وترويع المواطنين، ومصادرة الأراضي، وهدم المنازل، وتشريد مئات المواطنين. وذكرت دراسة إحصائية أعدّها مركز عبد الله الحوراني للدراسات والتوثيق، التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بمناسبة مرور عامين على انطلاق الانتفاضة في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، وأصدرها في 2017/10/6، أنّ مجمل عدد شهداء انتفاضة القدس بلغ 347 شهيداً، بينهم 79 طفلاً و17 امرأة.

### هبة باب الأسباط 2017: 36

إثر عملية فدائية في 2017/7/14، عند باب الأسباط بالمسجد الأقصى المبارك أدّت إلى قتل اثنين من جنود الاحتلال المتمركزين عند الباب، واستشهاد المنقذين؛ قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بوضع بوابات إلكترونية كاشفة للمعادن على مداخل المسجد الأقصى، وبتثبيت كاميرات خارجه لمراقبة الوضع فيه، وسيطرت على مفاتيح الغرف والمكاتب التي كانت تشغلها الأوقاف؛ وقامت بتشديد القيود على الطرق المؤدية إلى الأقصى.

<sup>36</sup> حول هبة باب الأسباط، انظر: محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2016-2017، ص 211-214.



أدرك الشعب الفلسطيني وقياداته من العلماء في القدس، خطورة الإجراءات الإسرائيلية التي هدفت لفرض إدارتها الأمنية المباشرة على الأقصى، وتقليص دور الأوقاف بشكل واسع، فرفضوا الدخول من تلك البوابات، ورفضوا الصلاة في الأقصى إلا بعد عودة الوضع إلى ما كان عليه قبل 14 تموز/ يوليو تماماً، وتابعوا هبّتهم الشعبية التي لقيت تضامناً شعبياً فلسطينياً وعربياً وإسلامياً واسعاً.

وبعد عشرة أيام، اضطرت سلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى تفكيك البوابات الإلكترونية، وفي 2017/7/27، اضطرت إلى إزالة الممرات والجسور الحديدية، ثم سمحت بفتح باب المطهرة لتكون جميع أبواب المسجد الأقصى قد عادت إلى ما كانت عليه قبل 2017/7/14.

من جهة أخرى، أظهر تقرير صادر عن مركز عبد الله الحوراني للدراسات والتوثيق التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، ارتقاء عشرين شهيداً، خلال تموز/ يوليو 2017، من بينهم 15 بسبب أحداث المسجد الأقصى، وإصابة وجرح أكثر من 1,400 فلسطيني، بالإضافة إلى قيام سلطات الاحتلال باعتقال أكثر من 600 فلسطيني في كل من الضفة الغربية بما فيها القدس، وقطاع غزة، وكانت أغلب الإصابات والاعتقالات في مدينة القدس. وفي المقابل، سجّل الشاباك 222 عملية مقاومة في تموز/ يوليو 2017 مقابل 94 عملية سُجّلت خلال حزيران/ يونيو 2017 في الضفة الغربية بما فيها شرقي القدس، وقطاع غزة، وداخل الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1948، وأسفرت عمليات المقاومة عن مقتل 5 إسرائيليين، وإصابة 7 آخرين، وذلك حسب معطيات جهاز الشاباك الإسرائيلي.

### هبة باب الرحمة 2019:<sup>37</sup>

في سنة 2003، أغلقت سلطات الاحتلال باب الرحمة. وقد بدأت الهبة بعدما اكتشف المصلون في المسجد الأقصى أن شرطة الاحتلال وضعت قفلاً على البوابة مساء 2019/2/17، إثر اجتماع مجلس الأوقاف الجديد في المبنى، وأداء صلاة الظهر فيه. في اليوم التالي، أدّت جماهير القدس صلاة الظهر في منطقة باب الرحمة، وخلع

<sup>37</sup> حول هبة باب الرحمة، انظر: محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، ص 218؛ ومحسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2018-2019 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020)، ص 136-141.

الشبان البوابة واشتبكوا مع قوات الاحتلال، وتحوّلت المنطقة إلى نقطة تجمّع ورباط وصلاة، مما حوّلها إلى ميدان مواجهة. وتوّج المشهد بفتح باب الرحمة ودخول أبناء القدس منه في 2019/2/22، لأول مرة منذ أغلقته شرطة الاحتلال سنة 2003.

### مسيرات العودة وكسر الحصار 2018-2019:<sup>38</sup>

في إبداع جديد في أساليب مقاومة الاحتلال، طرحت مجموعات فلسطينية، على وسائل التواصل الاجتماعي، في كانون الثاني/يناير 2018، فكرة تنظيم مسيرات جماهيرية في قطاع غزة والضفة الغربية والشتات الفلسطيني بشكل متزامن، تهدف إلى تحقيق عودة اللاجئين الفلسطينيين فعلياً، وبشكل سلمي، وتحت العلم الفلسطيني، إلى أرضهم وبيوتهم التي أُخرجوا منها في حرب 1948، وحددوا يوم الأرض تاريخاً لانطلاق هذه المسيرات.

وتشكّلت اللجنة التنسيقية العليا لمسيرة العودة الكبرى؛ وأكدت على أنها حالة جماهيرية غير فصائلية، تستهدف التحشيد الواسع للاجئين، والتقدم التدريجي باتجاه الحدود. غير أن انضمام الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة لمشروع المسيرة في 2018/3/17 أعطاها بُعداً مقاوماً، وتمّ بعد ذلك تشكيل إطار جديد هو "الهيئة الوطنية العليا لمسيرة العودة وكسر الحصار"؛ ليضيف بُعداً محلياً بإضافة هدف كسر الحصار إلى اسمها. وكانت البداية يوم الجمعة في 2018/3/30، حيث لقيت تجاوباً واسعاً. وشكّلت مسيرات العودة واحدة من أهم التطورات التي أقلقّت الاحتلال؛ وبدت سلطات الاحتلال عاجزة أمامها، على الرغم من الإجراءات والسياسات التي تتبناها. وفي قطاع غزة اتخذت الفكرة شكلاً عملياً، حيث البيئة الحاضنة للمقاومة، وحيث المعاناة من الحصار، وحيث إن معظم أبناء القطاع هم من اللاجئين.

وحتى نهاية 2019، تمّ تنفيذ 86 مسيرة عودة. وقدم الشعب الفلسطيني نموذجاً بطولياً في مسيراته، ومواجهته للعدو، واقتحام مواقعه، وإرساله طائراته الورقية وبالونات الحارقة للمستعمرات. وتوالت أيام الجُمع، لتصل ذروتها في 2018/5/14، يوم الاحتفال الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، حيث قدّم قطاع غزة في ذلك اليوم 58 شهيداً، و2,771 جريحاً.

<sup>38</sup> حول مسيرات العودة وكسر الحصار، انظر: محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني



وأفاد مركز الميزان لحقوق الإنسان، في 20/12/2019، أن قوات الاحتلال قتلت 364 فلسطينياً في قطاع غزة منذ انطلاق مسيرات العودة الكبرى. وأشار المركز إلى أن 19,173 فلسطينياً؛ بينهم 4,987 طفلاً و864 سيدة، أصيبوا خلال مشاركتهم في فعاليات مسيرات العودة، بالإضافة إلى إصابة الآلاف بالاختناق.

تميزت مسيرات العودة بالإقبال الجماهيري الواسع، خصوصاً في قطاع غزة، وتفاعل كافة الشرائح الاجتماعية. وعبرت بشكل صادق وقوي عن تمسك الشعب الفلسطيني بحق العودة، وتجلت فيها الوحدة الوطنية في المسيرات، وتميّزت بالإبداع، إذ ترافقت معها فعاليات إبداعية، كالتطائرات الورقية والبالونات والإرباك الليلي؛ ونجحت في إجبار الأطراف المشاركة في حصار قطاع غزة على تخفيفه.

### معركة سيف القدس 2021: 39

هبَّ أهل القدس في مواجهة محاولات الصهاينة مصادرة حي الشيخ جراح، والسعي الصهيوني الدؤوب لتهويد المسجد الأقصى والقدس، وتصاعدت المواجهات في العشر الأواخر من رمضان 1442هـ (أوائل أيار/ مايو 2021). وقد قرّرت قيادة حماس في غزة الانتصار للقدس وأهلها، فأطلقت صواريخها على الكيان الصهيوني بعد أن رفض التراجع عن إجراءاته في الشيخ جراح والأقصى. واتّسعت دائرة المعركة، التي سمّتها المقاومة "سيف القدس" وأسماها الصهاينة "حارس الأسوار"، لتستمر على مدى 11 يوماً 10-21 أيار/ مايو 2021.

ولأول مرة فرضت حماس وقوى المقاومة في غزة معادلة جديدة تربط بينها وبين القدس، ونابت عن الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية في الدفاع عن الأقصى والمقدسات، بالرغم مما تعانيه غزة من حصار ومن شحّ في الإمكانيات. وبالرغم من العدوان الصهيوني الشرس المدرّ على قطاع غزة، فإن المقاومة نجحت في مواجهة العدوان، وفي تطوير أدائها العسكري الرادع، وغطى مدى صواريخها الذي وصل إلى 250 كم، كلّ الأماكن التي يسيطر عليها الكيان، وتمكّنت الصواريخ التي اتّسمت بمزيد من الدقّة والقدرة التفجيرية من اختراق القبة الحديدية، وضرب

<sup>39</sup> حول معركة سيف القدس 2021، انظر: محسن محمد صالح وباسم جلال القاسم (محرران)، معركة "سيف القدس" وتداعياتها فلسطينياً وإسرائيلياً وعربياً ودولياً 10-21 أيار/ مايو 2021، ملف معلومات 28 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2021).

المدن والتجمعات الصهيونية، مما اضطر ملايين الإسرائيليين للذهاب إلى الملاجئ، كما توقفت حركة القطارات بين وسط الكيان وجنوبه، وتم تعليق الطيران بمطار بن جوريون.

واتّسمت هذه المعركة بتصعيد الانتفاضة الشعبية في القدس وباقي الضفة الغربية وفلسطين المحتلة 1948، كما اتّسمت بتفاعل شعبي كبير في الخارج فلسطينياً وعربياً وإسلامياً ودولياً؛ وخرجت المظاهرات الضخمة في كافة أرجاء العالم بما في ذلك أوروبا وأمريكا منددة بالعدوان الصهيوني. وتوحد الشعب الفلسطيني خلف المقاومة، في الوقت الذي انزلت فيه قيادة السلطة والمنظمة سياسياً وشعبياً، وثبت فشل مسار التسوية السلمية. وقد اعترف سياسيون وعسكريون وأمنيون وإعلاميون صهاينة كبار بأن حماس وقوى المقاومة فازت في هذه المواجهة، وبأن "إسرائيل" خرجت خاسرة.

أدى العدوان الصهيوني الذي تركّز على المدنيين والمباني السكنية والمنشآت العامة، إلى استشهاد 260 شهيداً في قطاع غزة، بينهم 66 طفلاً، و40 امرأة، و17 مُسنّاً، وإصابة 1,948 بجراح؛ بينما استشهد في الضفة الغربية 29 شهيداً، وأصيب نحو 6,300 بجراح؛ واستشهد اثنان من فلسطينيي 1948 وجرح كثيرون. ودمّر الصهاينة نحو 1,800 وحدة سكنية في قطاع غزة، بالإضافة إلى إصابة آلاف الوحدات الأخرى بأضرار. وفي الطرف الإسرائيلي قُتل 13، وجرح نحو 330 آخرين، كما أصيبت الكثير من المباني بأضرار، وقدم إسرائيليون 3,424 طلب تعويض عن أضرار لحقت بممتلكاتهم ومساكنهم، بينها 1,724 طلباً متعلقاً بسياراتهم ووسائل تنقلهم. وخسّر الاقتصاد الإسرائيلي نحو 2,140 مليون دولار.

#### معركة وحدة الساحات 2022:40

خاضت حركة الجهاد الإسلامي هذه المعركة في الفترة 5-2022/8/7 في مواجهة العدوان الإسرائيلي على القطاع، حيث أطلقت الحركة نحو 1,233 صاروخاً على التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة 1948.

<sup>40</sup> حول معركة وحدة الساحات، انظر: محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023 (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024)، ص 222-223.

استشهد من حركة الجهاد 12 شهيداً كان من أبرزهم تيسير الجعبري قائد المنطقة الشمالية بقطاع غزة، وخالد منصور قائد المنطقة الجنوبية، وبلغ العدد الكلي للشهداء 46 شهيداً، من بينهم 16 طفلاً و4 نساء، بالإضافة إلى إصابة 360 بجراح مختلفة. وأظهرت إحصائية أصدرتها وزارة الأشغال والإسكان في قطاع غزة أنّ الاحتلال دمّر خلال عدوانه 18 وحدة سكنية دماراً كاملاً، و1,746 بشكل جزئي.

### معركة نأر الأحرار (2023):<sup>41</sup>

خاضت حركة الجهاد الإسلامي هذه المعركة في الفترة 2023/5/13-9 في مواجهة العدوان الإسرائيلي على القطاع، حيث أطلقت الحركة 1,582 صاروخاً على التجمعات الصهيونية في فلسطين المحتلة 1948.

استشهد في اليوم الأول من هذه المعركة 3 قيادات بارزة من سرايا القدس؛ وهم أمين سر المجلس العسكري لسرايا القدس جهاد الغنام، وقائد المنطقة الشمالية خليل البهتيني، وطارق محمد عز الدين أحد قادة العمل العسكري في الضفة الغربية. وبلغ العدد الكلي للشهداء 33 شهيداً، من بينهم 11 عضواً من القادة العسكريين لسرايا القدس.

وأعلن المكتب الإعلامي الحكومي في غزة أنّ إجمالي الوحدات السكنية المتضررة بلغ 2,041 وحدة سكنية، بقيمة تقديرية للخسائر تُقدَّر بـ 9 ملايين دولار؛ وشملت 93 وحدة سكنية مدمرة بشكل كلي، و1,948 بشكل جزئي.

### معركة طوفان الأقصى (2023/10/7-):

قامت كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس بهجوم صاعق واسع في 2023/10/7، استهدف الفرقة العسكرية الإسرائيلية المتمركزة حول قطاع غزة، حيث تمكنت من تحطيم هذه الفرقة والسيطرة على مواقعها، كما تمكنت من اجتياح مستوطنات غلاف غزة، وبمساحة تزيد عن ضعف مساحة قطاع غزة نفسه. وتعدّ هذه العملية حدثاً استراتيجياً وغير مسبوق منذ 75 عاماً على قيام "إسرائيل". ففي غضون ساعات، نجح مقاتلو القسام في احتلال نحو 20 مستوطنة وموقعاً استيطانياً

<sup>41</sup> حول معركة نأر الأحرار، انظر: محسن محمد صالح، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023، ص 223-224.

و11 موقعاً عسكرياً، بما في ذلك مقر قيادة فرقة غزة التابعة للجيش الإسرائيلي. وتمكنوا من قتل 1,200 صهيوني وأسر نحو 250 آخرين.

بالنسبة لحماس، كانت عملية طوفان الأقصى عملاً لا بد منه، في ضوء تشكُّل أشد الحكومات تطرفاً في تاريخ الكيان الإسرائيلي، وسعيها لحسم مصير الأقصى والقدس والضفة الغربية يهودياً وصهيونياً، وتخطيطها لتوجيه ضربة قاصمة للمقاومة في غزة، وتجاوزها مرحلة "أوسلو"، ومُضيها باتجاه إغلاق الملف الفلسطيني، بالتعامل مع بيئة عربية مُطبَّعة عاجزة. ولذلك، كانت عملية طوفان الأقصى عملية استباقية لمنع تهويد الأقصى وحماية المقاومة وتحرير الأسرى.

هزَّت عملية طوفان الأقصى أركان الكيان الإسرائيلي، فقد ضربت نظريته الأمنية القائمة على خوض المعارك خارج فلسطين المحتلة 1948، وعلى الإنذار المبكر، وعلى سرعة الحسم؛ وضربت فكرة الملاذ الآمن لليهود الصهاينة في فلسطين المحتلة، حيث اضطر مئات الآلاف من اليهود للهجرة خارج الكيان. وبدا واضحاً عجز الكيان الإسرائيلي عن تقديم نفسه كشرطي للمنطقة أو كقلعة متقدمة للنفوذ الغربي؛ بعد عجزه الفاضح أمام ثلَّة مؤمنة مجاهدة بالرغم مما تعانیه من حصار خانق وضالَّة إمكانات مادية وتجهيزات. وتحدَّث قادة الصهاينة بمن فيهم رئيس الوزراء نتنياهو ووزير الجيش يوآف جالانت ورئيس الكيان إسحق هيرتزوج وغيرهم عن مواجهة الكيان لحرب "وجودية"؛ بل تحدث نتنياهو أن المعركة التي يخوضونها تجاه غزة هي "معركة الاستقلال الثانية"!<sup>42</sup> وهذا ما يُفسَّر شراسة العدوان الصهيوني على القطاع ووحشيته ومجازره الهائلة التي ارتكبها بحق المدنيين، في محاولة لاستعادة هيئته أو بعض هيئته التي فقدها.

وقد مثَّلت معركة طوفان الأقصى حالة إلهام للأمة العربية والإسلامية بإمكانية هزيمة المشروع الصهيوني، كما أسقطت مسار التسوية السلمية، وأبرزت صحة خيار المقاومة، وضربت مسار التطبيع وعطلته، وأسقطت السردية الصهيونية وكل ما يتعلق بنموذج "الضحية" و"واحة الديمقراطية" و"حق الدفاع عن النفس"... وغيرها؛ بينما سعدت السردية الفلسطينية في الإطار الإنساني العالمي ووسط شعوب

<sup>42</sup> انظر: عرب 48، 2023/10/28؛ وجريدة هآرتس، 2023/11/1.



العالم. وعززت هذه المعركة المشروع الإسلامي لفلسطين الذي تتبناه حماس والجهاد الإسلامي؛ كما أبرزت أهمية تكامل الساحات والدور الحيوي للخارج في مواجهة العدو الصهيوني، من خلال الدور المهم الذي لعبته ساحات المقاومة في لبنان واليمن والعراق.

خاض الاحتلال الإسرائيلي حرباً مدمّرة على مدى 471 يوماً (حتى 2025/1/19) مدعوماً بالولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها، وأعلن سعيه لتدمير حماس والسيطرة على قطاع غزة، وتحرير أسراه، وتقرير الوضع المستقبلي للقطاع، وتأمين مستوطناته في غلاف غزة، كما هدف إلى تهجير أكبر قدر من أهل القطاع. لكن المقاومة البطولية وصمود الحاضنة الشعبية أفضلا كل أهداف الاحتلال. وقد عانى الاحتلال من خسائر كبيرة حيث دمرت المقاومة نحو 2,200 دبابة وجرافة وناقلة جنود، وعانى من نزيف الاقتصاد وتكاليف حرب زادت عن 70 مليار دولار تقريباً، ومن تعطل السياحة، ومن هروب استثمارات تزيد عن 40 مليار دولار.

وقد حرص الاحتلال على إخفاء خسائره ما أمكن، غير أن رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي المعين اللواء احتياط إيال زامير تحدث عن خسائر الجيش في تقرير بثته القناة 12 الإسرائيلية نقلت عنه قوله إن 5,942 عائلة إسرائيلية جديدة انضمت إلى قائمة "الأسر الثكلى" خلال سنة 2024، بينما تمّ استيعاب أكثر من 15 ألف مصاب في نظام إعادة التأهيل. بينما كانت الإحصاءات قبلها تشير إلى أن عدد القتلى منذ عملية طوفان الأقصى 1,800 من ضمنهم نحو 400 جندي في العملية البرية في غزة. والمعروف أن تعبير "قائمة الأسر الثكلى" مستخدم في أدبيات جيش الاحتلال كمصطلح يدل على أعداد الأسر التي تأكد مقتل أحد أفرادها من العسكريين خلال الحرب.<sup>43</sup>

وعانى الاحتلال أيضاً من تحوله إلى كيان منبوذ عالمياً، واضطر في النهاية للتوقيع على صفقة تهدئة وتبادل أسرى فرضت فيها المقاومة شروطها حيث بدأت الهدنة في 2025/1/19؛ وإن كان ما يزال يراوغ ويماطل في إنفاذ بعض جوانبها حتى كتابة هذه السطور. وقد تضمّنت الصفقة في مرحلتها الأولى وفقاً للحرب ستة أسابيع يتم

<sup>43</sup> الأسرار تتكشف.. 6000 قتيل للجيش الإسرائيلي بالحرب على غزة، الجزيرة.نت، 2025/2/4، في:

<https://aja.ws/q65hr3>

خلالها الإفراج عن 1,904 أسرى منهم 296 محكوماً بالمؤبد، مقابل الإفراج عن 33 أسيراً لدى المقاومة.<sup>44</sup>

في هذه المعركة قدّمت حماس الكثير من قادتها وفلذات أكبادها شهداء، وعلى رأسهم رئيس مكتبها السياسي إسماعيل هنية ونائبه رئيس الضفة الغربية صالح العاروري، ويحيى السنوار رئيس حماس في قطاع غزة وخليفة هنية في قيادة الحركة، ومحمد الضيف القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام.

وبحسب إحصائيات المكتب الإعلامي الحكومي في غزة، فقد تحوّل القطاع إلى "منطقة منكوبة"، نتيجة حرب الإبادة الإسرائيلية وارتفع عدد شهداء الحرب (حتى 2025/1/19) إلى 61,709 شهداء، إضافة إلى نزوح أكثر من مليوني فلسطيني. وأشار المكتب الإعلامي أيضاً إلى أنّ 47,487 جثة وصلت إلى المستشفيات، فيما ما يزال هناك 14,222 مفقوداً عالقين تحت الأنقاض. ولم تسلم الطواقم الإنسانية من جرائم الاحتلال، إذ قتل الاحتلال 1,155 من الكوادر الطبية، و205 صحفيين، و194 من عناصر الدفاع المدني، إضافة إلى استشهاد 736 من كوادر تأمين المساعدات، وأكثر من 3,500 من الكوادر الحكومية العاملة في القطاع. وبلغ عدد الجرحى 111,588 شخصاً، في حين ارتفع عدد المعتقلين إلى أكثر من 6 آلاف. وأشار المكتب إلى أنّ جيش الاحتلال أباد إبادة كاملة 2,092 عائلة من السجل المدني، وقتل 4,889 أسرة لم يُبق منها سوى فرد واحد فقط. وأكد المكتب أن الأطفال والنساء كانوا الهدف الأبرز لهذا العدوان، إذ استشهد 17,881 طفلاً، كذلك قتل الاحتلال 12,316 امرأة.<sup>45</sup>

وفيما يتعلق بالخسائر الاقتصادية، أشار المكتب إلى أنّ الأضرار والخسائر المباشرة في مختلف القطاعات تجاوزت 50 مليار دولار وفق تقديرات أولية. وذكر المكتب أنّ الاحتلال ضرب 450 ألف وحدة سكنية، بينها 170 ألفاً دُمّرت بالكامل، و80 ألفاً تضررت بشكل جسيم. وعلى صعيد القطاع الصحي، فقد تمّ تدمير 34 مستشفى، و80 مركزاً صحياً، و212 مؤسسة طبية. وعلى صعيد القطاع التعليمي، تضررت 1,661 منشأة تعليمية، بينها 927 مدرسة. ودمّر الاحتلال 3,680 كم

<sup>44</sup> تفاصيل اتفاق الصفقة المرتقبة بين حماس وإسرائيل (تقرير)، وكالة الأناضول للأخبار، 2025/1/14،

انظر: <https://www.aa.com.tr/ar>

<sup>45</sup> الجزيرة. نت، وجريدة العربي الجديد، لندن، 2025/2/2.



من شبكات الكهرباء، بالإضافة إلى تضرر 2,105 محولات كهرباء. وأوضح رئيس الإعلام الحكومي سلامة معروف أنّ 335 كم من شبكات المياه تضررت، عدا عن تضرر 496 محطة تحلية، و111 خزان مياه مركزياً، وتمّ تدمير 655 كم من شبكات الصرف الصحي، بالإضافة إلى تضرر 3,916 كم من الطرق. فيما بلغ مجموع المنشآت الصناعية المتضررة 3,825، منها ألفين دُمّرت كلياً.<sup>46</sup>

وفي الضفة الغربية، سارع الاحتلال الإسرائيلي بعد 2023/10/7 إلى إغلاق شامل للضفة، وعزل المدن عن بعضها بحواجز عسكرية، وأطلق العنان لمليشيات المستوطنين لإثارة الرعب في مناطق التماس، خوفاً من انطلاق انتفاضة فيها.<sup>47</sup> كما قامت السلطة الفلسطينية في رام الله بمحاولة قمع أي مظاهر للتصعيد والعمل الانتفاضي، وأغلقت الجامعات، وتابعت تنسيقها الأمني مع الاحتلال.

ووسط استمرار العنف الذي ترتكبه القوات الإسرائيلية والمستوطنون ضدّ الفلسطينيين منذ 2023/10/7، استشهد في الضفة الغربية بما فيها شرقي القدس خلال الفترة 2023/10/7-2025/3/11، بحسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 932 شهيداً، من بينهم 180 طفلاً، وجرح 6,700 فلسطينياً من بينهم 660 طفل.<sup>48</sup>

ومع ذلك، فقد شهدت الضفة الغربية تصعيداً كبيراً للعمل المقاوم بعد 2023/10/7، حيث وثق مركز معلومات فلسطين "مُعطي" خلال الفترة 2023/10/7-2025/3/11؛ 4,215 عملاً مقاوماً نوعياً، و9,553 حراكاً وأعمال مقاومة شعبية. وتوزعت أعمال المقاومة النوعية والشعبية في مختلف مناطق الضفة، وأسفرت في مجملها عن مقتل 65 إسرائيلياً، وجرح 608 آخرين. كما بلغت انتهاكات الاحتلال الإسرائيلي خلال الفترة ذاتها 149,326 انتهاكاً، منها 21,994 حالة اقتحام، و4,906 تدمير ممتلكات،

<sup>46</sup> الجزيرة. نت، والعربي الجديد، 2025/2/2.

<sup>47</sup> أحمد أبو الهيجاء، الضفة الغربية وصراع المسارات.. لماذا تغيب عن مشهد "طوفان الأقصى"؟،

الجزيرة. نت، 2023/11/14، في: <https://aja.ws/jp4nkq>

<sup>48</sup> عدوان الاحتلال الإسرائيلي على فلسطين منذ 2023/10/7، موقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني،

انظر: <https://www.pcbs.gov.ps>

و3,751 اعتداءً مستوطنين، و397 أنشطة استيطانية، و798 اعتداءً بحق مقدسات، و17,784 حالة اعتقال.<sup>49</sup>

وقد شارك حزب الله اللبناني بشكل بارز في الحرب منذ بدايتها، وغطت مشاركته شمالي فلسطين المحتلة، وأرغمت عشرات الآلاف من المستوطنين الصهاينة على النزوح، كما شغلت جانباً من الجيش الإسرائيلي على خطوط التماس مع لبنان، وعطلت الكثير من الأعمال الاقتصادية والأنشطة السياحية. وفي أواخر أيلول/سبتمبر 2024، صعد الاحتلال عدوانه على لبنان، وتلقّى حزب الله ضربات قاسية في تفجيرات البيجرات Pagers ووسائل الاتصال، واغتيل عدد كبير من قادته السياسيين والعسكريين وعلى رأسهم الأمين العام حسن نصر الله، وقام العدو باجتياح أجزاء من جنوب لبنان وتسبب في تهجير نحو مليون و200 ألف لبناني. وبحسب وزير الصحة اللبناني فراس الأبيض فقد استشهد 4,047 على الأقل وجرح 16,638 آخرين؛<sup>50</sup> كما تمّ تدمير أكثر من مئة ألف وحدة سكنية بشكل كلي أو جزئي. غير أنّ حزب الله استعاد زمام المبادرة، وقدم أداءً قوياً متميزاً حتى إعلان الهدنة على الجبهة اللبنانية في 2024/11/27.

وقد شاركت القوات اليمنية (أنصار الله) بفعالية في الحرب بالرغم من بُعد المسافة عن فلسطين، فقامت بدور أساسي في قطع شريان الملاحة البحرية عن الاحتلال الإسرائيلي، مما تسبّب له بأضرار كبيرة. كما أطلقوا الكثير من الصواريخ الباليستية والطائرات المسيّرة باتجاه فلسطين المحتلة. وشاركت المقاومة العراقية في توجيه الضربات للكيان عبر الصواريخ والمسيرات. وأعلن قائد حركة أنصار الله عبد الملك الحوثي أنّ عدد السفن المستهدفة، خلال الفترة تشرين الثاني/نوفمبر - 2024/12/4، بلغ 211 سفينة مرتبطة بـ"إسرائيل" والولايات المتحدة وبريطانيا. كما قُدّرت الكلفة التي تسبب بها تغيير مسارات السفن وزيادة رسوم التأمين بأكثر

<sup>49</sup> انظر: حصاد المقاومة وانتهاكات الاحتلال في الضفة الغربية خلال الفترة 2023/10/7-2025/3/11، مركز معلومات فلسطين (مُعطي)، في: <https://mo3ta.ps/?tag=%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%86%D8%AA%D9%8A%D8%B1>

<sup>50</sup> 4047 شهيداً و16638 جريحاً الحصيلا الإجمالية المحدث للعدوان الإسرائيلي، موقع وزارة الصحة العامة، الجمهورية اللبنانية، 2024/12/4، في: <https://www.moph.gov.lb/ar/Media/view/77347>

من 40 مليار دولار في السنة الأولى من الهجمات.<sup>51</sup> وبحسب اعتراف جيش الاحتلال الإسرائيلي فقد أطلق اليمينيون نحو 40 صاروخاً (أرض - أرض) ونحو 320 مسيرة ضد أهداف إسرائيلية.<sup>52</sup> وفي كانون الثاني/يناير 2025، كشف عبد الملك الحوثي عن استشهاد 106 يمينيين في 931 غارة وقصفاً نفذتها الولايات المتحدة وبريطانيا خلال سنة 2024، في حين وصل عدد الجرحى إلى 314 شخصاً.<sup>53</sup>

<sup>51</sup> كبريات شركات الشحن تستبعد عودة سفنها إلى البحر الأحمر، الشرق الأوسط، 2025/1/28، في:

<https://aawsat.news/y9nf9>

<sup>52</sup> جيش الاحتلال يعلن حصيلة هجمات الحوثي.. بينها 320 طائرة مسيرة، عربي 21، 2025/1/10.

<sup>53</sup> الحوثي: أطلقنا 22 صاروخاً ومسيّرة ضد أهداف إسرائيلية وأميركية في أسبوع، الجزيرة.نت،

2025/1/3، في: <https://aja.ws/ion78k>



## لائحة المصادر والمراجع

### المراجع العربية:

#### أولاً: القرآن الكريم

#### ثانياً: وثائق:

1. الأموي، شكيب، شهادة من الميدان: وثائق عن حرب فلسطين 1948. تونس: الدار التونسية للنشر، 1980.
2. الشهادات السياسية أمام اللجنة المالكة في فلسطين وخلاصة تقرير اللجنة (كتاب موجود في الجامعة الأردنية). د.م.: د.ن.، د.ت.
3. عن ثورة فلسطين سنة 1936: وصف وأخبار ووقائع ووثائق، إعداد مكتب الاستعلامات الفلسطيني العربي بمصر. القاهرة: اللجنة الفلسطينية العربية، كانون الأول/ ديسمبر 1936.
4. ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، آب/ أغسطس 1988.
5. وثائق حركة المقاومة الإسلامية، سلسلة بيانات الحركة، رقم 1، إعداد المكتب الإعلامي لحماس. د.م.: المكتب الإعلامي لحماس، د.ت.
6. وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918-1939: من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان الحوت، ط 2. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984.
7. وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية 1918-1939، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي، ط 2. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1988.

#### ثالثاً: تقارير وكتب رسمية:

1. الأمم المتحدة، مجلس الأمن، القرار 1397 (2002)، 2002/3/12، في: [https://undocs.org/ar/S/RES/1397\(2002\)](https://undocs.org/ar/S/RES/1397(2002))
2. تقرير اللجنة الملكية: الكتاب الأبيض رقم 5479، النسخة العربية الرسمية، إصدار حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين. القدس: 1937.

## رابعاً: المذكرات واليوميات:

1. البنا، حسن، مذكرات الدعوة والداعية، ط 5. بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي، 1983.
2. زعتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية 1935-1939: يوميات أكرم زعتر. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1980.
3. السكاكيني، خليل، كذا أنا يا دنيا، سلسلة إحياء التراث الثقافي الفلسطيني، رقم 8، ط 2. [دمشق]: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، 1982.
4. الشقيري، أحمد، أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية. بيروت: دار النهار، 1969.
5. فلسطين في مذكرات القاوقجي: 1936-1948 (الجزء الثاني)، إعداد خيرية قاسمية. بيروت: مركز الأبحاث ودار القدس، 1975.
6. المارديني، زهير، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني. بيروت: د.ن.، 1980.
7. محمد، بلال، محرر، إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2013.
8. مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب. القاهرة: دار الأنصار، 1978.

## خامساً: الكتب:

1. ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، 1965.
2. ابن شداد، بهاء الدين، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. مصر: شركة طبع الكتب العربية، 1317هـ.
3. ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، ط 5. بيروت: مكتبة دار المعارف، 1983.
4. أبو بصير، صالح مسعود، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، ط 3. بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، 1970.



5. أبو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1956.
6. أبو عمرو، زياد، **الحركة الإسلامية في الضفة وقطاع غزة**. عكا، فلسطين المحتلة: دار الأسوار، 1989.
7. أبو النصر، عمر، ونجم، إبراهيم، وعقل، أمين، **جهاد فلسطين العربية: فصول تبحث في تاريخ القضية الفلسطينية وما طرأ عليها من تطور وتحول منذ النضال العربي الأول وحتى الثورة الحاضرة**. يافا، فلسطين: دن، 1936.
8. أبو النمل، حسين، **قطاع غزة 1948-1967: تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية**. بيروت: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، 1979.
9. الأزدي، تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر. القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1970.
10. الأصفهاني، العماد، **الفتح القسي في الفتح القدسي**.
11. أيوب، سمير، **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني**. بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر، 1984.
12. باركر، أنست، **الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، ط 4. بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.
13. البديري، هند، **أراضي فلسطين: بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ**. القاهرة: جامعة الدول العربية، 1998.
14. البلاذري، **فتوح البلدان**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.
15. البنا، حسن، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**. القاهرة: دار الشهاب، د.ت.
16. بيومي، زكريا سليمان، **الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية 1928-1948**. القاهرة: مكتبة وهبة، 1979.
17. جريس، صبري، وخليفة، أحمد، محرران، **دليل إسرائيل العام**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996.

18. الجندي، سامي، عرب ويهود: العداء الكبير. بيروت: دار النهار للنشر، 1968.
19. حتّي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي. بيروت: دار الثقافة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، 1959.
20. حرب فلسطين 1947-1948 (الرواية الإسرائيلية الرسمية)، ترجمة أحمد خليفة. قبرص: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984.
21. الحسيني، محمد أمين، حقائق عن قضية فلسطين، ط 2. القاهرة: مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، 1957.
22. حلاق، حسان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909، ط 2. بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1980.
23. الحمد، جواد، عملية السلام في الشرق الأوسط: وتطبيقاتها على المسارين الفلسطيني والأردني. عمّان، الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1996.
24. الحمد، جواد، محرر، المدخل إلى القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات رقم 21. عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1997.
25. حمدان، غسان، الانتفاضة المباركة: وقائع وأبعاد. الكويت: دار الفلاح، 1989.
26. حمودة، سميح، الوعي والثورة: دراسة في حياة وجهاد الشيخ عز الدين القسام 1882-1935، ط 2. عمّان: دار الشروق، 1986.
27. الحنبلي، مجير الدين، الأوس الجليل بتاريخ القدس الجليل. عمّان: مكتبة المحتسب، 1973.
28. الحوت، بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948، سلسلة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، رقم 57. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981.
29. حوراني، فيصل، الفكر السياسي الفلسطيني: 1964-1974: دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية. بيروت: مركز الأبحاث (م.ت.ف.)، 1980.
30. خان، ظفر الإسلام، تاريخ فلسطين القديم 1220ق.م - 1359م: منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط 4. بيروت: دار النفائس، 1984.
31. خطاب، محمود شيت، بين العقيدة والقيادة.



32. الخطيب، محمد نمر، من أثر النكبة. دمشق: المطبعة العمومية، 1951.
33. خلة، كامل، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939. طرابلس، ليبيا: المنشأة العامة للنشر، 1982.
34. خلف، علي حسين، تجربة الشيخ عز الدين القسام. عمّان: دار ابن رشد، 1984.
35. خلف، صلاح، فلسطين بلا هوية، ط 2. عمّان: دار الجليل للنشر، 1996.
36. خليل، عماد الدين، نور الدين محمود: الرجل.. والتجربة. دمشق - بيروت: دار القلم، 1980.
37. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين. بيروت: دار الطليعة، 1975.
38. الدباغ، مصطفى مراد، القبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين. بيروت: دار الطليعة، 1979.
39. الدباغ، مصطفى مراد، من هنا وهناك. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986.
40. دروزة، محمد عزة، العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها. بيروت: دار الكلمة، 1980.
41. دروزة، محمد عزة، فلسطين وجهاد الفلسطينيين. القاهرة: دار الكتاب العربي، 1959.
42. دروزة، محمد عزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها. بيروت: المكتبة العصرية، 1959.
43. دروزة، محمد عزة، نشأة الحركة العربية الحديثة: انبعاثها ومظاهرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.
44. دوعر، غسان، حرب الأيام السبعة: أسود حماس. عمّان: فلسطين المسلمة، 1993.
45. دوعر، غسان، عماد عقل. عمّان: فلسطين المسلمة، 1995.
46. دوعر، غسان، قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968-1970. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2018.

47. دوعر، غسان، موعد مع الشبابك: دراسة في النشاط العسكري لحركة حماس وكتائب عز الدين القسام خلال عام 1993. لندن: فلسطين المسلمة، 1995.
48. رايت، كليفورد، حقائق وأباطيل في الصراع العربي الإسرائيلي، ترجمة عبد الله عريقات وعبد الله عيَّاد. عمَّان: دار الناصر، 1992.
49. رسلان، عثمان عبد المعز، التربية السياسية عند الإخوان المسلمين. القاهرة: دار التوزيع الإسلامية، د.ت.
50. الرضيي، يوسف رجب، ثورة 1936 في فلسطين: دراسة عسكرية. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1982.
51. السباعي، مصطفى، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين. د.م.: دار النذير، 1985.
52. السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ط 2. القدس: منشورات صلاح الدين، 1981.
53. سليم، محمد عبد الرؤوف، نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين: منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل 1922-1948. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982.
54. سليمان، داود، السلطة الوطنية في عام 1994-1995. عمَّان، الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1995.
55. السيسي، عباس، في قافلة الإخوان المسلمين. د.م.: دن، 1986.
56. شادي، صلاح، صفحات من التاريخ: حصاد العمر. الكويت: دار الشعاع، 1980.
57. شبير، محمد عثمان، حكم الصلح مع اليهود. الكويت: الرابطة الإسلامية لطلبة فلسطين، 1983.
58. الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة رقم 96. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول/ ديسمبر 1985.
59. الشريف، كامل، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، ط 3. الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1984.



60. شفيق، منير، أوصلو "1" "2": المسار والمآل. لندن: فلسطين المسلمة، 1997.
61. صالح، محسن محمد، الإخوان المسلمون الفلسطينيون: التنظيم الفلسطيني - قطاع غزة 1949-1967. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020.
62. صالح، محسن محمد، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، ط 2. الكويت: مكتبة الفلاح، 1989.
63. صالح، محسن محمد، الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين، ط 5. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014.
64. صالح، محسن محمد، فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات فلسطينية (1). مصر: مركز الإعلام العربي، 2003.
65. صالح، محسن محمد، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012.
66. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2007.
67. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2008. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009.
68. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2009. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2010.
69. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2012-2013. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2014.
70. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2014-2015. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2016.
71. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2016-2017. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2018.
72. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2018-2019. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020.

73. صالح، محسن محمد، محرر، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني 2022-2023. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024.
74. صالح، محسن محمد، والقاسم، باسم جلال، محرران، معركة "سيف القدس" وتداعياتها فلسطينياً وإسرائيلياً وعربياً ودولياً 10-21 أيار/ مايو 2021. ملف معلومات 28. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2021.
75. صالحية، محمد عيسى، مدينة القدس.. السكان والأرض (العرب واليهود) 1275-1368هـ / 1858-1948م. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009.
76. الصواف، محمد محمود، معركة الإسلام أو وقائعنا في فلسطين بين الأمم واليوم. لبنان: دن، 1969.
77. الطاهر، محمد علي، معتقل هاكستب: مذكرات ومفكرات. مصر: المطبعة العالمية، 1950.
78. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2. القاهرة: دار المعارف، 1969.
79. العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس. القدس: فوزي يوسف، 1961.
80. العارف، عارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود 1947-1951. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1954.
81. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام. القاهرة: دار النهضة العربية، 1990.
82. عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ط 4. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1986.
83. عاشور، فايد حماد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية: العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، ط 4. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988.
84. العامري، محمد أديب، عروبة فلسطين في التاريخ. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1972.
85. عبد الحليم، محمود، الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ - رؤية من الداخل 1928-1948. الإسكندرية، مصر: دار الدعوة، 1983.



86. عبد الرحمن، أسعد، والزرور، نواف، الانتفاضة: مقدمات ونتائج، تفاعلات وآفاق. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1989.
87. عبد الرحمن، أسعد، منظمة التحرير الفلسطينية. نيقوسيا: مركز الأبحاث (م.ت.ف)، 1985.
88. عبد الرحمن، أسعد، المنظمة الصهيونية العالمية 1882-1982. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.
89. العبيدي، عوني، ثورة الشهيد عز الدين القسام وأثرها في الكفاح الفلسطيني. الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، د.ت.
90. العريني، السيد الباز، المماليك. بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.
91. العسلي، بسام، صلاح الدين الأيوبي. بيروت: دار النفائس، 1983.
92. العسلي، جميل، أجدادنا في ثرى بيت المقدس: دراسة تاريخية لمقابر القدس وتربها وإثبات بأسماء الأعيان المدفونين فيها. عمّان: مؤسسة آل البيت: المجموع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، 1981.
93. علي، زياد محمود، عداء اليهود للحركة الإسلامية. عمّان: دار الفرقان، 1982.
94. علي، فلاح خالد، فلسطين والانتداب البريطاني 1939-1948. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.
95. عمران، محمود سعيد، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. بيروت: دار النهضة العربية، 1981.
96. العويسي، عبد الفتاح، تصور الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ت.
97. الغوري، أميل، فلسطين عبر ستين عاماً. بيروت: دار النهار للنشر، 1972.
98. فاعور، أسماء، فلسطين والمزاعم اليهودية. بيروت: دار الأمة، 1995.
99. فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين. الكويت: جمعية الإصلاح الاجتماعي، 1990.
100. فهمي، وليم، الهجرة اليهودية إلى فلسطين. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

101. قاسم، عبد الستار، الشيخ المجاهد عز الدين القسام. بيروت: دار الأمة للنشر، 1984.
102. كمال، أحمد، الطريق إلى دمشق. بيروت: دار النفائس، 1980.
103. كمال، أحمد، الطريق إلى المدائن، ط 6. بيروت: دار النفائس، 1986.
104. الكيالي، عبد الحميد، محرر، دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: عملية الرصاص المصبوب/ معركة الفرقان. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009.
105. الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط 9. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985.
106. الكيلاني، هيثم، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.
107. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ترجمة عفيفة البستاني. موسكو: دار التقدم، 1971.
108. محمود، شفيق جاسر أحمد، تاريخ القدس: العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية. عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، 1984.
109. المسيري، عبد الوهاب، الأيديولوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة رقم 60-61. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كانون الأول/ديسمبر 1982 - كانون الثاني/يناير 1983.
110. المقدسي، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد، فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع حافظ، سلسلة فضائل الشام رقم 2. دمشق: دار الفكر، 1985.
111. موسى، سليمان، أيام لا تنسى: الأردن في حرب 1948. الأردن: مطبعة القوات المسلحة الأردنية، 1982.
112. الموسوعة الفلسطينية، إشراف أحمد المرعشلي. دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.



113. ميتشل، ريتشارد، **الإخوان المسلمون**، ترجمة محمود أبو السعود، تعليق صالح أبو رقيق. إنديانا بوليس، الولايات المتحدة الأمريكية: دار النشر الأمريكية، 1980.
114. النحال، محمد سلامة، **سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية**، ط 2. بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981.
115. نخلة، محمد عرابي، **تطور المجتمع في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني 1920-1948**. الكويت: ذات السلاسل، 1983.
116. النمر، إحسان، **قضية فلسطين في دورها البلدي**. نابلس، فلسطين: جمعية عمال المطابع التعاونية، د.ت.
117. النواتي، مهيب، **حماس من الداخل**. غزة، فلسطين: دار الشروق، 2002.
118. النواوي، محمد بن عبد الغني، **رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي**، ج1: **مؤامرة الدويلات الطائفية**. دم.: د.ن.، 1983.
119. نويهض، عجاج، **رجال من فلسطين**. بيروت: منشورات فلسطين المحتلة، 1981.
120. هارون، عبد السلام، **تهذيب سيرة ابن هشام**، ط 6. بيروت والكويت: مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، 1979.
121. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، **جامع التواريخ**، نقله للعربية محمد صادق نشأت ومحمد موسى الهنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد. الجمهورية العربية المتحدة: وزارة الثقافة - دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
122. الهور، منير، والموسى، طارق، **مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947-1985**، ط 2. عمّان، الأردن: دار الجليل، 1986.
123. الواقدي، محمد بن عمر، **فتوح الشام**. بيروت: دار الجليل، د.ت.
124. ياسين، صبحي، **الثورة العربية الكبرى في فلسطين: 1936-1939**. القاهرة: وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي، 1967.
125. ياسين، صبحي، **حرب العصابات في فلسطين**. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ودار الكتاب العربي، د.ت.

126. يوسف، جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د. ت.
127. يوسف، عماد، الانعكاسات السياسية لاتفاقات الحكم الذاتي الفلسطيني. عمّان، الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط، 1994.

### سادساً: مجالات ودوريات:

1. جريدة الإخوان المسلمون.
2. جريدة الأسواق، عمّان، الأردن.
3. جريدة الحياة، لندن.
4. جريدة الخليج، الشارقة، الإمارات.
5. جريدة الدستور، عمّان، الأردن.
6. جريدة الرأي، عمّان، الأردن.
7. جريدة السفير، بيروت.
8. جريدة الشباب، مصر.
9. جريدة الشرق الأوسط، لندن.
10. جريدة الشورى، مصر.
11. جريدة صوت الشعب، الأردن.
12. جريدة العربي الجديد، لندن.
13. جريدة هآرتس.
14. مجلة فلسطين المسلمة، لندن.
15. مجلة الإخوان المسلمون.
16. مجلة الدراسات الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
17. مجلة شؤون فلسطينية.
18. مجلة المستقبل العربي.
19. مجلة المصور.
20. مجلة النذير.
21. مجلة الوسط، لندن.

## سابعاً: مواقع إنترنت:

1. مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة (بتسيلم)، انظر:  
[www.btselem.org/](http://www.btselem.org/)
2. مركز معلومات فلسطين (مُعطي)، انظر: <https://mo3ta.ps/>
3. موقع إسلام أون لاين، انظر: <https://islamonline.net>
4. موقع الجزيرة.نت، انظر: <https://www.aljazeera.net>
5. موقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، انظر: <https://www.pcbs.gov.ps>
6. موقع الجيش الإسرائيلي، انظر: <http://www1.idf.il>
7. موقع دائرة الإحصاء المركزية الإسرائيلية، انظر: [www.cbs.gov.il](http://www.cbs.gov.il)
8. موقع عرب 48، انظر: <https://www.arab48.com>
9. موقع عربي 21، انظر: <https://arabi21.com>
10. موقع مبادرة جنيف، 2003، في:  
<http://www.geneva-accord.org/mainmenu/Arabic>
11. موقع المركز العربي للبحوث والدراسات، انظر: <http://www.acrseg.org/>
12. موقع مفتح، انظر: <http://www.miftah.org/>
13. موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، انظر:  
<https://www.alzaytouna.net>
14. موقع المركز الفلسطيني للإعلام، انظر: <https://palinfo.com>
15. موقع نون بوست، انظر: <https://www.noonpost.com/>
16. موقع وزارة الصحة العامة، الجمهورية اللبنانية، انظر:  
<https://www.moph.gov.lb/ar>
17. موقع ويكيبيديا، انظر: <https://ar.wikipedia.org/>
18. وكالة قدس برس إنترناشيونال للأنباء، انظر: <https://www.qudspress.com>

## المراجع الأجنبية:

### Unpublished Document:

The National Archives (previously known as Public Record Office),  
Kew Gardens, London, UK:

- Air Ministry, AIR 5/1243.
- AIR 5/1243.
- AIR 5/1245.
- AIR 5/1246.
- AIR 5/1247.
- Colonial Office, C.O. 537/852.
- C.O. 733/36/1.
- C.O. 733/81/9.
- C.O. 733/190/5.
- C.O. 733/239/5.
- C.O. 733/239/5 Part 2.
- C.O. 733/257/11.
- C.O. 733/297/1.
- C.O. 733/404/2.
- C.O. 935/21.
- Foreign Office, F.O. 371/4182.
- F.O. 371/5117.
- F.O. 371/5121.
- F.O. 371/6375.
- F.O. 371/20018.
- War Office, W.O. 32/4177.
- W.O. 32/9401.

### **Official Reports & Papers Issued by British Government:**

- *Disturbances in May 1921: Report of the Commission of Inquiry with Correspondence Relating Thereto*, Oct. 1921, Cmd. 1540. London: H.M.S.O., 1921.
- Palestine Government, *A Survey of Palestine*, prepared in Dec. 1945 & Jan. 1946. Jerusalem: Government Printer, 1946.
- *Palestine: Report on Immigration, Land Settlement and Development*, by Sir J.H. Simpson, 1930, Cmd. 3686. London: His Majesty Stationary Office, 1930.
- *Palestine: Statement of Policy*, May 1939, Cmd. 6019. London: H.M.S.O., 1939.
- *Report of the Commission Appointed by His Excellency the High Commissioner for Palestine by Notification No. 1561*, Published in the Official Gazette, Extraordinary, 7 Feb. 1934.
- *Report of the Commission on the Palestine Disturbances of Aug. 1929*, March 1930, Cmd. 5350. London: H.M.S.O., 1930.
- The Palestine Police Force, *Annual Administrative Report*, 1935. Jerusalem: Government Printing Press, Undated.

### **Parliamentary Debates:**

*The Parliamentary Debates: Official Report*, Fifth Series, House of Commons. London: H.M.S.O, Vols and Years:

- 1924. Vol. 171.
- 1925, Vol. 182–183.

### **Published Documents:**

- Khan, Zafrul Islam, *Palestine Documents*. New Delhi: Pharos Media, 1998.



**Memoirs:**

- Bentwich, Norman, *Mandate Memories: 1918–1948*. London: The Hogarth Press, 1965.
- Newton, Frances, *Fifty Years in Palestine*. London: Cold Harbour Press, 1948.

**Books:**

- Antonius, George, *The Arab Awakening*. London: Hamish Hamilton, 1955.
- Abu Sitta, Salman, *Palestinian Right to Return*. London: The Palestinian Return Center, 1999.
- Cohen, Ammon, *Political Parties in the West Bank under the Jordanian Regime, 1949–1967*. London: Cornell University Press.
- El-Awaisi, Abd Al-Fattah, *The Muslim Brothers and the Palestinian Question 1938–1947*. London: Tauris Academic Studies, 1998.
- Herzog, Chaim, *The Arab-Israeli Wars: War & Peace in the Middle East*. New York & London: Random House, 1982.
- Hyamson, Albert H., *Palestine under the Mandate 1920–1948*. Great Britain: Methuen, 1950.
- Marlowe, J., *Rebellion in Palestine*. London: The Cresset Press, 1946.
- Morris, Benny, *Israelis Border Wars: 1949–1956*. New York, US: Oxford University Press, 1993.
- Porath, Yeshoa, *The Emergence of the Palestine National Movement, 1918–1929*. London: Frank Cass, 1974.
- Porath, Yeshoua, *The Palestinian Arab National Movement: From Riots to Rebellion 1929–1939*. Great Britain: Frank Cass, 1977.

**Articles:**

- Schleifer, S. Abdullah, "The Life and Thought of Izziddin Al-Qassam," *The Islamic Quarterly*, vol. 23, no. 2, 1979.

**Websites and Newspapers:**

- Site of British Broadcasting Corporation (BBC), <http://news.bbc.co.uk>
- *The Guardian* newspaper, London.



## فهرست

- (i)
- اتفاق طابا (1995)، 200
- اتفاق القاهرة (1969)، 277
- اتفاق القاهرة (1994)، 200
- اتفاقية باريس الاقتصادية، 215
- اتفاقية سايكس-بيكو (1916)، 91-93، 95، 142
- اتفاقية كامب ديفيد (1978)، 175، 190-191، 191
- 193-194، 199، 207-208، 276
- اتفاقية واي ريفر بلانتيشن (1998)، 200
- أتلي، كليمنت، 133
- الإخوان المسلمون (الأردن)، 205، 252-253، 258، 271-272، 280، 282-283
- الإخوان المسلمون (التنظيم الفلسطيني)، 250-251، 263، 265، 267-272، 282، 284
- المكتب الإداري، 263
- الإخوان المسلمون (سورية)، 255، 257-258، 282
- الإخوان المسلمون (عام)، 7، 137، 153، 235-241، 243-246، 249، 252-253، 255، 263-266، 269، 274، 279-280، 284، 291
- الإخوان المسلمون (العراق)، 259
- الإخوان المسلمون (لبنان)، 282
- الإخوان المسلمون (مصر)، 136-137، 150، 161، 243، 246-249، 251، 253-256، 260، 264-265، 267-268، 270
- مكتب الإرشاد، 246-248، 265
- إربد، 258، 280
- الأرجون، 97
- آسيا، 11، 43، 66-67، 158، 241
- ألون، إيجال، 186
- إبراهيم (عليه السلام)، 16، 19-20
- إبراهيم باشا، 78-79
- الإبراهيم، توفيق، 127
- أبو بكر الصديق، 15، 22-24، 26، 33، 35
- أبو درة، يوسف، 127
- أبو درويش، رشيد عيد، 127
- أبو سردانة، محمد، 272
- أبو السعود، حسن، 101
- أبو سيدو، محمد، 265-266، 271
- أبو سيس، حاتم، 287
- أبو شنب، إسماعيل، 301
- أبو عزة، عبد الله، 271
- أبو علي مصطفى، 302
- أبو عيشة، خالد، 274
- أبو غوش، مصطفى، 79
- أبو قورة، عبد اللطيف، 258
- أبو مخ، فريد، 282
- أبو مريحيل، عبده، 265
- أبي سفيان، معاوية بن، 35، 37-38
- أبي سفيان، يزيد بن، 23-24، 35
- أبي طالب، علي بن، 15، 37
- الاتحاد الأوروبي، 210
- الاتحاد السوفياتي، 147، 150، 159، 163، 188، 197-198
- الاتحاد والترقي (لجنة/جمعية)، 81، 89، 91، 140
- اتفاق أوسلو (1993)، 193، 195، 198-199، 201، 203-204، 207-208، 224، 231، 275، 288، 290، 314

- الأردن، 23، 26-27، 29، 30، 35، 40-41،  
46، 48، 63، 91، 93، 95، 106، 112،  
122-123، 132، 137، 148، 150، 153،  
157، 162، 164-166، 183، 188،  
191-192، 194، 195-196، 204-206،  
208، 224، 230-232، 250، 258، 263،  
268، 269، 270، 271، 273، 276، 277،  
279، 280، 281، 282، 283، 292
- الجيش الأردني/ القوات الأردنية،  
149، 151، 154، 157، 165، 257،  
269، 277
- مجلس النواب، 205
- أرسلان، شكيب، 111
- أرسوف، 44، 62، 71
- أريحا، 13، 199-200، 268، 271
- الأزهري، إسماعيل، 254
- إسحق (عليه السلام)، 16، 19
- أسدود، 13، 154-155
- إسطنبول، 21، 79، 80، 86
- الإسكندرية، 58، 169
- إسماعيل (عليه السلام)، 19-20
- الإسماعيلية، 170، 235
- الأشقر، عمر، 292
- الأصبح، عبد الله، 127
- الأغا، خيرى، 265، 282-283
- الأغوار/ غور الأردن، 186، 205، 218
- إفريقيا، 11، 158، 241، 282
- أفغانستان، 66، 231، 277
- إقبال، محمد، 111
- إقليم الخروب، 178
- ألمانيا، 56، 63، 82، 90، 109، 131-132
- الإمارات العربية المتحدة، 218، 282
- أمريكا الجنوبية، 83، 88
- أمريكا الشمالية، 83
- أمريكا اللاتينية، 134
- الأمم المتحدة، 133-134، 147، 149، 159، 162،  
183-184، 187-190، 194، 196-197،  
202، 210، 215، 227
- الجمعية العامة، 134، 185، 188،  
190، 196
- مجلس الأمن الدولي، 154-155،  
170-171، 180، 187، 190، 192،  
194، 197، 199، 210
- ميثاق الأمم المتحدة، 189
- وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل  
اللاجئين الفلسطينيين في الشرق  
الأدنى (الأونروا)، 185، 216
- الأميري، عمر بهاء الدين، 255
- الأناضول، 76، 78
- انتفاضة الأقصى (2000-2005)، 204،  
207-208، 211-212، 223-224،  
299-304
- انتفاضة تشرين الأول/أكتوبر (1933)، 112،  
245
- انتفاضة القدس (2015)، 307-308
- الانتفاضة المباركة (1987-1993)، 196،  
284-287، 287-290، 292، 301
- انتفاضة موسم النبي موسى (1920)،  
101-102
- انتفاضة يافا (1921)، 102
- الأندلس، 41، 43
- أندونيسيا، 277
- أنطاكية، 23، 30، 36، 45-46، 56، 71
- أنيس، ذيب، 280
- أوباما، باراك، 214
- أوربان الثاني (البابا)، 45
- أوروبا، 15، 45، 63-64، 66-67، 75، 83،  
85، 88، 132، 197، 223، 242، 277،  
303، 312
- أوسلو، 198



- أوكرانيا، 66  
 أولمبت، إيهود، 213-214  
 أوليفانت، لورنس، 82  
 إيران، 111، 113، 158، 197، 218، 277،  
 284  
 إيطاليا، 131  
 الأيوبي، الصالح نجم الدين أيوب، 64  
 الأيوبي، صلاح الدين يوسف، 55-64،  
 71-72، 86، 231
- (ب)
- بئر السبع، 13، 80، 155، 251، 255، 267  
 باب الخليل (القدس)، 87  
 باراك، إيهود، 207، 299  
 باريس، 158، 215  
 باعباد، محمد سعيد، 281  
 الباقورة، 205-206  
 باكستان، 158، 229، 231، 277  
 باهان، 30-31  
 بايدن، جو، 218  
 البحر الأحمر، 59  
 البحر المتوسط، 11-12، 84  
 البحر الميت، 11، 13، 23، 26، 141، 186،  
 205  
 البحرين، 218  
 البرسقي، أقسنقر، 49  
 بروتوكول لوزان (1949)، 184  
 بريطانيا، 79، 82، 84، 88، 90-93، 95-96،  
 99، 102، 105، 108-112، 114، 120،  
 122، 129-131، 133، 135، 137، 147،  
 150، 158-159، 182، 184، 187، 190،  
 242-243، 246، 265، 315، 318  
 - الجيش البريطاني/القوات البريطانية،  
 95، 104، 107، 129، 133، 159
- الحكومة البريطانية، 92، 100، 105،  
 110، 121، 123، 124، 130  
 البصرة، 49  
 البطاط، عيسى، 127  
 بعلبك، 29، 49  
 بغداد، 43، 66، 158، 193، 259  
 البقاع (لبنان)، 178  
 بلاد الشام، 11، 14، 22، 24، 26، 44،  
 46-48، 51، 53، 65، 68، 70-71، 75،  
 77-78، 80، 84-85، 90-91، 99  
 البلعاوي، فتحي، 270-271  
 بلغاريا، 75  
 بلفور، آرثر جيمس، 92، 100، 106  
 البنا، حسن، 136-137، 235-251، 253-255،  
 257، 260، 291  
 بنتويش، نورمان، 105، 108  
 بن جوريون، ديفيد، 221  
 بورسعيد (مصر)، 159، 255  
 بورغ، أبراهام، 209  
 بوش، جورج (الابن)، 210، 212  
 بولندا، 66  
 بونابرت، نابليون، 78، 84  
 بيت جبرين، 14، 24، 35، 62، 154  
 بيت حانون، 297  
 بيت لاهيا، 263، 297  
 بيت لحم، 13، 21، 46، 62، 256، 268  
 بيجين، مناحيم، 191، 193  
 البيرة، 50، 56  
 بيروت، 35، 62، 77، 80، 175-177، 194،  
 210، 274، 278  
 بيريز، شمعون، 199، 214  
 بيسان، 13، 26، 27، 40، 58، 59، 62، 107،  
 154، 278  
 بيفن، إرنست، 133

## (ج)

- جاكرتا، 300  
جالانت، يوآف، 314  
جامعة الدول العربية، 132، 135، 148، 152،  
190، 253-254، 259، 273  
جبر، فوزي، 265  
جبريل، أحمد، 275  
جبل الزيتون، 21، 208  
جبل، معاذ بن، 23-24، 27-28، 32  
جبهة التحرير العربية، 276  
جبهة التحرير الفلسطينية، 275  
الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين، 202،  
275، 278، 288  
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، 202،  
274-275، 278، 288، 302  
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة  
العامة، 275، 278  
جبهة العمل الإسلامي (الأردن)، 205  
الجبهة القومية لتحرير فلسطين، 274  
جبيل، 35، 61-62  
الجراح، أبو عبيدة بن، 23-24، 26-32،  
35-36  
الجزائر، 176، 188، 193، 231، 277  
الجزار، أحمد باشا، 77  
جزر سيشل، 125، 248  
جلنار (زوجة قطن)، 70  
جلوب باشا، 149، 157، 269  
الجليل، 12، 78، 101، 125، 154، 175، 275  
الجماعة الإسلامية (لبنان)، 178  
- قوات الفجر، 178  
- قوات المجاهدون، 178  
جماعة القسام (الجهادية)، 110، 114-115،  
117-118، 120، 125، 127، 248  
مجموع، محمد، 108

## (ت)

- ترامب، دونالد، 216، 218  
تركيا، 76، 131، 158، 184، 231  
ترومان، هاري، 133  
تسفي، شبثاي، 82  
تشرشل، ونستون، 100، 102  
تشيكوسلوفاكيا، 157  
تل أبيب، 103، 121، 154، 252، 278، 299،  
306-307، 310  
تمراز، عبد الرحمن، 284  
تنظيم بلاد الشام، 281-283، 287، 290-292  
- المكتب الإداري (الضفة والقطاع)، 292  
- المكتب التنفيذي، 292  
- جهاز فلسطين، 283  
التنظيم العسكري (الإخوان المسلمون في  
قطاع غزة)، 265، 269-270، 272، 284  
تنظيم المجاهدون الفلسطينيون، 284،  
296-297  
توليدانو، نسيم، 297  
تونس، 176، 196، 202، 231، 277  
تيم، سعيد، 272

## (ث)

- الثعالبي، عبد العزيز، 111  
ثغرة الدفرسوار، 170-171  
ثورة البراق (1929)، 106، 109، 112، 117،  
243  
الثورة الجزائرية، 158، 269  
ثورة الضباط الأحرار (1952)، 157  
الثورة العربية الكبرى (1916)، 81، 90، 93  
الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939)،  
109، 119-120، 123، 125، 128، 142،  
239، 242، 244، 246، 248-249  
ثورة يافا (1921)، 106  
الثوري، سفيان، 40



حرب 1956/العدوان الثلاثي، 157، 160-161  
 حرب 1967/ النكسة، 161، 166-168،  
 185-186، 188، 205، 261، 274، 277،  
 297  
 حرب أكتوبر (1973)، 168، 171-173، 195  
 الحرب الأهلية اللبنانية (1975)، 278  
 حرب الخليج الثانية (1991)، 197-198  
 الحرب العالمية الأولى (1914)، 84، 90، 93،  
 98-99، 242  
 الحرب العالمية الثانية (1939)، 125، 131-133،  
 147، 149-150، 249، 253  
 حرب لبنان/ الاجتياح الإسرائيلي (1982)،  
 174-178، 276، 278  
 حرب لبنان (تموز 2006)، 178  
 حركة أنصار الله (اليمن)، 318  
 حركة الجهاد الإسلامي، 202، 224، 284-285،  
 288، 290، 298-299، 302، 312-313،  
 315  
 - سرايا القدس، 313  
 حركة حماس  
 - كتائب عز الدين القسام، 297، 302،  
 313، 316  
 حركة فتح، 162، 177، 195-196، 201-202،  
 208-209، 269-275، 277-281، 288،  
 292، 295  
 - كتائب شهداء الأقصى، 302  
 حركة القوميين العرب، 274  
 حزب الاستقلال (فلسطين)، 109، 112  
 حزب الله (لبنان)، 177-180، 213، 318  
 حزب التحرير الإسلامي، 263  
 الحزب العربي الفلسطيني، 109  
 حزب العمل، 207  
 حزب فدا، 275  
 حزب كاديسما، 213-214  
 حزب الليكود، 207، 214، 299

جمعية إنقاذ فلسطين (بغداد)، 259  
 جمعية تركيا الفتاة، 89  
 جمعية الشبان المسلمين، 110، 112، 115،  
 243، 246، 248  
 جمعية الفدائية، 101  
 الجميل، بشير، 177  
 جنين، 11، 14، 58-59، 62، 80، 127، 154،  
 164، 268  
 جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك)،  
 303-306، 309  
 الجهاز الأمني للإخوان في قطاع غزة (مجد)،  
 284  
 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 317  
 جورج، لويد، 92  
 الجولان (سورية)، 165-166، 169-170،  
 185، 261، 280  
 جولدلمان، ناحوم، 221  
 الجيش الإسرائيلي/ قوات الاحتلال، 139،  
 158-159، 165-166، 169-172،  
 174-178، 187، 199، 212، 262،  
 267، 277، 285، 297، 305-307،  
 310-311، 315-319  
 جيش الإنقاذ، 135، 137، 152-154، 251،  
 259  
 جيش الجهاد المقدس، 110، 127، 135،  
 137-138، 151، 153، 251، 253

## (ح)

الحاج محمد، عبد الرحيم، 127  
 حبش، جورج، 274  
 الحجاز، 14، 75، 87، 90-91  
 حجازي، فؤاد، 108  
 حداد، سعد، 174، 278  
 حرب 1948/ النكبة، 97، 135، 138، 143،  
 147، 151، 153، 156-157، 161، 251،  
 261، 263-264، 266، 268، 310

- الحسن، خالد، 270  
 حوراني، محمد، 209  
 حسن، صلاح، 280  
 الحسنيات، حماد، 283  
 حسنة، شرحبيل بن، 22-24، 35  
 الحسين (ملك الأردن)، 157، 204-206،  
 242، 269، 273  
 الحسيني، أمين، 76، 99، 101-102،  
 109-111، 121-122، 125-127،  
 131-132، 137-138، 143، 147،  
 242-245، 248-249، 251، 261، 263  
 الحسيني، جمال، 250  
 الحسيني، سعيد، 90  
 الحسيني، عبد القادر، 110، 127، 135،  
 151-152، 154، 257  
 الحسيني، محمد طاهر، 90  
 الحسيني، موسى كاظم، 76، 99، 101-102،  
 105، 110، 113، 245  
 الحكومة الإسرائيلية/ حكومة الاحتلال، 206،  
 211-213، 299  
 حكومة عموم فلسطين، 137-138، 273  
 الحكومة الفلسطينية (عام)  
 - حكومة حماس، 304-305  
 - حكومة رام الله (حكومة الطوارئ)،  
 213-214

## (خ)

- الخالدي، روعي، 90  
 الخالدي، محمود عزيز، 101  
 الخالدي، يوسف ضيا، 90  
 خان يونس، 78، 263، 265  
 الخنعمي، مالك بن عبد الله، 40  
 الخرطوم، 168، 186  
 خريطة الطريق، 210-212، 214  
 الخزندار، هاشم، 270-271  
 الخضري، محمد، 265  
 الخضيرة، 89، 104، 307  
 الخطاب، عمر بن، 15، 26، 29، 35-39  
 خلف، صلاح (أبو إياد)، 195، 270-271  
 خليفة، محمد عبد الرحمن، 282  
 الخليل، 12-14، 16، 41، 62، 79-80، 86-87،  
 101، 107، 127، 154، 162، 164، 250،  
 256، 268-269، 283  
 خيبر (مدينة)، 22، 165

## (د)

- الحكيم، محمد أسعد، 249  
 حلب، 29، 36، 44، 49، 51، 70، 77-78، 80،  
 91  
 حماة، 49، 58، 91  
 حمد، سليمان حسن، 271، 282  
 الحمد، محمد الصالح (أبو خالد)، 116، 127  
 حمدان، عارف، 127  
 حمص، 23، 25، 29-30، 35، 39، 49، 54،  
 91  
 حمود، عبد الفتاح، 270-272  
 حواتمة، نايف، 275  
 الحوثي، عبد الملك، 318-319
- داود (عليه السلام)، 16-17، 19، 22، 37-38  
 الدجاني، ظافر راغب، 249، 252  
 دخان، عبد الفتاح، 283، 287، 292  
 دروزة، محمد عزة، 123، 126، 130  
 درويش، عبد الله نمر، 282  
 دمشق، 23، 25-26، 29، 30، 35، 44، 48،  
 54، 58، 67، 70، 77، 79، 91، 95، 126،  
 171، 175، 255، 259، 276، 285  
 ديان، موشيه، 139، 256، 280



السعدي، فرحان، 120  
 السعودية، 76، 123، 194، 210، 270، 272،  
 281-282  
 - الجيش السعودي، 151  
 السلايمة، راضي، 283  
 سليمان (عليه السلام)، 17، 19، 22  
 سمبسون، جون هوب، 110  
 السنوار، يحيى، 316  
 السودان، 75، 176، 218، 231، 277، 280،  
 282  
 سورية، 46، 68، 76، 80، 88، 91، 93، 95،  
 97، 99، 106، 111، 114، 122، 126،  
 137، 141-142، 153، 157، 162، 164،  
 166، 168-171، 176، 188، 193، 231،  
 249، 255، 257، 268، 276، 280، 282  
 - الجيش السوري/ القوات السورية،  
 151، 154، 165، 168، 175، 275  
 - الحكومة السورية، 276  
 السويس (مدينة/ قناة)، 84-85، 158-159،  
 164، 169-171، 265-266  
 سويسرا، 88، 184  
 السيسي، عباس، 256، 266  
 سيناء، 11، 158-159، 161، 163-164،  
 166، 185، 187، 191، 254، 261-262،  
 264-268

### (ش)

شارون، أرييل، 170، 207-208، 212، 299  
 شاليط، جلعاد، 304  
 شتيرن، 97  
 شحادة، صلاح، 284، 287، 296، 301  
 الشريف حسين، فيصل بن (ملك العراق)، 95  
 الشريف، كامل، 248، 251-252، 257،  
 264-266، 268-269، 271-272

### (ر)

رابين، إسحق، 199، 204، 207، 297  
 رام الله، 154، 213، 215، 301، 304، 317  
 الرباط، 196، 277، 299  
 الرباعية الدولية، 210  
 رضا، محمد رشيد، 90، 111، 243  
 رفح، 11، 35، 164، 255، 263-265  
 رمضان، سعيد، 249  
 الرملة، 24، 37، 39، 46-47، 62، 64، 78،  
 101، 154، 157  
 الرنتيسي، عبد العزيز، 287، 302  
 الرُّها، 45، 50، 56  
 روسيا، 66، 83، 88، 91، 93، 190، 199، 210  
 ريتشارد قلب الأسد، 63-64  
 ريجان، رونالد، 175

### (ز)

زامير، إيال، 315  
 الزعنون، رياض، 270-271  
 الزعنون، سليم، 270-271  
 الزميللي، أبو بشير، 280، 283  
 زنكي، سيف الدين غازي، 51  
 زنكي، عماد الدين، 49-51، 72  
 زنكي، نور الدين محمود، 50-58، 63، 72  
 زيد، أسامة بن، 22-23  
 زيد، مسعود بن أوس بن، 39  
 الزبير، عطا، 108

### (س)

السادات، أنور، 191، 193، 199  
 الساعاتي، عبد الرحمن، 249  
 السباعي، مصطفى، 255، 257-258  
 سبسطية، 35، 59

طرابلس، 46-47، 61، 67، 71، 77  
طولكرم، 80، 101، 105، 121، 127، 154،  
250

## (ظ)

الظاهر ببيرس، 71-72

## (ع)

عابد، معاذ، 265  
العارف، عارف، 75، 101-102، 151، 252  
العاروري، صالح، 316  
عاشور، إبراهيم، 265، 267  
العاص، عمرو بن، 23-24، 29، 32، 35-37  
عامر، عبد الحكيم، 164  
العايدي، حمد (أبو سامي)، 265، 267، 269،  
271  
عباس، محمود، 199، 209، 213، 215، 301  
عبد الله الأول (ملك الأردن)، 157  
عبد الله الثاني (ملك الأردن)، 205-206  
عبد الباقي، أحمد حلمي، 137، 143، 273  
عبد الحميد الثاني (السلطان)، 80-81، 88،  
140، 89  
عبد الرازق، عارف، 127  
عبد الرؤوف، عبد المنعم، 266  
عبد ربه، ياسر، 209، 275  
عبد الشافي، حيدر، 198  
عبد العزيز، أحمد، 255  
عبد العزيز، عمر بن، 40، 52  
عبد العزيز، فهد بن، 194  
عبد العزيز، فيصل بن، 254  
عبد الملك، سليمان بن، 40  
عبد الناصر، جمال، 155، 158، 160-161،  
163، 264، 270، 273، 279

الشريف، محيي الدين، 299  
الشقاقي، فتحي، 284-285، 299  
الشقيري، أحمد، 77، 273-274  
الشقيف (قلعة)، 58  
شمعة، محمد، 287  
الشوبك، 58، 77  
الشيخ جراح، 257، 311  
شيركوه، أسد الدين، 54، 57

## (ص)

صبحة، ناجي، 283  
الصرايرة، ممدوح، 258  
صفد، 71، 77-78، 80، 105، 107، 112، 154  
الصفطاوي، أسعد، 271  
صفقة القرن/ خطة ترامب (2020)، 216، 218  
الصفوري، محمد أبو محمود، 127  
صفورية، 62  
صمويل، هيربرت، 92، 96، 105، 141  
صنعاء، 39  
الصواف، محمد محمود، 259  
صوّان، عمر، 249، 263  
صور، 46، 63-64، 67، 71، 78، 177  
صور باهر، 256، 258، 268  
صيام، عبد الله، 267، 270  
صيام، محمد، 265، 267  
صيда، 35، 62، 71، 77-78، 178  
الصين، 66، 190

## (ض)

الضيف، محمد، 316

## (ط)

طبرية، 14، 40، 42، 58، 61، 62، 64، 77،  
80، 154، 205-206، 278



- عجلون، 77  
 عدوان، كمال، 278، 272، 270  
 العراق، 22، 35، 43-44، 50، 54-55، 66، 75-76، 90-91، 93، 106، 111، 122-123، 131-132، 137، 148، 150، 153، 158، 176، 188، 193، 197، 231، 259، 276، 315  
 - الجيش العراقي، 148، 151، 154، 276  
 عرفات، ياسر (أبو عمار)، 189، 196، 198، 200، 203، 223، 264، 266، 270-271، 275، 288، 301، 375  
 عرقة، 35  
 العريش (مصر)، 187، 264-266  
 عريقات، صائب، 298  
 عزام، عبد الله، 280-281  
 عسقلان، 13، 35، 41، 46-47، 58، 62  
 العسقلاني، آدم بن أبي عباس، 42  
 العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي، 41  
 عصبية الأمم، 95  
 العظم، يوسف، 283  
 عفان، عثمان بن، 15  
 العقبة، 41، 155، 158-159، 163، 166  
 عكا، 13، 57، 59، 62-64، 67، 70-71، 77-80، 84، 105، 112، 154  
 العلمي، محمد يوسف، 101  
 علي، حسين بن (ملك الحجاز)، 90-91، 93، 99، 242  
 علي، شوكت، 111  
 علي، عبد العزيز، 268-269، 280-281  
 عُمان، 202، 231  
 عمان، 164، 196، 206، 258، 271  
 عملية أمطار الصيف (2006)، 304  
 عملية الشتاء الساخن (2008)، 305  
 عملية غيوم الخريف (2006)، 305
- عملية نتساريم (1994)، 299  
 عملية الوهم المتبدد (2006)، 304  
 عمواس، 35  
 عميرة، يوسف، 271  
 عنبتا، 268  
 عوض، عطية أحمد، 127  
 عوض الله، عادل، 299  
 عوض الله، عماد، 299  
 عوف، عبد الرحمن بن، 37  
 عياش، يحيى، 298  
 عيسى (عليه السلام)، 19، 22  
 عيسى، خليل محمد (أبو إبراهيم الكبير)، 116، 127  
 (غ)  
 الغزالي، محمد، 231  
 غزوة أحد، 39  
 غزوة بدر، 30، 39  
 غزوة تبوك، 22، 39  
 غزوة الخندق، 39  
 غزوة مؤتة، 22  
 الغمر، 205-206  
 غنيم، محمد (أبو ماهر)، 272  
 غوشة، إبراهيم، 271  
 غوشة، موسى، 271  
 (ف)  
 فارس، قدورة، 209  
 الفاروقي، سليمان التاجي، 90  
 الفالوجة، 154-155، 256، 267  
 فحل، 26-27، 29  
 الفرحان، إسحق، 280  
 فرغلي، محمد، 254، 265

## (ل)

اللاذقية، 71، 114، 117  
لبنان، 63، 77، 91، 93، 95، 97، 106،  
125-126، 142، 157، 174-179، 196،  
213، 222-223، 231، 249-250،  
276-278، 280-282، 285، 297، 315،  
318

– الجيش اللبناني، 151، 179، 277

– الحكومة اللبنانية، 177

لبيب، محمود، 253-254

لجنة بيل، 122، 124، 242

اللجنة العربية العليا، 76، 121، 125، 247-248

اللجنة الملكية البريطانية، 76، 104، 124

للجون، 11، 59، 62، 77

اللد، 35، 46، 127، 154، 157، 250، 278

النبني، إدموند، 95

لندن، 100، 110، 130

ليبيا، 132، 193

ليفني، تسبيبي، 214

## (م)

المؤتمر الإسلامي الدولي (باكستان 1968)،  
229

المؤتمر الإسلامي العام (القدس 1931)، 111،  
245

مؤتمر أنابوليس (2007)، 214

مؤتمر بلتمور (1942)، 132

مؤتمر "السلام" العربي - الإسرائيلي، 198

مؤتمر القمة العربية (بغداد 1978)، 193

مؤتمر القمة العربية (بيروت 2002)، 210

مؤتمر القمة العربية (الخرطوم 1967)، 186

مؤتمر القمة العربية (عمّان 1987)، 196

مؤتمر القمة العربية (القاهرة 1964)، 273

فرنسا، 46، 56، 63، 91، 95، 158-159،  
184، 188، 190، 215

– القوات الفرنسية، 159

فنش، هنري، 82

فياض، سلام، 213

## (ق)

قائمة الحق الإسلامية، 281

القاهرة، 71، 102، 138، 159، 170، 195،  
238، 246-248، 265-266، 273

القواقجي، فوزي، 122، 152-153، 260

قبرص، 67، 71، 84

القرضاوي، يوسف، 231

قره صو، إيمانويل، 89

القسام، عزّ الدين، 110، 114-120

قطر، 202، 270، 272، 282

قلاوون، الأشرف صلاح الدين خليل، 71-72

قلاوون، المنصور سيف الدين، 71-72

قليلية، 250، 268

قنبيبي، زكريا، 271

القوتلي، شكري، 111

القوقاز، 20، 131

قيسارية، 25، 29، 35، 38، 41، 62، 71، 141

القيق، حسن، 283، 292

## (ك)

الكرك، 58-59، 61، 67، 77

كلينتون، بيل، 198، 204-205، 207

الكنيست، 191، 216، 297

كوستلر، آرثر، 20

الكويت، 171، 197، 231، 270-271، 277

281-282، 292

الكيلاي، هيثم، 136، 151



- مؤتمر القمة العربية (مؤتمر فاس 1982)،  
194
- مؤتمر القمة العربية (المغرب 1974)، 277
- مؤتمر لندن (1840)، 79
- مؤتمر لندن (1939)، 248، 242، 130
- ماليزيا، 231، 277
- مأمون، حسن، 228
- مبادرة جنيف (2003)، 209-208
- المجالي، عبد السلام، 205
- المجدل، 154-155، 250، 267
- مجزرة دير ياسين، 138، 154
- المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى، 99، 109،  
125، 143، 242، 244
- المجلس الوطني الفلسطيني (1948)، 138
- محمد (صلى الله عليه وسلم)، 14، 20-22،  
27، 32، 39، 107، 165، 236، 240، 247
- محمد علي باشا، 78-79
- محمود، محمد، 238، 244
- مخيم جباليا، 287
- المدينة المنورة، 21، 59، 81
- مذبحة الحرم الإبراهيمي (1994)، 298
- مذبحة صبرا وشاتيلا (1982)، 176
- مذكرة شرم الشيخ (1999)، 200
- مراد، ضيف الله، 257
- مراد، عبد الرحمن، 250
- مراغة، سعيد (أبو موسى)، 177
- مرج ابن عامر، 41، 87، 141
- مرج الزهور، 297
- مرج الصُفر، 26، 35
- مرسوم ميلان (313م)، 21
- المرصد الأورومتوسطي، 307
- مركز عبد الله الحوراني للدراسات والتوثيق،  
309-308
- مركز معلومات فلسطين (مُعطي)، 317
- مركز الميزان لحقوق الإنسان، 311
- مروان، عبد الملك بن، 40
- المزّين، سعيد (أبو هشام)، 270-272
- المسجد الأقصى، 21-22، 46، 56، 63، 68،  
106-108، 113، 165، 208، 222، 236
- 299، 308-309، 311، 314
- باب الأسباط، 308
- باب الرحمة، 309-310
- حائط البراق، 106-108، 208
- المسجد الحرام، 21
- المسلم، سالم، 258
- مسودي، عدنان، 283
- مسيرات العودة الكبرى (2018-2019)،  
310-311
- مشروع آلون (1967)، 186
- مشروع فاس (1982)، 194، 210
- مشعل، خالد، 206، 281
- المشوخي، إبراهيم، 280
- مصر، 16-17، 39، 41، 43، 46، 54-58،  
67-69، 71، 75، 77-79، 84، 90، 93
- 111، 132، 136-138، 148، 150، 153،  
155، 157-160، 162-166، 168-169،  
171-172، 175، 183، 188، 191-193،  
199، 204، 208، 214، 224، 226، 231،  
235-236، 238، 240، 243-244،  
246-250، 253، 260-261، 263-264،  
268-270، 276-277، 280، 282، 284
- الحكومة المصرية، 137، 243،  
254-255، 267
- القوات المصرية/ الجيش المصري،  
79، 138، 151، 154-155، 158-159،  
161، 163، 165، 168-170، 256،  
265-266
- المخابرات المصرية، 137
- مصطفى، عبد الفتاح محمد الحاج، 127
- معان، 41

- منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، 162، 77،  
 176، 188-190، 193-204، 215-216،  
 219، 221، 224، 231، 261، 273-274،  
 276-277، 279، 281، 288-290،  
 292-293، 295، 298، 308-309
- جيش التحرير الفلسطيني، 176، 274  
 - اللجنة التنفيذية، 99، 105، 112-113،  
 209
- المجلس الوطني، 195، 197، 231،  
 273
- منظمة الصاعقة، 276
- المنظمة الصهيونية العالمية، 88، 90، 92، 221  
 منظمة الكفّ الأخضر، 110، 112  
 موريتانيا، 202  
 موريس، بني، 262-263، 267  
 الموساد، 206، 226، 299  
 موسكو، 66  
 موسى (عليه السلام)، 16، 19  
 الموصل، 49، 51، 55  
 مونتفيوري، موشيه، 87
- (ن)
- نابلس، 12، 14، 35، 59، 62، 65، 67، 77،  
 79-80، 100، 101، 114، 121، 123،  
 126-128، 154، 250، 281  
 الناصرة، 62، 78، 80، 155  
 النتشة، رفيق، 272  
 النتشة، عبد النبي، 268  
 نتنياهو، بنيامين، 206، 314  
 النجار، محمد يوسف، 265، 270-272  
 النحاس باشا، 265  
 النرويح، 198  
 النشاشيبي، إسعاف، 90  
 النشاشيبي، راغب، 102
- معاهدة بورتسموث (1948)، 259  
 معاهدة وادي عربة (1994)، 23، 204-206،  
 224  
 معركة أجنادين (م634)، 24-25، 29  
 معركة ثأر الأحرار/ الدرع والسهم (2023)،  
 313  
 معركة حجارة السجيل/ "عمود السحاب"  
 (2012)، 306  
 معركة حطين (1187م)، 59، 61  
 معركة سيف القدس/ "حارس الأسوار"  
 (2021)، 311  
 معركة الشقيف (1980)، 278  
 معركة طوفان الأقصى/ السيوف الحديدية  
 (-2023)، 313-315  
 معركة العصف المأكول/ "الجرف الصامد"  
 (2014)، 306-307  
 معركة عين جالوت (1260م)، 68-70  
 معركة فحل - بيسان (م635)، 26، 28-29  
 معركة الفرقان/ "الرصاص المصبوب"  
 (2009/2008)، 305  
 معركة القادسية، 29، 35  
 معركة القسطل (1948)، 151، 154، 257  
 معركة الكرامة (1968)، 277  
 معركة ملاذكرد (1071م)، 43  
 معركة وحدة الساحات/ الفجر الصادق  
 (2022)، 312  
 معركة اليرموك (م636)، 30-31، 34، 39  
 معسكرات الشيوخ، 279-281  
 المعني، فخر الدين، 77  
 المغرب، 43، 194، 202، 218، 231، 299  
 المكتب الإعلامي الحكومي (قطاع غزة)، 313،  
 316  
 مكة المكرمة، 16، 59  
 ملكشاه (السلطان)، 44  
 ممدود، المظفر قطز محمود بن، 67-72



- نصر الله، حسن، 318  
 النقب، 12، 141، 154-155، 157، 217،  
 252، 254، 265، 267  
 نهر الأردن، 11، 13، 16، 26، 46، 59، 61،  
 186، 205، 217، 77  
 نوردو، ماكس، 139  
 نيوتن، إسحاق، 82
- (هـ)
- الهاجاناه، 97، 133  
 الهاشمي، طه، 259  
 هيئة باب الأسباط (2017)، 308  
 هيئة باب الرحمة (2019)، 309  
 هرتزل، ثيودور، 88، 139  
 هرقل، 23، 27، 30  
 هس، موزيس، 82  
 الهند، 66، 84، 106، 188، 231  
 هنية، إسماعيل، 316  
 هولوكو، 67-68  
 هولندا، 82، 171  
 الهيئة العربية العليا، 132، 137-138،  
 151-152  
 هيرتزوج، إسحق، 314
- (و)
- وادي الرقاد (الواقوصة)، 31، 33  
 وادي عربية، 23، 204-205  
 واشنطن، 198، 212، 215-216  
 واكهبوب، آرثر، 96  
 وايزمان، حايم، 90  
 الوزير، خليل (أبو جهاد)، 196، 265-267،  
 269-271  
 الوزير، غالب، 270، 271
- وعد بلفور، 92-93، 95-96، 99-100، 106،  
 242، 248  
 الوكالة اليهودية، 97  
 الولايات المتحدة الأمريكية/ أمريكا، 82،  
 88، 92، 132، 134-135، 147، 150،  
 153، 158-159، 163، 168، 171، 180،  
 182، 184، 190-191، 197-199، 202،  
 210-211، 214، 216، 221، 223، 277،  
 298، 300، 303، 312، 315، 318-319  
 - القوات الأمريكية، 177  
 الوليد، خالد بن، 22، 24، 28-31، 33، 35،  
 37
- (ي)
- اليازوري، إبراهيم، 283، 287  
 ياسين، أحمد، 206، 282، 284، 287، 297،  
 301  
 ياسين، صبحي، 117، 119  
 يافا، 14، 35، 47، 62، 64، 70، 78، 80،  
 101، 103، 105، 107، 113-114، 121،  
 123-124، 143، 152، 154، 245، 249،  
 252، 264، 267  
 بينة، 35  
 اليرموك، 30-31، 33، 35، 205  
 يعقوب (عليه السلام)، 16، 19، 22  
 اليمن، 14، 55، 91، 123، 161، 176، 193،  
 277، 280، 315



# إصدارات مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

## الإصدارات باللغة العربية:

أولاً: سلاسل الكتب (100 مجلداً وكتاباً):

1. سلسلة التقرير الاستراتيجي الفلسطيني، صدر من هذه السلسلة 13 مجلداً، تغطي الفترة 2005-2023.
2. سلسلة الوثائق الفلسطينية، صدر من هذه السلسلة 7 مجلدات، تغطي الفترة 2005-2011.
3. سلسلة اليوميات الفلسطينية، صدر من هذه السلسلة 10 مجلدات، تغطي الفترة 2014-2023.
4. سلسلة أولست إنساناً، صدر من هذه السلسلة 13 كتاباً.
5. سلسلة تقرير معلومات، صدر من هذه السلسلة 30 كتاباً.
6. سلسلة ملف معلومات، صدر من هذه السلسلة 11 كتاباً.
7. سلسلة دراسات علمية محكمة، صدر من هذه السلسلة 16 كتاباً.

ثانياً: كتب عامة (109 كتب):

1. وائل سعد، الحصار: دراسة حول حصار الشعب الفلسطيني ومحاولات إسقاط حكومة حماس، 2006.
2. محمد عارف زكاء الله، الدين والسياسة في أميركا: صعود المسيحيين الإنجيليين وأثرهم، ترجمة أمل عيتاني، 2007.
3. أحمد سعيد نوفل، دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، 2007، ط 2، 2010.
4. محسن محمد صالح، محرر، منظمة التحرير الفلسطينية: تقييم التجربة وإعادة البناء، 2007.
5. محسن محمد صالح، محرر، قراءات نقدية في تجربة حماس وحكومتها 2006-2007، 2007.
6. خالد وليد محمود، آفاق الأمن الإسرائيلي: الواقع والمستقبل، 2007.
7. محسن محمد صالح، محرر، منظمة التحرير الفلسطينية والمجلس الوطني الفلسطيني: تعريف - وثائق - قرارات، 2007، ط 2، 2014.
8. حسن ابحيص ووائل سعد، التطورات الأمنية في السلطة الفلسطينية 2006-2007، ملف الأمن في السلطة الفلسطينية (1)، 2008.
9. محسن محمد صالح، محرر، صراع الإرادات: السلوك الأمني لفتح وحماس والأطراف المعنية 2006-2007، ملف الأمن في السلطة الفلسطينية (2)، 2008.



10. مريم عيتاني، صراع الصلاحيات بين فتح وحماس في إدارة السلطة الفلسطينية 2006-2007، 2008.
11. نجوى حساوي، حقوق اللاجئين الفلسطينيين بين الشرعية الدولية والمفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية، 2008.
12. محسن محمد صالح، محرر، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، 2008، ط 2، 2012.
13. إبراهيم غوشة، المئذنة الحمراء، 2008، ط 2، 2015.
14. عدنان أبو عامر، مترجم، دروس مستخلصة من حرب لبنان الثانية (تموز 2006): تقرير لجنة الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي، 2008.
15. عدنان أبو عامر، ثغرات في جدار الجيش الإسرائيلي، 2009.
16. قصي أحمد حامد، الولايات المتحدة والتحول الديموقراطي في فلسطين، 2009.
17. أمل عيتاني وعبد القادر علي ومعين مناع، الجماعة الإسلامية في لبنان منذ النشأة حتى 1975، 2009.
18. سمر جودت البرغوثي، سمات النخبة السياسية الفلسطينية قبل وبعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، 2009.
19. عبد الحميد الكيالي، محرر، دراسات في العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: عملية الرصاص المصبوب/ معركة الفرقان، 2009.
20. عدنان أبو عامر، مترجم، قراءات إسرائيلية استراتيجية: التقدير الاستراتيجي الصادر عن معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، 2009.
21. سامح خليل الوادية، المسؤولية الدولية عن جرائم الحرب الإسرائيلية، 2009.
22. محمد عيسى صالحية، مدينة القدس: السكان والأرض (العرب واليهود) 1275-1368هـ/ 1858-1948م، 2009.
23. رأفت فهد مرة، الحركات والقوى الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في لبنان: النشأة - الأهداف - الإنجازات، 2010.
24. سامي الصلاحيات، فلسطين: دراسات من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية، ط 2 (تم النشر بالتعاون مع مؤسسة فلسطين للثقافة)، 2010.
25. محسن محمد صالح، محرر، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، 2010.
26. مأمون كيوان، فلسطينيون في وطنهم لا دولتهم، 2010.
27. محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية، 2010، طبعة مزيدة ومنقحة ومصورة، 2020.
28. عبد الرحمن محمد علي، محرر، إسرائيل والقانون الدولي، 2011.
29. كريم الجندي، صناعة القرار الإسرائيلي: الآليات والعناصر المؤثرة، ترجمة أمل عيتاني، 2011.



30. وسام أبي عيسى، الموقف الروسي تجاه حركة حماس 2006-2010، 2011.
31. سامي محمد الصلاحت، الأوقاف الإسلامية في فلسطين ودورها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، 2011.
32. نادية سعد الدين، حق عودة اللاجئين الفلسطينيين بين حل الدولتين ويهودية الدولة، 2011.
33. عامر خليل أحمد عامر، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه إفريقيا: السودان نموذجاً، 2011.
34. إبراهيم أبو جابر وآخرون، الداخل الفلسطيني ويهودية الدولة، 2011.
35. عبد الرحمن محمد علي، الجرائم الإسرائيلية خلال العدوان على قطاع غزة: دراسة قانونية، 2011.
36. نائل إسماعيل رمضان، أحكام الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي: دراسة فقهية مقارنة، 2012.
37. حسني محمد البوريني، مرج الزهور: محطة في تاريخ الحركة الإسلامية في فلسطين، 2012.
38. غسان محمد دوعر، المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية: الاعتداء على الأرض والإنسان، 2012.
39. محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، 2012، طبعة مزيّدة ومنقحة، 2022.
40. دلال باجس، الحركة الطلابية الإسلامية في فلسطين: الكتلة الإسلامية نموذجاً، 2012.
41. وائل عبد الحميد المبوح، المعارضة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) 1994-2006: دراسة تحليلية، 2012.
42. محسن محمد صالح، محرر، أزمة المشروع الوطني الفلسطيني والآفاق المحتملة، 2013.
43. بلال محمد، محرر، إلى المواجهة: ذكريات د. عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس، 2013.
44. أحمد جواد الوادية، السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية 2001-2011، 2013.
45. ناصر عبد الله عبد الجواد، الديموقراطية الزائفة والحصانة المسلوبة: زفرات نائب عن الضفة الغربية في المجلس التشريعي الفلسطيني، 2013.
46. محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس: دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى القرن الحادي والعشرين، ط 5، 2014، ط 6، طبعة مزيّدة ومنقحة، 2023.
47. عبد الله عياش، جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية ودورها في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي 1964-1973، 2014.



48. محسن محمد صالح، مدخل إلى قضية اللاجئين الفلسطينيين (تم النشر بالتعاون مع أكاديمية دراسات اللاجئين)، 2014.
49. محسن محمد صالح، محرر، حركة المقاومة الإسلامية (حماس): دراسات في الفكر والتجربة، 2014، ط 2، 2015.
50. ماهر ربحي نمر عبيد، البناء التنظيمي والفصائلي للأسرى الفلسطينيين في سجن النقب، 2014.
51. محسن محمد صالح، محرر، قطاع غزة: التنمية والإعمار في مواجهة الحصار والدمار، 2014.
52. محسن محمد صالح، محرر، السلطة الوطنية الفلسطينية: دراسات في التجربة والأداء 1994-2013، 2015.
53. عطا محمد زهرة، البرنامج النووي الإيراني، 2015.
54. باسم القاسم، صواريخ المقاومة في غزة: سلاح الردع الفلسطيني، 2015.
55. رائد نعييرات وسليمان بشارت، النظام السياسي الفلسطيني: إشكاليات الإصلاح وآليات التفعيل، 2016.
56. رامي محمود خريس، الخطاب الصحفي الفلسطيني تجاه المقاومة الفلسطينية: دراسة تحليلية وميدانية مقارنة، 2016.
57. فرحان موسى علقم، النزاع على السيادة في فلسطين في ظل اتفاقيات أوسلو: المخزون المائي في الضفة الغربية نموذجاً، 2016.
58. خلود رشاد المصري، النسوية الإسلامية ودورها في التنمية السياسية في فلسطين، 2016.
59. باسم القاسم وربيح الدنان، مصر بين عهدين: مرسي والسياسي: دراسة مقارنة، (1) التغيرات الدستورية والانتخابات، 2016.
60. باسم القاسم وربيح الدنان، مصر بين عهدين: مرسي والسياسي: دراسة مقارنة، (2) الأحزاب والقوى السياسية، 2016.
61. باسم جلال القاسم، مصر بين عهدين: مرسي والسياسي: دراسة مقارنة، (3) الأداء الاقتصادي، 2016.
62. باسم جلال القاسم، مصر بين عهدين: مرسي والسياسي: دراسة مقارنة، (4) الأداء الأمني والقضائي، 2016.
63. ربيع محمد الدنان، مصر بين عهدين: مرسي والسياسي: دراسة مقارنة، (5) الأداء الإعلامي، 2016.
64. ربيع محمد الدنان، مصر بين عهدين: مرسي والسياسي: دراسة مقارنة، (6) السياسة الخارجية، 2016.



- ملاحظة: تمّ جمع الكتب الستة السابقة في مجلد بعنوان مصر بين عهدين: مرسي والسيسي: دراسة مقارنة، وصدر عن المركز في 2016.
- 65. أحمد حامد البيتاوي، العملاء والجواسيس الفلسطينيون: عين إسرائيل الثالثة، 2016، ط 2، 2024.
- 66. عدنان أبو عامر، منظومة الأمن الإسرائيلي والثورات العربية، 2016.
- 67. أشرف عثمان بدر، إسرائيل وحماس: جدلية التدافع والتواصل والتفاوض 1987-2014، 2016.
- 68. أمل عيتاني ورناء سعادة وفاطمة عيتاني، معدّون، محسن محمد صالح، محرر، الجماعة الإسلامية في لبنان 1975-2000، 2017.
- 69. بلال محمد شلش، محرر، سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثة وثلاثين عاماً من الاعتقال، 2017.
- 70. أحمد خالد الزعتري، العلاقات التركية الإسرائيلية 2002-2016، 2017.
- 71. خالد إبراهيم أبو عرفة، المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي في بيت المقدس 1987-2015، 2017.
- 72. سعيد طلال الدهشان، كيف نقاضي إسرائيل؟: المقاضاة الدولية لإسرائيل وقادتها على جرائمهم بحق الفلسطينيين، 2017.
- 73. قتيبة وليد غانم، الأصولية الدينية في الجيش الإسرائيلي: الأسباب والتداعيات على "الديموقراطية في إسرائيل" 1995-2014، 2018.
- 74. وائل خالد أبو هلال، حوارات في تاريخ الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة سنة 1948 مع الشيخ رائد صلاح، 2018.
- 75. عبد الحكيم حنيني، منهجية حركة حماس في العلاقات الخارجية: سورية نموذجاً 2000-2015، 2018.
- 76. غسان محمد دوعر، قواعد الشيوخ: مقاومة الإخوان المسلمين ضد المشروع الصهيوني 1968-1970، 2018.
- 77. محمد أكرم بلعاوي وحسان عمران، تفكيك الخطاب الموالي لإسرائيل: الهند نموذجاً، 2019.
- 78. عزام عبد الستار شعث، توجهات النخبة السياسية الفلسطينية نحو الصراع العربي-الإسرائيلي (دراسة تحليلية ميدانية)، 2019.
- 79. شاكر الجوهري، د. موسى أبو مرزوق: مشوار حياة: ذكريات اللجوء والغربة وسنوات النضال، 2019.
- 80. أحمد مبارك الخالدي وأنيس فوزي قاسم، رأي استشاري في حل المجلس التشريعي الفلسطيني، 2019.

81. شادي سمير عويضة، استغلال الغاز الطبيعي في حوض شرق البحر المتوسط وعلاقته بالنفوذ الإسرائيلي في المنطقة، 2019.
82. محسن محمد صالح، الإخوان المسلمون الفلسطينيون: التنظيم الفلسطيني - قطاع غزة 1949-1967، 2020.
83. إيمان أبو الخير، اعتداءات الاحتلال الإسرائيلي على المرأة في الأراضي الفلسطينية المحتلة 1967 (1967-2019)، 2020.
84. بلال ياسين، د. موسى أبو مرزوق: في العمق: قراءة في الفكر الحركي والسياسي لأول رئيس مكتب سياسي لحركة حماس 1997-2017، 2020.
85. سعيد محمد بشارت، دور تيارات الصهيونية الدينية في الحياة السياسية في إسرائيل 2000-2019، 2021.
86. شيرين طارق عيساوي، المسؤولية الجنائية الفردية عن الانتهاكات الجسيمة بحق الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين بموجب القانون الدولي العام، 2021.
87. محمد بلعيشة، الصفقات الفاوستية: التغلغل الإسرائيلي في جمهوريات آسيا الوسطى، 2022.
88. محسن محمد صالح، أوهام في العمل الفلسطيني، 2022.
89. محسن محمد صالح، محرر، دراسات في التطبيع مع الكيان الصهيوني: الدراسات الفائزة في المسابقة البحثية الدولية "لا للتطبيع"، 2022.
90. عبد اللطيف خضرسده، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية من منظور القانون الدولي، 2022.
91. محمد عبد ربه مطر، الطريق إلى صفقة وفاء الأحرار: "صفقة شاليط" 2006-2011، 2022.
92. خمسة آلاف يوم في عالم البرزخ: مذكرات الأسير حسن عبد الرحمن سلامة في العزل الانفرادي داخل السجون الإسرائيلية، 2022.
93. وليد عبد الحي، دراسات مستقبلية في العلاقات الدولية: نماذج تطبيقية، 2023.
94. إسلام شحدة العالول، التطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني: فعل استعماري استيطاني صهيوني محوري ومستمر، 2023.
95. عبد القادر ياسين، محرر، التشكيلات المؤازرة للمقاومة الفلسطينية في مصر: دراسات في ثلاثة نماذج، 2023.
96. محمد محمد المصري، الكاهن الثائر منويل مسلم: اسمعي يا فلسطين، 2024.
97. محمد صبحه، التجربة الثقافية لحركة حماس في السجون الإسرائيلية، 2024.
98. محسن محمد صالح وآخرون، إعداد وتحرير، يوميات معركة طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 - 31 آذار/ مارس 2024 (الجزء الأول)، 2024.



99. محسن محمد صالح، معركة طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة: تحليلات سياسية واستراتيجية، 2024.
100. وليد عبد الحي وآخرون، أوراق علمية حول معركة طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، 2024.
101. عاطف الجولاني وآخرون، إضاءات سياسية حول معركة طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، 2024.
102. أسامة جمعة الأشقر، أرواح الطوفان: نماذج فذة من البطولة والثبات في طوفان الأقصى، 2024.
103. محمود عبده سالم، السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه دولة جنوب السودان، 2024.
104. حمزة إبراهيم محيسن، السياسة الإسرائيلية في إدارة الصراع وأثرها على مستقبل التسوية، 2025.
105. عزام سلطان التميمي، حماس: فصول لم تكتب، 2025.
106. فاروق عيسى عاشور، ذاكرة الجدران المُعتمة: سيرة ذاتية وجماعية للأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي في أثناء معركة طوفان الأقصى، 2025.
107. هبة جمال الدين العزب، الطائفة اليهودية في روسيا: من التهميش إلى النفوذ، 2025.
108. محسن محمد صالح، مذكرات في القضية الفلسطينية، 2025.
109. محسن محمد صالح وآخرون، إعداد وتحرير، يوميات معركة طوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة 1 نيسان/ أبريل 2024 – 19 كانون الثاني/يناير 2025 (الجزء الثاني)، 2025.

## الإصدارات باللغة الإنجليزية:

### First: Serial Publications (25 Volumes and Books):

1. The Palestine Strategic Report Series, 13 Volumes (2005–2023).
2. Am I Not a Human? Book Series, 12 Books.

### Second: Non-Serial Publications (15 Books):

1. Muhammad Arif Zakauallah, *Religion and Politics in America: The Rise of Christian Evangelists and Their Impact*, 2007.
2. Mohsen Mohammad Saleh and Ziad al-Hasan, *The Political Views of the Palestinian Refugees in Lebanon as Reflected in May 2006*, 2009.



3. Ishtiaq Hossain and Mohsen Mohammad Saleh, *American Foreign Policy & the Muslim World*, 2009.
4. Ibrahim Ghushah, *The Red Minaret: Memoirs of Ibrahim Ghushah (Ex-Spokesman of Hamas)*, 2013.
5. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *Gaza Strip: Development and Construction in the Face of Siege and Destruction*, 2014. (electronic book)
6. Muslim Imran Abu Umar, *Egypt, Syria and the War on Gaza: A Study on the Egyptian and Syrian Foreign Policy Responses to the 2008/2009 Gaza War*, 2015.
7. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *Islamic Resistance Movement (Hamas): Studies of Thought & Experience*, 2017.
8. Karim El-Gendy, *The Process of Israeli Decision Making: Mechanisms, Forces and Influences*, 2nd ed., 2019.
9. Mohsen Mohammad Saleh, *Introduction to the Issue of Palestinian Refugees*, 2019.
10. Mohsen Mohammad Saleh, editor, *The Palestinian National Authority: Studies of the Experience and Performance 1994–2013*, 2019.
11. Mohsen Mohammad Saleh, *Basic Facts on The Palestine Issue*, 2021. (Updated and Illustrated Version)
12. Mohsen Mohammad Saleh, *The Palestinian Muslim Brothers: Al-Tanzim al-Filastini – Gaza Strip 1949–1967*, 2021.
13. Mohsen Mohammad Saleh, *The Palestine Issue: Historical Background and Contemporary Developments*, 2014, revised and updated version, 2022.
14. Mohsen Mohammad Saleh, *Illusions in the Palestinian Politics*, 2022.
15. Mohsen Mohammad Saleh, *The Road to Jerusalem: A Historical Study of the Islamic Experience in the Land of Palestine From the Time of the Prophets to the 21st Century*, 2023.

## Papers on the Palestine Issue

Author:

Prof. Dr. Mohsen Mohammad Saleh

### هذا الكتاب

جاء هذا الكتاب استجابة لطلب كريم من الشيخ الأستاذ الدكتور همّام سعيد، لإعداد مادة منهجية حول قضية فلسطين، في إطار علمي موضوعي مكثّف، وتعطي اهتماماً خاصاً ببعدها الإسلامي، وبدور التيار الإسلامي في تطوراتها.

وقد قُسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام، يُقدم أولها تعريفاً بأرض فلسطين وشعبها، ويغطي تاريخ فلسطين قبل الإسلام، والفتح الإسلامي لفلسطين، وتحرير فلسطين من الصليبيين والتتار. ويُركّز القسم الثاني على فلسطين في مواجهة المشروع الصهيوني منذ العهد العثماني وحتى نهاية الاحتلال البريطاني وقيام الكيان الإسرائيلي. أما القسم الثالث فيتحدث عن الحروب العربية الإسرائيلية، ومسار التسوية السلمية؛ بينما يتناول القسم الرابع دور التيار الإسلامي في مقاومة المشروع الصهيوني، وخصوصاً جماعة الإخوان المسلمين وحركة حماس.

يراعي هذا الكتاب التدرج المنهجي، ويحرص على تقديم قضية فلسطين بشكل علمي سلس وسهل التناول. كما أنه يراعي التوازن والتقارب في أحجام الأقسام.

ISBN 978-614-494-062-4



9 786144 940624



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب.: 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 21 803 644 | تليفاكس: +961 21 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

